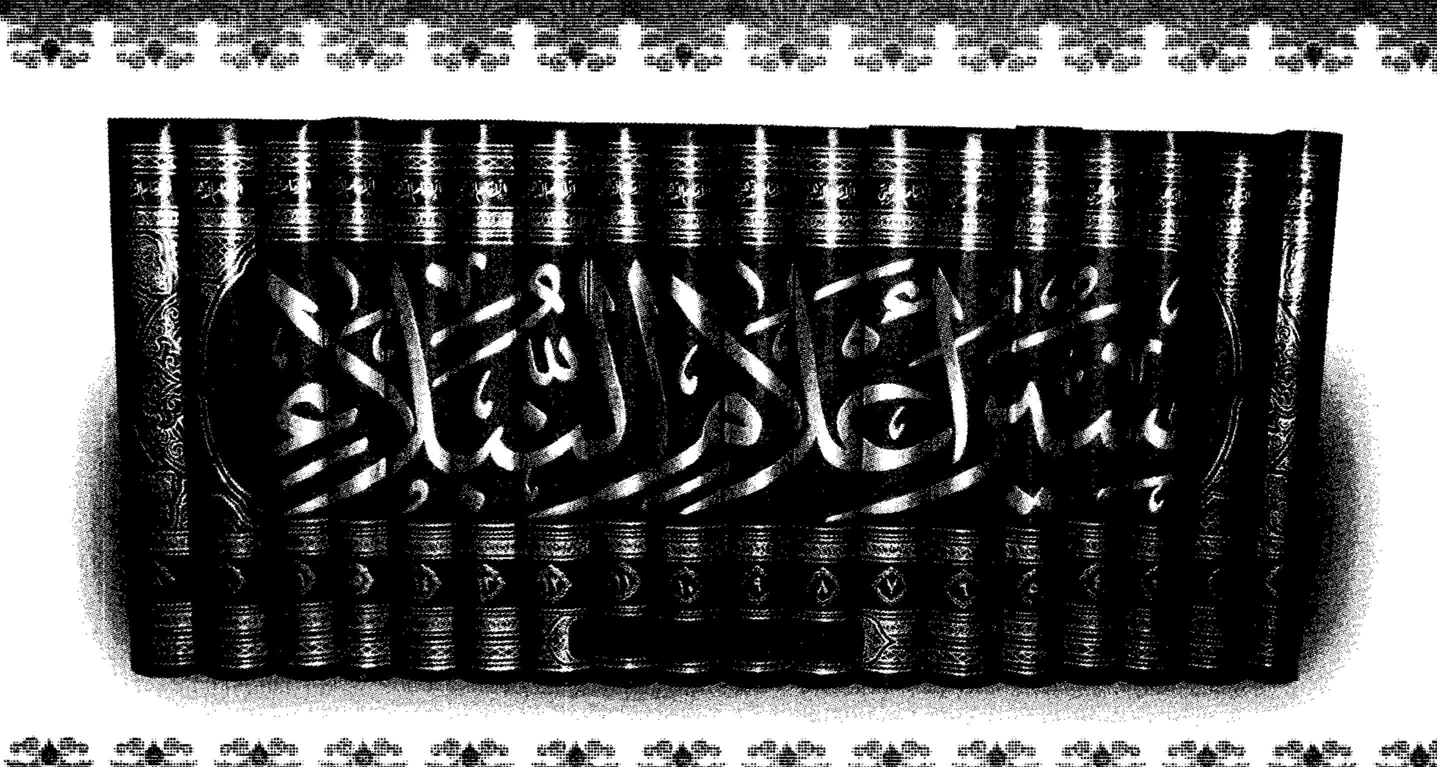
الجواهر

من

سير أعلام النبلاء



انتقاها

ماجد بن محمد العسكر


بسم الله الرحمن الرحيم

الجواهر
من
سير أعلام النبلاء

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العسكر، ماجد بن محمد

الجواهر فيما احتوته سير أعلام النبلاء من الفوائد والنوادر./ ماجد بن محمد العسكر.- الرياض، ١٤٢٨هـ

٦٠٨ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٧- ٥- ٩٣٨٢- ٩٩٦٠- ٩٧٨

١- التراجم ٢- الإسلام - تراجم أ- العنوان

ديوي ٩٢٠ ١٤٢٨/٧٥٩١

رقم الإيداع ١٤٢٨/٧٥٩١

ردمك: ٧ - ٥- ٩٣٨٢ - ٩٩٦٠- ٩٧٨

الطبعة الأولى

شوال ١٤٢٩هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــــة

الحمد لله ولي الصالحين، فقَّه من أراد به خيراً في الدين، ورفع منازل العلماء فوق العالَمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق أجمعين، وقدوة العاملين، محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد:

فإن من المعلوم عند كل أحد عظيم مرتبة أهل العلم، ورفيع منزلتهم عند الله جل وعلا. ولقد تواترت على إثبات ذلك نصوص الوحيين، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩]، ويقول سبحانه: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١]، ويقول ﷺ: " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " - رواه الشيخان -، ويقول عليه الصلاة والسلام: " إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر " - رواه أبو داود والترمذي -، إلى غيرها من النصوص.

ومن أجل ذلك، فقد سَمَت همم المؤمنين إلى تلك الدرجة العليَّة، وبذلوا كل غالٍ ونفيس في سبيل تحصيل العلم، ولقد كانت تعتريهم في طريقِ ذلك المصائبُ والابتلاءات: ﴿ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، فكان أن رفع الله ذكرهم، وأعلى شأنهم، ونفع بهم حال حياتهم وبعد وفاتهم، يقول ﷺ: " إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث:

إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له " - رواه مسلم وغيره -.

وإن من أشهر من سلفنا ممن سلك ذلك الدرب، وأعظمهم علماً، وأكثرهم تصنيفاً: الإمام أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي - رحمه الله وأعلى نزله -.

قال تاج الدين السبكي - رحمه الله - عن هذا الإمام: " إمام الوجود حفظاً، وذهب العصر معنى ولفظاً، وشيخ الجرح والتعديل، ورجل الرجال في كل سبيل... " (طبقات الشافعية الكبرى: ٩ / ١٠١)، وقال عنه صلاح الدين الصفدي - رحمه الله -: " حافظٌ لا يجارى، ولافظ لا يبارى، أتقن الحديث ورجاله، ونظر علله وأحواله، وعرف تراجم الناس، وأزال الإبهام في تواريخهم والإلباس، ذهنٌ يتوقد ذكاؤه، ويصح إلى الذهب نسبته وانتماؤه... " (الوافي بالوفيات: ٢ / ١٦٣)، وقال ابن كثير - رحمه الله -: " وقد خُتِمَ به شيوخ الحديث وحفاظه " (البداية والنهاية: ١٤ / ٢٦٠)، وقال الشوكاني - رحمه الله -: " وجميع مصنفاته مقبولة مرغوب فيها، رحل الناس لأجلها وأخذوها عنه وتداولوها، وقرأوها وكتبوها في حياته، وطارت في جميع بقاع الأرض. وله فيها تعبيرات رائقة، وألفاظ رشيقة غالباً. لم يسلك مسلكه فيها أهل عصره، ولا من قبلهم، ولا من بعدهم. وبالجملة فالناس في التاريخ من أهل عصره فمن بعدهم عيالٌ عليه، ولم يجمع أحدٌ في هذا الفن كجمعه، ولا حرره كتحريره " (البدر الطالع: ٢ / ١١١)، إلى غيرها من الأقوال التي صدرت عن العلماء، والتي تدل على ما كان يتحلى به ذلك الإمام من عظيم الخصال، وجميل السجايا.

وإن من أشهر تصانيف الإمام الذهبي، وأكثرها تداولاً وقبولاً، كتابه الجليل: " سير أعلام النبلاء ". ولقد كانت الصلة بيني وبين هذا الكتاب صلة قديمة، كنت خلالها أجتمع وإياه حين الحاجة إلى ترجمة من التراجم المنثورة في ثناياه. هذا مع أنني كنت أدرك كغيري، أن هذا الكتاب ملئ بالكنوز والدرر، وذلك أمرٌ مُسَلَّمٌ به عند كل من يعرف من هو أبو عبدالله الذهبي - رحمه الله -.

ولقد كانت فكرة قراءة هذا الكتاب بكامله تراودني بين الحين والآخر، إلى أن يسر الله بفضله فشرعت في قراءته قبل عام من الآن، وقد عقدت العزم على أن تكون هذه القراءة قراءة الباحث المتأني، الكاشف عن كل فائدة تلوح له بين سطور هذا السِفر العظيم. وأرجو من الله عزوجل أن أكون قد وفقت في نيل ما كنت أصبو إليه.

غير أنني عجبت أشد العجب - يعلم الله -، وأنا أرى هذا الكم الهائل من الفوائد والفرائد، ولقد كنت أظن في بداية الأمر أن ما يمكنني جمعه لن يتجاوز المئتين من الفوائد، غير أنني فوجئت بأنها قد بلغت بعد تنسيقها وترتيبها قريباً من ثمانمئة فائدة، وفي أغلب الفنون والمجالات!.

وهذه الفوائد في مجملها تنقسم إلى قسمين رئيسين:

١ – آراء الإمام الذهبي وأقواله. ولقد وقفت على كلمات وقواعد وأصول ذكرها الإمام - رحمه الله - تكتب بماء الذهب. (انظر على سبيل المثال لا الحصر الفوائد ذات الرقم: " ٢٧" و "١٨٢ " و "١٩٥ " وغيرها كثير).

٢ - النقولات التي أوردها الإمام الذهبي في كتابه عمن سلفه من العلماء.

وبعد أن أنهيت قراءته، وأثبتُّ لدي ما استنبطته من فوائد، اقترح عليَّ بعض الإخوة الفضلاء أن أُعده ليخرج في هيئة كتاب، فاستخرت الله سبحانه، ثم شرعت في تنفيذ هذا الاقتراح، ليظهر بعد ذلك في هذه الصورة التي بين يديك - أخي القارئ العزيز -، والتي أسأل الله عزوجل أن تكون خالصة لوجهه الكريم، مُرضية لكل من هفت نفسه لكشف كنوز " سير أعلام النبلاء ".

ولقد سلكت في التأليف بين هذه الفوائد الطريقة التالية:

١ – سبقت كل فائدة بعنوان يدل على أبرز ما فيها.

وغني عن القول أن كل فائدة من هذه الفوائد تحوي في ثناياها مجموعة من الفوائد، ولو أنني وضعت لكل فائدة عنواناً، لتضاعف حجم هذا الكتاب مرات عديدة!.

٢ – جعلت ترتيب هذه الفوائد مماثلاً لترتيبها في الكتاب، فلم أجعل فوائد مجلدٍ تسبق فوائد المجلد الذي قبله.

٣ – لم أر من الأفضل أن أجعل هذه الفوائد مندرجة تحت أبواب أو فصول، بل تركتها متنوعة كما وجدتها. ولذا فإن القارئ يقرأ تارة فائدة في العقيدة، تتلوها فائدة في اللغة، تعقبها فائدة في التاريخ، ففائدة في التربية... إلخ.

وفي هذا إبعاد للسآمة والملل، وضمان لاسترسال القارئ في القراءة.

٤ – ضممت كل نقل إلى ما يماثله من نقولات أخرى، وجعلتها تحت عنوان واحد.

ومـن الأمثلـة علـى ذلـك: الفائـدة رقـم (٢٥٤)، والـتي كـان عنوانهـا: "القول في صفات الباري جل وعلا"، فإن القارئ يجد فيها نقولاً عن الجزء الثامن، فنقولٌ عن الجزء العاشر، فنقلٌ عن الجزء الحادي عشر، فنقلٌ عن الجزء الثامن عشر، وختمتها بنقل عن الجزء العشرين.

وقد سلكت هذه الطريقة اختصاراً لوقت القارئ، ولما ينتج عنها من فوائد تظهر جلية لمن يقرأ هذه النقولات مجتمعة.

٥ – نقلت النص كما وجدته في " السير "، ولم أتصرف فيه بشئ سوى أنني أوضحت المقصود بالضمائر حين تكون مبهمة.

٦ – أثبتُّ أسفل كل نقل رقم الصفحة والجزء اللَّذينِ يخصانه، وذلك توثيقاً للنقل، وحتى يتسنى للقارئ أن يرجع إلى موطن الفائدة متى ما أراد ذلك.

٧ – اعتمدت عند ذكر رقم الصفحة والجزء على النسخة التي هي أشهر ما يتداول في الأسواق، وهي النسخة التي طبعتها مؤسسة الرسالة.

٨ – لقد كان الجهد الذي بذله محققو هذه النسخة - وعلى رأسهم فضيلة الشيخ المحدث: شعيب الأرنؤوط - جهداً واضحاً وكبيراً، ولقد وجدت لهم تعليقات نفيسة، وإضافات في الحواشي مهمة، ولذا فقد أدرجت بعضها ضمن هذه الفوائد، مع وضعها بين قوسين، والإشارة إلى رقم الحاشية، ورقم صفحتها، ورقم الجزء.

لكنها لم تشكل سوى نسبة يسيرة جداً من هذا الكتاب.

وقبل الختام..

لا أنسى أن أتقدم بطاقات من الشكر والعرفان، إلى فضيلة الشيخ: فهد بن ناصر السليمان (القاضي بمحكمة الخرج)، والذي تفضل بقراءة هذا الكتاب قبل طبعه، وقدم تنبيهات قمت بمراجعة كثيرٍ منها، فلا حرمه الله عظيم الأجر.

وبعد أخي القارئ..

فإلى تلك الفوائد التي استقيتها من هذا الكتاب العظيم، والتي أسأل الله - عزوجل - أن يجعل فيها الخير والمنفعة لكل من سيقرؤها، إنه سميع مجيب..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الإثنين: ٥ / ٣ / ١٤٢٧ هـ

ماجد بن محمد العسكر
Majed149@yahoo.com

(١) لا حيلة في برء الرفض!..

قال الإمام الذهبي رحمه الله في ختام حديثه عن العشرة المبشرين بالجنة:

فهذا ما تيسر من سيرة العشرة، وهم أفضل قريش، وأفضل السابقين المهاجرين، وأفضل البدريين، وأفضل أصحاب الشجرة، وسادة هذه الأمة في الدنيا والآخرة. فأبعد الله الرافضة، ما أغواهم وأشد هواهم، كيف اعترفوا بفضل واحد منهم وبخسوا التسعة حقهم، وافتروا عليهم بأنهم كتموا النص في علي أنه الخليفة. فو الله ما جرى من ذلك شيء، وأنهم زوروا الأمر عنه بزعمهم، وخالفوا نبيهم، وبادروا إلى بيعة رجل من بني تيم يتجر ويتكسب، لا لرغبة في أمواله ولا لرهبة من عشيرته ورجاله، ويحك! أيفعل هذا من له مسكة عقل؟ ولو جاز هذا على واحد لما جاز على جماعة، ولو جاز وقوعه من جماعة، لاستحال وقوعه، والحالة هذه، من ألوف من سادة المهاجرين والأنصار، وفرسان الأمة، وأبطال الإسلام، لكن لا حيلة في برء الرفض؛ فإنه داء مزمن، والهدى نور يقذفه الله في قلب من يشاء، فلا قوة إلا بالله. ١/ ١٤٠ – ١٤١

(٢) لا تتكلم فيما لا يعنيك..

قال زيد بن أسلم: دُخل على أبي دجانة وهو مريض، وكان وجهه يتهلل. فقيل له: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عمل شيء أوثق عندي من اثنتين:

كنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، والأخرى فكان قلبي للمسلمين سليما. ١/ ٢٤٣

(٣) منزل العزاب!..

عن أبي غطفان، عن ابن عباس قالا: كان كلثوم بن الهدم رجلاً شريفا. وكان مسنا، أسلم قبل مقدم النبي -صلى الله عليه وسلم- المدينة، فلما هاجر، نزل عليه. وكان يتحدث في منزل سعد بن خيثمة، وكان يسمى منزل العُزَّاب. ١/ ٢٤٢

(٤) ضمة القبر لسعد بن معاذ رضي الله عنه ليست بعذاب..

عن عبد الرحمن بن جابر، عن أبيه، قال: (لما انتهوا إلى قبر سعد، نزل فيه أربعة: الحارث بن أوس، وأسيد بن الحضير، وأبو نائلة سِلكان، وسلمة بن سلامة بن وقش، ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- واقف. فلما وضع في قبره، تغير وجه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وسبح ثلاثا، فسبح المسلمون حتى ارتج البقيع، ثم كبر ثلاثا، وكبر المسلمون، فسئل عن ذلك، فقال: تضايق على صاحبكم القبر، وضم ضمة لو نجا منها أحد لنجا هو، ثم فرج الله عنه).

قلت: هذه الضمة ليست من عذاب القبر في شيء؛ بل هو أمر يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء

أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف وهوله، وألم الورود على النار، ونحو ذلك. فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد، وما هي من عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه. قال الله تعالى:﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ [مريم: ٣٩]، وقال: ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ ﴾ [غافر: ١٨] فنسأل الله -تعالى- العفو واللطف الخفي. ومع هذه الهزات، فسعد ممن نعلم أنه من أهل الجنة، وأنه من أرفع الشهداء -رضي الله عنه-. كأنك يا هذا تظن أن الفائز لا يناله هول في الدارين، ولا روع ولا ألم ولا خوف، سل ربك العافية، وأن يحشرنا في زمرة سعد. **١ / ٢٩٠**

(٥) معنى اهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ رضي الله عنه..

عن أبي سعيد، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (اهتز العرش لموت سعد بن معاذ).

ثم قال النضر، وهو إمام أهل اللغة: اهتز: فرح. **١ / ٢٩٣**

وروى سليمان التيمي، عن الحسن، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (اهتز عرش الرحمن لوفاة سعد).

عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: (اهتز العرش لحب لقاء الله سعدا. قال: إنما يعني السرير. وقرأ: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾ [يوسف: ١٠٠]، قال: إنما تفسخت أعواده.

قال: ودخل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قبره، فاحتبس، فلما خرج، قيل يا رسول الله، ما حبسك؟ قال: ضم سعد في القبر ضمة، فدعوت الله أن يكشف عنه).

قلت: تفسيره بالسرير ما أدري أهو من قول ابن عمر، أو من قول مجاهد. وهذا تأويل لا يفيد. فقد جاء ثابتا عرش الرحمن وعرش الله، والعرش خلق لله مسخر إذا شاء أن يهتز اهتز بمشيئة الله، وجعل فيه شعوراً لحب سعد، كما جعل تعالى شعوراً في جبل أحد بحبه النبي -صلى الله عليه وسلم-. وقال تعالى: ﴿ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ ﴾ [سبأ: ١٠]، وقال ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ ﴾. [الإسراء: ٤٤] ثم عمم، فقال: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ [الإسراء: ٤٤] وهذا حق. وفي صحيح البخاري قول ابن مسعود: كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. وهذا باب واسع سبيله الإيمان. **١ / ٢٩٦ — ٢٩٧**

(٦) الصحابة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ..

وروى قتادة عن أنس، قال: (جمع القرآن على عهد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، وزيد، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد أحد عمومتي). **١ / ٤٤٥**

قال محمد بن كعب القرظي: جمع القرآن في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم- خمسة من الأنصار: معاذ، وعبادة، وأبي، وأبو أيوب، وأبو الدرداء. **٢ / ٦**

(٧) وصية جامعة..

روى أيوب: عن أبي قلابة وغيره أن فلاناً مر به أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-، فقال: أوصوني، فجعلوا يوصونه، وكان معاذ بن جبل في آخر القوم، فقال: أوصني يرحمك الله، قال: قد أوصوك فلم يألوا، وإني سأجمع لك أمرك: اعلم أنه لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا، وأنت إلى نصيبك إلى الآخرة أفقر، فابدأ بنصيبك من الآخرة، فإنه سيمر بك على نصيبك من الدنيا فينتظمه، ثم يزول معك أينما زلت. ١/ ٤٥٥

(٨)(ولذكر الله أكبر)..

عن معاذ - أي: ابن جبل - قال: ما عمل آدمي عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله. قالوا: يا أبا عبد الرحمن، ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: ولا، إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع ؛ لأن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] ١/ ٤٥٥

(٩) إنما يُقدسُ المرءَ عمله..

عن يحيى بن سعيد أن أبا الدرداء كتب إلى سلمان - أي الفارسي -: هلم إلى الأرض المقدسة. فكتب إليه: إن الأرض لا تُقدس أحداً، وإنما يُقدس المرءُ عَمَلَهُ. ١/ ٥٤٩

(١٠) الناس والليل..

عن طارق بن شهاب، عن سلمان - أي الفارسي -: إذا كان الليل، كان الناس منه على ثلاث منازل: فمنهم من له ولا عليه، ومنهم من عليه ولا له، ومنهم من لا عليه ولا له! فقلت: وكيف ذاك؟ فقال: أما من له ولا عليه: فرجل اغتنم غفلة الناس وظلمة الليل، فتوضأ وصلى، فذاك له ولا عليه، ورجل اغتنم غفلة الناس وظلمة الليل، فمشى في معاصي الله، فذاك عليه ولا له، ورجل نام حتى أصبح، فذاك لا له ولا عليه. ١ / ٥٤٩ — ٥٥٠

(١١) عبادة أم عادة؟!..

الأعمش: عن عبيدة بن أبي الجعد، عن رجل أشجعي قال: سمعوا بالمدائن أن سلمان - أي الفارسي - بالمسجد، فأتوه يثوبون إليه حتى اجتمع نحو من ألف، فقام، فافتتح سورة يوسف، فجعلوا يتصدعون ويذهبون، حتى بقي نحو مئة!، فغضب، وقال: آلزخرف يريدون؟! آية من سورة كذا، وآية من سورة كذا؟!!! ١ / ٥٥١

(١٢) من خصال عائشة رضي الله عنها..

عن علي بن زيد بن جدعان، عن جدته، عن عائشة أنها قالت: "لقد أُعطيت تسعاً ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران: لقد نزل جبريل بصورتي في راحته حتى أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يتزوجني، ولقد تزوجني بكْرًا، وما تزوج بكرًا غيري، ولقد قُبض ورأسه في حجري،

ولقد قَبَّرتُه في بيتي، ولقد حفت الملائكة ببيتي، وإن كان الوحي لينزل عليه وإني لمعه في لحافه، وإني لابنة خليفته وصديقه، ولقد نزل عذري من السماء، ولقد خُلِقْتُ طَيَّبَةً عند طيِّب، ولقد وُعِدْتُ مغفرة ورزقا كريما "رواه أبو بكر الآجري، عن أحمد بن يحيي الحلواني، عنه. وإسناده جيد، وله طريق آخر سيأتي. ٢ / ١٤١

كثير بن هشام: حدثنا الحكم بن هشام، عن عبد الملك بن عمير، قال: "قالت عائشة لنساء النبي -صلى الله عليه وسلم-: فُضِّلْتُ عليكن بعشر ولا فخر: كنت أحبَّ نسائه إليه، وكان أبي أحب رجاله إليه، وابتكرني ولم يبتكر غيري، وتزوجني لسبع، وبنى بي لتسع، ونزل عذري من السماء، واستأذن النبي -صلى الله عليه وسلم- نساءه في مرضه، فقال: إنه ليَشُقُّ علي الاختلافُ بينكن، فائْذَنَّ لي أن آكون عند بعضكن، فقالت أم سلمة: قد عرفنا من تريد، تريد عائشة. قد أذنا لك. وكان آخر زاده من الدنيا ريقي، أُتي بسواك، فقال: انكثيه يا عائشة. فنكثته، وقُبض بين حجري ونحري، ودُفن في بيتي "هذا حديث صالح الإسناد، ولكن فيه انقطاع. ٢ / ١٤٧

(١٣) أزواد الركب..

ورد في حاشية رقم: (٢) ص: (٢٠٢) ما نصه:

في " اللسان ": وأزواد الركب من قريش: أبو أمية بن المغيرة، والأسود بن عبدالمطلب بن أسد بن عبدالعزى، ومسافر بن أبي عمرو بن أمية عم

عقبة، كانوا إذا سافروا، فخرج معهم الناس، فلم يتخذوا زاداً معهم ولم يوقدوا، يكفونهم ويغنونهم.

(١٤) الجمع بين العبادة والتجارة..

روى الأعمش، عن خيثمة: قال أبو الدرداء: كنت تاجراً قبل المبعث، فلما جاء الإسلام، جمعت التجارة والعبادة، فلم يجتمعا، فتركت التجارة، ولزمت العبادة.

قلت: الأفضل جمع الأمرين مع الجهاد، وهذا الذي قاله، هو طريق جماعة من السلف والصوفية، ولا ريب أن أمزجة الناس تختلف في ذلك، فبعضهم يقوى على الجمع، كالصدِّيق، وعبد الرحمن بن عوف، وكما كان ابن المبارك؛ وبعضهم يعجز، ويقتصر على العبادة، وبعضهم يقوى في بدايته، ثم يعجز، وبالعكس؛ وكلٌّ سائغ. ولكن لا بد من النهضة بحقوق الزوجة والعيال. ٢ / ٣٣٨ – ٣٣٩

(١٥) أول من سن حلق القرآن الكريم..

وقال هشام بن عمار: حدثنا يزيد بن أبي مالك، عن أبيه، قال: كان أبو الدرداء يصلي، ثم يقرئ ويقرأ، حتى إذا أراد القيام، قال لأصحابه: هل من وليمة أو عقيقة نشهدها؟ فإن قالوا: نعم، وإلا قال: اللهم، إني أشهدك أني صائم. وهو الذي سن هذه الحلق للقراءة. ٢ / ٣٤٦

(١٦) طريقة أبي الدرداء ﷺ في تعليم القرآن الكريم..

وقيل: الذين في حلقة إقراء أبي الدرداء كانوا أزيد من ألف رجل، ولكل عشرة منهم ملقن، وكان أبو الدرداء يطوف عليهم قائما، فإذا أحكم الرجل منهم، تحول إلى أبي الدرداء - يعني يعرض عليه-. **٢/٣٥٣**

(١٧) معنى حديث: "حدثنا رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى قيام الساعة"..

الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة، قال: قام فينا رسول الله مقاما، فحدثنا بما هو كائن إلى قيام الساعة، فحفظه من حفظه، ونسيه من نسيه.

قلت: قد كان -صلى الله عليه وسلم- يرتل كلامه ويفسره؛ فلعله قال في مجلسه ذلك ما يكتب في جزء؛ فذكر أكبر الكوائن، ولو ذكر أكثر ما هو كائن في الوجود، لما تهيأ أن يقوله في سنة، بل ولا في أعوام، ففكّر في هذا. **٢/٣٦٥-٣٦٦**

(١٨) جواز كتمان بعض العلم عند الفتن..

ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة، قال: حفظت من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وعاءين: فأما أحدهما، فبثثته في الناس؛ وأما الآخر، فلو بثثته، لقطع هذا البلعوم.

محمد بن راشد، عن مكحول، قال: كان أبو هريرة يقول: رب كيس عند أبي هريرة لم يفتحه. يعني: من العلم.

قلت: هذا دال على جواز كتمان بعض الأحاديث التي تحرك فتنة في الأصول، أو الفروع ؛ أو المدح والذم ؛ أما حديث يتعلق بحل أو حرام، فلا يحل كتمانه بوجه؛ فإنه من البينات والهدى. وفي "صحيح" البخاري: قول الإمام علي -رضي الله عنه-: حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون ؛ أتحبون أن يُكذب الله ورسوله! وكذا لو بث أبو هريرة ذلك الوعاء، لأوذي، بل لقتل. ولكن العالم قد يؤديه اجتهاده إلى أن ينشر الحديث الفلاني إحياء للسنة، فله ما نوى وله أجر- وإن غلط - في اجتهاده. ٢ / ٥٩٧ — ٥٩٨

(١٩) شهادة بشهادتين..

وقال خارجة بن زيد - أي: ابن ثابت -، عن أبيه، قال: لما كتبنا المصاحف، فَقدتُ آية كنت سمعتها من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فوجدتها عند خزيمة بن ثابت: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، قال: وكان خزيمة يُدعى: ذا الشهادتين، أجاز رسول الله -صلى الله عليه وسلم- شهادته بشهادة رجلين. ٢ / ٤٨٦

(٢٠) عمر ﷺ يمنع من أفتى بلا إذن من الصحابة..

وقال حبيب، عن ابن سيرين: قال عمر لأبي مسعود: نُبئت أنك تفتي الناس، ولست بأمير! فَوَلِّ حارَّها من تولى قارَّها.

يدل على أن مذهب عمر أن يمنع الإمام من أفتى بلا إذن. ٢ / ٤٩٥

(٢١) مخالفة مذهب ولي الأمر في الأحكام الشرعية

عن مروان بن الحكم: شهدت علياً وعثمان بين مكة والمدينة، وعثمان ينهى عن المتعة - يعني: نسك التمتع في الحج -، وأن لا يجمع بينهما، وأبَى عليٌ ذلك، أهلَّ بهما، فقال: لبيك بعمرة وحجة معاً، فقال عثمان: أنهى الناس، وأنت تفعله؟ فقال: لم أكن أدع سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لقول أحد من الناس. أخرجه النسائي.

وفيه أن مذهب الإمام علي كان يرى مخالفة ولي الأمر لأجل متابعة السنة، وهذا حسن لمن قوي، ولم يؤذه إمامه، فإن آذاه، فله ترك السنة، وليس له ترك الفرض، إلا أن يخاف السيف. **٢١ / ٤٠٩ - ٤١٠**

(٢٢) بيت شِعرٍ لم ينسه الله..

عن ابن المنكدر، عن جابر: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لكعب بن مالك: ما نسي ربك لك - ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] - بيتًا قلته. قال: ما هو؟ قال: أنشده يا أبا بكر، فقال:

زعمت سخينة أن ستغلب ربَّها ... وليُغلبــن مُغــالب الــغلاب

٢ / ٥٢٥ - ٥٢٦

(٢٣) صحابي يقتل "٣٠٠" رجل بسهم واحد!..

قال عثمان بن أبي العاتكة: رمى العدو الناس بالنفط، فقال معاوية: أما إذ فعلوها، فافعلوا. فكانوا يترامون بها. فتهيأ رومي لرمي سفينة أبي

الغادية في طنجير. فرماه أبو الغادية بسهم، فقتله. وخرَّ الطنجير في سفينتهم، فاحترقت بأهلها. كانوا ثلاث مئة. فكان يقال: رمية سهم أبي الغادية قتلت ثلاث مائة نفس.

< جاء في الحاشية (١): " الطنجير ": قدر نحاسي >. ٢ / ٥٤٥

(٢٤) في كم يُختم القرآن الكريم؟..

عن يحيى بن حكيم بن صفوان، عن عبد الله بن عمرو، قال: (جمعت القرآن، فقرأته كله في ليلة، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: اقرأه في شهر. قلت: يا رسول الله، دعني أستمتع من قوتي وشبابي. قال: اقرأه في عشرين. قلت: دعني أستمتع. قال: اقرأه في سبع ليال. قلت: دعني يا رسول الله أستمتع. قال: فأبى). رواه النسائي.

وصح أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نازله إلى ثلاث ليال، ونهاه أن يقرأه في أقل من ثلاث وهذا كان في الذي نزل من القرآن، ثم بعد هذا القول نزل ما بقي من القرآن. فأقل مراتب النهي أن تكره تلاوة القرآن كله في أقل من ثلاث، فما فقه ولا تدبر من تلا في أقل من ذلك. ولو تلا ورتل في أسبوع، ولازم ذلك، لكان عملاً فاضلا، فالدين يسر، فوالله إن ترتيل سبع القرآن في تهجد قيام الليل مع المحافظة على النوافل الراتبة، والضحى، وتحية المسجد، مع الأذكار المأثورة الثابتة، والقول عند النوم واليقظة، ودبر المكتوبة والسحر، مع النظر في العلم النافع والاشتغال به مخلصاً لله، مع الأمر بالمعروف، وإرشاد الجاهل وتفهيمه، وزجر الفاسق، ونحو ذلك، مع أداء الفرائض في جماعة بخشوع وطمأنينة وانكسار وإيمان، مع أداء

الواجب، واجتناب الكبائر، وكثرة الدعاء والاستغفار، والصدقة وصلة الرحم، والتواضع، والإخلاص في جميع ذلك، لَشغلٌ عظيمٌ جسيم، ولَمقام أصحاب اليمين وأولياء الله المتقين، فإن سائر ذلك مطلوب. فمتى تشاغل العابد بختمة في كل يوم، فقد خالف الحنيفية السمحة، ولم ينهض بأكثر ما ذكرناه ولا تدبر ما يتلوه.

هذا السيد العابد الصاحب كان يقول لما شاخ: ليتني قبلت رخصة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكذلك قال له -عليه السلام- في الصوم، وما زال يناقصه حتى قال له: (صم يوما وأفطر يوما، صوم أخي داود -عليه السلام-).

وثبت أنه قال: أفضل الصيام صيام داود ونهى -عليه السلام- عن صيام الدهر وأمر -عليه السلام- بنوم قسطٍ من الليل، وقال: لكني أقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، وآكل اللحم، فمن رغب عن سنتي فليس مني. ٣ / ٨٣ - ٨٥

(٢٥) هلك المتنطعون

وكل من لم يَزُمَّ نفسه في تعبده وأوراده بالسنة النبوية، يندم ويترهب ويسوء مزاجه، ويفوته خير كثير من متابعة سنة نبيه الرءوف الرحيم بالمؤمنين، الحريص على نفعهم، وما زال -صلى الله عليه وسلم- معلما للأمة أفضل الأعمال، وآمراً بهجر التبتل والرهبانية التي لم يبعث بها، فنهى عن سرد الصوم، ونهى عن الوصال، وعن قيام أكثر الليل إلا في العشر الأخير، ونهى عن العزبة للمستطيع، ونهى عن ترك اللحم إلى غير ذلك من

الأوامر والنواهي. فالعابد بلا معرفة لكثير من ذلك معذور مأجور، والعابد العالم بالآثار المحمدية. المتجاوز لها مفضول مغرور، وأحب الأعمال إلى الله -تعالى- أدومها وإن قل. ألهمنا الله وإياكم حسن المتابعة، وجنبنا الهوى والمخالفة. ٣ / ٨٥ - ٨٦

(٢٦) ذكاء قاض

إبراهيم بن هشام الغساني: حدثني أبي، عن جدي، قال: وقعت من رجل مائة دينار، فنادى: من وجدها، فله عشرون دينارا، فأقبل الذي وجدها. فقال: هذا مالك، فأعطني الذي جعلت لي. فقال: كان مالي عشرين ومائة دينار، فاختصما إلى فضالة - أي ابن عبيد -، فقال لصاحب المال: أليس كان مالك مائة وعشرين ديناراً كما تذكر؟ قال: بلى. وقال للآخر: أنت وجدت مائة؟ قال: نعم. قال: فاحبسها ولا تعطه، فليس هو بماله حتى يجيء صاحبه ٣ / ١١٥ - ١١٦

(٢٧) الموقف من خلاف الصحابة رضي الله عنهم

وخَلَفَ معاويةَ خلق كثير يحبونه ويتغالون فيه ويفضلونه، إما قد ملكهم بالكرم والحلم والعطاء، وإما قد ولدوا في الشام على حبه، وتربى أولادهم على ذلك. وفيهم جماعة يسيرة من الصحابة، وعدد كثير من التابعين والفضلاء، وحاربوا معه أهل العراق، ونشؤوا على النصب، نعوذ بالله من الهوى. كما قد نشأ جيش علي -رضي الله عنه ورعيته إلا الخوارج

منهم- على حبه والقيام معه، وبغض من بغى عليه والتبري منهم، وغلا خلق منهم في التشيع. فبالله كيف يكون حال من نشأ في إقليم، لا يكاد يشاهد فيه إلا غاليا في الحب، مفرطا في البغض، ومن أين يقع له الإنصاف والاعتدال؟ فنحمد الله على العافية الذي أوجدنا في زمان قد انمحص فيه الحق، واتضح من الطرفين، وعرفنا مآخذ كل واحد من الطائفتين، وتبصرنا، فعذرنا، واستغفرنا، وأحببنا باقتصاد، وترحمنا على البغاة بتأويل سائغ في الجملة، أو بخطأ -إن شاء الله- مغفور، وقلنا كما علمنا الله ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [الحشر: ١٠] وترضينا أيضاً عمن اعتزل الفريقين، كسعد بن أبي وقاص، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وسعيد بن زيد، وخلق. وتبرأنا من الخوارج المارقين الذين حاربوا عليا، وكفّروا الفريقين. فالخوارج كلاب النار، قد مرقوا من الدين، ومع هذا فلا نقطع لهم بخلود النار، كما نقطع به لعبدة الأصنام والصلبان. ٣ / ١٢٨

(٢٨) تعلم الإيمان قبل تعلم القرآن

حماد بن نجيح: عن أبي عمران الجوني، (عن جندب، قال: كنا غلمانا حزاورة مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا به إيمانا).

(جاء في الحاشية (١) ص: (١٧٥): " والحزاورة: جمع حزورٍ وحزَوَّر: وهو الغلام إذا قارب البلوغ). ٣ / ١٧٤ - ١٧٥

(٢٩) نصيحة ابن عمر رضي الله عنهما لطالب العلم

قال الليث بن سعد وغيره: كتب رجل إلى ابن عمر أن اكتب إلي بالعلم كله. فكتب إليه: إن العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كاف اللسان عن أعراضهم، لازما لأمر جماعتهم، فافعل. ٣ / ٢٢٢

(٣٠) قوم لم يظهر فيهم السمن!

عن ابن سيرين، أن رجلا قال لابن عمر: أعملُ لك جوارش؟ قال: وما هو؟ قال: شيء إذا كظك الطعام، فأصبت منه، سهَّل. فقال: ما شبعت منذ أربعة أشهر، وما ذاك أن لا أكون له واجداً، ولكني عهدت قوما يشبعون مرة، ويجوعون مرة.

(جاء في الحاشية (١): " وقوله: " إذا كظك الطعام " أي: إذا امتلأت منه وأثقلك). ٣ / ٢٢٢

(٣١) موقف ابن عمر رضي الله عنهما من الخوارج

عن نافع، قال: كان ابن عمر يسلم على الخشبية والخوارج وهم يقتتلون وقال: من قال " حي على الصلاة " أجبته، ومن قال " حي على قتل أخيك المسلم وأخذ ماله " فلا. ٣ / ٢٢٨

(٣٢) سبب موت ابن عمر رضي الله عنهما

أحمد بن يعقوب المسعودي: حدثنا إسحاق بن سعيد بن عمرو الأموي، عن أبيه، عن ابن عمر، أنه قام إلى الحجاج، وهو يخطب، فقال: يا عدو الله! استُحِلَّ حرم الله، وخُرِّبَ بيت الله. فقال: يا شيخا قد خرف. فلما صدر الناس، أمر الحجاج بعض مسودته، فأخذ حربة مسمومة، وضرب بها رجل ابن عمر، فمرض، ومات منها. ودخل عليه الحجاج عائدا، فسلم فلم يرد عليه، وكلمه، فلم يجبه. ٣ / ٢٣٠

(٣٣) حد لباس الخيلاء

عن قزعة، قال: رأيت على ابن عمر ثيابا خشنة أو جشبة، فقلت له: إني قد أتيتك بثوب لين مما يصنع بخراسان، وتقر عيناي أن أراه عليك. قال: أرنيه، فلمسه، وقال: أحرير هذا؟ قلت: لا، إنه من قطن. قال: إني أخاف أن ألبسه، أخاف أكون مختالا فخورا، والله لا يحب كل مختال فخور.

قلت: كل لباس أوجد في المرء خيلاء وفخراً فتركُهُ متعين ولو كان من غير ذهب ولا حرير. فإنا نرى الشاب يلبس الفرجية الصوف بفرو من أثمان أربع مائة درهم ونحوها، والكبر والخيلاء على مشيته ظاهر، فإن نصحته ولمته برفق كابر، وقال: ما فيَّ خيلاء ولا فخر. وهذا السيد ابن عمر يخاف ذلك على نفسه. وكذلك ترى الفقيه المترف إذا ليم في تفصيل فرجية تحت كعبيه، وقيل له: قد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار) يقول: إنما قال هذا فيمن جر إزاره خيلاء،

وأنا لا أفعل خيلاء. فتراه يكابر، ويبرئ نفسه الحمقاء، ويعمد إلى نص مستقل عام، فيخصه بحديث آخر مستقل بمعنى الخيلاء، ويترخص بقول الصديق: (إنه يا رسول الله يسترخي إزاري، فقال: لست يا أبا بكر ممن يفعله خيلاء) فقلنا: أبو بكر -رضي الله عنه- لم يكن يشد إزاره مسدولا على كعبيه أولا ؛ بل كان يشده فوق الكعب، ثم فيما بعد يسترخي. وقد قال -عليه السلام-: (إزرة المؤمن إلى أنصاف ساقيه، لا جناح عليه فيما بين ذلك وبين الكعبين) ومثل هذا في النهي لمن فصَّل سراويل مغطياً لكعابه. ومنه طول الأكمام زائداً، وتطويل العَذَبَة. وكل هذا من خيلاء كامن في النفوس. وقد يعذر الواحد منهم بالجهل، والعالم لا عذر له في تركه الإنكار على الجهلة. فإن خلع على رئيس خلعة سيراء من ذهب وحرير وقندس، يُحَرِّمه ما ورد في النهي عن جلود السباع ولبسها، الشخص يسحبها ويختال فيها، ويخطر بيده ويغضب ممن لا يهنيه بهذه المحرمات!، ولا سيما إن كانت خلعة وزارة وظلم ونظر مكس، أو ولاية شرطة. فليتهيأ للمقت وللعزل والإهانة والضرب، وفي الآخرة أشد عذاباً وتنكيلا. فرضي الله عن ابن عمر وأبيه. وأين مثل ابن عمر في دينه، وورعه وعلمه، وتألهه وخوفه، من رجل تعرض عليه الخلافة، فيأباها، والقضاء من مثل عثمان، فيرده، ونيابة الشام لعلي، فيهرب منه. فالله يجتبي إليه من يشاء، ويهدي إليه من ينيب.

(جاء في الحاشية (١) ص: (٢٣٤): الفرجية: ثوب واسع طويل الأكمام، يتخذ من قطن أو حرير أو صوف).

(جاء في الحاشية (٢) ص: (٢٣٤): السيراء: نوع من البرود تتخذ من حرير). **٣ / ٢٣٣ - ٢٣٥**

(٣٤) الحرص على وحدة صف المسلمين

معن: عن مالك ؛ بلغه أن ابن عمر قال: لو اجتمعت عليَّ الأمة إلا رجلين ما قاتلتهما.

سلام بن مسكين: سمعت الحسن يحدث قال: لما قتل عثمان، قالوا لابن عمر: إنك سيد الناس وابن سيدهم، فاخرج يبايع لك الناس. فقال: لئن استطعت لا يُهراق في مِحجمة. قالوا: لتخرجن أو لتقتلن على فراشك، فأعاد قوله.

قال الحسن: أطمعوه وخوفوه، فما قدروا على شيء منه. **٣ / ٢٣٩**

روى عروة بن الزبير، عن عبيد الله بن عدي ؛ أنه دخل على عثمان، وهو محصور، وعلي يصلي بالناس، فقال: يا أمير المؤمنين! إني أتحرج أن أصلي مع هؤلاء وأنت الإمام. فقال: إن الصلاة أحسن ما عمل الناس، فإذا رأيت الناس محسنين، فأحسن معهم. **٣ / ٥١٥**

(٣٥) تواضع "المصنف" وعدم ادعائه مالا يعلم

يونس بن أبي إسحاق: عن العيزار بن حريث، قال: بينا عمرو بن العاص في ظل الكعبة، إذ رأى الحسين، فقال: هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء اليوم.

فقال أبو إسحاق: بلغني أن رجلا جاء إلى عمرو، فقال: علي رقبة من ولد إسماعيل. فقال: ما أعلمها إلا الحسن والحسين.

قلت: ما فهمته.

< قال المحقق في الحاشية رقم (١) ص: (٢٨٦): لعل عمراً أراد أن عتق رقبة من بني إسماعيل متعذر، فإنه أحال على الحسن والحسين، وهما - وإن كانا ينتسبان إلى إسماعيل - حران لا يملكان، فكأنه أيأسه من الوفاء بنذره >. ٣ / ٢٨٥ - ٢٨٦

(٣٦) في رثاء الحسين رضي الله عنه

قال هشام بن الكلبي: لما أجري الماء على قبر الحسين، انمحى أثر القبر، فجاء أعرابي، فتتبعه، حتى وقع على أثر القبر، فبكى، وقال:

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه فطيب تراب القبر دل على القبر ٣ / ٣١٧

(٣٧) الإخلاص

محمد بن زياد: رأيت أبا أمامة - أي الباهلي - أتى على رجل في المسجد، وهو ساجد يبكي، ويدعو، فقال: أنت أنت! لو كان هذا في بيتك. ٣ / ٣٦١

أبو بكر بن عياش، عن عاصم قال: كان أبو وائل - أي: شقيق بن سلمة - إذا صلى في بيته ينشج نشيجا، ولو جُعِلَت له الدنيا على أن يفعله وأحد يراه، ما فعله. ٤ / ١٦٥

الثوري: عن سُرِّيَّة للربيع - أي: ابن خثيم -، أنه كان يدخل عليه الداخل وفي حجره المصحف فيغطّيه. ٤ / ٢٦٠

قال عاصم الأحول: كان أبو العالية - أي: رُفيع بن مِهران - إذا جلس إليه أكثر من أربعة قام فتركهم. ٤ / ٢١٠

عن الأعمش، قال: كان عبد الرحمن بن أبي ليلى يصلي، فإذا دخل الداخل، نام على فراشه. ٤/٢٦٤

قال المصنف رحمه الله: ينبغي للعالم أن يتكلم بنية وحسن قصد، فإن أعجبه كلامه فليصمت، فإن أعجبه الصمت فلينطق، ولا يفتر عن محاسبة نفسه ؛ فإنها تحب الظهور والثناء. ٤/ ٤٩٤

قال خلف بن تميم: حدثنا زائدة، أن منصوراً - أي: ابن المعتمر - صام أربعين سنة، وقام ليلها، وكان يبكي، فتقول له أمه يا بني: قتلت قتيلا؟ فيقول: أنا أعلم بما صنعت بنفسي، فإذا كان الصبح، كحَّل عينيه، ودهن رأسه، وبرق شفتيه وخرج إلى الناس. ٥/ ٤٠٦

قال الفلاس: سمعت ابن أبي عدي يقول: صام داود بن أبي هند أربعين سنة لا يعلم به أهله. كان خزازاً يحمل معه غداءه، فيتصدق به في الطريق. ٦/ ٣٧٨

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معمر قال: كان يقال: إن الرجل يطلب العلم لغير الله، فيأبى عليه العلم حتى يكون لله.

قلت: نعم، يطلبه أولاً، والحامل له حب العلم، وحب إزالة الجهل عنه، وحب الوظائف، ونحو ذلك. ولم يكن عَلِمَ وجوب الإخلاص فيه، ولا صدقَ النية، فإذا عَلِمَ، حاسب نفسه، وخاف من وبال قصده، فتجيئه النية الصالحة كلها أو بعضها، وقد يتوب من نيته الفاسدة ويندم. وعلامة ذلك أنه يقصر من الدعاوى وحب المناظرة، ومن قَصْدِ التكثر بعلمه، ويزري على نفسه، فإن تكثر بعلمه، أو قال: أنا أعلم من فلان، فبعداً له. ٧/ ١٧

عن سعيد بن سالم صاحب الأوزاعي: قدم أبو مرحوم من مكة على الأوزاعي، فأهدى له طرائف، فقال له: إن شئت قبلت منك، ولم تسمع مني حرفاً، وإن شئت فضم هديتك، واسمع. **٧ / ١٣٢**

قال إسحاق بن الجراح: حدثنا محمد بن الحجاج قال: كان رجل يسمع معنا عند حماد بن سلمة، فركب إلى الصين، فلما رجع، أهدى إلى حماد هدية، فقال له حماد: إن قبلتها لم أحدثك بحديث، وإن لم أقبلها حدثتك. فقال: لا تقبلها وحدثني. **٧ / ٤٤٩**

قال إسحاق بن الطباع: سمعت حماد بن سلمة يقول: من طلب الحديث لغير الله تعالى، مُكِر به. **٧ / ٤٤٨**

قال عون بن عمارة: سمعت هشاماً الدستوائي يقول: والله ما أستطيع أن أقول: إني ذهبت يوما قط أطلب الحديث أريد به وجه الله -عز وجل.

قلت: والله ولا أنا. فقد كان السلف يطلبون العلم لله فنبلوا، وصاروا أئمة يقتدى بهم، وطلبه قوم منهم أولاً لا لله، وحصلوه، ثم استفاقوا، وحاسبوا أنفسهم، فجرَّهم العلم إلى الإخلاص في أثناء الطريق، كما قال مجاهد وغيره: طلبنا هذا العلم وما لنا فيه كبير نية، ثم رزق الله النية بعد، وبعضهم يقول: طلبنا هذا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله. فهذا أيضا حسن. ثم نشروه بنية صالحة. وقوم طلبوه بنية فاسدة لأجل الدنيا، وليثنى عليهم، فلهم ما نووا: قال -عليه السلام-: (من غزا ينوي عقالا فله ما نوى) وترى هذا الضرب لم يستضيئوا بنور العلم، ولا لهم وقع في النفوس، ولا لعلمهم كبير نتيجة من العمل، وإنما العالم من يخشى الله تعالى. وقوم نالوا العلم، وولوا به المناصب، فظلموا، وتركوا التقيد بالعلم، وركبوا الكبائر والفواحش، فتباً لهم، فما

هـؤلاء بعلمـاء! وبعـضهم لم يتـق الله في علمـه، بـل ركـب الحيـل، وأفتـى بالرخص، وروى الشاذ من الأخبار. وبعضهم اجترأ على الله، ووضع الأحاديث، فهتكه الله، وذهب علمه، وصار زاده إلى النار. وهؤلاء الأقسام كلهم رووا من العلم شيئاً كبيراً، وتضلعوا منه في الجملة، فخلف من بعدهم خلف بان نقصهم في العلم والعمل، وتلاهم قوم انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يتقنوا منه سوى نزر يسير، أوهموا به أنهم علماء فضلاء، ولم يدر في أذهانهم قط أنهم يتقربون به إلى الله ؛ لأنهم ما رأوا شيخا يقتدى به في العلم، فصاروا همجاً رعاعاً، غاية المدرس منهم أن يحصل كتبا مثمنة يخزنها وينظر فيها يوماً ما، فيصحف ما يورده ولا يقرره. فنسأل الله النجاة والعفو، كما قال بعضهم: ما أنا عالم ولا رأيت عالما. **٧ / ١٥٢ - ١٥٣**

وقيل: التقى سفيان - أي: الثوري - والفضيل - أي: ابن عياض -، فتذاكرا، فبكيا، فقال سفيان: إني لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة. فقال له فضيل: لكني أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه شؤما، أليس نظرت إلى أحسن ما عندك، فتزينت به لي، وتزينت لك، فعبدتني وعبدتك؟ فبكى سفيان حتى علا نحيبه، ثم قال: أحييتني أحياك الله. **٧ / ٢٦٧**

روى أحمد بن إبراهيم الدورقي، عن علي بن الحسن قال: بلغ الفضيل أن حريزاً يريد أن يأتيه، فأَقفل الباب من خارج، فجاء فرأى الباب مقفلا، فرجع، فأتيته فقلت له: حريز، قال: ما يصنع بي، يظهر لي محاسن كلامه، وأظهر له محاسن كلامي، فلا يتزين لي، ولا أتزين له، خير له.

قال فيض بن وثيق: سمعت الفضيل يقول: إن استطعت أن لا تكون محدثا، ولا قارئا، ولا متكلما، إن كنت بليغا قالوا: ما أبلغه! وأحسن حديثه! وأحسن صوته! فيعجبك ذلك، فتنتفخ، وإن لم تكن بليغا، ولا حسن الصوت قالوا: ليس يُحسن يُحدّث، وليس صوته بحسن، أحزنك ذلك، وشق عليك، فتكون مرائيا، وإذا جلست، فتكلمت، فلم تبال من ذمك ومن مدحك، فتكلم. ٨ / ٤٣٣

قال أحمد بن داود الحداني: سمعت عيسى بن يونس يقول: لم يكن من أسناني -أو قال: من أترابي- أبصر بالنحو مني، فدخلني منه نخوة فتركته. ٨ / ٤٩٣

وروى الفلاس، عن الخريبي - أي: عبد الله بن داود - قال: كانوا يستحبون أن يكون للرجل خبيئة من عمل صالح لا تعلم به زوجته ولا غيرها. ٩ / ٣٤٩

عن أيوب العطار: أنه سمع بشراً - أي: ابن الحارث - يقول: حدثنا حماد بن زيد.. ثم قال: أستغفر الله، إن لذكر الإسناد في القلب خيلاء. ١٠ / ٤٧٠ – ٤٧١

وقيل: إنه - أي: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي - لم يُظهر شيئا من تصانيفه في حياته، وجمعها في موضع، فلما دنت وفاته، قال لمن يثق به: الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي، وإنما لمْ أُظْهِرها لأني لم أجد نية خالصة، فإذا عاينت الموت، ووقعت في النزع،

فاجعل يدك في يدي، فإن قبضت عليها وعصرتها، فاعلم أنه لم يقبل مني شيء منها، فاعمد إلى الكتب، وألقها في دجلة، وإن بسطت يدي، فاعلم أنها قبلت. قال الرجل: فلما احتضر، وضعت يدي في يده، فبسطها، فأظهرت كتبه. ١٨ / ٦٦

قال أبو منصور: كتبوا مرة لعمي - أي: أبو الفضل بن خيرون البغدادي -: " الحافظ "، فغضب، وضرب عليه، وقال: قرأنا حتى يكتب لي الحافظ؟! ١٩ / ١٠٧

وقال محمد بن عبدويه: سمعت الفضيل يقول: ترْك العمل من أجل الناس رياء، والعمل من أجل الناس شرك، والإخلاص أن يعافيك الله عنهما. ٨ / ٤٢٧

(٣٨) أهل الصفة

عن واثلة - أي: ابن الأسقع -، قال: (كنا أصحاب الصفة ما منا رجل له ثوب تام، ولقد اتخذ العرق في جلودنا طرقا من الغبار، إذ أقبل علينا النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: ليبشر فقراء المهاجرين). ٣ / ٣٨٥

(٣٩) المنهج في موعظة الناس..

عن ثابت، عن أنس - أي: ابن مالك - - وقيل له: ألا تحدثنا؟ - قال: يا بني إنه من يكثر يهجر. ٣ / ٤٠٣

أبو بكر بن عياش: عن عبد الملك، عن عطاء، قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة فقالت له: خَفِّفْ؛ فإن الذكْرَ ثقيل - تعني إذا وعَظْتَ -. ٤ / ١٥٧

(٤٠) أول " محمد " في الإسلام

قيل: هو - أي: محمد بن حاطب الجمحي - أول من سمي محمداً في الإسلام. ٣ / ٤٣٦

(٤١) ثاني امرأة أسلمت

وأمه - أي: أم قثم بن العباس رض الله عنهم - هي أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية، وكانت ثانية امرأة أسلمت، أسلمت بعد خديجة. قاله الكلبي. ٣ / ٤٤٠

(٤٢) من صور الجود

ويروى أن شاعرا جاء إلى عبد الله بن جعفر - ابن أبي طالب -، فأنشده:

رأيت أبا جعفر في المنام ... كساني من الخز دُرَّاعَهْ
شكوت إلى صاحبي أمرها ... فقال ستوتى بها الساعه
سيكسوكها الماجد الجعفري ... ومن كفه الدهر نفَّاعه

ومــن قــال للجــود: لا تعدنـــي فقــال لـــه: الــسمع والطاعــه

فقال عبد الله لغلامه: أعطه جبتي الخز. ثم قال له: ويحك كيف لم تر جبتي الوشي؟ اشتريتها بثلاث مائة دينار منسوجة بالذهب. فقال: أنام، فلعلي أراها. فضحك عبد الله، وقال: ادفعوها إليه. ٣ / ٤٥٩ - ٤٦٠

عن الأصمعي ؛ أن امرأة أتت بدجاجة مسموطة، فقالت لابن جعفر - أي: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب -: بأبي أنت! هذه الدجاجة كانت مثل بنتي، فآليت أن لا أدفنها إلا في أكرم موضع أقدر عليه ؛ ولا والله ما في الأرض أكرم من بطنك. قال: خذوها منها، واحملوا إليها، فذكر أنواعا من العطاء، حتى قالت: بأبي أنت! إن الله لا يحب المسرفين. ٣ / ٤٦١

قال الأصمعي: أنشده أعرابي - أي: أنشد خالداً القسري - في مجلس الشعراء:

تعرضـت لـي بـالجود حتـى نعـشتني وأعطيـتني حتـى ظننتـك تلعـــب!

فأنـت النـدى وابـن النـدى وأخـو النـدى حليـف النـدى، مـا للنـدى عنـك مـذهب

فأعطاه مئة ألف. ٥ / ٤٢٨

محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، سمعت أبي قال: كان ابن المبارك إذا كان وقت الحج، اجتمع إليه إخوانه من أهل مرو، فيقولون: نصحبك، فيقول: هاتوا نفقاتكم، فيأخذ نفقاتهم، فيجعلها في صندوق، ويقفل عليها، ثم يكتري لهم، ويخرجهم من مرو إلى بغداد، فلا يزال ينفق عليهم، ويطعمهم أطيب الطعام، وأطيب الحلوى، ثم يخرجهم من بغداد بأحسن زي وأكمل مروءة، حتى يصلوا إلى مدينة الرسول -صلى الله عليه وسلم -

فيقول لكل واحد: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من المدينة من طرفها؟ فيقول: كذا وكذا، ثم يخرجهم إلى مكة، فإذا قضوا حجهم، قال لكل واحد منهم: ما أمرك عيالك أن تشتري لهم من متاع مكة؟ فيقول: كذا وكذا، فيشتري لهم، ثم يخرجهم من مكة، فلا يزال ينفق عليهم إلى أن يصيروا إلى مرو، فيجصص بيوتهم وأبوابهم، فإذا كان بعد ثلاثة أيام، عمل لهم وليمة وكساهم، فإذا أكلوا وسروا، دعا بالصندوق، ففتحه ودفع إلى كل رجل منهم صرته، عليها اسمه.

قال أبي: أخبرني خادمه أنه عمل آخر سَفْرة سافرها دعوةَ، فقدَّم إلى الناس خمسة وعشرين خوانا فالوذج..وكان ينفق على الفقراء في كل سنة مائة ألف درهم.

علي بن خشرم: حدثني سلمة بن سليمان قال: جاء رجل إلى ابن المبارك، فسأله أن يقضي دينا عليه، فكتب له إلى وكيل له، فلما ورد عليه الكتاب، قال له الوكيل: كم الدين الذي سألته قضاءه؟ قال: سبع مائة درهم، وإذا عبد الله قد كتب له أن يعطيه سبعة آلاف درهم، فراجعه الوكيل، وقال: إن الغلات قد فنيت، فكتب إليه عبد الله: إن كانت الغلات قد فنيت، فإن العمر أيضا قد فني، فأجِزْ له ما سبق به قلمي. **٨/ ٣٨٥ – ٣٨٦**

قال أبو عكرمة الضبي: حدثنا سليمان بن أبي شيخ، حدثنا الواقدي قال: أضقت مرة، وأنا مع يحيى بن خالد، وحضر عيد، فجاءتني الجارية، فقالت: ليس عندنا من آلة العيد شيء، فمضيت إلى تاجر صديق لي ليقرضني، فأخرج إليَّ كيساً مختوماً فيه ألف دينار ومئتا درهم، فأخذته، فما استقررت في منزلي حتى جاءني صديق لي هاشمي، فشكا إلي تأخر

غلته وحاجته إلى القرض، فدخلت، إلى زوجتي، فأخبرتها، فقالت: على أي شيء عزمت؟ قلت: على أن أقاسمه الكيس، قالت: ما صنعت شيئا، أتيت رجلا سوقة، فأعطاك ألفا ومئتي درهم، وجاءك رجل من آل رسول الله - صلى الله عليه وسلم-، تعطيه نصف ما أعطاك السوقة؟ فأخرجت الكيس كله إليه، فمضى، فذهب صديقي التاجر إلى الهاشمي -وكان صاحبه- فسأله القرض، فأخرج الهاشمي إليه الكيس بعينه، فعرفه التاجر، وانصرف إلي، فحدثني بالأمر. قال: وجاءني رسول يحيى يقول: إنما تأخر رسولنا عنك لشغلي، فركبت إليه، فأخبرته أمر الكيس، فقال: يا غلام، هات تلك الدنانير، فجاءه بعشرة آلاف دينار، فقال: خذ ألفي دينار لك، وألفي دينار للتاجر، وألفين للهاشمي، وأربعة آلاف لزوجتك، فإنها أكرمكم. **٩ / ٤٦٦ - ٤٦٧**

الزبير بن سليمان القرشي، عن الشافعي، قال: خرج هرثمة، فأقرأني سلام أمير المؤمنين هارون، وقال: قد أمر لك بخمسة آلاف دينار. قال: فحمل إليه المال، فدعا بحجام، فأخذ شعره، فأعطاه خمسين دينارا، ثم أخذ رِقَاعًا، فصَرَّ صُرَرًا، وفرَّقها في القرشيِّين الذين هم بالحضرة ومن بمكة، حتى ما رجع إلى بيته إلا بأقل من مائة دينار.

قال ابن عبد الحكم: كان الشافعي أسخى الناس بما يجد، وكان يمر بنا، فإن وجدني، وإلا قال: قولوا لمحمد إذا جاء يأتي المنزل، فإني لا أتغدى حتى يجيء. **١٠ / ٣٨ - ٣٩**

أحمد بن كامل: حدثنا أسد بن الحسن، قال: سأل رجل في المسجد، فأعطاه العيشي - أي: عبيد الله بن محمد - مِطْرَفاً، وقال: ثمنه أربعون

ديناراً، فلا تُخدع عنه، فباعه، فَعُرِفَ أنه مِطْرَفُ - العيشي -، فاشتراه ابن عم له، ورده إليه. ١٠ / ٥٦٦

قال أحمد بن جعفر بن سلم: حدثنا شيخ لنا، قال: قيل لإبراهيم الحربي: هل كسبت بالعلم شيئا؟ قال: كسبت به نصف فلس: كانت أمي تجري علي كل يوم رغيفين، وقطيعة فيها نصف دانق، فخرجت في يوم ذي طين، وأجمع رأيي على أن آكل شيئا حلواً، فلم أر شيئا أرخص من الدبس، فأتيت بقالا، فدفعت إليه القُطَيعة، فإذا فيها قيراط إلا نصف فلس. وتذاكرنا حديث السخاء والكرم، فقال البقال: يا أبا إسحاق، أنت تكتب الأخبار والحديث، حدثنا في السخاء بحديث، قلت: نعم. حدثني أبو بكر عبد الله بن الزبير، حدثنا أبي، عن شيخ له، قال: خرج عبد الله بن جعفر إلى ضياعه ينظر إليها، فإذا في حائط لنسيبٍ له عبد أسود، بيده رغيف وهو يأكل لقمة، ويطرح لكلب لقمة. فلما رأى ذلك استحسنه، فقال: يا أسود، لمن أنت؟ قال: لمصعب بن الزبير. قال: وهذه الضيعة لمن؟ قال: له. قال: لقد رأيت منك عجبا، تأكل لقمة، وتطرح للكلب لقمة، قال: إني لأستحيي من عين تنظر إلي أن أوثر نفسي عليها. قال: فرجع إلى المدنية، فاشترى الضيعة والعبد، ثم رجع، وإذا بالعبد، فقال: يا أسود، إني قد اشتريتك من مصعب. فوثب قائماً، وقال: جعلني الله عليك ميمون الطلعة. قال: وإني اشتريت هذه الضيعة. فقال: أكمل الله لك خيرها. قال: وإني أُشهد أنك حر لوجه الله. قال: أحسن الله جزاءك. قال: وأُشهد الله أن الضيعة مني هدية إليك. قال: جزاك الله بالحسنى. ثم قال العبد: فأُشهد الله وأُشهدك أن هذه الضيعة وقف مني على الفقراء. فرجع وهو يقول: العبد أكرم منا. ١٣ / ٣٦٣ - ٣٦٤

(٤٣) دجال يدعي صحبته لرسول الله ﷺ..

قال المصنف رحمه الله في ترجمة الصحابي الجليل: أبي الطفيل عامر بن واثلة رضي الله عنه: خاتم من رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الدنيا، واستمر الحال على ذلك في عصر التابعين وتابعيهم وهلم جرا، لا يقول آدمي: إنى رأيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى نبغ بالهند بعد خمس مئة عام " بابا رتن " فادعى الصحبة، وآذى نفسه، وكذبه العلماء. فمن صدقه في دعواه، فبارك الله في عقله!، ونحن نحمد الله على العافية.

٣ / ٤٦٧ - ٤٦٨

(٤٤) موقف الناس فيمن يخطئ ويصيب!

< جاء في الحاشية رقم (١) ج: (٣) ص (٥٣٦): ومما يتمثل به من شعره - أي: شعر عمير القطامي -:

والناس من يلق خيراً قائلون له مايشتهي ولأم المخطئ الهبل!

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل >.

(٤٥) الرافضة وداء اللعن!

الشيعي لا يطيب عيشه حتى يلعن هذا - أي: عبيدالله بن زياد بن أبيه - ودونه، ونحن نبغضهم في الله، ونبرأ منهم ولا نلعنهم، وأمرهم إلى الله. ٣ / ٥٤٩

(٤٦) القاعدة فيما ينقل من القصص والأخبار

وقد أنكر بعضهم ليلى والمجنون، وهذا دفع بالصدر، فما من لم يعلم حجة على من عنده علم، ولا المثبت كالنافي، لكن إذا كان المثبت لشيء شبه خرافة، والنافي ليس غرضه دفع الحق، فهنا النافي مقدم، وهنا تقع المكابرة وتُسْكب العبرة. ٤/ ٥

(٤٧) محبة النبي ﷺ

وروى هشام بن حسان، عن محمد، عن عبيدة - أي: ابن عمرو السَّلماني -، قال: اختلف الناس في الأشربة فمالي شراب منذ ثلاثين سنة إلا العسل واللبن والماء. قال محمد: وقلت لعبيدة: إن عندنا من شعر رسول الله - صلى الله عليه وسلم- شيئا من قِبَلِ أنس بن مالك، فقال: لأَنْ يكون عندي منه شعرة أحب إلي من كل صفراء وبيضاء على ظهر الأرض.

قلت: هذا القول من عبيدة هو مِعْيار كمالِ الحبِّ، وهو أن يؤثر شعرةً نبوية على كل ذهب وفضة بأيدي الناس. ومثل هذا يقوله هذا الإمام بعد النبي -صلى الله عليه وسلم- بخمسين سنة، فما الذي نقوله نحن في وقتنا لو وجدنا بعض شعره بإسناد ثابت، أو شِسْع نعل كان له، أو قلامة ظفر، أو شقفة من إناء شرب فيه. فلو بذل الغني معظم أمواله في تحصيل شيء من ذلك عنده، أكنت تعده مبذرا أو سفيها؟ كلا. فابذل ما لك في زورة مسجده الذي بنى فيه بيده والسلام عليه عند حجرته في بلده، والتذَّ بالنظر إلى "أُحُدِه" وأحبه ؛ فقد كان نبيك -صلى الله عليه وسلم- يحبه، وتملأ

بالحلول في روضته ومقعده، فلن تكون مؤمنا حتى يكون هذا السيد أحب إليك من نفسك وولدك وأموالك والناس كلهم. وقبَّل حجرا مكرماً نزل من الجنة، وضع فمك لاثما مكانا قبَّله سيد البشر بيقين، فهنأك الله بما أعطاك، فما فوق ذلك مفخر، ولو ظفرنا بالمحجن الذي أشار به الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى الحجر ثم قبل محجنه، لحق لنا أن نزدحم على ذلك المحجن بالتقبيل والتبجيل. ونحن ندري بالضرورة أن تقبيل الحجر أرفع وأفضل من تقبيل محجنه ونعله.

وقد كان ثابت البُناني إذا رأى أنس بن مالك أخذ يده فقبلها، ويقول: يد مست يد رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. **٤/ ٤٢ - ٤٣**

(٤٨) أقبل إلى الله

قال قتادة: كان هرم بن حيان يقول: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله، إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه، حتى يرزقه وُدَّهم. **٤/ ٤٩**

(٤٩) البعد عن التصدر

عن الأعمش، عن المُسَيَّب بن رافع، قال: قيل لعلقمة - أي: ابن قيس -: لو جلست فأقرأت الناس وحدثتهم، قال: أكره أن يوطأ عقِبي وأن يقال: هذا علقمة، فكان يكون في بيته يعلِفُ غنمه ويقُتُّ لهم، وكان معه شيء يفرع بينهنَّ إذا تناطحْن. **٤/ ٥٩**

قال أبو خالد الأحمر: أُخبرت أن طلحة بن مصرف شُهِرَ بالقراءة، فقرأ على الأعمش لينسلخ ذلك الاسم عنه فسمعت الأعمش يقول: كان يأتي، فيجلس. على الباب حتى أخرج فيقرأ، فما ظنكم برجل لا يخطئ ولا يلحن.

جاء في الحاشية: " ١ ": " قال في " الشذرات ": كان يسمى سيد القراء، ولما علم إجماع أهل الكوفة على أنه أقرأ من بها، ذهب ليقرأ على الأعمش رفيقه، لتنزل رتبته في أعينهم، ويأبى الله إلا رفعته ". ٥ / ١٩١

وقال عبد الواحد بن موسى: سمعت ابن محيريز يقول: اللهم إني أسألك ذكراً خاملا. ٤ / ٤٩٦

عن ابن عيينة قال: بكى ربيعة - أي: ابن أبي عبدالرحمن - يوما، فقيل: ما يبكيك؟ قال: رياء حاضر، وشهوة خفية. والناس عند علمائهم كصبيان في حجور أمهاتهم، إن أمروهم ائتمروا، وإن نهوهم، انتهوا!؟. ٦ / ٩٠

(٥٠) البعد عن بلاط السلاطين

عن عبد الرحمن بن يزيد، قلنا لعلقمة - أي: ابن قيس -: لو صليت في المسجد وجلسنا معك فتُسأل، قال: أكره أن يقال: هذا علقمة، قالوا: لو دخلت على الأمراء، قال: أخاف أن ينتقصوا مني أكثر مما أنتقص منهم. ٤ / ٥٨

عطاء بن مسلم، قال: لما استخلف المهدي، بعث إلى سفيان - أي: الثوري -، فلما دخل عليه، خلع خاتمه، فرمى به إليه، وقال: يا أبا عبد الله! هذا خاتمي، فاعمل في هذه الأمة بالكتاب والسنة. فأخذ الخاتم بيده، وقال: تأذن في الكلام يا أمير المؤمنين؟ -قلت لعطاء: قال له: يا أمير

المؤمنين؟ قال: نعم- قال: أتكلم على أني آمن؟ قال: نعم. قال: لا تبعث إلي حتى آتيك، ولا تعطني حتى أسألك. قال: فغضب، وهمَّ به، فقال له كاتبه: أليس قد آمنته؟ قال: بلى. فلما خرج، حفَّ به أصحابه، فقالوا: ما منعك، وقد أمرك، أن تعمل في الأمة بالكتاب والسنة؟ فاستصغر عقولهم، وخرج هاربا إلى البصرة.

قال التبوذكي: سمعت حماد بن سلمة يقول: إن دعاك الأمير لتقرأ عليه: (قل هو الله أحد) فلا تأته!. **٧ / ٤٤٨**

قال البخاري: حدثنا آدم قال: شهدت حماد بن سلمة، ودعوه - يعني الدولة - فقال: أحمل لحية حمراء إلى هؤلاء؟، والله لا فعلت. **٧ / ٤٥١**

عبيد بن نعيم، حدثنا الحسن بن الربيع البوراني قال: قرئ كتاب الخليفة إلى ابن إدريس - أي: عبد الله -، وأنا حاضر: من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى عبد الله بن إدريس، قال: فشهق ابن إدريس شهقة، وسقط بعد الظهر، فقمنا إلى العصر، وهو على حاله، وانتبه قبيل المغرب، وقد صببنا عليه الماء فلا شيء، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، صار يعرفني حتى يكتب إلي! أي ذنب بلغ بي هذا؟! **٩ / ٤٥- ٤٦**

بشر بن الحارث: سمعت المعافى يقول: سمعت الثوري يقول: إذا لم يكن لله في العبد حاجة، نبذه إلى السلطان. **٩ / ٨٢**

وقيل: كان - أي: عبدالرحمن بن القاسم - يمتنع من جوائز السلطان، وله قدم في الورع والتأله.

وعن ابن القاسم قال: ليس في قرب الولاة ولا الدنو منهم خير.

قال الطحاوي: بلغني عن ابن القاسم قال: ما أعلم في فلان عيباً إلا دخوله إلى الحكام، ألا اشتغل بنفسه؟! ٩ / ١٢١ – ١٢٢

وقال صالح بن أحمد: قلت لأبي: أيُّما أثبت عندك: وكيع - أي: بن الجراح - أو يزيد – قلت: لعلَّه ابن هارون - فقال: ما منهما بحمد الله إلا ثبت، وما رأيت أوعى للعلم من وكيع، ولا أشبه من أهل النسك منه، ولم يختلط بالسلطان. ٩ / ١٤٧

قال ابن مثنى: سمعت الأنصاري - أي: محمد بن عبد الله بن المثنى، يقول -: كان يأتي علي قبل اليوم عشرة أيام، لا أشرب الماء، واليوم أشرب كل يومين، وما أتيت سلطاناً قط إلا وأنا كاره. ٩ / ٥٣٧

وعن سحنون قال: أَكْلٌ بالمَسْكَنَةِ، ولا أَكْلٌ بالعلم. محب الدنيا أعمى، لم يُنَوِّرْهُ العلمُ. ما أقبح بالعالم أن يأتي الأمراء، والله ما دخلتُ على السلطان إلا وإذا خرجت حاسبت نفسي، فوجدت عليها الدَّرك، وأنتم ترون مخالفتي لهواه، وما ألقاه به من الغلظة، والله ما أخذت، ولا لبست لهم ثوبا. ١٢ / ٦٥ – ٦٦

روي عن الرباطي - أي: أحمد بن سعيد -، قال: جئت إلى أحمد بن حنبل، فجعل لا يرفع رأسه إلي، فقلت: يا أبا عبد الله، إنه يكتب عني الحديث بخراسان، فإن عاملتني بهذا، رموا بحديثي. فقال: يا أحمد، هل بُدٌّ أن يقال يوم القيامة: أين عبد الله بن طاهر وأتباعه، فانظر أين تكون منه؟! قلت: إنما ولاني أمر الرباط، فجعل يردد قوله علي. ١٢ / ٢٠٨

قال الحاكم: كان - أي: أبو أحمد الفراء - يفتي في الفقه والحديث والعربية، ويُرجع إليه فيها. جرى ذِكْرُ السلاطين، فقال أبو

أحمد: اللهم أنسهم ذكري، ومن أراد ذكري عندهم فاشدد على قلبه، فلا يذكرني. ١٢ / ٦٠٧

الحسين بن فهم: حدثنا يحيى بن أكثم: قال لي المأمون: أريد أن أحدث. قلت: ومن أولى بهذا منك؟ قال: ضعوا لي منبراً، ثم صعد. قال: فأول ما حدثنا عن هشيم، عن أبي الجهم، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعا: (امْرُؤُ القَيْسِ صَاحِبُ لِوَاءِ الشُّعَرَاءِ إلَى النَّارِ) ثم حدث بنحو من ثلاثين حديثا. ونزل، فقال: كيف رأيت أبا يحيى مجلسنا؟ قلت: أجل مجلس، تفقه الخاصة والعامة. قال: ما رأيت له حلاوة، إنما المجلس لأصحاب الخلقان والمحابر. ١٠ / ٢٧٥

- قال: عبدالله بن المعتز بالله بن محمد بن المتوكل العباسي -: أشقى الناس أقربهم من السلطان، كما أن أقرب الأشياء من النار أسرعها احتراقاً. من شارك السلطان في عز الدنيا، شاركه في ذل الآخرة. ١٤ / ٤٤

وكان أي: سعيد بن محمد بن الحداد المالكي - يقول: القرب من السلطان في غير هذا الوقت حتفٌ من الحتوف، فكيف اليوم؟ ١٤ / ٢١٤

قال أبو سعد - أي: السمعاني -: ولما عزمت على الرحلة، دخلت على شيخنا يوسف - أي: ابن أيوب الهمذاني - مودعاً، فصوَّب عزمي، وقال: أوصيك: لا تدخل على السلاطين، وأبصر ما تأكل لا يكون حراما. ٢٠ / ٦٨

(٥١) سبب الحث على البعد عن بلاط السلاطين

قال عصام بن يزيد: لما أراد سفيان - أي: الثوري - أن يوجهني إلى المهدي، قلت له: إني غلام جَبَلي، لعلي أسقط بشيء، فأفضحك. قال: يا ناعس! ترى هؤلاء الذين يجيئوني؟ لو قلت لأحدهم، لظن أني قد أسديت إليه معروفا، ولكن قد رضيت بك، قل ما تعلم، ولا تقل ما لا تعلم. قال: فلما رجعت، قلت: لأي شيء تهرب منه، وهو يقول: لو جاء، لخرجت معه إلى السوق فأمرنا ونهينا؟ فقال: يا ناعس! حتى يعمل بما يعلم، فإذا فعل، لم يسعنا إلا أن نذهب، فنعلمه ما لا يعلم. قال عصام: فكتب معي سفيان إلى المهدي، وإلى وزيره أبي عبيد الله، قال: وأدخلت عليه، فجرى كلامي، فقال: لو جاءنا أبو عبد الله، لوضعنا أيدينا في يده، وارتدينا بردا، واتزرنا بآخر، وخرجنا إلى السوق، وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، فإذا توارى عنا مثل أبي عبد الله، لقد جاءني قراؤكم الذين هم قراؤكم، فأمروني ونهوني ووعظوني، وبكوا -والله- لي، وتباكيت لهم، ثم لم يفجأني من أحدهم إلا أن أخرج من كمه رقعة: أن افعل بي كذا، وافعل بي كذا، ففعلت، ومقتهم. **٧ / ٢٦٣**

قيل: إن شريكا - أي: القاضي - أُدخل على المهدي، فقال: لا بد من ثلاث: إما أن تلي القضاء، أو تؤدب ولدي وتحدثهم، أو تأكل عندي أكلة. ففكر ساعة، ثم قال: الأكلة أخف علي، فأمر المهدي الطباخ أن يصلح ألواناً من المخ المعقود بالسكر وغير ذلك، فأكل. فقال الطباخ: يا أمير المؤمنين، ليس يفلح بعدها. قال: فحدثهم بعد ذلك، وعلمهم، وولي القضاء.

ولقد كتب له برزقه على الصيرفي، فضايقه في النقد، فقال: إنك لم تبع به بَزّا. فقال شريك: والله بعت أكبر من البز، بعت به ديني. **٨ / ٢٠٧ – ٢٠٨**

قال الكديمي: حدثنا عبدة بن عبد الرحيم قال: كنت عند فضيل بن عياض وعنده ابن المبارك، فقال قائل: إن أهلك وعيالك قد احتاجوا مجهودين محتاجين إلى هذا المال، فاتق الله، وخذ من هؤلاء القوم، فزجره ابن المبارك، وأنشأ يقول:

خذ من الجاروش والـ	ـأرزِ والخبز الشعير
واجعلن ذاك حلالا	تنج من حر السعير
وانأ ما اسطعت -هداك الله- عن دار الأمير	
لا تزرها واجتنبها	إنها شر مزور
تُوهن الدين وتدنيك من الحوب الكبير	
قبل أن تسقط يا	مغرور في حفرة بير
وارض -يا ويحك- من	دنياك بالقوت اليسير
إنها دار بلاء	وزوال وغرور
ما ترى قد صرعت	قبلك أصحاب القصور
كم ببطن الأرض من	ثاوٍ شريف ووزير
وصغير الشأن عبد	خامل الذكر حقير
لو تصفحت وجوه القوم في يوم نضير	

لــــم تمـــــيزهم ولــــــم	تعـــرف غنيـــا مـــن فقيـــر
خـــمدُوا فـــالقوم صرعـــى	تحـــت أشـــقاق الــــصخور
واســـتووا عنـــد مليــــك	بمـــــساويهم خـــــبير
احـــذر الـــصرعة يـــا	مـــسكين مـــن دهـــر عثـــور
أيـــن فرعـــون وهـــا	مـــان ونمـــرود النـــسور
أو مـــا تخـــشاه أن	يـــرميك بالمـــوت المبيـــر
أوَ مـــا تحـــذر مـــن	يـــوم عبـــوس قمطـريـــر
اقْمطـــرَّ الـــشر فيـــه	بعـــذاب الزمهريـــر

قال: فغشي على الفضيل، فرد ذلك ولم يأخذه. ٨/٤١٤-٤١٦

الحافظ أحمد بن محمد بن ماما: سمعت أبا نصر أحمد بن محمد الكلاباذي يقول: كنت أعرف حلية الصحابة وصفتهم، كأني أنظر إليهم، فلما اشتغلت بالكتابة للسلطان، ذهب ذلك عني. ١٧/٩٦

(٥٢) العلم والجهل الحقيقيان

عن مسلم، عن مسروق - أي: ابن الأجدع -، قال: كفى بالمرء علما أن يخشى الله تعالى، وكفى بالمرء جهلا أن يُعجب بعمله. ٤/٦٨

(٥٣) ثمرة العلم

قال المصنف رحمه الله في ترجمة " مرة الطيب " : ويقال له أيضا : مرة الخير لعبادته وخيره وعلمه، وهو مرة بن شَرَاحيل الهمداني الكوفي، مخضرم كبير الشأن. - ثم قال فيما بعد -: ما كان هذا الولي يكاد يتفرغ لنشر العلم، ولهذا لم تكثر روايته، وهل يراد من العلم إلا ثمرته؟.

٤ / ٧٤ - ٧٥

(٥٤) إذا حضر الشيطان صلاتك

روى عنه خيثمة بن عبد الرحمن قوله: إذا كنت في الصلاة، فقال لك الشيطان: إنك ترائي، فزدها طولا. ٤ / ٧٥

(٥٥) لماذا سمي علم " النحو " بهذا الاسم؟

وقد أمره - أي: أمر أبا الأسود الدؤلي - عليٌّ -رضي الله عنه- بوضع شيء في النحو لمَّا سمع اللحن. قال: فأراه أبو الأسود ما وضع، فقال علي: ما أحسن هذا النحو الذي نحوت، فمن ثمَّ سُمِّي النحو نحواً. ٤ / ٨٢

(٥٦) حلم الأحنف

قيل: إن رجلاً خاصم الأحنف - أي: ابن قيس -، وقال: لئن قلت واحدة، لتسمعن عشراً!. فقال: لكنك إن قلت عشراً لم تسمع واحدة! ٤ / ٩٣

(٥٧) رثاء بليغ

قال أبو عمرو بن العلاء: توفي الأحنف - أي: ابن قيس - في دار عبيد الله بن أبي غضنفر، فلما دُليَّ في حفرته، أقبلت بنت لأوس السعدي وهي على راحلتها عجوز، فوقفت عليه وقالت: من المُوافَى به حفرتَه لوقت حِمامه؟ قيل لها: الأحنف بن قيس. قالت: والله لئن كنتم سبقتمونا إلى الاستمتاع به في حياته لا تسبقونا إلى الثناء عليه بعد وفاته. ثم قالت: لله درك من مجَن في جنن، ومُدْرج في كفن، وإنا لله وإنا إليه راجعون: نسأل من ابتلانا بموتك، وفجعنا بفقدك، أن يوسع لك في قبرك، وأن يغفر لك يوم حشرك، أيها الناس، إن أولياء الله في بلاده هم شهوده على عباده، وإنا لقائلون حقا، ومثنون صدقا، وهو أهل لحسن الثناء، أما والذي كنت من أجله في عدة، ومن الحياة في مدة، ومن المضمار إلى غاية، ومن الآثار إلى نهاية، الذي رفع عملك عند انقضاء أجلك، لقد عشت مودوداً حميدا، ومت سعيداً فقيدا، ولقد كنت عظيم الحلم، فاضل السلم، رفيع العماد، واري الزناد، منيع الحريم، سليم الأديم، عظيم الرماد، قريب البيت من النَّاد.

< جاء في الحاشية رقم (١): وزاد ابن عساكر "... ولقد كنت في المحافل شريفاً، وعلى الأرامل عطوفاً، ومن الناس قريباً، وفيهم غريباً، وإن كنت فيهم مسوَّداً، وإلى الخلفاء لموفداً، وإن كانوا لقولك لمستمعين، ولرأيك متبعين، رحمنا الله وإياك " >. **٩٦/٤**

قال محمد بن إسحاق السراج: أنشد رجل على قبر إسحاق - أي: ابن راهويه -، فقال:

وكيف احتمالي للسحاب صنيعه　　　بإسقائه قبراً وفي لحده بحر

١١ / ٣٧١ - ٣٧٢

(٥٨) حال السلف مع الأطفال

الربيع بن منذر، حدثنا أبي، سمعت ابن الحنفية يقول: دخل عمر - أي: ابن الخطاب - وأنا عند أختي أم كلثوم، فضمني وقال: ألطفيه بالحلواء. ٤ / ١١٥

قال الضياء: كان - أي: ابن قدامة المقدسي - حَسَنَ الأخلاق لا يكاد يراه أحد إلا متبسما، يحكي الحكايات ويمزح. وسمعت البهاء يقول: كان الشيخ في القراءة يمازحنا وينبسط. وكلموه مرة في صبيان يشتغلون عليه، فقال: هم صبيان ولا بد لهم من اللعب، وأنتم كنتم مثلهم. ٢٢ / ١٧١

(٥٩) المنهج عند حلول المصائب

وعن الشعبي، قال شريح - أي: القاضي -: إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني. ٤ / ١٠٥

(٦٠) أول من وثّق القضاء

وعن ابن حجيرة قال: اختُصِم إلى سليم بن عِتر في ميراث، فقضى بين الورثة، ثم تناكروا فعادوا إليه، فقضى بينهم وكتب كتابا بقضائه، وأشهد فيه شيوخ الجند، فكان أول من سجل بقضائه. ٤ / ١٣٢

(٦١) رجل له قلبان!

قال المصنف في أثناء ترجمته " لشبيب بن يزيد الخارجي " وماوقع له من حروب مع الحجاج بن يوسف:

ثم جاء المدد من الشام، فالتقاه الحجاج بنفسه، فجرى مصاف لم يعهد مثله، وثبت الفريقان، وقتل مصاد أخو شبيب، وزوجته غزالة، ودخل الليل وتقهقر شبيب وهو يخفق رأسه، والطلب في أثره، ثم فتر الطلب عنهم، وساروا إلى الأهواز، فبرز متوليها محمد بن موسى بن طلحة، فبارز شبيبا فقتله شبيب، ومضى إلى كرمان فأقام شهرين ورجع، فالتقاه سفيان بن أبرد الكلبي وحبيب الحكمي على جسر دجيل، فاقتتلوا حتى دخل الليل، فعبر شبيب على الجسر، فقطع به، فغرق وقيل: بل نفر به فرسه، فألقاه في الماء سنة سبع وسبعين وعليه الحديد فقال: ﴿ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٦] وألقاه دجيل إلى الساحل ميتا، وحُمِل إلى الحجاج، فشُقَّ جوفه وأخرج قلبه، فإذا داخله قلب آخر!. ٤ / ١٤٩

(٦٢) أمراء المسلمين!!

الأعمش، قال لي أبو وائل - أي: شقيق بن سلمة -: يا سليمان، ما في أمرائنا هؤلاء واحدة من اثنتين: ما فيهم تقوى أهل الإسلام، ولا عقول أهل الجاهلية!. ٤/ ١٦٤

(٦٣) أهمية حفظ اللسان

عن الزبرقان، قال: كنت عند أبي وائل - أي: شقيق بن سلمة -، فجعلت أسُبُّ الحجاج وأذكر مساوئه، فقال: لا تسبه ؛ وما يدريك لعله قال: اللهم اغفر لي، فغفر له. ٤/ ١٦٥

وعن المهلب - أي: ابن أبي صفرة -، قال: يعجبني في الرجل، أن أرى عقله زائدا على لسانه. ٤/ ٣٨٤

وعنه - أي: عن أبي جعفر الباقر - قال: سلاح اللئام قُبْح الكلام.

روى منصور عن إبراهيم، قال: قال فلان: ما أرى الربيع بن خُثَيم تكلم بكلام منذ عشرين سنة إلا بكلمة تصعد. ٤/ ٢٥٩

قال - أي: سعيد بن عامر -: وحدثنا مبارك بن فضالة، عن يونس بن عبيد قال: لا تجد من البر شيئا واحداً يتبعه البر كله غير اللسان. فإنك تجد الرجل يكثر الصيام، ويفطر على الحرام، ويقوم الليل، ويشهد بالزور بالنهار. وذكر أشياء نحو هذا. ولكن لا تجده لا يتكلم إلا بحق، فيخالف ذلك عمله أبدا. ٦/ ٢٩١ - ٢٩٢

وسمعته - أي: قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل - يقول: من استوحش من الوحدة، واستأنس بالناس، لم يسلم من الرياء، لا حج ولا جهاد أشد من حبس اللسان، وليس أحد أشد غماً ممن سجن لسانه.

قال الحسن بن زياد: سمعت الفضيل كثيرا يقول: احفظ لسانك، وأقبل على شأنك، واعرف زمانك، وأخف مكانك. **٨ / ٤٣٦**

قال المصنف رحمه الله: " ينبغي للعالم أن يتكلم بنية وحسن قصد، فإن أعجبه كلامه فليصمت، فإن أعجبه الصمت فلينطق، ولا يفتر عن محاسبة نفسه ؛ فإنها تحب الظهور والثناء ". **٤ / ٤٩٤**

وعنه - أي: عن بشر بن الحارث -:... إذا أعجبك الكلام، فاصمت، وإذا أعجبك الصمت، فتكلم. **١٠ / ٤٧٢**

الخلال: أخبرنا أبو بكر بن صدقة، سمعت محمد بن عبد الرحمن الصيرفي، قال: أتيت أحمد بن حنبل أنا وعبد الله بن سعيد الجمال، وذاك في آخر سنة مئتين. فقال أبو عبد الله للجمال: يا أبا محمد، إن أقواما يسألوني أن أحدث، فهل ترى ذاك؟ فسكت. فقلت: أنا أجيبك. قال: تكلم. قلت: أرى لك إن كنت تشتهي أن تحدث، فلا تحدث، وإن كنت تشتهي أن لا تحدث فحدث. فكأنه استحسنه. **١١ / ٣٠٩**

وسمعته - أي: سمع ابن فارسٍ أبا الحسن القطان - يقول: أُصبت ببصري، وأظن أني عوقبت بكثرة كلامي أيام الرحلة.

قلت: صدق والله، فقد كانوا مع حسن القصد، وصحة النية غالباً، يخافون من الكلام، وإظهار المعرفة والفضيلة. واليوم يكثرون من الكلام،

مع نقص العلم، وسوء القصد. ثم إن الله يفضحهم، ويلوح جهلهم وهواهم واضطرابهم فيما علموه. فنسأل الله التوفيق والإخلاص. ١٥/ ٤٦٤-٤٦٥

السمعاني: سمعت أبا بكر محمد بن القاسم الشهرزوري بالموصل يقول: كان شيخنا أبو إسحاق إذا أخطأ أحد بين يديه قال: أيُّ سكتة فاتتك! ١٨ / ٤٥٥

(٦٤) خطر العجب

وفي "الحلية": روى أبو الأشهب، عن رجل، قال مطرف بن عبد الله: لأن أبيت نائما وأُصبح نادما أحب إليَّ من أبيت قائما وأصبح مُعْجَبا.

قلت: لا أفلح - والله - من زكّى نفسه أو أعجبته. ٤/ ١٩٠

وروى الأوزاعي عن عبدة - أي: ابن أبي لبابة - قال: إذا رأيت الرجل لجوجاً ممارياً معجباً برأيه، فقد تمت خسارته. ٥/ ٢٢٩

وكان- أي: أبو بكر بن كامل البغدادي - من بحور العلم، فأخمله العُجْب. ١٥ / ٥٤٦

قال أبو عمر بن عبدالبر: سمعت عبدالله بن محمد بن أسد، سمعت حمزة الكناني يقول: خرَّجتُ حديثاً واحداً عن النبي ﷺ من نحو مئتي طريق، فداخلني لذلك من الفرح غير قليل، وأُعجبت بذلك، فرأيت يحيى بن معين في المنام، فقلت: يا أبا زكريا، خرَّجت حديثاً من مئتي طريق. فسكت عني ساعة، ثم قال: أخشى أن تدخل هذه تحت (ألهاكم التكاثر).

١٦/ ١٨٠

قال الكسائي: صليت بالرشيد، فأخطأت في آية ما أخطأ فيها صبي، قلت: "لعلهم يَرجِعين" فوالله ما اجترأ الرشيد أن يقول: أخطأت، لكن قال: أي لغة هذه؟ قلت: يا أمير المؤمنين، قد يعثر الجواد. قال: أما هذا، فنعم.

<< جاء في الحاشية (١): الخبر في تاريخ بغداد: ١١ / ٤٠٧، ٤٠٨، وغاية النهاية: ١ / ٥٣٨، وإنباه الرواة: ٢ / ٢٦٣، ونصه بتمامه: صليت بهارون الرشيد، فأعجبتني قراءتي، فغلطت في آية ما أخطأ فيها صبي... إلخ >>. **٩ / ١٣٣**

(٦٥) من يستحق أن يؤخذ عنه

عن أبي العالية - أي: رُفيع بن مِهران -، قال: كنت أرحل إلى الرجل مسيرة أيام لأسمع منه، فأتفقد صلاته، فإن وجدته يحسنها، أقمت عليه، وإن أجِدْه يُضيِّعُها، رحلت ولم أسمع منه، وقلت: هو لما سواها أضيع. **٤ / ٢٠٩**

(٦٦) عزة النفس والصدع بالحق

قال المصنف رحمه الله في ترجمة سعيد بن المسيب رحمه الله:

فصل في عزة نفسه وصدعه بالحق

سلام بن مسكين: حدثنا عمران بن عبد الله، قال: كان لسعيد بن المسيب في بيت المال بضعة وثلاثون ألفا، عطاؤه، وكان يُدعى إليها فيأبَى ويقول: لا حاجة لي فيها حتى يحكم الله بيني وبين بني مروان.

حماد بن سلمة: أنبأنا علي بن زيد أنه قيل لسعيد بن المسيب: ما شأن الحجاج لا يبعث إليك، ولا يحرِّكُكَ، ولا يؤذيك؟ قال: والله ما أدري، إلا أنه دخل ذات يوم مع أبيه المسجد، فصلى صلاة لا يتم ركوعها ولا سجودها، فأخذت كفا من حصى فحصبته بها. زعم أن الحجاج قال: ما زلت بعد أُحسن الصلاة.

في "الطبقات" لابن سعد: أنبأنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان، حدثنا ميمون، وأنبأنا عبد الله بن جعفر، حدثنا أبو المليح، عن ميمون بن مهران، قال: قدم عبد الملك بن مروان المدينة فامتنعَتْ منه القائلة، واستيقظ، فقال لحاجبه: انظر، هل في المسجد أحد من حُدَّاثنا؟ فخرج فإذا سعيد بن المسيب في حلقته، فقام حيث ينظر إليه، ثم غمزه وأشار بأصبعه، ثم ولى، فلم يتحرك سعيد، فقال: لا أراه فطن، فجاء ودنا منه، ثم غمزه وقال: ألم ترني أشير إليك؟ قال: وما حاجتك؟ قال: أجِبْ أمير المؤمنين. فقال: إليّ أرسلك؟ قال: لا، ولكن قال: انظُرْ بعض حداثنا فلم أرَ أحدا أهيأ منك. قال: اذهب فأعلمه أني لست من حُدَّاثه. فخرج الحاجب وهو يقول: ما أرى هذا الشيخ إلا مجنونا، وذهب فأخبر عبد الملك، فقال: ذاك سعيد بن المسيب فدعْهُ.

سليمان بن حرب: وعمرو بن عاصم، حدثنا سلام بن مسكين، عن عمران بن عبد الله بن طلحة الخزاعي، قال: حج عبد الملك بن مروان، فلما قدم المدينة ووقف على باب المسجد أرسل إلى سعيد بن المسيب رجلاً يدعوه ولا يحركه، فأتاه الرسول وقال: أجب أمير المؤمنين، واقف بالباب يريد أن يكلمك. فقال: ما لأمير المؤمنين إليّ حاجة، وما لي إليه حاجة، وإن حاجته

لي لغير مقضية، فرجع الرسول، فأخبره فقال: ارجع فقل له: إنما أريد أن أكلمك، ولا تحركه. فرجع إليه، فقال له: أجب أمير المؤمنين. فرد عليه مثل ما قال أولاً. فقال: لولا أنه تقدَّم إليّ فيك ما ذهبت إليه إلا برأسك، يرسل إليك أمين المؤمنين يكلمك تقول مثل هذا!. فقال: إن كان يريد أن يصنع بي خيرا، فهو لك، وإن كان يريد غير ذلك فلا أحُلُّ حَبْوتي حتى يقضي ما هو قاض، فأتاه فأخبره، فقال: رحم الله أبا محمد ؛ أبَى إلا صلابة.

زاد عمرو بن عاصم في حديثه بهذا الإسناد: فلما استخلف الوليد، قدم المدينة، فدخل المسجد، فرأى شيخا قد اجتمع عليه الناس، فقال: من هذا؟ قالوا: سعيد بن المسيب، فلما جلس أرسل إليه، فأتاه الرسول فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال: لعلك أخطأت باسمي، أو لعله أرسلك إلى غيري، فرد الرسول، فأخبره، فغضب وهمَّ به، قال: وفي الناس يومئذ تَقيَّة، فأقبلوا عليه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، فقيه المدينة، وشيخ قريش، وصديق أبيك، لم يطمع ملك قبلك أن يأتيه. فما زالوا به حتى أضرب عنه.

عمران بن عبد الله -من أصحاب سعيد بن المسيب-: ما علمت فيه لينا.

قلت: كان عند سعيد بن المسيب أمر عظيم من بني أمية وسوء سيرتهم، وكان لا يقبل عطاءهم. **٤/ ٢٢٦ - ٢٢٨**

(٦٧) فتنة النساء

عن علي بن زيد، عن سعيد بن المسيب، قال: ما أيسَ الشيطان من شيء إلا أتاه من قِبَل النساء. ثم قال لنا سعيد وهو ابن أربع وثمانين سنة وقد ذهبت إحدى عينيه وهو يعشو بالأخرى: ما شيء أخوف عندي من النساء. **٤ / ٢٣٧**

عمران بن عبد الله الخزاعي، قال: قال سعيد بن المسيب: ما خِفْتُ على نفسي شيئا مخافة النساء، قالوا: يا أبا محمد، إن مثلك لا يريد النساء، ولا تريده النساء. فقال: هو ما أقول لكم. وكان شيخا كبيرا أعمش. **٤ / ٢٤١**

(٦٨) المال الحلال عون على الدين

قال محمد بن سوقة: - وسمعت ابن المنكدر-: نعم العون على تقوى الله الغنى. **٥ / ٣٥٥**

قال أبو سفيان: وقال أبو إسحاق - أي: السبيعي -: كانوا يرون السعة عوناً على الدين. **٥ / ٣٩٦**

موسى بن علي، عن أبيه ؛ سمع عَمْراً، يقول: بعث إلي رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فقال: خذ عليك ثيابك، وسلاحك، ثم ائتني. فأتيته وهو يتوضأ، فصعَّد في البصر، وصوَّبه، فقال: إني أريد أن أبعثك على جيش، فيسلمك الله ويغنمك، وأرغب لك رغبة صالحة من المال. قلت: يا رسول الله! ما أسلمت من أجل المال، ولكني أسلمت رغبة في الإسلام، ولأن

أكون مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: يا عمرو نِعِمّا بالمال الصالح للرجل الصالح .٣ / ٦٦

عن ابن ماجه القزويني، أنه قال: منعني الخروج إلى إبراهيم - أي: بن ديزيل الهمذاني - قلة ذات اليد. ١٣ / ١٨٨

وقال رواد بن الجراح: سمعت الثوري يقول: كان المال فيما مضى يُكره، فأما اليوم، فهو ترس المؤمن.

وقال عبد الله بن محمد الباهلي: جاء رجل إلى الثوري يشاوره في الحج، قال: لا تصحب من يُكرِم عليك، فإن ساويته في النفقة، أضرَّ بك، وإن تفضل عليك، استذلك. ونظر إليه رجل، وفي يده دنانير، فقال: يا أبا عبد الله! تُمسك هذه الدنانير؟ قال: اسكت، فلولاها لتمندل بنا الملوك. ٧ / ٢٤١

يحيى بن سعيد، سمع ابن المسيب يقول: لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حِلِّه، يُعطي منه حقَّه، ويكُفُّ به وجهه عن الناس. ٤ / ٢٣٨

قال محمد بن سلام الجمحي: قيل لأبي الزناد - أي: عبدالله بن ذكوان -: لِمَ تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا؟ فقال: إنها وإن أدنتني منها، فقد صانتني عنها. ٥ / ٤٤٨

علي بن الفضيل، سمعت أبي يقول لابن المبارك: أنت تأمرنا بالزهد والتقلل، والبلغة، ونراك تأتي بالبضائع، كيف ذا؟ قال: يا أبا علي، إنما أفعل ذا لأصون وجهي، وأكرم عرضي، وأستعين به على طاعة ربي. قال: يا ابن المبارك ما أحسن ذا إن تم ذا. ٨ / ٣٨٧

قال موسى بن نصير: سمعته - أي: سمع هشام بن عبيد الله الرازي - يقول: لقيت ألفاً وسبع مئة شيخ، أصغرهم عبد الرزاق، وخرج مني في طلب العلم سبع مئة ألف درهم. **١٠ / ٤٤٧**

قال حمدان بن هانئ المقرئ: سمعته - أي: سمع خلف بن هشام - يقول: أشكل علي باب من النحو، فأنفقت ثمانين ألف درهم حتى حذقته. **١٠ / ٥٧٨**

وقال سهل بن المتوكل: سمعت محمداً - أي: ابن سلام السلمي - يقول: أنفقت في طلب العلم أربعين ألفاً، وأنفقت في نشره أربعين ألفاً، وليت ما أنفقت في طلبه كان في نشره. أو كما قال. **١٠ / ٦٣٠**

(٦٩) "الربيع بن خثيم" يشكو أهل زمانه!..

أبو الأحوص: عن سعيد بن مسروق، عن منذر الثوري، قال: كان الربيع - أي: ابن خثيم - إذا أتاه الرجل يسأله قال: اتق الله فيما علمت، وما استؤثر به عليك، فكِلْهُ إلى عالمه، لأنا عليكم في العمد أخوف مني عليكم في الخطأ، وما خيركم اليوم بخير، ولكنه خير من آخرَ شرٌّ منه، وما تتبعون الخير حق اتباعه، وما تفرون من الشر حق فراره، ولا كل ما أنزل الله على محمد -صلى الله عليه وسلم- أدركتم، ولا كل ما تقرءون تدرون ما هو، ثم يقول: السرائر السرائر اللاتي يخفين من الناس وهن لله بَوادٍ، التمسوا دواءهن، وما دواؤهن إلا أن يتوب ثم لا يعود. **٤ / ٢٥٩**

(٧٠) توبة مغن

قال زاذان - أحد التابعين -: كنت غلاما حسن الصوت، جيد الضرب بالطنبور، فكنت مع صاحب لي وعندنا نبيذ وأنا أغنيهم، فمر ابن مسعود - أي: الصحابي الجليل - فدخل فضرب الباطِيَة، بدَّدَها وكسر الطنبور، ثم قال: لو كان ما يُسمع من حسن صوتك يا غلام بالقرآن كنت أنت أنت، ثم مضى. فقلت لأصحابي: من هذا؟ قالوا: هذا ابن مسعود، فألقى في نفسي التوبة، فسعيت أبكي، وأخذت بثوبه، فأقبل عليَّ فاعتنقني وبكى، وقال: مرحبا بمن أحبَّه الله، اجلس. ثم دخل وأخرج لي تمراً. ٤/ ٢٨١

(٧١) "الشعبي" يتمنى أن لو لم يكن عالماً!..

مالك بن مِغْول: سمعت الشعبي يقول: ليتني لم أكن عَلِمتُ من ذا العلم شيئا.

قلت: لأنه حجة على العالم، فينبغي أن يعمل به، وينبه الجاهل، فيأمره وينهاه؛ ولأنه مَظِنَّة أن لا يُخلِص فيه، وأن يفتخر به ويُماري به، لينال رئاسة ودنيا فانية. ٤/ ٣٠٣

(٧٢) ليس للمعلم أن يسخر من طلابه

قال المصنف رحمه الله في ترجمة الشعبي رحمه الله:

وقلما روى الأعمش عن الشعبي، فروى حفص عن الأعمش، عن الشعبي، قال: لا بأس بذبيحة الليطة. فقلت للأعمش: يا أبا محمد، ما منعك

من إتيان الشعبي؟ قال: ويحك، كيف كنت آتيه وهو إذا رآني سخر بي ويقول: هذه هيئة عالم! ما هيئتك إلا هيئة حائك. وكنت إذا أتيت إبراهيم أكرمني وأدناني.

< قال في الحاشية (٣): الليطة: هي قشرة القصب المحددة >. **٤ / ٣٠٧**

قال الدوري: قال لي الكسائي: كنت أقرأ على حمزة، فجاء سُليم - أي: ابن عيسى -، فتلكأت، فقال حمزة: تهابه ولا تهابني؟ قلت: أيها الأستاذ، أنت إن أخطأتُ، قومتني، وهذا إن أخطأت، عَيَّرني. **٩ / ٣٧٦**

(٧٣) خطر الاختلاف والبعد عن هدي النبي ﷺ

روى عطاء بن السائب، عن الشعبي قال: ما اختلفت أمة بعد نبيها إلا ظهر أهل باطلها على أهل حقها. **٤ / ٣١١**

(٧٤) القضاء يشغل عن مسامرة الناس!

قال ابن شبرمة: استعمل ابن هبيرة الشعبي على القضاء وكلفه أن يسامره فقال: لا أستطيع، فأفردني بأحدهما. **٤ / ٣١٢**

(٧٥) انشر بزك حيث تعرف!

عن عمر بن حبيب قال: كان سعيد بن جبير بأصبهان لا يحدث، ثم رجع إلى الكوفة فجعل يحدث، فقلنا له في ذلك فقال: انشر بزك حيث تعرف!. **٤ / ٣٢٤**

ومدحه الحيص بيص - أي: مدح مظفر الدين ابن علي، صاحب إربل -، فقال: ما أعرف ما تقول، ولكني أدري أنك تريد شيئاً!. وأمر له بخلعة وفرس وخمس مئة دينار. ٢٢ / ٣٣٧

(٧٦) المعنى الحقيقي للخشية والذكر

عن سعيد بن جبير، قال: إن الخشية أن تخشى الله حتى تحول خشيتك بينك وبين معصيتك، فتلك الخشية، والذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن. ٤ /٣٢٦

(٧٧) علامة هلاك الناس

قال هلال بن خباب: قلت لسعيد بن جبير: ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا ذهب علماؤهم. ٤ / ٣٢٦

(٧٨) البر بالأم

عن سعيد بن جبير، قال: لدغتني عقرب، فأقسمت عليَّ أمي أن أسترقي، فأعطيت الراقي يدي التي لم تلدغ، وكرهت أن أحنثها. ٤ / ٣٣٢

قال سعيد بن عامر: قال ابن المنكدر - أي: محمد -: بات أخي عمر يصلي، وبت أغمز قدم أمي، وما أحب أن ليلتي بليلته. ٥ / ٣٥٩

وقال جعفر الخُلْدي: كان الأبار - أي: أحمد بن علي - من أزهد الناس. استأذن أمه في الرحلة إلى قتيبة، فلم تأذن له، ثم ماتت، فخرج إلى خراسان، ثم وصل إلى بلْخ وقد مات قتيبة، فكانوا يعزونه على هذا، فقال: هذا ثمرة العلم، إني اخترت رضى الوالدة. **١٣ / ٤٤٣**

قال ابن النجار: قرأت بخط معمر بن الفاخر في "معجمه": أخبرني أبو القاسم - أي: ابن عساكر الدمشقي - الحافظ إملاء بمنى وكان من أحفظ من رأيت وكان شيخنا إسماعيل بن محمد الإمام يفضله على جميع من لقيناهم، قدم أصبهان ونزل في داري، وما رأيت شاباً أحفظ ولا أورع ولا أتقن منه، وكان فقيهاً أديباً سنيا، سألته عن تأخره عن الرحلة إلى أصبهان، قال: استأذنت أمي في الرحلة إليها، فما أذنت. **٢٠ / ٥٦٦ - ٥٦٧**

قال عبدالله بن جعفر بن خاقان المروزي: سمعت بنداراً - أي: محمد بن بشار الحافظ - يقول: أردت الخروج - يعني: الرحلة -، فمنعتني أمي، فأطعتها، فبورك لي فيه. **١٢ / ١٤٥**

قال أبو علي الحافظ: سمعت الحسن بن سفيان - أي: الخراساني - يقول: إنما فاتني يحيى بن يحيى بالوالدة: لم تدعني أخرج إليه. قال: فعوضني الله بأبي خالد الفراء، وكان أسند من يحيى بن يحيى. **١٤ / ١٥٨**

(٧٩) الصدق منجاة

قال الأصمعي: أتى رجل الحجاج فقال: إن ربعي بن حراش زعموا لا يكذب، وقد قدم ولداه عاصيين. قال: فبعث إليه الحجاج فقال: ما فعل

ابناك؟ قال: هما في البيت والله المستعان. فقال له الحجاج بن يوسف: هما لك. وأعجبه صدقه. ٤/ ٣٦٠

(٨٠) الصدق عز للمرء

يعقوب السدوسي: حدثني الحلواني، حدثنا الشافعي، حدثنا عمي، قال: دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك، فقال: يا سليمان: من الذي تولى كبره منهم؟ قال: عبد الله بن أبي بن سلول، قال: كذبت، هو: علي. فدخل ابن شهاب، فسأله هشام، فقال: هو عبد الله بن أبي، قال: كذبت هو: علي، فقال: أنا أكذب لا أبا لك؟!، فوالله لو نادى مناد من السماء، إن الله أحل الكذب ما كذبت. حدثني سعيد وعروة وعبيد وعلقمة بن وقاص، عن عائشة: أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي، قال: فلم يزل القوم يغرون به، فقال له هشام: ارحل فوالله ما كان ينبغي لنا أن نحمل على مثلك، قال: ولم؟ أنا اغتصبتك على نفسي، أو أنت اغتصبتني على نفسي؟ فخل عني، فقال له: لا. ولكنك استدنت ألفي ألف، فقال: قد علمتَ، وأبوكَ قبلك أني ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك، فقال هشام: إنا نهيِّج الشيخ. فأمر فقضى عنه ألف ألف فأخبر بذلك، فقال: الحمد لله الذي هذا هو من عنده. ٥/ ٣٣٩ – ٣٤٠

(٨١) قصص غريبة

أخبرنا إسحاق الصفار، أنبأنا ابن خليل، أنبأنا أبو المكارم اللبان، أنبأنا أبو علي، أنبأنا أبو نعيم، حدثنا أبو أحمد الغساني، حدثنا علي بن العباس البجلي، حدثنا جعفر بن محمد بن رياح الأشجعي، حدثنا أبي، عن عبيدة، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي - أي: ابن حِراش - قال: كنا أربعة إخوة، فكان الربيع أكثرنا صلاة وصياما في الهواجر، وإنه توفي، فبينا نحن حوله قد بعثنا من يبتاع له كفنا، إذ كشف الثوب عن وجهه فقال: السلام عليكم، فقال القوم: عليكم السلام يا أخا عيسى، أبعد الموت؟! قال: نعم، إني لقيت ربي بعدكم فلقيت رباً غير غضبان، واستقبلني بروَحٍ وريحان وإستبرق، ألا وإن أبا القاسم ينتظر الصلاة علي فعجلوني. ثم كان بمنزلة حصاة رمي بها في طست. فنمي الحديث إلى عائشة -رضي الله عنها- فقالت: أما إني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: (يتكلم رجل من أمتي بعد الموت).

قال أبو نعيم: ورواه عن عبد الملك زيد بن أبي أنيسة، وإسماعيل بن أبي خالد، والثوري، وابن عيينة، وما رفعه سوى عبيدة.

وبه، قال أبو نعيم: حدثنا أبو علي محمد بن أحمد بن الحسن، حدثنا محمد بن يحيى، حدثنا عاصم بن علي، حدثنا المسعودي، عن عبد الملك بن عمير، عن ربعي، قال: مات أخ لنا، فسجَّيناه، فذهبت في التماس كفنه، فرجعت وقد كشف الثوب وهو يقول.. فذكر نحوه.

وفيه: وعدت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن لا يذهب حتى أدركه. قال: فما شبهت خروج نفسه إلا كحصاة ألقيت في ماء فرسبت. فذكر ذلك لعائشة، فقالت: قد كنا نتحدث أن رجلا من هذه الأمة يتكلم بعد الموت.

<< قال الشيخ شعيب الأرنؤوط حفظه الله في تعليقه على هذا الخبر: الخبر في الحلية ٤ / ٣٦٧ - ٣٦٨، وذكره ابن عبدالبر في الاستيعاب في ترجمة زيد بن خارجة ت ٨٤٤ ورجال إسناده ثقات، لكن ليس فيه المرفوع، وهو الأصح، فقد رواه عن عبدالملك غير واحد، فما رفعه >>. **٣٦١/٤ - ٣٦٢**

وحكى عن نفسه - أي: أبو الوفاء علي بن عقيل الحنبلي - قال: كان عندنا بالظفرية دار، كلما سكنها ناس أصبحوا موتى، فجاء مرة رجل مقرئ، فاكتراها، وارتضى بها، فبات بها وأصبح سالما، فعجب الجيران، وأقام مدة، ثم انتقل، فسئل، فقال: لما بت بها، صليت العشاء، وقرأت شيئا، وإذا شابٌ قد صعد من البئر، فسلَّم علي، فبُهِت، فقال: لا بأس عليك، علمني شيئا من القرآن، فشرعت أعلمه، ثم قلت: هذه الدار، كيف حديثها؟ قال: نحن جنٌ مسلمون، نقرأ ونصلي، وهذه الدار ما يكتريها إلا الفساق، فيجتمعون على الخمر، فنخنقهم، قلت: ففي الليل أخافك، فجيء نهاراً، قال: نعم، فكان يصعد من البئر في النهار، وأَلِفْتُهُ، فبينما هو يقرأ، إذا بمُعَزِّمٍ في الدرب يقول: المرقي من الدبيب، ومن العين، ومن الجن، فقال: أيشٍ هذا؟ قلت: مُعَزِّم، قال: اطلبه، فقمت وأدخلته، فإذا بالجني قد صار ثعبانا في السقف، فعزم الرجل، فما زال الثعبان يتدلى حتى سقط في وسط المندل، فقام ليأخذه ويضعه في الزنبيل، فمنعته، فقال: أتمنعني من

صيدي؟! فأعطيته ديناراً وراح، فانتفض الثعبان، وخرج الجني، وقد ضعف واصفر وذاب، فقلت: مالك؟ قال: قتلني هذا بهذه الأسامي، وما أظنني أفلح، فاجعل بالك الليلة، متى سمعت في البئر صراخاً، فانهزم. قال: فسمعت تلك الليلة النعي، فانهزمت. قال ابن عقيل: وامتنع أحدٌ أن يسكن تلك الدار بعدها. ١٩ / ٤٥٠ – ٤٥١

ودخل- أي: أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي - بغداد في حياة أبي نصر الزينبي، وأظنه سمع منه، وقال: رأيت بها آية في سنة ثمان وسبعين بعد العصر، فسمعنا دوياً عظيماً، وأقبل ظلام، فإذا ريحٌ لم أر مثلها، سوداء ثخينة، يبين لك جسمها، فاسوَدَّ النهار، وذهبت آثاره، وذهب أثر الشمس، وبقينا كأننا في أشد ظلمه، لا يبصر أحدٌ يده، وماج الناس، ولم نشك أنها القيامة، أو خسف، أو عذاب قد نزل، وبقي الأمر كذلك قدر ما ينضج الخبز، ورجع السواد حمرة كلهب النار، أو جمراً يتوقد، فلم نشك حينئذ أنها نار أرسلها الله على العباد، وأيسنا من النجاة، ثم مكثت أقل من مكث الظلام، وتجلت بحمد الله عن سلامة، ونهب الناس بعضهم بعضا في الأسواق، وخطفوا العمائم والمتاع، ثم طلعت الشمس، وبقيت ساعة إلى الغروب. ١٩ / ٤٩٣

(٨٢) الشؤم!

قال المصنف رحمه الله في ترجمة " طويس ":

اسمه أبو عبد المنعم عيسى بن عبد الله، وكان أحول طوالا، وكان يقال: أشأم من طويس، قيل: لأنه ولد يوم وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم-

وفطم يوم موت أبي بكر، وبلغ يوم مقتل عمر، وتزوج يوم مقتل عثمان، ووُلد له يوم مقتل علي رضي الله عنهم!. **٤/ ٣٦٤**

ومن شعره - أي: أبو الحسن علي بن يوسف الأفضل -:

يا من يُسوِّد شيبه بخضابه	لِعَسَاه في أهل الشبيبة يحصل
ها فاختضب بسواد حظي مرةً	ولك الأمان بأنه لا ينصُلُ!

٢١ / ٢٩٦

(٨٣) التحذير من مجالسة أهل البدع والأهواء

وروى عنه عمرو بن مالك - أي: روى عن أبي الجوزاء البصري -: لأن أجالس الخنازير أحب إلي من أن أجالس أحداً من أهل الأهواء. **٤/ ٣٧٢**

قال أبو قلابة - أي: عبدالله بن زيد الجَرمي -: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تحادثوهم ؛ فإني لا آمن أن يغمروكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون. **٤/ ٤٧٢**

قال محمد بن عبدالله الأنصاري: حدثني صاحب لي عن ابن عون - أي: عبدالله -، أنه سأله رجل فقال: أرى قوماً يتكلمون في القدر، أفأسمع منهم؟. فقال: (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم...) إلى قوله: (الظالمين). **٦ / ٣٦٧**

وعن عبد الرحمن - أي: ابن مهدي -أنه كان يكره الجلوس إلى ذي هوى أو ذي رأي. **٩ / ٢٠٧**

قال محمد بن مخلد العطار: سمعت إبراهيم الحربي يقول: لا أعلم عصابة خيراً من أصحاب الحديث، إنما يغدو أحدهم، ومعه محبرة، فيقول: كيف فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- وكيف صلى، إياكم أن تجلسوا إلى أهل البدع، فإن الرجل إذا أقبل ببدعة ليس يفلح. **١٣ / ٣٥٨**

وعنه - أي: عن سفيان الثوري -: من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة - وهو يعلم- خرج من عصمة الله، ووكل إلى نفسه. وعنه: من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه، لا يلقها في قلوبهم.

قلت: أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة. **٧ / ٢٦١**

وعنه - أي: ابن المبارك - قال: ليكن مجلسك مع المساكين، وإياك أن تجلس مع صاحب بدعة. **٨ / ٣٩٩**

قال عبدالصمد مردويه: سمعت الفضيل يقول: من أحب صاحب بدعة، أحبط الله عمله، وأخرج نور الإسلام من قلبه. لا يرتفع لصاحب بدعة إلى الله عمل. نظر المؤمن إلى المؤمن يجلو القلب، ونظر الرجل إلى صاحب بدعة يورث العمى. من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة. **٨ / ٤٣٥**

قال أبو مسهر: قدم أبو إسحاق الفزاري دمشق، فاجتمع الناس ليسمعوا منه، فقال: اخرج إلى الناس، فقل لهم: من كان يرى القدر، فلا يحضر مجلسنا، ومن كان يرى رأي فلان، فلا يحضر مجلسنا، فخرجت، فأخبرتهم. **٨ / ٥٤٢**

وقال أبو قلابة: لا تُجالسوا أهل الأهواء - أو قال: أصحاب الخصومات -، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون.

ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين، فقالا: يا أبا بكر، نحدثك بحديث؟ قال: لا. قالا: فنقرأ عليك آية؟ قال: لا. لتقومان عني، أو لأقومنه، فقاما. فقال بعض القوم: يا أبا بكر، وما عليك أن يقرآ عليك آية؟ قال: خشيت أن يقرآ آية فيحرِّفانها، فيقرُّ ذلك في قلبي.

وقال رجل من أهل البدع لأيوب: يا أبا بكر أسألك عن كلمة؟ فولى، وهو يقول بيده: لا، ولا نصف كلمة.

وقال ابن طاوس لابن له يكلمه رجل من أهل البدع: يا بُني أدخل أصبعيك في أذنيك حتى لا تسمع ما يقول. ثم قال: اشدد اشدد. **١١ / ٢٨٥**

وقال - أي: بندار بن الحسين الشيرازي -: صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق. **١٦ / ١٠٩**

(٨٤) " فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره "

إسماعيل بن عياش: حدثنا عثمان بن نويرة، قال: دعي شهر بن حوشب إلى وليمة وأنا معه، فدخلنا فأصبنا من طعامهم، فلما سمع شهر المزمار، وضع أصبعيه في أذنيه، وخرج. **٤ / ٣٧٤**

قال شقيق البلخي: قيل لابن المبارك: إذا أنت صليت لم لا تجلس معنا؟ قال: أجلس مع الصحابة والتابعين، أنظر في كتبهم وآثارهم، فما أصنع معكم؟ أنتم تغتابون الناس. **٨ / ٣٩٨**

(٨٥) قاعدة في لبس الحسن من الثياب

ومن مليح قول شهر - أي: ابن حوشب -: من ركب مشهوراً من الدواب، ولبس مشهوراً من الثياب، أعرض الله عنه، وإن كان كريما.

قلت: من فعله ليعز الدين، ويرغم المنافقين، ويتواضع مع ذلك للمؤمنين، ويحمد رب العالمين، فحسن. ومن فعله بذخاً وتيهاً وفخراً أذله الله وأعرض عنه ؛ فإن عوتب ووُعظ فكابر وادعى أنه ليس بمختال ولا تياه، فأعرض عنه فإنه أحمق، مغرور بنفسه. **٤ / ٣٧٥ - ٣٧٦**

(٨٦) العلم يؤخذ من كل أحد

قال نافع بن جبير لعلي بن الحسين: إنك تجالس أقواماً دونا! قال: آتي من أنتفع بمجالسته في ديني.

عن هشام بن عروة قال: كان علي بن الحسين يخرج على راحلته إلى مكة ويرجع لا يقرعها، وكان يجالس أسلم مولى عمر، فقيل له: تدع قريشاً، وتجالس عبد بني عدي! فقال: إنما يجلس الرجل حيث ينتفع.

وعن عبد الرحمن بن أردك -يقال هو أخو علي بن الحسين لأمه- قال: كان علي بن الحسين يدخل المسجد، فيشق الناس حتى يجلس في حلقة زيد بن أسلم، فقال له نافع بن جبير: غفر الله لك، أنت سيد الناس، تأتي تتخطى حتى تجلس مع هذا العبد، فقال علي بن الحسين: العلم يُبتغَى ويُؤتَى ويطلب من حيث كان. **٤ / ٣٨٨**

(٨٧) آل البيت ينهون عن الغلو فيهم

عن يحيى بن سعيد: سمعت علي بن الحسين -وكان أفضل هاشمي أدركته- يقول: يا أيها الناس، أحبونا حب الإسلام، فما برح بنا حبكم حتى صار علينا عارا.

عن يحيى بن سعيد، عن علي: يا أهل العراق، أحبونا حب الإسلام، ولا تحبونا حب الأصنام، فما زال بنا حبكم حتى صار علينا شينا. **٤/ ٣٨٩ - ٣٩٠**

قال مصعب الزبيري: كان فضيل بن مرزوق يقول: سمعت الحسن ابن الحسن يقول لرجل من الرافضة: أحبونا، فإن عصينا الله فأبغضونا، فلو كان الله نافعاً أحداً بقرابته من رسول الله ﷺ بغير طاعة لنفع أباه وأمه. **٤/ ٤٨٦**

(٨٨) مفهوم الإيمان بالقضاء والقدر

قال سفيان الثوري: اشتكى بعض أولاد محمد بن علي - الباقر -، فجزع عليه، ثم أخبر بموته، فسُرِّي عنه. فقيل له في ذلك، فقال: ندعو الله فيما نحب، فإذا وقع ما نكره، لم نخالف الله فيما أحب. **٤/ ٤٠٧**

(٨٩) أزهد الناس في العلماء!

عن هشام، عن أبيه - أي: عروة بن الزبير -، قال: كان يقال: أزهد الناس في عالمٍ أهلُه!. **٤/ ٤٢٦**

عن الحسن قال: إن أزهد الناس في العالم جيرانه... **٨/ ٥١٧**

(٩٠) البعد عن مواطن الخير بسبب ما عندها من المنكرات!

عن هشام بن عروة، قال: لما اتخذ عروة - أي: ابن الزبير - قصره بالعقيق، قال له الناس: جفوت مسجد رسول الله ﷺ!، فقال: رأيت مساجدهم لاهية، وأسواقهم لاغية، والفاحشة في فجاجهم عالية، فكان فيما هنالك - عما هم فيه - عافية!. ٤/ ٤٢٧

(٩١) إهمال العلم يجعل صاحبه ينساه

عن هشام بن عروة -أي: ابن الزبير-، أن أباه كان يسرد الصوم، وأنه قال: يا بَنيَّ، سلوني، فلقد تُرِكتُ حتى كدت أنسى، وإني لأُسأل عن الحديث، فيفتح لي حديث يومين. ٤/ ٤٣١

قال أبو زرعة: نرى قوماً من أصحابنا، كتبوا الحديث، تركوا المجالسة منذ عشرين سنة، أو أقل، إذا جلسوا اليوم مع الأحداث، كأنهم لا يعرفون، أو لا يحسنون الحديث. ثم قال: الحديث مثل الشمس، إذا حبس عن الشرق خمسة أيام، لا يعرف السفر، فهذا الشأن يحتاج أن تتعاهده أبدا. ١٣/ ٧٩

(٩٢) تعزية حسنة

قال الزبير بن بكار: حدثني غير واحد أن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة- أي: ابن الزبير - حين قدم، فقال عروة لبعض بنيه: اكشف لِعَمِّك رجلي، ففعل فقال عيسى: إنا والله -يا أبا عبد الله- ما أعددناك للصراع،

ولا للسباق، ولقد أبقى الله منك لنا ما كنا نحتاج إليه، رأيَك وعلمَك. فقال: ما عَزَّاني أحد مثلك.

قال ابن خلكان: كان أحسن من عزَّاه إبراهيم بن محمد بن طلحة، فقال: والله ما بك حاجة إلى المشي، ولا أرَبٌ في السعي، وقد تقدمك عضو من أعضائك، وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض إن شاء الله. وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء، من علمك ورأيك، والله ولي ثوابك والضمين بحسابك. ٤/ ٤٣٤

(٩٣) فضل كظم الغيظ

وقال هشام: قال أبي - أي: عروة ابن الزبير -: رب كلمة ذل احتملتها أورثتني عزاً طويلاً. ٤/ ٤٣٦

(٩٤) حدثوا الناس بما يعقلون

وقال - أي: عروة ابن الزبير -: ما حدثت أحداً بشئ من العلم قط لا يبلغه عقله إلا كان ضلالة عليه. ٤/ ٤٣٧

محنة وكيع - أي: ابن الجراح - -وهي غريبة- تورط فيها، ولم يرد إلا خيراً، ولكن فاتته سكتة، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع، فليتق عبد ربه، ولا يخافن إلا ذنبه).

قال علي بن خشرم: حدثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد الله البهي،) أن أبا بكر الصديق جاء إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- بعد وفاته، فأكب عليه، فقبله، وقال: بأبي وأمي، ما أطيب حياتك وميتتك (ثم قال البهي: وكان ترك يوما وليلة حتى ربا بطنه، وانثنت خنصراه. قال ابن خشرم: فلما حدث وكيع بهذا بمكة، اجتمعت قريش، وأرادوا صلب وكيع، ونصبوا خشبة لصلبه، فجاء سفيان بن عيينة، فقال لهم: الله الله! هذا فقيه أهل العراق، وابن فقيهه، وهذا حديث معروف. قال سفيان: ولم أكن سمعته إلا أني أردت تخليص وكيع.

قال علي بن خشرم: سمعت الحديث من وكيع، بعدما أرادوا صلبه، فتعجبت من جسارته، وأُخبرت أن وكيعا احتج، فقال: إن عدة من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- منهم عمر، قالوا: لم يمت رسول الله. فأراد الله أن يريهم آية الموت. رواها أحمد بن محمد بن علي بن رزين الباشاني قال: حدثنا علي بن خشرم. وروى الحديث عن وكيع: قتيبة بن سعيد.

فهذه زلة عالم، فما لوكيع ولرواية هذا الخبر المنكر المنقطع الإسناد! كادت نفسه أن تذهب غلطا، والقائمون عليه معذورون، بل مأجورون، فإنهم تخيلوا من إشاعة هذا الخبر المردود، غضاً ما لمنصب النبوة، وهو في بادئ الرأي يوهم ذلك، ولكن إذا تأملته، فلا بأس -إن شاء الله- بذلك، فإن الحي قد يربو جوفه، وتسترخي مفاصله، وذلك تفرع من الأمراض، و"أشد الناس بلاء الأنبياء"، وإنما المحذور أن تجوز عليه تغير سائر موتى الآدميين ورائحتهم، وأكل الأرض لأجسادهم، والنبي -صلى

الله عليه وسلم- فمفارق لسائر أمته في ذلك، فلا يبلى، ولا تأكل الأرض جسده، ولا يتغير ريحه، بل هو الآن، وما زال أطيب ريحاً من المسك، وهو حي في لحده حياة مثله في البرزخ، التي هي أكمل من حياة سائر النبيين، وحياتهم بلا ريب أتم وأشرف من حياة الشهداء الذين هم بنص الكتاب ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وهؤلاء حياتهم الآن التي في عالم البرزخ حق، ولكن ليست هي حياة الدنيا من كل وجه، ولا حياة أهل الجنة من كل وجه، ولهم شبه بحياة أهل الكهف، ومن ذلك: اجتماع آدم وموسى، لما احتج عليه موسى، وحجه آدم بالعلم السابق كان اجتماعهما حقا، وهما في عالم البرزخ، وكذلك نبينا -صلى الله عليه وسلم- أَخبر أنه رأى في السماوات آدم وموسى وإبراهيم وإدريس وعيسى، وسلم عليهم، وطالت محاورته مع موسى، هذا كله حق. والذي منهم لم يذق الموت بعد هو عيسى -عليه السلام- فقد تبرهن لك أن نبينا -صلى الله عليه وسلم- ما زال طيبا مطيبا، وأن الأرض محرم عليها أكل أجساد الأنبياء، وهذا شيء سبيله التوقيف، وما عنف النبي -صلى الله عليه وسلم- الصحابة -رضي الله عنهم- لما قالوا له بلا علم: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ -يعني قد بليت- فقال: (إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء).

وهذا بحث معترض في الاعتذار عن إمام من أئمة المسلمين، وقد قام في الدفع عنه مثل إمام الحجاز سفيان بن عيينة، ولولا أن هذه الواقعة في عدة كتب، وفي مثل "تاريخ الحافظ ابن عساكر"، وفي "كامل الحافظ ابن عدي" لأعرضت عنها جملة، ففيها عبرة حتى قال الحافظ يعقوب الفسوي في "تاريخه": وفي هذه السنة حدث وكيع بمكة، عن ابن أبي خالد، عن

البهي، فذكر الحديث، ثم قال: فرفع ذلك إلى العثماني، فحبسه، وعزم على قتله، ونصبت خشبة خارج الحرم، وبلغ وكيعا، وهو محبوس. قال الحارث بن صديق: فدخلت عليه لما بلغني، وقد سبق إليه الخبر، قال: وكان بينه وبين ابن عيينة يومئذ متباعد، فقال لي: ما أرانا إلا قد اضطررنا إلى هذا الرجل، واحتجنا إليه، فقلت: دع هذا عنك، فإن لم يدركك، قتلت، فأرسل إلى سفيان، وفزع إليه، فدخل سفيان على العثماني -يعني متولي مكة- فكلمه فيه، والعثماني يأبى عليه، فقال له سفيان: إني لك ناصح، هذا رجل من أهل العلم، وله عشيرة، وولده بباب أمير المؤمنين، فتشخص لمناظرتهم، قال: فعمل فيه كلام سفيان، فأمر بإطلاقه، فرجعت إلى وكيع، فأخبرته، فركب حمارا، وحملنا متاعه، وسافر، فدخلت على العثماني من الغد، فقلت: الحمد لله الذي لم تُبتْلَ بهذا الرجل، وسلمك الله، قال: يا حارث، ما ندمت على شيء ندامتي على تخليته، خطر ببالي هذه الليلة حديث جابر بن عبد الله قال: حولت أبي والشهداء بعد أربعين سنة فوجدناهم رطابا يثنون لم يتغير منهم شيء. ثم قال الفسوي: فسمعت سعيد بن منصور يقول: كنا بالمدينة، فكتب أهل مكة إلى أهل المدينة بالذي كان من وكيع، وقالوا: إذا قدم عليكم، فلا تتكلوا على الوالي، وارجموه حتى تقتلوه. قال: فعرضوا على ذلك، وبلغنا الذي هم عليه، فبعثنا بريداً إلى وكيع أن لا يأتي المدينة، ويمضي من طريق الرَّبَذَة، وكان قد جاوز مفرق الطريقين، فلما أتاه البريد، رد ومضى إلى الكوفة.

ونقل الحافظ ابن عدي في ترجمة عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد أنه هو الذي أفتى بمكة بقتل وكيع.

وقال ابن عدي: أخبرنا محمد بن عيسى المروزي -فيما كتب إلي- قال: حدثنا أبي عيسى بن محمد، قال: حدثنا العباس بن مصعب، حدثنا قتيبة، حدثنا وكيع، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، فساق الحديث، ثم قال قتيبة: حدث وكيع بمكة بهذا سنة حج الرشيد، فقدموه إليه، فدعا الرشيد سفيان بن عيينة وعبد المجيد بن أبي رواد، فأما عبد المجيد، فإنه قال: يجب أن يقتل، فإنه لم يرو هذا إلا من في قلبه غش للنبي -صلى الله عليه وسلم. وقال سفيان: لا قتل عليه، رجل سمع حديثا، فأرواه، والمدينة شديدة الحر توفي النبي -صلى الله عليه وسلم- فترك ليلتين، لأن القوم في إصلاح أمر الأمة، واختلفت قريش والأنصار، فمن ذلك تغير. قال قتيبة: فكان وكيع إذا ذكر فعل عبد المجيد، قال: ذاك جاهل، سمع حديثا لم يعرف وجهه، فتكلم بما تكلم.

قلت: فرضنا أنه ما فهم توجيه الحديث على ما تزعم، أفمالك عقل وورع؟ أما سمعت قول الإمام علي: حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله. أما سمعت في الحديث: (ما أنت محدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم) ثم إن وكيعا بعدها تجاسر وحج، وأدركه الأجل بفيد.

<< جاء في الحاشية (٣): " فيد ": بليدة في نصف طريق مكة من الكوفة >> **٩/ ١٥٩-١٦٥**

قال أبو إسحاق الحبال: كان أبو عبدالله بن نظيف - أي: المصري الفراء - يصلي بالناس في مسجد عبدالله سبعين سنة، وكان شافعياً

يقنت، فأمَّ بعده رجل مالكي، وجاء الناس على عادتهم، فلم يقنت، فتركوه وانصرفوا، وقالوا: لا يحسن يصلي. **١٧ / ٤٧٧**

قال أبو الحسن عبد الملك الميموني: قال رجل لأبي عبد الله: ذهبت إلى خلف البزار أعظه، بلغني أنه حدث بحديث عن الأحوص عن عبد الله قال: "ما خلقَ اللهُ شيئًا أعْظَمَ..." وذكر الحديث، فقال أبو عبد الله: ما كان ينبغي له أن يحدث بهذا في هذه الأيام -يريد زمن المحنة- والمَتْنُ: (ما خلَقَ اللهُ مِن سَمَاءٍ ولا أَرْضٍ أَعْظَمَ مِن آيَةِ الكُرْسِيّ) وقد قال أحمد بن حنبل لما أوردوا عليه هذا يوم المحنة: إن الخلق واقع هاهنا على السماء والأرض هذه الأشياء، لا على القرآن.

قلت: كذا ينبغي للمحدث أن لا يشهر الأحاديث التي يتشبث بظاهرها أعداء السنن من الجهمية، .....، وأهل الأهواء، والأحاديث التي فيها صفات لم تثبت، فإنك لن تحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم، إلا كان فتنة لبعضهم، فلا تكتم العلم الذي هو علم، ولا تبذله للجهلة الذين يشغبون عليك، أو الذين يفهمون منه ما يضرهم. **١٠ / ٥٧٨**

(٩٥) المرء لا يُقَوَّمُ بلباسه

روى أبو سعيد الحارثي، عن العُتْبي، عن أبيه، قال: دخل سالم - أي: ابن عبدالله بن عمر بن الخطاب - على سليمان بن عبد الملك، وعلى سالم ثياب غليظة رثة، فلم يزل سليمان يرحب به، ويرفعه حتى أقعده معه على سريره، وعمر بن عبد العزيز في المجلس، فقال له رجل من أُخْريات الناس: ما استطاع خالك أن يلبس ثيابا فاخرة أحسن من هذه، يدخل فيها على أمير

المؤمنين؟! قال: وعلى المتكلم ثياب سريَّة، لها قيمة، فقال له عمر: ما رأيت هذه الثياب التي على خالي وضعته في مكانك، ولا رأيت ثيابك هذه رفعتك إلى مكان خالي ذاك. ٤/ ٤٦١

قال السمعاني - أي: أبو سعد عبدالكريم بن أبي بكر -: كنت أنسخ بجامع بروجرد، فدخل شيخ رث الهيئة، ثم قال: أيش تكتب؟ فكرهت جوابه، وقلت: الحديث. فقال: كأنك طالب حديث؟ قلت: بلى. قال: من أين أنت؟ قلت: من مرو. قال: عمن يروي البخاري من أهلها؟ قلت: عن عبدان وصدقة بن الفضل وعلي بن حجر. فقال: ما اسم عبدان؟ فقلت: عبد الله بن عثمان. فقال: ولم قيل له: عبدان؟ فتوقفت، فتبسم، ونظرت إليه بعين أخرى، وقلت: يذكر الشيخ. فقال: كنيته أبو عبد الرحمن، فاجتمع في اسمه وفي كنيته العبدان، فقيل: عبدان. فقلت: عمن؟ قال: سمعت ابن طاهر يقوله. إذا هو الحافظ أبو الفضل محمد بن هبة الله بن العلاء البروجردي، فروى لنا عن أبي محمد الدوني وطائفة. ٢٠/ ٤٦٤ - ٤٦٥

(٩٦) العقلانيون!

وعن أيوب، عن أبي قلابة- أي: عبدالله بن زيد الجَرمي - قال: إذا حدثت الرجل بالسنة، فقال: دعنا من هذا، وهات كتاب الله، فاعلم أنه ضالٌّ.

قلت أنا: وإذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث الآحاد، وهات "العقل" فاعلم أنه أبو جهل؛ وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل، وهات الذوق والوجد، فاعلم أنه إبليس قد

ظهر بصورة بشر، أو قد حل فيه، فإن جبُنْتَ منه فاهرب، وإلا فاصرعْهُ وابركْ على صدره، واقرأْ عليه آية الكرسي واخْنُقْهُ!. ٤ / ٤٧٢

قال عبد الله بن الوليد: سمعت أبا محمد بن أبي زيد يسأل ابن سعدي لما جاء من الشرق: أحَضَرت مجالسَ الكلام؟ قال: مرتين ولم أعد، فأول مجلس جمعوا الفرق من السنة والمبتدعة واليهود والنصارى والمجوس والدهرية، ولكل فرقة رئيس يتكلم وينصر مذهبه، فإذا جاء رئيس قام الكل له، فيقول واحد: تناظروا ولا يحتج أحد بكتابه، ولا بنبيه، فإنا لا نصدق بذلك ولا نقر به. بل هاتوا العقل والقياس، فلما سمعت هذا لم أعد، ثم قيل لي: هاهنا مجلس آخر للكلام، فذهبت فوجدتهم على مثل سيرة أصحابهم سواء، فجعل ابن أبي زيد يتعجب، وقال: ذهبت العلماء، وذهبت حرمة الدين. ١٦ / ٢٥١ - ٢٥٢

ونقل القاضي أبو الحسين بن الفراء في " طبقات أصحاب الإمام أحمد " في ترجمة أبي مسعود - أي: أحمد بن الفرات الرازي -، أنه نُقِل عن أحمد بن حنبل أنه قال: من دلَّ على صاحب رأي لنفسه، فقد أعان على هدم الإسلام. ١٢ / ٤٨٥

(٩٧) موقف آل البيت الصالحين من الرافضة

فضيل بن مرزوق: سمعت الحسن بن الحسن يقول لرجل من الرافضة: إن قتلك قربة إلى الله. فقال: إنك تمزح. فقال: والله ما هو مني بمزاح.

وروى فضيل بن مرزوق، قال: سمعت الحسن يقول: دخل علي المغيرة بن سعيد -يعني الذي أُحرِق في الزندقة- فذكر من قرابتي وشبهي برسول الله -صلى الله عليه وسلم- وكنت أشبه وأنا شاب برسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم لعن أبا بكر وعمر، فقلت: يا عدو الله، أعندي! ثم خنقته -والله- حتى دلع لسانه. ٤/ ٤٨٦

(٩٨) عظم شأن القدوة

قال أيوب السختياني: قيل لابن الأشعث: إن أردْتَ أن يُقْتَلُوا حولك كما قُتلوا يوم الجمل حول جمل عائشة فأَخرِجْ معك مُسلم بن يَسار. فأَخْرَجَه مكرها.

قال أيوب عن أبي قلابة: قال لي مسلم بن يسار: إني أحمد الله إليك، أني لم أرْمِ بسهم، ولم أضرب فيها بسيف، قلت له: فكيف بمن رآك بين الصفين فقال: هذا مسلم بن يسار لن يقاتل إلا على حق، فقاتل حتى قتل؟ فبكى -والله- حتى وددتُ أن الأرض انشقّتْ، فدخلتُ فيها. ٤/ ٥١٣

(٩٩) الطلبة يخلدون علم العالم

عن عاصم، قال: تبعت الشعبي، فمررنا بإبراهيم - أي: النخعي -، فقام له إبراهيم عن مجلسه، فقال له الشعبي: أما إني أفقه منك حياً، وأنت أفقه مني ميتاً، وذلك أن لك أصحاباً يلزمونك، فيحيون علمك. ٤/ ٥٢٦

(١٠٠) الخوارق ليست دليلاً على الكرامة

عن بكر المزني -وهو في "الزهد" لأحمد- قال: كان الرجل في بني إسرائيل إذا بلغ المبلغ، فمشى في الناس، تظله غمامة.

قلت: شاهده أن الله قال: ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ ﴾ [البقرة: ٥٧] ففعل بهم -تعالى- ذلك عاما، وكان فيهم الطائع والعاصي. فنبينا -صلوات الله عليه- أكرم الخلق على ربه، وما كانت له غمامة تظله ولا صح ذلك؛ بل ثبت أنه لما رمَى الجمرة كان بلال يظله بثوبه من حر الشمس. ولكن كان في بني إسرائيل الأعاجيب والآيات، ولما كانت هذه الأمة خير الأمم، وإيمانهم أثبت، لم يحتاجوا إلى برهان، ولا إلى خوارق، فافهم هذا. وكلما ازداد المؤمن علماً ويقينا، لم يَحْتَجْ إلى الخوارق؛ وإنما الخوارق للضعفاء، ويكثر ذلك في اقتراب الساعة. **٤ / ٥٣٣**

وقال - أي: أبو يزيد البسطامي -: لله خلق كثير يمشون على الماء، لا قيمة لهم عند الله، ولو نظرتم إلى من أُعطيَ الكرامات حتى يطير، فلا تغتروا به حتى تروا كيف هو عند الأمر والنهي، وحفظ الحدود والشرع. **١٣ / ٨٨**

قال ابن باكويه: حدثنا أبو عبد الله بن مفلح، حدثنا طاهر بن عبد الله التستري، قال: تعجبت من أمر الحلاَّج - أي: الحسين بن منصور الصوفي -، فلم أزل أتتبع وأطلب الحيل، وأتعلم النارنجيات لأقف على ما هو عليه، فدخلت عليه يوماً من الأيام، وسلَّمت وجلست ساعة، فقال لي: يا طاهر، لا تتعنَّ؛ فإن الذي تراه وتسمعه من فعل الأشخاص لا من فعلي، لا تظن أنه كرامة أو شعوذة. فعل الأشخاص: يعني به الجن. **١٤ / ٣٢٢**

قال علي بن محمود الزوزني: سمعت محمد بن محمد بن ثوابة يقول: حكى لي زيد القَصْري قال: كنت بالقدس، إذ دخل الحلاَّج، وكان يومئذ يشغل فيه قنديل قمامة بدهن البَلَسَان، فقام الفقراء إليه يطلبون منه شيئا، فدخل بهم إلى القمامة، فجلس بين الشمامسة، وكان عليه السواد، فظنوه منهم، فقال لهم: متى يشعل القنديل؟ قالوا: إلى أربع ساعات. فقال: كثير. فأومأ بأصبعه، فقال: الله. فخرجت نار من يده، فأشعلت القنديل، واشتعلت ألف قنديل حواليه، ثم رُدَّت النار إلى أصبعه، فقالوا: من أنت؟ قال: أنا حنيفي، أقلُّ الحنيفيين، تحبون أن أقيم أو أخرج؟ فقالوا: ما شئت. فقال: أعطوا هؤلاء شيئا. فأخرجوا بَدْرَة فيها عشرة آلاف درهم للفقراء.

فهذه الحكاية وأمثالها ما صح منها فحكمه أنه مخدوم من الجن.

< جاء في الحاشية (١) ص: (٣٣٣): البَلَسَان: شجر كثير الأوراق، ينبت بمصر، وله دهن معروف >.

< جاء في الحاشية (١) ص: (٣٣٤): الشمامسة: جمع شمَّاس، رؤوس النصارى. قال صاحب اللسان: هو الذي يحلق وسط رأسه، ويلزم البيعة >.

< جاء في الحاشية (٢) ص: (٣٣٤): في اللسان: البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف، سميت ببدرة السخلة، أي: جلد السخلة >. **١٤ / ٣٣٣ – ٣٣٤**

وقيل له – أي: لأبي محمد المرتعش –: فلان يمشي على الماء. قال: عندي أن من مكَّنه الله من مخالفة هواه، فهو أعظم من المشي على الماء. **١٥ / ٢٣١**

قال المصنف رحمه الله:

يونس ين يوسف بن مساعد الشيباني المخارقي الجزري القنيي الزاهد أحد الأعلام، شيخ اليونسية أولي الزعارة والشطح والخواثة وخفة العقل. كان ذا كشف وحال، ولم يكن عنده كبير علم، وله شطح، وشعر ملحون ينظمه على لسان الربوبية، وبعضه كأنه كذب، والله أعلم بسره، فلا يغتر المسلم بكشف ولا بحال ولا بإخبار عن مغيب، فابن صائد وإخوانه الكهنة لهم خوارق، والرهبان فيهم من قد تمزق جوعاً وخلوة ومراقبة على غير أساس ولا توحيد، فصفت كدورات أنفسهم وكاشفوا وفَشروا، ولا قدوة إلا في أهل الصفوة وأرباب الولاية المنوطة بالعلم والسنن، فنسأل الله إيمان المتقين، وتأله المخلصين، فكثير من المشايخ نتوقف في أمرهم حتى يتبرهن لنا أمرهم، وبالله الاستعانة. ٢٢ / ١٧٨

(١٠١) العلاقة بين الجزع على المصيبة وحب الدنيا

عن وهب - أي: ابن منبه -، أن عيسى عليه السلام قال للحواريين: أشدكم جزعاً على المصيبة، أشدكم حباً للدنيا. ٤ / ٥٥١

(١٠٢) الأحمق!

عن وهب: الأحمق إذا تكلم فضحه حمقه، وإذا سكت فضحه عِيُّه، وإذا عمل أفسد، وإذا ترك أضاع ؛ لا علمه يُعينه، ولا علم غيره ينفعه، تودُّ أمه أنها ثكلته، وامرأته لو عدمته، ويتمنى جاره منه الوَحْدة، ويجد جليسه منه الوَحْشة. ٤ / ٥٥٢

(١٠٣) حوار مع الخوارج

علي بن المديني: حدثنا هشام بن يوسف، أخبرني داود بن قيس، قال: كان لي صديق يقال له أبو شمر ذو خَوْلان، فخرجت من صنعاء أريد قريته، فلما دنوت منها وجدت كتاباً مختوماً إلى أبي شمر، فجئته فوجدته مهموماً حزينا، فسألته عن ذلك فقال: قدم رسول من صنعاء، فذكر أن أصدقاء لي كتبوا لي كتابا فضيَّعَه الرسول، قلت: فهذا الكتاب. فقال: الحمد لله ؛ ففضَّه فقرأه، فقلت: أقرِئْنيه، فقال: إني لأستحدث سنك. قلت: فما فيه؟ قال: ضرب الرقاب. قلت: لعله كتبه إليك ناس حرورية في زكاة مالك. قال: من أين تعرفهم؟ قلت: إني وأصحابا لي نجالس وهب بن منبه، فيقول لنا: احذروا أيها الأحداث الأغمار هؤلاء الحروراء لا يدخلونكم في رأيهم المخالف ؛ فإنهم عُرَّةٌ لهذه الأمة. فدفع إليَّ الكتاب فقرأته فإذا فيه: سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله، ونوصيك بتقواه ؛ فإن دين الله رشد وهدى، وإن دين الله طاعة الله ومخالفة من خالف سنة نبيه، فإذا جاءك كتابنا، فانظر أن تؤدي -إن شاء الله- ما افترض الله عليك من حقه، تستحق بذلك ولاية الله، وولاية أوليائه والسلام. قلت له: فإني أنهاك عنهم. قال: فكيف أتبع قولك وأترك قول من هو أقدم منك؟ قلت: فتحب أن أُدْخلك على وهب حتى تسمع قوله؟ قال: نعم. فنزلنا إلى صنعاء، فأدخلته على وهب -ومسعود بن عوف والٍ على اليمن من قِبَل عروة بن محمد - فوجدنا عند وهب نفراً، فقال لي بعض النفر: من هذا الشيخ؟ قلت: له حاجة، فقام القوم، فقال وهب: ما حاجتك يا ذا خولان؟ فهرج وجَبُن، فقال لي وهب: عبِّر عنه. قلت:

إنه من أهل القرآن والصلاح، والله أعلم بسريرته، فأخبرني أنه عرض له نفر من أهل حروراء فقالوا له: زكاتك التي تؤديها إلى الأمراء لا تجزئ عنك ؛ لأنهم لا يضعونها في مواضعها فأدِّها إلينا، ورأيت يا أبا عبد الله أن كلامك أشفى له من كلامي. فقال: يا ذا خولان، أتريد أن تكون بعد الكِبَر حَرُوريا تشهد على من هو خير منك بالضلالة؟ فماذا أنت قائل لله غدا حين يقفك الله؟ ومن شهدت عليه، فالله يشهد له بالإيمان، وأنت تشهد عليه بالكفر، والله يشهد له بالهُدى، وأنت تشهد عليه بالضلالة، فأين تقع إذا خالف رأيك أمر الله، وشهادتك شهادة الله؟ أخبرني يا ذا خولان، ماذا يقولون لك؟ فتكلم عند ذلك، وقال لوهب: إنهم يأمرونني أن لا أتصدق إلا على من يرى رأيهم ولا أستغفر إلا له. فقال: صدقت، هذه محنتهم الكاذبة. فأما قولهم في الصدقة، فإنه قد بلغني أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ذكر أن امرأة من أهل اليمن دخلت النار في هرة ربطتها، أفإنسان ممن يعبد الله يوحده ولا يشرك به أحب إلى الله أن يطعمه من جوع، أو هرة؟! والله يقول: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨] الآيات. وأما قولهم لا يُستغفَر إلا لمن يرى رأيهم، أهم خير أم الملائكة، والله يقول: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥] فوالله ما فعلت الملائكة ذلك حتى أمروا به: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧] وجاء ميسراً: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧] يا ذا خولان، إني قد أدركت صدر الإسلام، فوالله ما كانت الخوارج جماعة قط إلا فرقها الله على شر حالاتهم، وما أظهر أحد منهم قوله إلا ضرب الله عنقه، ولو مكّن

الله لهم من رأيهم لفسدت الأرض، وقطعت السُّبُل والحج، ولعاد أمر الإسلام جاهلية، وإذًا لقام جماعة، كل منهم يدعو إلى نفسه الخلافة، مع كل واحد منهم أكثر من عشرة آلاف، يقاتل بعضهم بعضا ويشهد بعضهم على بعض بالكفر، حتى يصبح المؤمن خائفا على نفسه ودينه ودمه وأهله وماله، لا يدري مع من يكون، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾[البقرة: ٢٥١] وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٥١] فلو كانوا مؤمنين لنُصِروا. وقال: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[الصافات: ١٧٣] ألا يسعُكَ يا ذا خولان من أهل القبلة ما وسع نوحا من عبدة الأصنام، إذ قال له قومه: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾. [الشعراء: ١١١] إلى أن قال: فقال ذو خولان: فما تأمرني؟ قال: انظر زكاتك فأدها إلى من ولاه الله أمر هذه الأمة، وجمعهم عليه؛ فإن المُلْك من الله وحده وبيده، يؤتيه من يشاء، فإذا أديتها إلى والي الأمر برئْتَ منها، وإن كان فَضْلٌ فَصِلْ به أرحامك ومواليك وجيرانك والضيف. فقال: اشْهَدْ أني نزلت عن رأي الحرورية. ٤ / ٥٥٣ – ٥٥٥

(١٠٤) من الذي ما ساء قط؟!

ويروى عن رجاء بن حيوة، قال: من لم يؤاخ إلا من لاعيب فيه قلَّ صديقه؛ ومن لم يرض من صديقه إلا الإخلاص له دام سخطه، ومن عاتب إخوانه على كل ذنب كثر عدوه. ٤ / ٥٥٨

وكـان - أي: نظـام الملك الطوسـي - فيـه خـير وتقـوى، وميـل إلى الصالحين، وخضوع لموعظتهم، يعجبه من يُبَيِّنُ له عيوب نفسه، فينكسر ويبكي. ١٩/ ٩٥

(١٠٥) تعس عبد الدرهم

هشام بن حسان: سمعت الحسن - أي: البصري - يحلف بالله، ما أعز أحد الدرهم إلا أذله الله. ٤/ ٥٧٦

(١٠٦) ترك الخطيئة أهون من معالجة التوبة

أبو عبيدة الناجي، عن الحسن - أي: البصري -، قال: ابن آدم، ترك الخطيئة أهون عليك من معالجة التوبة، ما يؤمنك أن تكون أصبت كبيرة أُغلق دونها باب التوبة، فأنت في غير معمل. ٤/ ٥٧٨

(١٠٧) عامل الناس كما تحب أن يعاملوك

حميد الطويل: كان الحسن - أي: البصري - يقول: اصحب الناس بما شئت أن تصحبهم، فإنهم سيصحبونك مثله. ٤/ ٥٨٤

(١٠٨) سوء مغبة تزلف العلماء إلى الأمراء

فضيل بن جعفر، قال: خرج الحسن - أي: البصري - من عند ابن هبيرة فإذا هو بالقراء على الباب فقال: ما يجلسكم هاهنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء، أما والله ما مجالستهم مجالسة الأبرار؛ تفرقوا فرق الله بين أرواحكم وأجسادكم، قد فرطحتم نعالكم، وشمرتم ثيابكم، وجززتم شعوركم؛ فضحتم القراء فضحكم الله، والله لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيكم، أبعد الله من أبعد. ٤/ ٥٨٦

(١٠٩) حال العلماء وقت الدرس، وعند الأُنس!

خالد بن خداش: حدثنا مهدي بن ميمون، قال: رأيت محمد بن سيرين يحدث بأحاديث الناس، وينشد الشعر، ويضحك حتى يميل، فإذا جاء بالحديث من المسند، كلح وتقبض. ٤/ ٦١٢

(١١٠) ذم المسألة

عن عكرمة - أي: مولى ابن عباس - أنه كان إذا رأى السُؤَّال يوم الجمعة سبهم، ويقول: كان ابن عباس يسبهم، ويقول: لا تشهدون جمعة ولا عيداً إلا للمسألة والأذى، وإذا كانت رغبة الناس إلى الله، كانت رغبتهم إلى الناس، قلت: فكيف إذا انضاف إلى ذلك غنى ما عن السؤال، وقوة على التكسب. ٥/ ١٩

(١١١) "كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر"

معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه، قال: كان رجل من بني إسرائيل ربما يداوي المجانين، وكانت امرأة جميلة، فجنت، فجيء بها إليه، فتركت عنده، فأعجبته، فوقع عليها، فحملت منه، فجاءه الشيطان فقال: إن عُلِمَ بها، افتضحت، فاقتلها، وادفنها في بيتك، فقتلها ودفنها، فجاء أهلها بعد ذلك بزمان يسألونه عنها، فقال: ماتت، فلم يتهموه لصلاحه، فجاءهم الشيطان، فقال: إنها لم تمت، ولكن وقع عليها، فحملت، فقتلها ودفنها في بيته، فجاء أهلها فقالوا: ما نتهمك، ولكن أين دفنتها؟ أخبرنا، ومن كان معك؟ فنبشوا بيته فوجدوها، فأخذ فسجن، فجاءه الشيطان فقال: إن كنت تريد أن أخرجك مما أنت فيه فاكفر بالله، فأطاعه، فكفر فقتل، فتبرأ منه الشيطان حينئذ. قال طاوس: فلا أعلم إلا أن هذه الآية نزلت فيه ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ﴾ الآية [الحشر: ١٦] أو بمثله. ٥ / ٤٨

(١١٢) بعد العلماء عن الشهرة

يونس بن بكير، عن ابن إسحاق قال: رأيت القاسم بن محمد يصلي، فجاء أعرابي فقال: أيما أعلم أنت أم سالم؟ فقال: سبحان الله، كل سيخبرك بما علم. فقال: أيكما أعلم؟ قال: سبحان الله!. فأعاد، فقال: ذاك سالم، انطلق، فسله، فقام عنه. قال ابن إسحاق: كره أن يقول: أنا

أعلم، فيكون تزكية، وكره أن يقول: سالم أعلم مني فيكذب. وكان القاسم أعلمهما. **٥ / ٥٦**

وعن سفيان - أي: الثوري -: السلامة في أن لا تحب أن تعرف. **٧ / ٢٥٨**

ابن المبارك: قال لي سفيان: إياك والشهرة، فما أتيت أحدا إلا وقد نهى عن الشهرة. **٧ / ٢٦٠**

عبد الرحمن بن مهدي، عن طالوت: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: ما صدقَ اللّهَ عبدٌ أحبَّ الشهرةَ.

قلت: علامة المخلص الذي قد تجب شهرة، ولا يشعر بها، أنه إذا عوتب في ذلك، لا يحرَدُ ولا يبرئ نفسه، بل يعترف، ويقول: رحم الله من أهدى إليَّ عيوبي، ولا يكن معجبا بنفسه، لا يشعر بعيوبها، بل لا يشعر أنه لا يشعر، فإذا هذا داء مزمن. **٧ / ٣٩٣**

قال: وحدثنا سهل بن منصور قال: كان بشر - أي: ابن منصور - يصلي فيطول، ورجل وراءه ينظر ففطن له، فلما انصرف قال: لا يعجبك ما رأيت مني، فإن إبليس قد عبد الله دهراً مع الملائكة!. **٨ / ٣٦١**

وعن أبي جعفر المسندي قال: ودعت الفضل بن عياض فقلت: أوصني. قال: كن ذَنَباً ولا تكن رأساً. **١٠ / ٦٦٠**

وقال - أي: أحمد بن حنبل -: أريد أن أكون في شعب بمكة حتى لا أعرف، قد بُليت بالشهرة، إني أتمنى الموت صباحا ومساء. **١١ / ٢١٦**

فتح بن نوح، سمعت أحمد بن حنبل، يقول: أشتهي ما لا يكون، أشتهي مكانا لا يكون فيه أحد من الناس.

وقال الميموني: قال أحمد: رأيت الخلوة أروَحَ لقلبي.

قال المروذي: قال لي أحمد: قل لعبد الوهاب: أخملْ ذكرك ؛ فإني أنا قد بليت بالشهرة.

وقال محمد بن الحسن بن هارون: رأيت أبا عبد الله إذا مشى في الطريق، يكره أن يتبعه أحد.

قلت: إيثار الخمول والتواضع، وكثرة الوجل من علامات التقوى والفلاح. ١١ / ٢٢٦

قال محمد بن يوسف الفريابي: كنت في مجلس فيه الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، وسليمان الخواص، فذكر الأوزاعي الزهاد، فقال: ما نزيد أن نريد مثل هؤلاء. فقال سعيد: ما رأيت أزهد من سليمان الخواص، وما شعر أنه في المجلس، فقنع سليمان رأسه، وقام، فأقبل الأوزاعي على سعيد، وقال: ويحك لا تعقل ما يخرج من رأسك! تؤذي جليسنا تزكيه في وجهه؟ ٨ / ١٧٨ - ١٧٩

قال أبو هاشم الرفاعي: قال أبو بكر بن عياش للحسن بن الحسن بالمدينة: ما أبقت الفتنة منك؟! فقال: وأي فتنة رأيتني فيها؟، قال: رأيتهم يقبلون يدك ولا تمنعهم. ٨ / ٥٠٠

وعنه - أي: عن عبد الرحمن بن مهدي - قال: كنت أجلس يوم الجمعة، فإذا كثر الناس فرحت، وإذا قلوا حزنت، فسألت بشر بن منصور، فقال: هذا مجلس سوء، فلا تعد إليه. فما عدت إليه. ٩ / ١٩٦

(١١٣) محاسبة النفس

وروي عن وكيع أن رجلاً أغلظ له، فدخل بيتا، فعفر وجهه ثم خرج إلى الرجل، فقال: زد وكيعاً بذنبه، فلولاه ما سلطت عليه. ٩ / ١٥٥

وخطب - أي: منذر بن سعيد البلوطي - يوما فأعجبته نفسه، فقال: حتى متى أعظ ولا أتعظ، وأزجر ولا أزدجر، أدل على الطريق المستدلين، وأبقى مقيماً مع الحائرين، كلا إن هذا لهو البلاء المبين. اللهم فرغبني لما خلقتني له، ولا تشغلني بما تكفلت لي به. ١٦ / ١٧٧

قال زهير بن عباد الرؤاسي، عن أبي كبير البصري، قالت أم محمد بن كعب القرظي له: يا بني! لولا أني أعرفك طيباً صغيراً وكبيراً لقلت: إنك أذنبت ذنبا موبقاً لما أراك تصنع بنفسك، قال: يا أماه! وما يؤمنني أن يكون الله قد اطلع علي، وأنا في بعض ذنوبي فمقتني، وقال: اذهب لا أغفر لك، مع أن عجائب القرآن ترد بي على أمور حتى إنه لينقضي الليل ولم أفرغ من حاجتي. ٥ / ٦٥

وعنه - أي: عن حاتم الأصم -: تعاهد نفسك في ثلاث: إذا عملت، فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت، فاذكر سمع الله منك، وإذا سكتَّ، فاذكر علم الله فيك. ١١ / ٤٨٥

وله - أي: للحافظ ابن عساكر -:

أيَا نَفْسُ وَيْحَكِ جَاءَ المَشِيبُ ... فماذا التَّصَابي وماذا الغَزَلْ

تَولَّى شَبابي كأنْ لمْ يَكُنْ ... وجاءَ مَشِيبي كأنْ لمْ يَزَلْ

كــأنِّي بنفسـي علــى غِــرَّةٍ وخَــطْبُ المَنُــونِ بهــا قَــدْ نَــزَلْ
فيــا ليْــتَ شِـعَرِي مِمَّــن أكُــونُ ومــا قَــدَّرَ اللّــهُ لــي فِــي الأزَلْ

٢٠ / ٥٦٩ — ٥٧٠

ومن نظم ابن المفضل - أي: علي المقدسي المالكي -:

أيـا نفسُ بالمـأثور مـن خير مُرسـلٍ وأصحــابِهِ والتابعـــينَ تمسـكي
عـساكِ إذا بالغـتِ في نـشر دينــه بما طاب مـن نـشرٍ لـه أن تمسكي
وخـافي غـداً يـوم الحـساب جهنـما إذا نفحـــت نيرانهـا أن تمـسَّكِ

٢٢ / ٦٩

(١١٤) قيام الليل عند السلف!

عن داود بن الحصين، سمع عبد الرحمن بن هرمز الأعرج يقول: ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان، وكان القارئ يقرأ سورة البقرة في ثماني ركعات، فإذا قام بها في ثنتي عشرة ركعة، رأى الناس أنه قد خفف. ٥ / ٧٠

(١١٥) التوبة

روى أبو المليح، عن ميمون - أي: ابن مهران -: من أساء سراً، فليتب سراً، ومن أساء علانية، فليتب علانية، فإن الناس يُعيِّرون ولا يغفرون، والله يغفر ولا يُعيِّر. ٥ / ٧٥

(١١٦) ثلاث مهلكات

معمر بن سليمان، عن فرات بن السائب، عن ميمون بن مهران قال: ثلاث لا تبلُوَنَّ نفسك بهن: لا تدخل على السلطان، وإن قلت: آمره بطاعة الله، ولا تصغين بسمعك إلى هوى، فإنك لا تدري ما يعلق بقلبك منه، ولا تدخل على امرأة، ولو قلت: أعلمها كتاب الله. ٥ / ٧٧

عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا إبراهيم بن الحسن الباهلي، حدثنا حماد بن زيد قال: قال يونس بن عبيد: ثلاثة احفظوهن عني: لا يدخل أحدكم على سلطان يقرأ عليه القرآن، ولا يخلون أحدكم مع امرأة يقرأ عليها القرآن، ولا يمكن أحدكم سمعه من أصحاب الأهواء. ٦ / ٢٩٣

عن سهل - أي: ابن عبدالله التُستَّري -: من تكلم فيما لا يعنيه حرم الصدق، ومن اشتغل بالفضول حرم الورع، ومن ظن ظن السوء حرم اليقين، ومن حرم هذه الثلاثة هلك. ١٣ / ٣٣٢

(١١٧) قصص مشهورة غير صحيحة

حامد بن يحيى البلخي: حدثنا حفص أبو مقاتل السمرقندي، حدثنا عون بن أبي شداد: بلغني أن الحجاج لما ذكر له سعيد بن جبير أرسل إليه قائداً يسمى المتلمس بن أحوص في عشرين من أهل الشام. فبينما هم يطلبونه إذا هم براهب في صومعته، فسألوه عنه فقال: صفوه لي، فوصفوه فدلهم عليه، فانطلقوا فوجدوه ساجداً يناجي بأعلى صوته، فدنوا وسلموا، فرفع رأسه، فأتمَّ بقية صلاته، ثم رد السلام، فقالوا: إنا رُسل الحجاج إليك،

فأجبه، قال: ولا بد من الإجابة؟ قالوا: لا بد. فحمد الله وأثنى عليه وقام معهم حتى انتهى إلى دير الراهب، فقال الراهب: يا معشر الفرسان أصبتم صاحبكم؟ قالوا: نعم. فقال: اصعدوا، فإن اللبؤة والأسد يأويان حول الدير. ففعلوا وأبى سعيد أن يدخل. فقالوا: ما نراك إلا وأنت تريد الهرب منا، قال: لا، ولكن لا أدخل منزل مشرك أبدا، قالوا: فإنا لا ندعك، فإن السباع تقتلك، قال: لا ضير، إن معي ربي يصرفها عني ويجعلها حرسا تحرسني، قالوا: فأنت من الأنبياء؟ قال: ما أنا من الأنبياء، ولكن عبد من عبيد الله مذنب. قال الراهب: فليعطني ما أثق به على طمأنينة. فعرضوا على سعيد أن يعطي الراهب ما يريد، قال: إني أعطي العظيم الذي لا شريك له، لا أبرح مكاني حتى أصبح إن شاء الله. فرضي الراهب بذلك، فقال لهم: اصعدوا وأوتروا القسي لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح؛ فإنه كره الدخول في الصومعة لمكانكم. فلما صعدوا وأوتروا القسي، إذا هم بلبؤة قد أقبلت، فلما دنت من سعيد، تحككت به وتمسحت به، ثم ربضت قريبا منه. وأقبل الأسد يصنع كذلك. فلما رأى الراهب ذلك وأصبحوا، نزل إليه، فسأله عن شرائع دينه، وسنن رسوله، ففسر له سعيد ذلك كله، فأسلم. وأقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه ويقبلون يديه ورجليه، ويأخذون التراب الذي وطئه فيقولون: يا سعيد، حلّفنا الحجاج بالطلاق والعتاق، إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نشخصك إليه، فمرنا بما شئت، قال: امضوا لأمركم، فإني لائذ بخالقي ولا رادّ لقضائه، فساروا حتى بلغوا واسطاً فقال سعيد: قد تحرَّمت بكم وصحبتكم، ولست أشك أن أجلي قد حضر فدعوني الليلة آخذ أهبة الموت، وأستعد لمنكر ونكير، وأذكر عذاب

القبر، فإذا أصبحتم فالميعاد بيننا المكان الذي تريدون. فقال بعضهم: لا تريدون أثراً بعد عين، وقال بعضهم: قد بلغتم أمنكم، واستوجبتم جوائز الأمير، فلا تعجزوا عنه. وقال بعضهم: يعطيكم ما أعطى الراهب، ويلكم أما لكم عبرة بالأسد؟!. ونظروا إلى سعيد قد دمعت عيناه، وشعث رأسه، واغبر لونه، ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ يوم لقوه وصحبوه، فقالوا: يا خير أهل الأرض، ليتنا لم نعرفك، ولم نسرح إليك، الويل لنا ويلاً طويلا، كيف ابتلينا بك! اعذرنا عند خالقنا يوم الحشر الأكبر، فإنه القاضي الأكبر، والعدل الذي لا يجور. قال: ما أعذرني لكم وأرضاني لما سبق من علم الله ﷻ. فلما فرغوا من البكاء والمجاوبة، قال كفيله: أسألك بالله لما زودتنا من دعائك وكلامك، فإنا لن نلقى مثلك أبدا. ففعل ذلك، فخلوا سبيله، فغسل رأسه ومدرعته وكساءه وهم محتفون الليل كله، ينادون بالويل واللهف. فلما انشق عمود الصبح، جاءهم سعيد فقرع الباب، فنزلوا وبكوا معه، وذهبوا به إلى الحجاج، وآخر معه، فدخلا، فقال الحجاج: أتيتموني بسعيد بن جبير؟ قالوا: نعم، وعاينا منه العجب. فصرف بوجهه عنهم. فقال: أدخلوه عليَّ. فخرج المتلمس فقال لسعيد: أستودعك الله، وأقرأ عليك السلام. فأُدخل عليه. فقال: ما اسمك؟ قال: سعيد بن جبير، قال: أنت شقي بن كسير. قال: بل أمي كانت أعلم باسمي منك. قال: شقيت أنت وشقيت أمك. قال: الغيب يعلمه غيرك. قال: لأبدلنك بالدنيا نارا تلظى. قال: لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها. قال: فما قولك في محمد صلى الله عليه وسلم؟ قال: نبي الرحمة، إمام الهدى. قال: فما قولك في علي، في الجنة هو أم في النار؟ قال: لو دخلتها، فرأيت أهلها عرفت. قال:

فما قولك في الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: فأيهم أعجب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي. قال: فأيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عنده. قال: أبيت أن تصدقني. قال: إني لم أحب أن أكذبك. قال: فما بالك لم تضحك؟ قال: لم تستوِ القلوب. قال: ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والياقوت والزبرجد فجمعه بين يدي سعيد، فقال: إن كنت جمعته لتفتدي به من فزع يوم القيامة فصالح، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت، ولا خير في شيء جمع للدنيا، إلا ما طاب وزكا. ثم دعا الحجاج بالعود والناي، فلما ضرب بالعود ونفخ في الناي بكى، فقال الحجاج: ما يبكيك؟ هو اللهو؟ قال: بل هو الحزن، أما النفخ، فذكرني يوم نفخ الصور، وأما العود، فشجرة قطعت من غير حق، وأما الأوتار فأمعاء شاة يبعث بها معك يوم القيامة. فقال الحجاج: ويلك يا سعيد. قال: الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار. قال: اختر أي قتلة تريد أن أقتلك، قال: اختر لنفسك يا حجاج، فوالله ما تقتلني قتلة إلا قتلتك قتلة في الآخرة. قال: فتريد أن أعفو عنك؟ قال: إن كان العفو، فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر. قال: اذهبوا به فاقتلوه. فلما خرج من الباب، ضحك، فأخبر الحجاج بذلك، فأمر برده، فقال: ما أضحكك؟ قال: عجبت من جرأتك على الله وحلمه عنك! فأمر بالنطع فبسط، فقال: اقتلوه. فقال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩] قال: شدوا به لغير القبلة. قال: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥] قال: كبوه لوجهه. قال: ﴿مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ [طه: ٥٥] قال: اذبحوه. قال: إني أشهد وأحاج أن لا إله إلا الله وحده

لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، خذها مني حتى تلقاني يوم القيامة. ثم دعا سعيد الله وقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي. فذبح على النطع. وبلغنا أن الحجاج عاش بعده خمس عشرة ليلة، وقعت في بطنه الأكلة فدعا بالطبيب لينظر إليه، فنظر إليه، ثم دعا بلحم منتن، فعلقه في خيط ثم أرسله في حلقه، فتركه ساعة ثم استخرجه وقد لزق به من الدم، فعلم أنه ليس بناجٍ. هذه حكاية منكرة، غير صحيحة. رواها أبو نعيم في "الحلية". ٤ / ٣٢٨ - ٣٣٢

الوليد الموقري، عن الزهري: قال لي عبد الملك بن مروان: من أين قدمت؟ قلت: من مكة، قال: فمن خلفت يسودها؟ قلت: عطاء، قال: أمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فيم سادهم؟ قلت: بالديانة والرواية، قال: إن أهل الديانة والرواية ينبغي أن يسودوا، فمن يسود أهل اليمن؟ قلت: طاوس، قال: فمن العرب أو الموالي؟ قلت: من الموالي، قال: فمن يسود أهل الشام؟ قلت: مكحول، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من الموالي، عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل، قال: فمن يسود أهل الجزيرة؟ قلت: ميمون بن مهران، وهو من الموالي، قال: فمن يسود أهل خراسان؟ قلت: الضحاك بن مزاحم من الموالي، قال: فمن يسود أهل البصرة؟ قلت: الحسن من الموالي، قال: فمن يسود أهل الكوفة؟ قلت: إبراهيم النخعي، قال: فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من العرب. قال: ويلك، فرجت عني، والله ليسودن الموالي على العرب في هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر، والعرب تحتها. قلت: يا أمير المؤمنين: إنما هو دين، من حفظه، ساد، ومن ضيعه سقط.

الحكاية منكرة، والوليد بن محمد واه فلعلها تمت للزهري مع أحد أولاد عبد الملك، وأيضا ففيها: من يسود أهل مصر؟ قلت: يزيد بن أبي حبيب، وهو من الموالي. فيزيد كان ذاك الوقت شابا لا يعرف بعد. والضحاك، فلا يدري الزهري من هو في العالم، وكذا مكحول يصغر عن ذاك. ٥/ ٨٥ - ٨٦

ونقل بعض العلماء من كتاب لحفيد بقي - أي: ابن مخلد - عبد الرحمن بن أحمد: سمعت أبي يقول: رحل أبي من مكة إلى بغداد، وكان رجلا بغيته ملاقاة أحمد بن حنبل. قال: فلما قربت بلغتني المحنة، وأنه ممنوع، فاغتممت غماً شديداً، فاحتللت بغداد، واكتريت بيتا في فندق، ثم أتيت الجامع وأنا أريد أن أجلس إلى الناس، فدُفِعت إلى حلقة نبيلة، فإذا برجل يتكلم في الرجال، فقيل لي: هذا يحيى بن معين. ففُرِجت لي فرجة، فقمت إليه، فقلت: يا أبا زكريا: -رحمك الله- رجل غريب ناء عن وطنه، يحب السؤال، فلا تستجفني، فقال: قل. فسألت عن بعض من لقيته، فبعضاً زكى، وبعضاً جرح، فسألته عن هشام بن عمار، فقال لي: أبو الوليد، صاحب صلاة دمشق، ثقة، وفوق الثقة، لو كان تحت ردائه كِبْر، أو متقلدا كِبْرَاً، ما ضره شيئاً لخيره وفضله، فصاح أصحاب الحلقة: يكفيك -رحمك الله- غيرك له سؤال. فقلت -وأنا واقف على قدم -: اكشف عن رجل واحد: أحمد بن حنبل، فنظر إلي كالمتعجب، فقال لي: ومثلنا، نحن نكشف عن أحمد؟! ذاك إمام المسلمين، وخيرهم وفاضلهم. فخرجت أستدل على منزل أحمد بن حنبل، فدللت عليه، فقرعت بابه، فخرج إلي. فقلت: يا أبا عبد الله: رجل غريب، نائي الدار، هذا أول دخولي هذا البلد، وأنا طالب حديث ومقيد سُنَّة، ولم تكن رحلتي إلا إليك، فقال: ادخل الأصطوان ولا

يقع عليك عين. فدخلت، فقال لي: وأين موضعك؟ قلت: المغرب الأقصى. فقال: إفريقية؟ قلت: أبعد من إفريقية، أجوز من بلدي البحر إلى إفريقية، بلدي الأندلس، قال: إن موضعك لبعيد، وما كان شيء أحب إلي من أن أحسن عون مثلك، غير أني ممتحن بما لعله قد بلغك. فقلت: بلى، قد بلغني، وهذا أول دخولي، وأنا مجهول العين عندكم، فإن أذنت لي أن آتي كل يوم في زي السؤال، فأقول عند الباب ما يقوله السؤال، فتخرج إلى هذا الموضع، فلو لم تحدثني كل يوم إلا بحديث واحد، لكان لي فيه كفاية. فقال لي: نعم، على شرط أن لا تظهر في الخلق، ولا عند المحدثين. فقلت: لك شرطك، فكنت آخذ عصا بيدي، وألف رأسي بخرقة مدنسة، وآتي بابه فأصيح: الأجر -رحمك الله- والسؤال هناك كذلك، فيخرج إلي، ويغلق، ويحدثني بالحديثين والثلاثة والأكثر، فالتزمت ذلك حتى مات الممتحِنُ له، وولي بعده من كان على مذهب السنة، فظهر أحمد، وعلت إمامته، وكانت تضرب إليه آباط الإبل، فكان يعرف لي حق صبري، فكنت إذا أتيت حلقته فسح لي، ويقص على أصحاب الحديث قصتي معه، فكان يناولني الحديث مناولة، ويقرؤه علي وأقرؤه عليه، واعتللت في خلق معه. ذكر الحكاية بطولها.

نقلها القاسم بن بشكوال في بعض تآليفه، ونقلتها أنا من خط شيخنا أبي الوليد بن الحاج، وهي منكرة، وما وصل ابن مخلد إلى الإمام أحمد إلا بعد الثلاثين ومائتين، وكان قد قطع الحديث من أثناء سنة ثمان وعشرين، وما روى بعد ذلك ولا حديثا واحدا، إلى أن مات. ولما زالت المحنة سنة اثنتين وثلاثين، وهلك الواثق، واستخلف المتوكل، وأمر المحدثين بنشر أحاديث

الرؤية وغيرها، امتنع الإمام أحمد من التحديث، وصمم على ذلك، ما عمل شيئا غير أنه كان يذاكر بالعلم والأثر، وأسماء الرجال والفقه، ثم لو كان بقي سمع منه ثلاث مائة حديث، لكان طرز بها "مسنده"، وافتخر بالرواية عنه. فعندي مجلدان من "مسنده"، وما فيهما عن أحمد كلمة.

ثم بعدها حكاية أنكر منها، فقال: نقلت من خط حفيده عبد الرحمن بن أحمد بن بقي، حدثني أبي، أخبرتني أمي أنها رأت أبي مع رجل طوال جدا، فسألته عنه، فقال: أرجو أن تكوني امرأة صالحة، ذاك الخضر -عليه السلام. **١٣ / ٢٩٢ - ٢٩٥**

(١١٨) حسن الخاتمة

قال مصعب: سمع عامر - أي: ابن عبدالله بن الزبير - المؤذن وهو يجود بنفسه، فقال: خذوا بيدي فقيل: إنك عليل، قال: أسمع داعي الله، فلا أجيبه؟!، فأخذوا بيده، فدخل مع الإمام في المغرب، فركع ركعة، ثم مات. قال يونس بن محمد المؤدب: مات حماد بن سلمة في الصلاة في المسجد. **٧ / ٤٤٨**

قال أبو بكر بن زياد: حَضَرْتُ إبراهيم بن هانئ - أي: النيسابوري - عند وفاته، فقال: أنا عطشان، فجاءه ابنه بماء، فقال: أغابت الشمس؟ قال: لا. فَرَدَّه، وقال: (لمثل هذا فليعمل العاملون)، ثم مات. **١٣ / ١٨**

توفي - أي: أبو بكر ابن الإسماعيلي - في نصف ربيع الآخر ليلة جمعة، سنة ست وتسعين وثلاث مئة، فتوفي إكراماً من الله له في صلاة

المغرب وهو يقرأ: (إياك نعبد وإياك نستعين) ففاضت نفسه رحمه الله. **١٧/ ٨٨**

كان - أي: أبو حكيم عبدالله بن إبراهيم الخَبْريُّ - ينسخ في مصحف، فوضع القلم، وقال: إن هذا لموتٌ مهنأٌ طيب. ثم مات. **١٨/ ٥٥٩**

وقال يوسف بن أحمد الشيرازي في "أربعين البلدان" له: لما رحلت إلى شيخنا - أي: عبدالأول بن عيسى السِّجزي الهروي - رحلة الدنيا ومسند العصر أبي الوقت - أبو الوقت: كنية شيخه -، قدَّر الله لي الوصول إليه في آخر بلاد كرمان، فسلمت عليه، وقبلته، وجلست بين يديه، فقال لي: ما أقدمك هذه البلاد؟ قلت: كان قصدي إليك، ومعولي بعد الله عليك، وقد كتبت ما وقع إلي من حديثك بقلمي، وسعيت إليك بقدمي، لأدرك بركة أنفاسك، وأحظى بعلو إسنادك. فقال: وفقك الله وإيانا لمرضاته، وجعل سعينا له، وقصدنا إليه، لو كنت عرفتني حق معرفتي، لما سلمت علي، ولا جلست بين يدي، ثم بكى بكاء طويلا، وأبكى من حضره، ثم قال: اللهم استرنا بسترك الجميل، واجعل تحت الستر ما ترضى به عنا. يا ولدي، تعلم أني رحلت أيضا لسماع "الصحيح" ماشيا مع والدي من هراة إلى الداودي ببوشنج ولي دون عشر سنين. فكان والدي يضع على يدي حجرين، ويقول: احملهما. فكنت من خوفه أحفظهما بيدي، وأمشي وهو يتأملني، فإذا رآني قد عييت أمرني أن ألقي حجراً واحداً، فألقي، ويخف عني، فأمشي إلى أن يتبين له تعبي، فيقول لي: هل عييت؟ فأخافه، وأقول: لا. فيقول: لم تقصر في المشي؟ فأسرع بين يديه ساعة، ثم أعجز، فيأخذ الآخر، فيلقيه، فأمشي حتى أعطب، فحينئذ كان يأخذني ويحملني. وكنا نلتقي جماعة الفلاحين

وغيرهم، فيقولون: يا شيخ عيسى، ادفع إلينا هذا الطفل نُركبه وإياك إلى بوشنج. فيقول: معاذ الله أن نركب في طلب أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، بل نمشي، وإذا عجز أركبته على رأسي إجلالا لحديث رسول الله ورجاء ثوابه. فكان ثمرة ذلك من حسن نيته أني انتفعت بسماع هذا الكتاب وغيره، ولم يبق من أقراني أحد سواي، حتى صارت الوفود ترحل إلي من الأمصار. ثم أشار إلى صاحبنا عبد الباقي بن عبد الجبار الهروي أن يقدم لي حلواء، فقلت: يا سيدي، قراءتي لجزء أبي الجهم أحب إلي من أكل الحلواء. فتبسم، وقال: إذا دخل الطعام خرج الكلام. وقدم لنا صحنا فيه حلواء الفانيذ، فأكلنا، وأخرجت الجزء، وسألته إحضار الأصل، فأحضره، وقال: لا تخف ولا تحرص، فإني قد قبرت ممن سمع عليَّ خلقا كثيرا، فسل الله السلامة. فقرأتُ الجزء، وسررت به، ويسر الله سماع "الصحيح" وغيره مراراً، ولم أزل في صحبته وخدمته إلى أن توفي ببغداد في ليلة الثلاثاء من ذي الحجة. قلت: وبيض لليوم وهو سادس الشهر- قال: ودفناه بالشونيزية. قال لي: تدفنني تحت أقدام مشايخنا بالشونيزية. ولما احتضر سندتُه إلى صدري، وكان مستهتراً بالذكر، فدخل عليه محمد بن القاسم الصوفي، وأكب عليه، وقال: يا سيدي، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (مَنْ كانَ آخِرُ كلامِهِ لا إله إلا الله دخَلَ الجنَّة) فرفع طرفه إليه، وتلا: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾[يس: ٢٦، ٢٧] فدهش إليه هو ومن حضر من الأصحاب، ولم يزل يقرأ حتى ختم السورة، وقال: الله الله الله، وتوفي وهو جالس على السجادة.

<< مستهتراً - أي: مولعاً >>. **٢٠ / ٣٠٧ - ٣٠٩**

(١١٩) أقرب الناس إلى الرياء

وروى الأوزاعي عنه - أي: عن عبدة بن أبي لبابة - قال: أقرب الناس إلى الرياء آمنهم منه. ٥ / ٢٣٠

(١٢٠) رجلٌ قلبه معلق بالمساجد

زياد بن أيوب: حدثنا أبو بكر، قال: كان عاصم - أي: ابن أبي النجود - إذا صلى ينتصب كأنه عود، وكان يكون يوم الجمعة في المسجد إلى العصر، وكان عابداً خيِّراً يصلي أبداً، ربما أتى حاجة، فإذا رأى مسجداً قال: مِلْ بنا، فإن حاجتنا لا تفوت، ثم يدخل، فيصلي. ٥ / ٢٥٩

(١٢١) الإشاعة سبب لفوات الخير

وقال عفان: قال لنا قيس بن الربيع: قدم علينا قتادة أي: ابن دعامة السدوسي - الكوفة، فأردنا أن نأتيه فقيل لنا: إنه يبغض علياً -رضي الله عنه- فلم نأته، ثم قيل لنا بعد: إنه أبعد الناس من هذا، فأخذنا عن رجل عنه. ٥ / ٢٧٢

(١٢٢) مجاهدة النفس لبذل العلم

قال المصنف رحمه الله في ترجمة " أبي جعفر القارئ " - وهو أحد الأئمة العشرة في حروف القراءات -:

" وقال نافع القارئ: كان أبو جعفر، يقوم الليل، فإذا أقرأ ينعس، فيقول لهم: ضعوا الحصى بين أصابعي وضموها، فكانوا يفعلون ذلك، والنوم يغلبه. فقال: إذا نمت، فمدوا خصلة من لحيتي. قال: فيمر به مولاه، فيرى ما يفعلون به، فيقول: أيها الشيخ: ذهبت بك الغفلة. فيقول أبو جعفر: هذا في خُلُقه شئ، دوروا بنا وراء القبر". **٥ / ٢٨٧ - ٢٨٨**

(١٢٣) من طرق تربية الأبناء على العبادة

قال يونس بن محمد المؤدب: أخبرني زياد، قال: كان زبيد - أي: ابن الحارث - مؤذن مسجده، فكان يقول للصبيان: تعالوا فصلوا، أهب لكم جوزاً، فكانوا يصلون ثم يحيطون به، فقلت له في ذلك، فقال: وما علي أن أشتري لهم جوزاً بخمسة دراهم، ويتعودون الصلاة. **٥ / ٢٩٧**

(١٢٤) القيام على شؤون المحتاجين

وبلغنا عن زبيد - أي: ابن الحارث - أنه كان إذا كانت ليلة مطيرة طاف على عجائز الحي، ويقول: ألكم في السوق حاجة؟. **٥ / ٢٩٧**

(١٢٥) العلم شرف لصاحبه

قال أحمد بن حنبل: كان شعبة لا يقدم على عمرو بن دينار أحداً، لا الحكم ولا غيره في التثبت، قال: وكان عمرو مولى هؤلاء، ولكن الله شرفه بالعلم. **٥ / ٣٠٢ - ٣٠٣**

وقال نعيم بن حماد: حدثنا ابن عيينة قال: لو رأيت الأعمش وعليه فرو غليظ وخفان، أظنه قال: غليظان، كأنه إنسان سائل. فقال يوماً: لولا القرآن، وهذا العلم عندي، لكنت من بقالي الكوفة!. ٦ / ٢٢٩

قال محمد بن عبد الله الأنصاري: رأيت سليمان وعبد الله ابني علي بن عبد الله بن عباس، وابني سليمان يحملون سرير يونس بن عبيد على أعناقهم. فقال عبد الله بن علي: هذا والله الشرف!. ٦ / ٢٩٥

أشعث بن شعبة المصيصي، قال: قدم الرشيد الرَّقة، فانجفل الناس خلف ابن المبارك، وتقطعت النعال، وارتفعت الغبرة. فأشرفت أم ولد لأمير المؤمنين من برج من قصر الخشب، فقالت: ما هذا؟، قالوا: عالم من أهل خراسان، قَدِم. قالت: هذا والله الملك، لا ملك هارون الذي لا يجمع الناس إلا بشُرَطٍ وأعوان. ٨ / ٣٨٤

أبو همام: حدثنا المبارك بن سعيد، قال: رأيت عاصم بن أبي النجود يجيء إلى سفيان الثوري يستفتيه، ويقول: يا سفيان! أتيتنا صغيراً، وأتيناك كبيراً. ٧ / ٢٤٩

(١٢٦) أجوبة مفحمة

قال عبد الرزاق: أنبأنا أبي وغيره، أن همام بن منبه قعد إلى ابن الزبير، وكان رجل بنجران من الأبناء يعظمونه يقال له: " حنش " لم يكن له لحية، فقال له رجل من قريش: من أنت؟ قال: من أهل اليمن، قال: ما فعلت عجوزكم - يريد حنشاً -، قال همام: عجوزنا أسلمت مع

سليمان لله رب العالمين، وعجوزكم حمالة الحطب، فبهت القرشي. فقال له ابن الزبير: أما تدري من كلمت؟ لم تعرضت بابن منبه؟. رواها إسحاق الكوسج عنه. **٥ / ٣١٣**

وروى أبو حازم القاضي، عن أبيه، قال: ولي يحيى بن أكثم قضاء البصرة وله عشرون سنة، فاستصغروه. وقيل: كم سن القاضي؟. قال: أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي ولاه رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على مكة، وأكبر من معاذ حين وجه به رسول الله قاضيا على اليمن، وأكبر من كعب بن سور الذي وجه به عمر قاضيا على البصرة. **١٢ / ٧-٨**

قيل: إن القاسم بن عبيد الله الوزير كان يخاف من هجو ابن الرومي، فدسّ عليه من أطعمه خشكناكة مسمومة، فأحس بالسم، فوثب، فقال الوزير: إلى أين؟ قال: إلى موضع بعثتني إليه. قال: سلّم على أبي. قال: ما طريقي على النار. فبقي أياما، ومات.

< جاء في الحاشية رقم (٢): والخشكنان: خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة، وتملأ بالسكر واللوز، أو الفستق، وتغلى >. **١٣ / ٤٩٦**

وقيل: إن الذي اقتلعه - أي: القرمطي الذي اقتلع الحجر الأسود - صاح: يا حمير: أنتم قلتم: (ومن دخله كان آمناً) فأين الأمن؟ قال رجل: فاستسلمت، وقلت: إن الله أراد: ومن دخله فأمِّنوه، فلوى فرسه وما كلَّمني. **١٥ / ٣٢١-٣٢٢**

ومنها: أنه - أي: القاضي أبو بكر الباقلاني - قال لراهبهم - أي: راهب الروم -: كيف الأهل والأولاد؟ فقال الملك - أي: ملك الروم -: مه!

أما علمت أن الراهب يتنزه عن هذا؟ فقال: تتزهونه عن هذا، ولا تنزهون رب العالمين عن الصاحبة والولد؟! **١٧ / ١٩١ – ١٩٢**

أبو جعفر الحافظ، سمعت أبا المعالي وسئل عن قوله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] فقال: كان الله ولا عرش. وجعل يتخبط، فقلت: هل عندك للضرورات من حيلة؟ فقال: ما معنى هذه الإشارة؟ قلت: ما قال عارف قط: يا رباه! إلا قبل أن يتحرك لسانه، قام من باطنه قصد لا يلتفت يمنة ولا يسرة -يقصد الفوق- فهل لهذا القصد الضروري عندك من حيلة؛ فتنبئنا نتخلص من الفوق والتحت؟ وبكيت وبكى الخلق، فضرب بكمه على السرير، وصاح بالحيرة، ومزّق ما كان عليه، وصارت قيامةٌ في المسجد، ونزل يقول: ياحبيبي! الحيرة الحيرة، والدهشة الدهشة. **١٨ / ٤٧٧**

وقال المصنف في موضع آخر أثناء روايته للقصة السابقة:

... فقال أبو جعفر: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها، ما قال عارف قط: يا ألله! إلا وجد من قلبه ضرورة تطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع هذه الضرورة عن أنفسنا، أو قال: فهل عندك دواء لدفع هذه الضرورة التي نجدها؟ فقال: يا حبيبي! ما ثَمَّ إلا الحَيرة. ولطم على رأسه، ونزل، وبقي وقت عجيب، وقال فيما بعد: حيرني الهمذاني. **١٨ / ٤٧٤ - ٤٧٥**

(١٢٧) أهمية العمل بالعلم

القاسم بن هزان، سمع الزهري يقول: لا يرضي الناس قول عالم لا يعمل، ولا عمل عامل لا يعلم. ٥ / ٣٤١

وعن وكيع قال: قالت أم سفيان لسفيان - أي: الثوري -: اذهب، فاطلب العلم حتى أعولك بمغزلي، فإذا كتبت عدة عشرة أحاديث، فانظر هل تجد في نفسك زيادة، فاتبعه، وإلا فلا تتعنَّ. ٧ / ٢٦٩

حَرِيز بن عثمان، سمعت حبيب بن عبيد الرحبي يقول: تعلموا العلم واعقلوه، وتفقهوا به، ولا تعلموه لتجملوا به، فإنه يوشك إن طال بكم عمر أن يتجمل بالعلم، كما يتجمل ذو البز ببزه. ١٣ / ٢٤١

(١٢٨) بركة المؤمن

عن ابن المنكدر - أي: محمد - قال: إن الله يحفظ العبد المؤمن في ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته ودويراتٍ حوله، فما يزالون في حفظ أو في عافية ما كان بين ظهرانيهم. ٥ / ٣٥٥

(١٢٩) الطريق شاق..

وعن ابن المنكدر قال: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت. ٥ / ٣٥٥

(١٣٠) عبدٌ يقسم على الله سبحانه!

ابن زيد، قال: قال ابن المنكدر: إني لليلة مواجهٌ هذا المنبر في جوف الليل أدعو، إذا إنسان عند أسطوانة مقنع رأسه، فأسمعه يقول: أي رب إن القحط قد اشتد على عبادك، وإني مقسم عليك يا رب إلا سقيتهم، قال: فما كان إلا ساعة إذا سحابة قد أقبلت، ثم أرسلها الله، وكان عزيزاً على ابن المنكدر أن يخفى عليه أحد من أهل الخير، فقال: هذا بالمدينة ولا أعرفه!! فلما سلم الإمام، تقنع وانصرف، وأتبعه، ولم يجلس للقاص حتى أتى دار أنس، فدخل موضعا، ففتح ودخل. قال: ورجعت، فلما سبَّحت، أتيته، فقلت: أدخل؟ قال: ادخل، فإذا هو ينجز أقداحا، فقلت: كيف أصبحت؟ أصلحك الله، قال: فاستشهرها وأعظمها مني، فلما رأيت ذلك، قلت: إني سمعت إقسامك البارحة على الله، يا أخي هل لك في نفقة تغنيك عن هذا، وتفرغك لما تريد من الآخرة؟ قال: لا ولكن غير ذلك، لا تذكرني لأحد، ولا تذكر هذا لأحد حتى أموت، ولا تأتني يا ابن المنكدر، فإنك إن تأتني شهرتني للناس، فقلت: إني أحب أن ألقاك، قال: القني في المسجد، قال: وكان فارسياً، فما ذكر ذلك ابن المنكدر لأحد حتى مات الرجل. قال ابن وهب: بلغني أنه انتقل من تلك الدار، فلم ير، ولم يدر أين ذهب. فقال أهل تلك الدار: الله بيننا وبين ابن المنكدر، أخرج عنا الرجل الصالح. ٥/ ٣٥٦ - ٣٥٧

(١٣١) لا تغتر بمدح الناس وثنائهم

وقال - أي: مالك بن دينار -: مذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم، ولم أكره ذمهم، لأن حامدهم مُفرِط، وذامهم مُفرِط، إذا تعلم العالم العلم للعمل كسره، وإذا تعلمه لغير العمل زاده فخراً. ٥/ ٣٦٢

أبو قدامة السرخسي: سمعت أحمد بن حنبل يقول: كان سفيان الثوري إذا قيل له: إنه رؤي في المنام، يقول: أنا أعرف بنفسي من أصحاب المنامات. ٧ / ٢٥٢

(١٣٢) زلة المحسن لا تقتضي هجر حسنه

سلمة بن شبيب: قلت لأحمد بن حنبل: طلبت عفان - أي: ابن مسلم الأنصاري - في منزله، قالوا: خرج، فخرجت أسأل عنه، فقيل: توجه هكذا، فجعلت أمضي أسأل عنه، حتى انتهيت إلى مقبرة وإذا هو جالس يقرأ على قبر بنت أخي ذي الرياستين، فبزقت عليه، وقلت: سَوْءَةٌ لك. قال: يا هذا، الخبزَ الخبزَ! قلت: لا أشبع الله بطنك. قال: فقال لي أحمد: لا تذكرن هذا فإنه قد قام في المحنة مقاماً محموداً عليه، ونحو هذا من الكلام. ١٠ / ٢٥١

((وانظر كلاماً للمصنف يخدم ذات الموضوع تحت عنوان: " كلام الأقران يطوى "))

(١٣٣) من كريم الأخلاق

روى العتبي عن رجل، قال: خطب خالد بن عبدالله - أي: القسري - بواسط، فقال: إن أكرم الناس من أعطى من لا يرجوه، وأعظم الناس عفواً من عفا عن قدرة، وأوصل الناس من وصل عن قطيعة. ٥ / ٤٢٦

(١٣٤) من صفات القادة: الثبات على مبادئهم

ابن أبي خيثمة: حدثنا محمد بن يزيد الرفاعي، سمعت أبا بكر بن عياش يقول: رأيت خالدا القسري حين أتى بالمغيرة بن سعيد وأصحابه، وكان - أي: المغيرة - يريهم أنه يحيي الموتى، فقتل خالد واحداً منهم، ثم قال للمغيرة: أحيه. فقال: والله ما أحيي الموتى، قال: لتحيينه أو لأضربن عنقك، ثم أمر بطنٍ من قصب فأضرموه، وقال: اعتنقه، فأبى، فعدا رجل من أتباعه فاعتنقه، قال أبو بكر: فرأيت النار تأكله وهو يشير بالسبابة، فقال خالد: هذا والله أحق بالرئاسة منك، ثم قتله وقتل أصحابه. ٥ / ٤٢٦

(١٣٥) من طرق إجادة الخط!

ويروى عن مهزم بن خالد قال: قال لي عبدالحميد - أي: الكاتب - : إذا أردت أن يجود خطك، فأطل جُلْفَة قلمك، وأسمنها، وحرك قطتك، وأيمنها. ٥ / ٤٦٣

(١٣٦) الثبات على خلق الصدق

وروى الزبير بن بكار عن عثمان بن عبد الرحمن قال: قال المنصور لهشام بن عروة: يا أبا المنذر، تذكر يوم دخلت عليك أنا وإخوتي مع أبي، وأنت تشرب سَويقاً بقصبة يراع؟ فلما خرجنا، قال أبونا: اعرفوا لهذا الشيخ حقه، فإنه لا يزال في قومكم بقيةٌ ما بقي. قال: لا أذكر ذلك يا أمير المؤمنين، قال: فَلِمَ في ذلك، فقال: لم يُعوّدني الله في الصدق إلا خيرا. ٦ / ٤٤–٤٥

(١٣٧) الخوف من الإخلال بالوعد

قال شعبة: ما واعدت أيوب - أي: السختياني - موعداً قط إلا قال حين يفارقني: ليس بيني وبينك موعد. فإذا جئت، وجدته قد سبقني. ٦ / ١٩

(١٣٨) رد على القدرية

قال أبو ضمرة: وقف ربيعة - أي: ابن أبي عبدالرحمن - على قوم يتذاكرون القدر، فقال ما معناه: إن كنتم صادقين، فلما في أيديكم أعظم مما في يدي ربكم، إن كان الخير والشر بأيديكم. ٦ / ٩٠

(١٣٩) استفت قلبك

وقال - أي: أبو حازم سلمة بن دينار -: انظر كل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه، ثم لا يضرك متى مت. ٦ / ٩٨

(١٤٠) متى يكون حب الدنيا مذموماً؟

وروى يحيى بن محمد المدني، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قلت لأبي حازم: إني لأجد شيئا يحزنني، قال: وما هو يا ابن أخي؟ قلت: حبي للدنيا. قال: اعلم أن هذا لشيء ما أعاتب نفسي على بعض شيء حببه الله إليّ؛ لأن الله قد حبب هذه الدنيا إلينا. لتكن معاتبتنا أنفسنا في غير هذا: ألاّ يدعونا حبها إلى أن نأخذ شيئا من شيء يكرهه الله، ولا أن نمنع شيئا من شيء أحبه الله. فإذا نحن فعلنا ذلك لم يضرنا حبنا إياها. ٦ / ٩٨ - ٩٩

(١٤١) نقدٌ لبعض كتب التاريخ

إبراهيم بن المنذر، عن معن قال: كان مالك - أي: ابن أنس - إذا قيل له: مغازي من نكتب؟ قال: عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة. وقال ابن المنذر أيضا: حدثني مطرف، ومعن، ومحمد بن الضحاك، قالوا: كان مالك إذا سئل عن المغازي، قال: عليك بمغازي الرجل الصالح موسى بن عقبة، فإنها أصح المغازي. وقال أيضا سمعت محمد بن طلحة، سمعت مالكاً يقول: عليكم بمغازي موسى، فإنه رجل ثقة، طلبها على كبر السن، ليقيد من شهد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يكثر كما كثر غيره.

قلت: هذا تعريض بابن إسحاق. ولا ريب أن ابن إسحاق كثَّر وطوَّل بأنساب مستوفاة، اختصارها أملح، وبأشعار غير طائلة، حذفها أرجح،

وبآثار لم تصحح، مع أنه فاته شيء كثير من الصحيح لم يكن عنده، فكتابه محتاج إلى تنقيح وتصحيح، ورواية ما فاته.

وأما مغازي موسى بن عقبة، فهي في مجلد ليس بالكبير، سمعناها، وغالبها صحيح ومرسل جيد، لكنها مختصرة تحتاج إلى زيادة بيان وتتمة.

وقد أحسن في عمل ذلك الحافظ أبو بكر البيهقي في تأليفه المسمى بكتاب "دلائل النبوة".

وقد لخصت أنا الترجمة النبوية، والمغازي المدنية، في أول "تاريخي الكبير" وهو كامل في معناه إن شاء الله. ٦ / ١١٥ - ١١٦

(١٤٢) كن ملكاً في الدنيا والآخرة!

قال حماد بن زيد: قال رجل لمحمد بن واسع: أوصني. قال: أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة. قال: كيف؟ قال: ازهد في الدنيا. ٦ / ١٢٠

(١٤٣) الموعظة الصادقة

وروي أن قاصاً كان يقرب محمد بن واسع، فقال: ما لي أرى القلوب لا تخشع، والعيون لا تدمع، والجلود لا تقشعر؟ فقال محمد: يا فلان ما أرى القوم أتوا إلا من قبلك، إن الذكر إذا خرج من القلب وقع على القلب. ٦ / ١٢٢

كان - أي: أبو المعالي مسعود بن محمد الفقيه، المعروف بالقطب - فصيحاً، مفوهاً، مفسراً، فقيهاً، خلافياً، درّس أيضا بالجاروخية، وقيل: إنه وعظ بدمشق، وطلب من الملك نور الدين أن يحضر مجلسه، فحضره،

فأخذ يعظه، ويناديه: يا محمود، كما كان يفعل البرهان البلخي شيخ الحنفية، فأمر الحاجب، فطلع، وأمره أن لا يناديه باسمه، فقيل فيما بعد للملك، فقال: إن البرهان كان إذا قال: يا محمود قفّ شعري هيبة له، ويرق قلبي، وهذا إذا قال، قسا قلبي، وضاق صدري. حكى هذه سبط ابن الجوزي، وقال: كان القطب غريقا في بحار الدنيا. **٢١ / ١٠٨**

(١٤٤) خطر تتبع الرخص

قال خالد بن الحارث: قال سليمان التيمي: لو أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله. **٦ / ١٩٨**

قال محمد بن شعيب: سمعت الأوزاعي يقول: من أخذ بنوادر العلماء، خرج من الإسلام. **٧ / ١٢٥**

ودخلت مرة - القائل هو: إسماعيل القاضي -، فدفع - أي: المعتضد بالله العباسي - إليَّ كتابا، فنظرت فيه، فإذا قد جمع له فيه الرخص من زلل العلماء، فقلت: مصنف هذا زنديق. فقال: ألم تصح هذه الأحاديث؟ قلت: بلى، ولكن من أباح المسكر لم يبح المتعة، ومن أباح المتعة لم يبح الغناء، وما من عالم إلا وله زلة، ومن أخذ بكل زلل العلماء ذهب دينه. فأمر بالكتاب فأحرق. **١٣ / ٤٦٥**

وقال - أي: يوسف بن الحسين الرازي -: إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص، فاعلم أنه لا يجئ منه شئ. **١٤ / ٢٤٩**

وعن إبراهيم - أي: ابن شيبان القرميسيني - قال: من أراد أن يتعطل ويتبطَّل، فيلزم الرخص. ١٥ / ٣٩٢

(١٤٥) يأبى الله إلا أن يذل من عصاه

وروي عن سليمان التيمي قال: إن الرجل ليذنب الذنب فيصبح وعليه مذلته. ٦ / ٢٠٠

(١٤٦) ثلاثةٌ يعرفون عند ثلاثة

وهو - أي: خالد بن صفوان - القائل: ثلاثةٌ يعرفون عند ثلاثة: الحليم عند الغضب، والشجاع عند اللقاء، والصديق عند النائبة. ٦ / ٢٢٦

(١٤٧) مُلَح

قال عيسى بن يونس: أتى الأعمش أضياف، فأخرج إليهم رغيفين، فأكلوهما. فدخل فأخرج لهم نصف حبل قت، فوضعه على الخوان، وقال: أكلتم قوت عيالي فهذا قوت شاتي فكلوه. ٦ / ٢٣٧

قال عبد الله بن إدريس ؛ قلت للأعمش: يا أبا محمد، ما يمنعك من أخذ شعرك؟ قال: كثرة فضول الحجامين. قلت: فأنا أجيئك بحجام لا يكلمك حتى تفرغ. فأتيت جنيداً الحجام، وكان محدِّثا، فأوصيته. فقال: نعم. فلما أخذ نصف شعره قال: يا أبا محمد، كيف حديث حبيب بن أبي

ثابت في المستحاضة؟ فصاح صيحة، وقام يعدو. وبقي نصف شعره بعد شهر غير مجزوز!. سمعها علي بن خشرم منه. ٦ / ٢٣٧ - ٢٣٨

وقيل: إن الأعمش كان له ولد مغفل فقال له: اذهب فاشتر لنا حبلاً للغسيل. فقال: يا أبة طول كم؟ قال: عشرة أذرع. قال: في عرض كم؟ قال: في عرض مصيبتي فيك. ٦ / ٢٣٩

وروى عباس عن يحيى بن معين قال: كان غندر - أي: محمد بن جعفر الهذلي - يجلس على رأس المنارة يفرق زكاته، فقيل له: لم تفعل هذا؟ قال: أرغب الناس في إخراج الزكاة. فاشترى سمكا، وقال لأهله: أصلحوه، ونام. فأكل عياله السمك، ولطخوا يده، فلما انتبه، قال: هاتوا السمك. قالوا: قد أكلت. فقال: لا. قالوا: فشم يدك. ففعل، ثم قال: صدقتم، ولكن ما شبعت. ٩ / ١٠١

قيل: إنه - أي: أزهر بن سعد - كان صاحباً للمنصور أبي جعفر قبل أن يلي الخلافة، فلما ولي، قدم إليه أزهر مهنئاً له، فقال: أعطوه ألف دينار، وقولوا له: لا تعد. فأخذها، ثم عاد إليه من قابل، فحجبوه. ثم دخل إليه في المجلس العام، فقال: ما جاء بك؟ قال: سمعت أنك مريض، فجئت أعودك، فقال: أعطوه ألف دينار، قد قضيت حق العيادة، فلا تعد، فإني قليل الأمراض!. قال: فعاد من قابل، ودخل في مجلس عام، فقال له: ما جاء بك؟ قال: دعاء سمعته منك، جئت لأحفظه منك! فقال: يا هذا إنه غير مستجاب، إني في كل سنة أدعو به أن لا تأتيني، وأنت تأتيني! ٩ / ٤٤٢

(١٤٨) ضرورة طلب العلم منذ الصغر

محمد بن عبيد قال: جاء رجل نبيل كبير اللحية إلى الأعمش، فسأله عن مسألة خفيفة في الصلاة، فالتفت إلينا الأعمش، فقال: انظروا إليه! لحيته تحتمل حفظ أربعة آلاف حديث، ومسألته مسألة صبيان الكتّاب. ٦ / ٢٣٨

(١٤٩) "إنما يخشى الله من عباده العلماء"

قال عيسى بن يونس:... وخرجنا في جنازة، ورجل يقوده - أي: يقود الأعمش -، فلما رجعنا عدل به، فلما أصحر، قال: أتدري أين أنت؟ أنت في جبانة كذا. ولا أردك حتى تملأ ألواحي حديثا. قال: اكتب. فلما ملأ الألواح رده. فلما دخل الكوفة دفع ألواحه لإنسان. فلما أن انتهى الأعمش إلى بابه، تعلق به وقال: خذوا الألواح من الفاسق. فقال: يا أبا محمد قد فات. فلما أيس منه، قال: كل ما حدثتك به كذب. قال: أنت أعلم بالله من أن تكذب. ٦ / ٢٣٧

وقال جشم بن عيسى: سمعت عمي معروف بن الفيرزان يقول: سمعت بكر بن خنيس يقول: كيف تتقي وأنت لا تدري ما تتقي؟ رواها أحمد الدورقي عن معروف. قال: ثم يقول معروف: إذا كنت لا تحسن تتقي، أكلت الربا، ولقيت المرأة فلم تغض عنها، ووضعت سيفك على عاتقك، إلى أن قال: ومجلسي هذا ينبغي أن نتقيه، فتنة للمتبوع، و ذلة للتابع. ٩ / ٣٤٠— ٣٤١

(١٥٠) أعلم الناس

حسن بن زياد، سمعت أبا حنيفة، وسئل: من أفقه من رأيت؟ قال: ما رأيت أحدا أفقه من جعفر بن محمد - أي: ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب -، لما أقدمه المنصور الحيرة، بعث إلي فقال: يا أبا حنيفة، إن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهيئ له من مسائلك الصعاب. فهيأت له أربعين مسألة. ثم أتيت أبا جعفر، وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت بهما، دخلني لجعفر من الهيبة ما لا يدخلني لأبي جعفر، فسلمت وأذن لي، فجلست. ثم التفت إلي جعفر، فقال: يا أبا عبد الله، تعرف هذا؟ قال: نعم. هذا أبو حنيفة. ثم أتبعها: قد أتانا. ثم قال: يا أبا حنيفة، هات من مسائلك نسأل أبا عبد الله فابتدأت أسأله. فكان يقول في المسألة: أنتم تقولون فيها كذا وكذا، وأهل المدينة يقولون كذا وكذا، ونحن نقول كذا وكذا، فربما تابعنا وربما تابع أهل المدينة، وربما خالفنا جميعا، حتى أتيت على أربعين مسألة ما أخرِمُ منها مسألة. ثم قال أبو حنيفة: أليس قد روينا أن أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟!. ٦ / ٢٥٨

قال يزيد بن زريع: سمعت سعيد بن أبي عروبة يقول: من لم يسمع الاختلاف، فلا تعده عالماً. ٦ / ٤١٣

(١٥١) وصية والد لولده

وعن رجل، عن بعض أصحاب جعفر بن محمد قال: رأيت جعفراً يوصي موسى - يعني ابنه -: يا بني من قنع بما قسم له استغنى، ومن مد

عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرض بما قسم له، اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه، ومن كشف حجاب غيره انكشفت عورته، ومن سل سيف البغي قتل به، ومن احتفر بئراً لأخيه، أوقعه الله فيه، ومن داخل السفهاء حقر، ومن خالط العلماء وقر، ومن دخل مداخل السوء اتهم. يا بني إياك أن تزري بالرجال. فيزرى بك، وإياك والدخول فيما لا يعنيك فتذل لذلك، يا بني قل الحق لك وعليك تستشار من بين أقربائك، كن للقرآن تاليا، وللإسلام فاشيا، وللمعروف آمرا، وعن المنكر ناهيا، ولمن قطعك واصلا، ولمن سكت عنك مبتدئا، ولمن سألك معطيا، وإياك والنميمة، فإنها تزرع الشحناء في القلوب، وإياك والتعرض لعيوب الناس فمنزلة المتعرض لعيوب الناس كمنزلة الهدف. إذا طلبت الجود، فعليك بمعادنه فإن للجود معادن، وللمعادن أصولا، وللأصول فروعا، وللفروع ثمرا. ولا يطيب ثمر إلا بفرع، ولا فرع إلا بأصل، ولا أصل إلا بمعدن طيب. زر الأخيار ولا تزر الفجار، فإنهم صخرة لا يتفجر ماؤها، وشجرة لا يخضر ورقها، وأرض لا يظهر عشبها. **٦ / ٢٦٣**

(١٥٢) الموقف مما ينقل من الكلام

وعن جعفر بن محمد: إذا بلغك عن أخيك ما يسوؤك، فلا تغتم، فإنه إن كان كما يقول كانت عقوبة عجلت، وإن كان على غير ما يقول كانت حسنة لم تعملها. **٦ / ٢٦٤**

(١٥٣) الصبر على أذى الناس

قال موسى عليه السلام: يا رب أسألك ألا يذكرني أحد إلا بخير، فقال: ما فعلت ذلك بنفسي. ٦ / ٢٦٤

(١٥٤) من حِكم الحج وأسراره

قال الخليل بن أحمد: سمعت سفيان الثوري يقول: قدمت مكة فإذا أنا بأبي عبد الله جعفر بن محمد قد أناخ بالأبطح، فقلت: يا ابن رسول الله، لم جعل الوقف من وراء الحرم؟ ولم يُصَيَّرْ في المشعر الحرام؟ فقال: الكعبة بيت الله، والحرم حجابه، والموقف بابه. فلما قصده الوافدون، أوقفهم بالباب يتضرعون، فلما أذن لهم في الدخول، أدناهم من الباب الثاني وهو المزدلفة. فلما نظر إلى كثرة تضرعهم وطول اجتهادهم رحمهم، فلما رحمهم، أمرهم بتقريب قربانهم، فلما قربوا قربانهم، وقضوا تفثهم وتطهروا من الذنوب التي كانت حجاباً بينه وبينهم، أمرهم بزيارة بيته على طهارة. قال: فلم كره الصوم أيام التشريق؟ قال: لأنهم في ضيافة الله، ولا يجب على الضيف أن يصوم عند من أضافه. قلت: جعلت فداك فما بال الناس يتعلقون بأستار الكعبة وهي خرق لا تنفع شيئاً؟ قال: ذاك مثل رجل بينه وبين رجل جرم، فهو يتعلق به، ويطوف حوله رجاء أن يهب له ذلك، ذاك الجرم. ٦ / ٢٦٤ - ٢٦٦

(١٥٥) حفظ الله للصالحين

عن الفضل بن الربيع، عن أبيه، قال: دعاني المنصور فقال: إن جعفر بن محمد يلحد في سلطاني قتلني الله إن لم أقتله. فأتيته، فقلت: أجب أمير المؤمنين. فتطهر ولبس ثياباً، أحسبه قال جدداً، فأقبلت به فاستأذنت له، فقال: أدخله، قتلني الله إن لم أقتله. فلما نظر إليه مقبلاً قام من مجلسه فتلقاه وقال: مرحبا بالنقي الساحة، البريء من الدغل والخيانة، أخي وابن عمي، فأقعده معه على سريره وأقبل عليه بوجهه، وسأله عن حاله، ثم قال: سلني عن حاجتك فقال: أهل مكة والمدينة قد تأخر عطاؤهم فتأمر لهم به. قال: أفعل. ثم قال: يا جارية ائتني بالتحفة. فأتته بمدهن زجاج فيه غالية فغلفه بيده وانصرف. فاتبعته، فقلت: يا ابن رسول الله ؛ أتيت بك ولا أشك أنه قاتلك، فكان منه ما رأيت. وقد رأيتك تحرك شفتيك بشيء عند الدخول فما هو؟ قال: قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، واحفظني بقدرتك علي، ولا تهلكني. وأنت رجائي. رب كم من نعمة أنعمت بها علي قل لك عندها شكري، وكم من بلية ابتليتني بها قل لها عندك صبري؟! فيا من قل عند نعمته شكري فلم يحرمني، ويا من قل عند بليته صبري فلم يخذلني، ويا من رآني على المعاصي فلم يفضحني، ويا ذا النعم التي لا تحصى أبدا، ويا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا، أعني على ديني بدنيا، وعلى آخرتي بتقوى، واحفظني فيما غبت عنه ولا تكلني إلى نفسي فيما خطرت. يا من لا تضره الذنوب، ولا تنقصه المغفرة، اغفر لي ما لا يضرك، وأعطني ما لا ينقصك، يا وهاب

أسألك فرجاً قريبا، وصبراً جميلا، والعافية من جميع البلايا، وشكر العافية. ٦ / ٢٦٦ - ٢٦٧

(١٥٦) من صور الورع

وقال أمية بن خالد: جاءت امرأةٌ يونسَ بن عبيد بجبة خز، فقالت له: اشترها. قال: بكم؟ قالت: بخمس مئة. قال: هي خير من ذلك. قالت: بست مئة قال: هي خير من ذلك. فلم يزل حتى بلغت ألفا. وكان يشتري الإبريسم من البصرة فيبعث به إلى وكيله بالسوس، وكان وكيله يبعث إليه بالخز. فإن كتب وكيله إليه: إن المتاع عندهم زائد، لم يشتر منهم أبداً حتى يخبرهم أن وكيله كتب إليه أن المتاع عندهم زائد.

قال بشر بن المفضل: جاءت امرأة بمطرف خز إلى يونس بن عبيد تعرضه عليه، فقال لها: بكم؟ قالت: بستين درهما. فألقاه إلى جاره، فقال: كيف تراه؟ قال: بعشرين ومئة. قال: أرى ذاك ثمنه، أو نحواً من ثمنه. فقال لها: اذهبي فاستأمري أهلك في بيعه بخمس وعشرين ومئة. قالت: قد أمروني أن أبيعه بستين. قال: ارجعي فاستأمريهم. ٦ / ٢٨٩ - ٢٩٠

وقيل: إن كهمساً - أي: ابن الحسن التميمي - سقط منه دينار، ففتش فلقيه، فلم يأخذه، وقال: لعله غيره. ٦ / ٣١٧

ضمرة عن ابن شوذب، سمعت يونس وابن عون اجتمعا، فتذاكرا الحلال والحرام فكلاهما قال: ما أعلم في مالي درهما حلالا.

قلت: والظن بهما أنهما لا يعرفان في مالهما أيضا درهما حراما. ٦ / ٢٩٣

وقال محمد بن أبي حاتم: ركبنا يوماً إلى الرمي، ونحن بفربر، فخرجنا إلى الدرب الذي يؤدي إلى الفُرْضَة. فجعلنا نرمي، وأصاب سهم أبي عبدالله - أي: الإمام البخاري - وتد القنطرة الذي على نهر ورَّادة، فانشق الوتد. فلما رآه أبو عبدالله، نزل عن دابته، فأخرج السهم من الوتد، وترك الرمي. وقال لنا: ارجعوا. ورجعنا معه إلى المنزل، فقال لي: يا أبا جعفر، لي إليك حاجة تقضيها؟ قلت: أمرك طاعة. قال: حاجة مهمة - وهو يتنفس الصعداء -. فقال لمن معنا: اذهبوا مع أبي جعفر حتى تعينوه على ما سألته. فقلت: أي حاجة هي؟ قال لي: تضمن قضاءها؟ قلت: نعم، على الرأس والعين. قال: ينبغي أن تصير إلى صاحب القنطرة، فتقول له: إنا قد أخللنا بالوتد، فنحب أن تأذن لنا في إقامة بَدَلِه، أو تأخذ ثمنه، وتجعلنا في حلٍ مما كان منا. وكان صاحب القنطرة: حميد بن الأخضر الفِرَبري. فقال لي: أبلغ أبا عبدالله السلام، وقل له: أنت في حل مما كان منك. وقال: جميع ملكي لك الفداء، وإن قلت: نفسي كذبت، غير أني لم أكن أحب أن تحتشمني في وتد أو في ملكي. فأبلغته رسالته، فتهلل وجهه، واستنار، وأظهر سروراً، وقرأ في ذلك اليوم على الغرباء نحواً من خمس مئة حديث، وتصدق بثلاث مئة درهم.

< جاء في الحاشية (٢): فُرْضَة النهر: مشرب الماء منه أو المشرعة. والفُرْضَة: الثُلمة التي تكون في النهر >. ١٢ / ٤٤٣ – ٤٤٤

أبو الشيخ: وسمعت ابني يحكي عن أبي عبد الله الكسائي: سمعت ابن أبي عاصم يقول: لما كان من أمر العلوي بالبصرة ما كان، ذهبت كتبي، فلم يبق منها شيء، فأعدت عن ظهر قلبي خمسين ألف حديث، كنت أمر إلى دكان البقال، فكنت أكتب بضوء سراجه، ثم تفكرت أني لم أستأذن صاحب السراج، فذهبت إلى البحر فغسلته، ثم أعدته ثانيا. **١٣/ ٤٣٣**

وسمعت أسعد بن زياد يقول: كان شيخنا الداوودي - أي: أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد - بقي أربعين سنة لا يأكل لحماً، وقت تشويش التركمان، واختلاط النهب، فأضَرَّ به، فكان يأكل السمك، ويُصطاد له من نهر كبير، فحكي له أن بعض الأمراء أكل على حافة ذلك النهر ونفضت سفرتَه وما فضل في النهر، فما أكل السمك بعد. **١٨ / ٢٢٤**

قال السمعاني: دخل أبو إسحاق - أي: إبراهيم بن علي الشيرازي - يوماً مسجداً ليتغدى، فنسي ديناراً، ثم ذكر، فرجع، فوجده، ففكَّر، وقال: لعله وقع من غيري. فتركه. **١٨ / ٤٥٦**

قال ابن النجار: تفقه - أي: أبو بكر محمد بن المظفر الحَموي - على القاضي أبي الطيب، وحفظ تعليقه، ولم يأخذ على القضاء رزقا، ولا غيَّر مأكله ولا ملبسه، وكان يسوي بين الناس، فانقلب عليه الكبراء، وكان نزهاً ورِعاً على طريقة السلف له كارك يؤجره كل شهر بدينار ونصف، كان يقتات منه، فلما ولي القضاء، جاء إنسان، فدفع فيه أربعة دنانير، فأبى، وقال: لا أغير ساكني، وقد ارتبت بك، هلاَّ كانت الزيادة من قبل القضاء؟!

< جاء في الحاشية (٥) في تفسير كلمة " كارك ": الكلمة فارسية، ومعناها: البيت كما يفهم من هذا السياق، وكذلك وردت عند السبكي: ٤ / ٢٠٥، وفي " المعجم الذهبي ": كارك: عمل صغير، وكاركاه: معمل، مصنع، دكان، قصر >. **١٩ / ٨٦**

(١٥٧) عظيم نعمة الله على الإنسان

وقال غسان بن المفضل الغلابي، حدثني بعض أصحابنا قال: جاء رجل إلى يونس بن عبيد فشكا إليه ضيقا من حاله ومعاشه واغتماما بذلك. فقال: أيسرك ببصرك مئة ألف؟ قال: لا. قال: فبسمعك؟ قال: لا. قال: فبلسانك؟ قال: لا. قال: فبعقلك؟ قال: لا. في خلال. وذكّره نعم الله عليه، ثم قال يونس: أرى لك مئين ألوفا وأنت تشكو الحاجة؟!. **٦ / ٢٩٢**

(١٥٨) خصلتان عظيمتان

وقال ابن شوذب: سمعت يونس - أي: ابن عبيد - يقول: خصلتان إذا صلحتا من العبد صلح ما سواهما: صلاته ولسانه. **٦ / ٢٩٣**

(١٥٩) حمل غريب!

روى عباس بن نصر البغدادي، عن صفوان بن عيسى قال: مكث ابن عجلان في بطن أمه ثلاث سنين، فشُقَّ بطنُها، فأُخرج منه وقد نبتت أسنانه. رواها عبدالعزيز بن أحمد الغافقي عن عباس. **٦ / ٣١٨**

قال معن، والواقدي، ومحمد بن الضحاك: حملت أم مالك - أي: ابن أنس - بمالك ثلاث سنين. وعن الواقدي قال: حملت به سنتين. ٨ / ٥٥

(١٦٠) شاذ العلم

عن محمد بن حمير، حدثنا إبراهيم بن أبي عبلة قال: من حمل شاذ العلم حمل شراً كثيراً. ٦ / ٣٢٤

(١٦١) أول من صنف الكتب

قال عبدالله بن أحمد: قلت لأبي: من أول من صنف الكتب؟ قال: ابن جريج، وابن أبي عروبة. ٦ / ٣٢٧

(١٦٢) المنهجية في طلب العلم

وروى علي بن المديني، عن عبد الوهاب بن همام، عن ابن جريج - أي: عبدالملك بن عبدالعزيز - قال: أتيت عطاء - أي: ابن أبي رباح - وأنا أريد هذا الشأن، وعنده عبد الله بن عبيد بن عمير، فقال لي ابن عمير: قرأت القرآن؟ قلت: لا. قال: فاذهب فاقرأه ثم اطلب العلم. فذهبت، فغبرت زمانا حتى قرأت القرآن، ثم جئت عطاء، وعنده عبد الله. فقال: قرأت الفريضة؟ قلت: لا. قال: فتعلم الفريضة، ثم اطلب العلم. قال: فطلبت الفريضة، ثم جئت. فقال: الآن فاطلب العلم، فلزمت عطاء سبع عشرة سنة. ٦ / ٣٢٧

وسمعت عبدالرحمن - أي: ابن أبي حاتم الرازي - يقول: لم يدعني أبي أشتغل في الحديث حتى قرأت القرآن على الفضل بن شاذان الرازي، ثم كتبت الحديث. ١٣/ ٢٦٥

(١٦٣) فما أصبت بترك الحج من ثمنِ!

وفي تاريخ القاضي تاج الدين عبد الباقي: أن ابن جريج قدم وافدا على معن بن زائدة لدين لحقه، فأقام عنده إلى عاشر ذي القعدة. فمر بقوم تغني لهم جارية بشعر عمر بن أبي ربيعة:

هيهات من أمَة الوهاب منزلنا ... إذا حللنا بسِيف البحر من عدن
واحتل أهلُك أجياداً فليس لنا ... إلا التذكر أو حظٌّ من الحَزنِ
تالله قولي له في غير معتبة ... ماذا أردت بطول المكث في اليمنِ
إن كنت حاولت دنيا أو ظفرت بها ... فما أصبت بترك الحج من ثمنِ

قال: فبكى ابن جريج وانتحب، وأصبح إلى معن وقال: إن أردت بي خيراً فردني إلى مكة، ولست أريد منك شيئا. قال: فاستأجر له أدلاء، وأعطاه خمس مئة دينار، ودفع إليه ألفا وخمس مئة. فوافى الناس يوم عرفة. ٦/ ٣٣٥ - ٣٣٦

(١٦٤) نموذج على نقد المتون

عن حنظلة، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (اغسلوا قتلاكم) غريب جدا. ورواته ثقات.

وهذا محمول على من قتل في غير مصاف. ولعل الغلط فيه من شيخ ابن عدي، أو شيخ شيخه. والثقة قد يهِمُ. ٦ / ٣٣٧ - ٣٣٨

(١٦٥) التوقي من الذنوب

وروى ابن المبارك عن ابن شبرمة - أي: عبدالله - قال: عجبت للناس يحتمون من الطعام مخافة الداء، ولا يحتمون من الذنوب مخافة النار. ٦ / ٣٤٨

(١٦٦) البعد عن المناهي اللفظية

حرملة عن ابن وهب قال: اهتدينا في العلم بأربعة: اثنان بمصر، واثنان بالمدينة. عمرو بن الحارث والليث بن سعد بمصر، ومالك وابن الماجشون بالمدينة. لولا هؤلاء لكنا ضالين.

قلت: بل لولا الله لكنا ضالين. اللهم لولا أنت ما اهتدينا. ٦ / ٣٥١

(١٦٧) تجنب الغضب

وروي عن القعنبي قال: كان ابن عون - أي: عبدالله - لا يغضب. فإذا أغضبه رجل قال: بارك الله فيك. ٦ / ٣٦٦

(١٦٨) الجمع بين العبادة والجهاد

محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثني مفضل بن لاحق قال: كنا بأرض الروم، فخرج رومي يدعو إلى المبارزة فخرج إليه رجل فقتله، ثم دخل

في الناس، فجعلت ألوذ به لأعرفه وعليه المغفر. قال: فوضع المغفر يمسح وجهه فإذا ابن عون. ٦ / ٣٦٨

قال عبد الواحد بن علي المراكشي: كان - أي: أبو محمد بن عياض المجاهد - من الصالحين الكبار، بلغني عن غير واحد أنه كان مجاب الدعوة، سريع الدمعة، رقيقاً، فإذا ركب الخيل لا يقوم له أحد، كان النصارى يعدونه بمئة فارس، فحمى الله به الناحية مدة إلى أن توفي -رحمة الله عليه-. ٢٠ / ٢٣٧

(١٦٩) ذكر الناس داء!

عبدة بن سليمان، عن ابن المبارك قال: قيل لابن عون: ألا تتكلم فتؤجر؟ فقال: أما يرضى المتكلم بالكفاف؟!

روى مسعر عن ابن عون قال: ذكر الناس داء، وذكر الله دواء.

قلت: إي والله، فالعجب منا ومن جهلنا، كيف ندع الدواء ونقتحم الداء؟! قال الله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢] ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨] ولكن لا يتهيأ ذلك إلا بتوفيق الله. ومن أدمن الدعاء ولازم قرع الباب فتح له. ٦ / ٣٦٩

(١٧٠) العفو

أحمد بن عبد الأعلى الشيباني: حدثني أبو يعقوب المدني، قال: كان بين حسن بن حسن وبين ابن عمه علي بن الحسين شيء، فما ترك حسن شيئا إلا قاله، وعلي ساكت، فذهب حسن، فلما كان في الليل أتاه علي، فخرج، فقال علي: يا ابن عمي إن كنت صادقا فغفر الله لي، وإن كنت كاذبا، فغفر الله لك، السلام عليك. قال: فالتزمه حسن، وبكى حتى رثى له. ٤/ ٣٩٧

وكان -فيما حدثني بعض أصحابنا-لابن عون - أي: عبدالله - ناقة يغزو عليها، ويحج، وكان بها معجبا. قال: فأمر غلاما له يستقي عليها، فجاء بها وقد ضربها على وجهها، فسالت عينها على خدها. فقلنا: إن كان من ابن عون شيء فاليوم! قال: فلم يلبث أن نزل، فلما نظر إلى الناقة قال: سبحان الله! أفلا غيرَ الوجه، بارك الله فيك، أخرج عني، اشهدوا أنه حر. ٦ / ٣٧٠ - ٣٧١

وسمعته - أي قال ابن سماعة: سمعت أحمد بن حنبل - يقول: كل من ذكرني ففي حلٍ إلا مبتدعا، وقد جعلت أبا إسحاق -يعني: المعتصم- في حل، ورأيت الله يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[النور: ٢٢] وأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أبا بكر بالعفو في قصة مسطح. قال أبو عبد الله: وما ينفعك أن يعذب الله أخاك المسلم في سببك؟!! ١١ / ٢٦١

قال صالح - أي: ابن الإمام أحمد بن حنبل -: ثم أُخرج أبي ليلاً ومعنا حراس، فلما أصبح، قال: أمعك دراهم؟ قلت: نعم. قال: أعطهم. وجعل يعقوب يسير معه، فقال له: يا أبا عبد الله، ابن الثلجي بلغني أنه كان

يذكرك. قال: يا أبا يوسف، سل الله العافية. قال: يا أبا عبد الله، تريد أن نؤدي عنك رسالة إلى أمير المؤمنين؟ فسكت، فقال: إن عبد الله بن إسحاق أخبرني أن الوابصي قال له: إني أشهد عليه أنه قال: إن أحمد يعبد ماني! فقال: يا أبا يوسف يكفي الله. فغضب يعقوب، والتفت إلي فقال: ما رأيت أعجب مما نحن فيه. أسأله أن يطلق لي كلمة أخبر بها أمير المؤمنين، فلا يفعل!!

< جاء في الحاشية (٣): "ماني ": هو أحد نبهاء الفرس، وقد ظهر في القرن الثالث الميلادي في إيران... ومذهبه مزيج من معتقدات الزرادشتية والنصرانية والبوذية، كالإيمان بالصراع بين إلهين اثنين: إله الخير والنور، وإله الظلمة والشر، وإباحة نكاح الأخوات والبنات... >. **١١ / ٢٧٣ – ٢٧٤**

ومن كلام المنتصر – أي: الخليفة العباسي – إذ عفا عن أبي العَمَرَّد الشاري: لذة العفو أعذب من لذة التشفي، وأقبح فعال المقتدر: الانتقام. **١٢ / ٤٤**

(١٧١) ليس من شرط الثقة ألا يغلط أبداً

وثقه – أي: حسين المعلم – أبو حاتم الرازي، والنسائي، والناس. وقد ذكره العقيلي في كتاب "الضعفاء" له بلا مستند. وقال: هو مضطرب الحديث. وقال أبو بكر بن خلاد: سمعت يحيى بن سعيد القطان –وذكر حسين المعلم– فقال: فيه اضطراب.

قلت: الرجل ثقة. وقد احتج به صاحبا "الصحيحين" ومات في حدود سنة خمسين ومائة وذكر له العقيلي حديثا واحدا تفرد بوصله، وغيرُه عن الحفاظ أرسله. فكان ماذا؟ فليس من شرط الثقة أن لا يغلط أبدا. فقد غلط

شعبة، ومالك، وناهيك بهما ثقة ونبلا، وحسين المعلم ممن وثقه يحيى بن معين، ومن تقدم مطلقا، وهو من كبار أئمة الحديث. والله أعلم. **٦ / ٣٤٦**

وقال أبو الفتح الأزدي: أنبأنا محمد بن عبدة القاضي، حدثنا علي بن المديني قال: قلت ليحيى القطان: إن عبد الرحمن قال: أنا أترك من أهل الحديث كل رأس في بدعة، فضحك يحيى وقال: كيف تصنع بقتادة؟ كيف تصنع بعمر بن ذر؟ كيف تصنع بابن أبي رواد؟! وعدَّ يحيى قوما أمسكت عن ذكرهم. ثم قال يحيى: إن ترَك هذا الضربَ ترَك حديثا كثيرا. **٦ / ٣٨٧**

قال أبو أحمد بن عدي: سمعت علي بن عبد الله الداهري يقول: سألت ابن أبي داود عن حديث الطير، فقال: إن صح حديث الطير فنبوة النبي -صلى الله عليه وسلم- باطل، لأنه حكى عن حاجب النبي -صلى الله عليه وسلم- خيانة -يعني أنساً- وحاجب النبي لا يكون خائنا.

قلت: هذه عبارة رديئة، وكلام نحس، بل نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- حق قطعي، إن صح خبر الطير وإن لم يصح، وما وجه الارتباط؟ هذا أنس قد خدم النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يحتلم، وقبل جريان القلم، فيجوز أن تكون قصة الطائر في تلك المدة... ثم إنه حَبَس علياً عن الدخول كما قيل، فكان ماذا؟ والدعوة النبوية قد نَفَذَت واستُجِيبت، فلو حبسه، أو رده مرات، ما بقي يتصور أن يدخل ويأكل مع المصطفى سواه إلا، اللهم إلا أن يكون النبي -صلى الله عليه وسلم- قصد بقوله: (إيتني بأحب خلقك إليك، يأكل معي) عدداً من الخِيَار، يصدق على مجموعهم

أنهم أحب الناس إلى الله، كما يصح قولنا: أحب الخلق إلى الله الصالحون. فيقال: فمن أحبهم إلى الله؟ فنقول: الصديقون والأنبياء. فيقال: فمن أحب الأنبياء كلهم إلى الله؟ فنقول: محمد وإبراهيم وموسى، والخطب في ذلك يسير. وأبو لبابة -مع جلالته-... أشار لبني قريظة إلى حلقه، وتاب الله عليه. وحاطب... كاتب قريشا بأمر تَخَفَّى به نبي الله -صلى الله عليه وسلم- من غزوهم، وغفر الله لحاطب مع عِظَمِ فعله -رضي الله عنه-. وحديث الطير -على ضعفه- فله طرق جمة، وقد أفردتها في جزء، ولم يثبت، ولا أنا بالمعتقد بطلانه، وقد أخطأ ابن أبي داود في عبارته وقوله، وله على خطئه أجر واحد، وليس من شرط الثقة أن لا يخطئ ولا يغلط ولا يسهو. والرجل فمن كبار علماء الإسلام، ومن أوثق الحفاظ -رحمه الله تعالى.

< ورد في الحاشية (١) نص الحديث وهو: كان عند النبي ﷺ طير فقال: " اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير " فجاء علي فأكل معه. أخرجه الترمذي (٣٧٢١)... وقال: غريب لا نعرفه من حديث السدي إلا من هذا الوجه. وأخرجه الحاكم... عن أنس قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ، فقُدِّم له فرخ مشوي، فقال: " اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير " فقلت: اجعله رجلاً من أهلي من الأنصار، فجاء علي، فقلت: إن رسول الله على حاجة. ثم جاء، فقلت ذلك. فقال: اللهم ائتني كذلك، فقلت ذلك، فقال لي رسول الله ﷺ: افتح، فدخل، فقال: ما حبسك ياعلي؟ فقال: إنه هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قلت: أحببت أن يكون رجلاً من قومي. فقال: إن الرجل مُحِبُ قومه "... >. ١٣ / ٢٣١ - ٢٣٣

(١٧٢) تضرعٌ إلى الله جل جلاله

ابن أبي خيثمة، عن محمد بن يزيد الرفاعي، سمعت عمي يقول: خرجت مع عمر بن ذر - أي: الهمداني - إلى مكة. فكان إذا لبّى لم يلبِ أحد من حسن صوته. فلما أتى الحرم قال: ما زلنا نهبط حفرة، ونصعد أكمة، ونعلو شرفا، ويبدو لنا علم، حتى أتيناك بها، نقبة أخفافها، دبرة ظهورها، ذبلة أسنامها. فليس أعظم المؤنة علينا إتعاب أبداننا، ولا إنفاق أموالنا، ولكن أعظم المؤنة أن نرجع بالخسران! يا خير من نزل النازلون بفنائه.

فحدثني عمي كثير بن محمد قال: سمعت عمر بن ذر يقول: اللهم إنا قد أطعناك في أحب الأشياء إليك أن تطاع فيه: الإيمان بك والإقرار بك، ولم نعصك في أبغض الأشياء أن تعصى فيه: الكفر والجحد بك، اللهم فاغفر لنا بينهما، وأنت قلت: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ﴾ [النحل: ٣٨] ونحن نقسم بالله جهد أيماننا لتَبعثنّ من يموت. أفتراك تجمع بين أهل القَسَمين في دار واحدة؟ ٦ / ٣٨٧

(١٧٣) أب يحدث ابنه بعد قبره إياه

حامد بن يحيى، عن ابن عيينة قال: لما مات ذر بن عمر قعد عمر على شفير قبره، وهو يقول: يا بني، شغلني الحزن لك، عن الحزن عليك، فليت شعري، ما قلت، وما قيل لك؟ اللهم إنك أمرته بطاعتك وبري. فقد وهبت له ما قصر فيه من حقي، فهب له ما قصر فيه من حقك.

وقيل: إنه قال: انطلقنا وتركناك، ولو أقمنا ما نفعناك، فنستودعك أرحم الراحمين. ٦ / ٣٨٨

(١٧٤) قبول الهدية من الكفار

قال: والنعمان بن المرزبان والد ثابت هو الذي أهدى لعلي - أي: ابن أبي طالب - الفالوذج يوم النيروز. فقال علي: نوروزونا كل يوم. وقيل: كان ذلك في المهرجان، فقال: مهرجونا كل يوم. ٦ / ٣٩٥

(١٧٥) حسن التوكل واليقين

قال ابن وهب: كان حيوة - أي: ابن شريح بن صفوان - يأخذ عطاءه في السنة ستين دينارا، فلم يطلع إلى منزله حتى يتصدق بها، ثم يجيء إلى منزله فيجدها تحت فراشه، وبلغ ذلك ابن عم له، فأخذ عطاءه فتصدق به كله، وجاء إلى تحت فراشه فلم يجد شيئا، فشكا إلى حيوة فقال: أنا أعطيت ربي بيقين، وأنت أعطيته تجربة!. ٦ / ٤٠٥

قال حنبل: حضرت أبا عبد الله وابن مَعين عند عفان - أي: ابن مسلم الأنصاري - بعدما دعاه إسحاق بن إبراهيم للمحنة، وكان أول من امتحن من الناس عفان، فسأله يحيى من الغد بعدما امتحن، وأبو عبد الله حاضر ونحن معه، فقال: أخبرنا بما قال لك إسحاق؟ قال: يا أبا زكريا لم أُسود وجهك ولا وجوه أصحابك، إني لم أجب. فقال له: فكيف كان؟ قال: دعاني وقرأ علي الكتاب الذي كتب به المأمون من الجزيرة، فإذا فيه:

امتحن عفان، وادعه إلى أن يقول: القرآن كذا وكذا، فإن قال ذلك فأقره على أمره، وإن لم يجبك إلى ما كتبتُ به إليك فاقطع عنه الذي يجرى عليه -وكان المأمون يجري على عفان كل شهر خمس مئة درهم -فلما قرأ عليّ الكتاب قال لي إسحاق: ما تقول؟ فقرأت عليه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى ختمتها. فقلت: أمخلوق هذا؟ فقال: يا شيخ إن أمير المؤمنين يقول: إنك إن لم تجبه إلى الذي يدعوك إليه يقطع عنك ما يجري عليك. فقلت: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] فسكت عني، وانصرفت. فسُرَّ بذلك أبو عبد الله ويحيى.

قلت: هذه الحكاية تدل على جلالة عفان وارتفاع شأنه عند الدولة، فإن غيره امتحن، وقيد وسجن، وعفان فما فعلوا معه غير قطع الدراهم عنه.

قال القاسم بن أبي صالح: سمعت إبراهيم بن ديزيل يقول: لما دعي عفان للمحنة، كنت آخذا بلجام حماره، فلما حضر، عرض عليه القول، فامتنع أن يجيب، فقيل له: يُحبس عطاؤك. قال: وكان يُعطَى في كل شهر ألف درهم- فقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾. فلما رجع إلى داره عذله نساؤه ومن في داره، قال: وكان في داره نحو أربعين إنسانا، فدق عليه داق الباب، فدخل عليه رجل شبهته بسَمَّان أو زَيَّات، ومعه كيس فيه ألف درهم، فقال: يا أبا عثمان ثبَّتَكَ الله كما ثَبَّتَ الدِّين، وهذا في كل شهر. ١٠ / ٢٤٤ - ٢٤٥

(١٧٦) وجوب الإعداد

وقال حيوة مرة لبعض نواب مصر: يا هذا لا تُخلين بلادنا من السلاح، فنحن بين قبطي لا ندري متى يَنْقُض، وبين حبشي لا ندري متى يغشانا، وبين رومي لا ندري متى يحمل بساحتنا، وبربري لا ندري متى يثور. ٦ / ٤٠٥

(١٧٧) قواعد في المعاملة

قال الأصمعي: قال لي أبو عمرو - أي: ابن العلاء -: كن على حذر من الكريم إذا أهنته، ومن اللئيم إذا أكرمته، ومن العاقل إذا أحرجته، ومن الأحمق إذا مازحته، ومن الفاجر إذا عاشرته. وليس من الأدب أن تجيب من لا يسألك، أو تسأل من لا يجيبك، أو تحدث من لا ينصت إليك. ٦ / ٤٠٩

(١٧٨) الذكر حصن حصين

قيل: أسرته الروم - أي: أسرت عبدالرحمن بن زياد الإفريقي -، فقدم ليقتل بعد قتل طائفة، قال: فحركت شفتي وقلت: الله الله ربي، لا أشرك به شيئا ولا أتخذ من دونه وليا. فأبصر الطاغية فِعْلي فقال: قدموا شماس العرب. لعلك قلت: الله الله ربي لا أشرك به شيئا؟ قلت: نعم. قال: ومن أين علمته؟ قلت: نبينا أمرنا به. فقال لي: وعيسى أمرنا به في الإنجيل. فأطلقني ومن معي. ٦ / ٤١٢

(١٧٩) قيد العلماء!

قال أحمد العجلي: لما دخل معمر - أي: ابن راشد - صنعاء، كرهوا أن يخرج من بين أظهرهم، فقال رجل: قيدوه!. فزوجوه!! ٧ / ١٠

(١٨٠) الحرص على طيب المطعم

وقال يعقوب بن شيبة حدثنا أحمد بن العباس، سمعت يحيى بن معين يقول: سمعت أنه كان زوج أخت امرأة معمر مع معن بن زائدة، فأرسلت إليها أختها بدانجوج، فعلم بذلك معمر بعد ما أكل، فقام، فتقيأ.

أحمد بن شبويه: حدثنا عبد الرزاق، قال: أكل معمر من عند أهله فاكهة، ثم سأل، فقيل: هدية من فلانة النواحة. فقام فتقيأ.

وبعث إليه معن والي اليمن بذهب فرده، وقال لأهله: إن علم بهذا غيرنا لم يجتمع رأسي ورأسك أبدا. ٧ / ١١

يحيى بن عثمان البغدادي: حدثنا بقية، قال: دعاني إبراهيم بن أدهم إلى طعامه، فأتيته، فجلس، فوضع رجله اليسرى تحت أليته، ونصب اليمنى، ووضع مرفقه عليها، ثم قال: هذه جلسة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يجلس جلسة العبد، خذوا بسم الله. فلما أكلنا، قلت لرفيقه: أخبرني عن أشد شيء مر بك منذ صحبته. قال: كنا صياما، فلم يكن لنا ما نفطر عليه، فأصبحنا، فقلت: هل لك يا أبا إسحاق أن نأتي الرستن، فنكري أنفسنا مع الحصادين؟ قال: نعم. قال: فاكتراني رجل بدرهم، فقلت: وصاحبي؟ قال: لا حاجة لي فيه، أراه ضعيفا. فما زلت به حتى

اكتراه بثلثين، فاشتريت من كرائي حاجتي، وتصدقت بالباقي، فقربت إليه الزاد، فبكى وقال: أما نحن فاستوفينا أجورنا، فليت شعري أوفينا صاحبنا أم لا؟ فغضبت، فقال: أتضمن لي أنا وفيناه. فأخذت الطعام فتصدقت به.

<< جاء في الحاشية : ١ : الرستن: بليدة قديمة... >> **٧ / ٣٩١**

عيسى بن سليمان القرشي، أنشدني داود بن رشيد، أنشدني يحيى بن معين:

المال يذهب حله وحرامه يوما وتبقى في غد آثامه

ليس التقي بمُتَّقٍ لإلهه حتى يطيب شرابه وطعامه

ويطيب ما يحوي وتكسب كفه ويكون في حسن الحديث كلامه

نطق النبي لنا به عن ربه فعلى النبي صلاته وسلامه

١١ / ٩٤

أحمد بن محمد التستري يقول: ذكروا أن أحمد بن حنبل أتى عليه ثلاثة أيام ما طَعِم فيها، فبعث إلى صديق له، فاقترض منه دقيقاً، فجهزوه بسرعة، فقال: كيف ذا؟ قالوا: تنور صالح مُسْجَر، فخبزنا فيه، فقال: ارفعوا، وأمر بسد باب بينه وبين صالح.

قلت: لكونه أخذ جائزة المتوكل. **١١ / ٢١٤**

قال حنبل: فأخبرني أبي، قال: دخلنا إلى العسكر، فإذا نحن بموكب عظيم مقبل، فلما حاذى بنا، قالوا: هذا وصيف، وإذا بفارس قد أقبل، فقال لأبي عبد الله: الأمير وصيف يقرئك السلام، ويقول لك: إن الله

قد أمكنك من عدوك، يعني: ابن أبي دؤاد، وأمير المؤمنين يقبل منك، فلا تدع شيئا إلا تكلمت به. فما رد عليه أبو عبد الله شيئا. وجعلت أنا أدعو لأمير المؤمنين، ودعوت لوصيف. ومضينا، فأُنزلنا في دار إيتاخ، ولم يعرف أبو عبد الله، فسأل بعد لمن هذه الدار؟ قالوا: هذه دار إيتاخ. قال: حوِّلُوني، اكتَرُوا لي دارا. قالوا: هذه دار أنزلكها أمير المؤمنين، قال: لا أبيت هاهنا. ولم يزل حتى اكترينا له دارا. وكانت تأتينا في كل يوم مائدة فيها ألوان يأمر بها المتوكل والثلج والفاكهة وغير ذلك، فما ذاق منها أبو عبد الله شيئا، ولا نظر إليها. وكان نفقة المائدة في اليوم مئة وعشرين درهما. وكان يحيى بن خاقان، وابنه عبيد الله، وعلي بن الجهم يختلفون إلى أبي عبد الله برسالة المتوكل. ودامت العلة بأبي عبد الله، وضعف شديدا. ووجه إليه المتوكل بمال عظيم، فرده، فقال له عبيد الله بن يحيى: فإن أمير المؤمنين يأمرك أن تدفعها إلى ولدك وأهلك. قال: هم مستغنون، فردها عليه، فأخذها عبيد الله، فقسمها على ولده، ثم أجرى المتوكل على أهله وولده في كل شهر أربعة آلاف. فبعث إليه أبو عبد الله: إنهم في كفاية، وليست بهم حاجة. فبعث إليه المتوكل: إنما هذا لولدك، فما لك ولهذا؟ فأمسك أبو عبد الله، فلم يزل يُجري علينا حتى مات المتوكل. وجرى بين أبي عبد الله وبين أبي كلام كثير. وقال: يا عم، ما بقي من أعمارنا؟ كأنك بالأمر قد نزل. فالله الله، فإن أولادنا إنما يريدون أن يأكلوا بنا، وإنما هي أيام قلائل، وإنما هذه فتنة. قال أبي: فقلت: أرجو أن يؤمنك الله مما تحذر. فقال: كيف وأنتم لا تتركون طعامهم ولا جوائزهم؟ لو تركتموها، لتركوكم. ماذا ننتظر؟ إنما هو الموت. فإما إلى جنة، وإما إلى نار. فطوبى

لمن قدم على خير. قال: فقلت: أليس قد أُمرت ما جاءك من هذا المال من غير إشراف نفس، ولا مسألة أن تأخذه؟ قال: قد أخذتَ مرة بلا إشراف نفس، فالثانية والثالثة؟ ألم تستشرف نفسك؟ قلت: أفلم يأخذ ابن عمر وابن عباس؟ فقال: ما هذا وذاك! وقال: لو أعلم أن هذا المال يؤخذ من وجهه، ولا يكون فيه ظلم ولا حيف لم أبالِ. **١١ / ٢٦٩ – ٢٧١**

وكان – أي: أحمد بن حنبل – ربما استعار الشيء من منزلنا ومنزل ولده، فلما صار إلينا من مال السلطان ما صار، امتنع من ذلك حتى لقد وُصف له في علته قَرَعة تُشوَى، فشُويت في تنُّور صالح، فعلم، فلم يستعملها. ومثل هذا كثير. **١١ / ٢٧٢**

الخلال: حدثني محمد بن الحسين، أن المروذي حدثهم، قال: كان أبو عبد الله – أي: أحمد بن حنبل – بالعسكر يقول: انظر، هل تجد ماء باقِلّى؟ فكنت ربما بللت خُبزه بالماء، فيأكله بالملح. ومنذ دخلنا العسكر إلى أن خرجنا، ما ذاق طبيخا ولا دسما. **١١ / ٢٨٠**

قال أبو سعد – أي: السمعاني –: ولما عزمت على الرحلة، دخلت على شيخنا يوسف – أي: ابن أيوب الهمذاني – مودعاً، فصوَّب عزمي، وقال: أوصيك: لا تدخل على السلاطين، وأبصر ما تأكل لا يكون حراما. **٢٠ / ٦٨**

(١٨١) خواتم الصحابة

وبه: عن معمر، عن قتادة قال: كان نقش خاتم أبي موسى: أسد بين رجلين، وكان نقش خاتم أبي عبيدة: الخُمُسُ للهِ، وكان نقش خاتم أنس: كركي له رأسان.

< جاء في الحاشية (٢): والكركي: طائر كبير، أغبر اللون، طويل العنق والرجلين، أبتر الذنب، قليل اللحم، يأوي إلى الماء أحياناً >. **١٦ / ٧**

(١٨٢) كلام الأقران يطوى!

قال البخاري: ولو صح عن مالك تناوله من ابن إسحاق، فلربما تكلم الإنسان، فيرمي صاحبه بشيء واحد، ولا يهمه في الأمور كلها. قال: وقال إبراهيم بن المنذر عن محمد بن فليح: نهاني مالك عن شيخين من قريش، وقد أكثر عنهما في "الموطأ" وهما ممن يحتج بهما، ولم ينج كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم، نحو ما يذكر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي، وكلام الشعبي في عكرمة وفيمن كان قبلهم، وتناول بعضهم في العرض والنفس، ولم يلتفت أهل العلم في هذا النحو إلا ببيان وحجة ولم تسقط عدالتهم إلا ببرهان ثابت وحجة، والكلام في هذا كثير.

قلت: لسنا ندعي في أئمة الجرح والتعديل العصمة من الغلط النادر، ولا من الكلام بنفس حاد فيمن بينهم وبينه شحناء وإحنة، وقد عُلم أن كثيراً من كلام الأقران بعضهم في بعض مهدر لا عبرة به، ولا سيما إذا وثّق الرجلَ جماعةٌ يلوح على قولهم الإنصاف، وهذان الرجلان كل منهما قد نال من

صاحبه، لكن أثَّر كلامُ مالك في محمد بعض اللين، ولم يؤثر كلام محمد فيه ولا ذرة، وارتفع مالك، وصار كالنجم، والآخر، فله ارتفاع بحسبه، ولا سيما في السير، وأما في أحاديث الأحكام، فينحط حديثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن، إلا فيما شذ فيه، فإنه يعد منكراً. هذا الذي عندي في حاله، والله أعلم. **٧ / ٤٠– ٤١**

قال أحمد بن حنبل: بلغ ابن أبي ذئب أن مالكاً لم يأخذ بحديث (الْبَيِّعان بالخيار) فقال: يستتاب، فإن تاب، وإلا ضربت عنقه. ثم قال أحمد: هو أورع وأقول بالحق من مالك.

قلت: لو كان ورعاً كما ينبغي، لما قال هذا الكلام القبيح في حق إمام عظيم. فمالك إنما لم يعمل بظاهر الحديث ؛ لأنه رآه منسوخا. وقيل: عمل به وحمل قوله: (حتى يتفرقا) على التلفظ بالإيجاب والقبول، فمالك في هذا الحديث، وفي كل حديث، له أجر ولا بد، فإن أصاب، ازداد أجراً آخر، وإنما يَرى السيف على من أخطأ في اجتهاده: الحرورية. وبكل حال فكلام الأقران بعضهم في بعض لا يعول على كثير منه، فلا نقصت جلالة مالك بقول ابن أبي ذئب فيه، ولا ضعف العلماء ابن أبي ذئب بمقالته هذه، بل هما عالما المدينة في زمانهما -رضي الله عنهما-.

ولم يسندها الإمام أحمد، فلعلها لم تصح. **٧ / ١٤٢ - ١٤٣**

كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوى وعصبية، لا يلتفت إليه، بل يُطوى ولا يُروى، كما تقرر عن الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين، وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء، ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف، وبعضه كذب، وهذا فيما

بأيدينا وبين علمائنا، فينبغي طيه وإخفاؤه، بل إعدامه لتصفو القلوب، وتتوفر على حب الصحابة، والترضي عنهم، وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء. وقد يرخص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العري من الهوى، بشرط أن يستغفر لهم، كما علمنا الله تعالى حيث يقول: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾[الحشر: ١٠]. فالقوم لهم سوابق، وأعمال مكفرة لما وقع منهم، وجهاد محّاء، وعبادة ممحصة، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم، ولا ندعي فيهم العصمة، نقطع بأن بعضهم أفضل من بعض، ونقطع بأن أبا بكر وعمر أفضل الأئمة، ثم تتمة العشرة المشهود لهم بالجنة، وحمزة وجعفر ومعاذ وزيد، وأمهات المؤمنين، وبنات نبينا -صلى الله عليه وسلم-، وأهل بدر مع كونهم على مراتب، ثم الأفضل بعدهم مثل أبي الدرداء وسلمان الفارسي وابن عمر وسائر أهل بيعة الرضوان الذين رضي الله عنهم بنص آية سورة الفتح، ثم عموم المهاجرين والأنصار كخالد بن الوليد والعباس وعبد الله بن عمرو، وهذه الحَلْبة، ثم سائر من صحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وجاهد معه، أو حج معه، أو سمع منه، رضي الله عنهم أجمعين وعن جميع صواحب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المهاجرات والمدنيات وأم الفضل وأم هانئ الهاشمية وسائر الصحابيات. فأما ما تنقله الرافضة وأهل البدع في كتبهم من ذلك، فلا نعرج عليه، ولا كرامة، فأكثره باطل وكذب وافتراء، فدأب الروافض رواية الأباطيل، أو رد ما في الصحاح والمسانيد، ومتى إفاقة من به

سكران؟! ثم قد تكلم خلق من التابعين بعضهم في بعض، وتحاربوا، وجرت أمور لا يمكن شرحها، فلا فائدة في بثها. ووقع في كتب التواريخ وكتب الجرح والتعديل أمور عجيبة، والعاقل خصم نفسه، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه، ولحوم العلماء مسمومة، وما نقل من ذلك لتبين غلط العالم، وكثرة وهمه، أو نقص حفظه، فليس من هذا النمط، بل لتوضيح الحديث الصحيح من الحسن، والحسن من الضعيف. وإمامنا (يقصد المصنف بقوله: الإمام الشافعي)، فبحمد الله ثبت في الحديث، حافظ لما وعى، عديم الغلط، موصوف بالإتقان، متين الديانة، فمن نال منه بجهل وهوى ممن علم أنه منافس له، فقد ظلم نفسه، ومقتته العلماء، ولاح لكل حافظ تحامله، وجَرَّ الناس برجله، ومن أثنى عليه، واعترف بإمامته وإتقانه، وهم أهل العقد والحل قديما وحديثا، فقد أصابوا، وأجملوا، وهُدوا، ووُفقوا. وأما أئمتنا اليوم وحكامنا، فإذا أعدموا ما وجد من قدح بهوى، فقد يقال: أحسنوا ووفقوا، وطاعتهم في ذلك مفترضة لما قد رأوه من حسم مادة الباطل والشر. وبكل حال فالجهال والضلال قد تكلموا في خيار الصحابة. وفي الحديث الثابت: (لا أَحَدَ أَصْبَر على أذًى يَسْمَعُهُ من اللهِ، إِنَّهُمْ لَيَدَّعُونَ لَه وَلَدًا، وإنه لَيَرْزُقُهُم ويُعَافِيهم). وقد كنت وقفت على بعض كلام المغاربة في الإمام -رحمه الله، فكانت فائدتي من ذلك تضعيف حال من تعرض إلى الإمام، ولله الحمد. ولا ريب أن الإمام لما سكن مصر، وخالف أقرانه من المالكية، ووهَّى بعض فروعهم بدلائل السنة، وخالف شيخه في مسائل، تألموا منه، ونالوا منه، وجرت بينهم وحشة، غفر الله للكل، وقد اعترف الإمام سحنون، وقال: لم يكن في الشافعي بدعة.

فصدق والله، فرحم الله الشافعي، وأين مثل الشافعي والله؟! في صدقه، وشرفه، ونبله، وسعة علمه، وفرط ذكائه، ونصره للحق، وكثرة مناقبه - رحمه الله تعالى. قال الحافظ أبو بكر الخطيب في مسألة الاحتجاج بالإمام الشافعي، فيما قرأت على أبي الفضل بن عساكر، عن عبد المعز بن محمد، أخبرنا يوسف بن أيوب الزاهد، أخبرنا الخطيب قال: سألني بعض إخواننا بيان علة ترك البخاري الرواية عن الشافعي في "الجامع"؟ وذكر أن بعض من يذهب إلى رأي أبي حنيفة ضعَّف أحاديث الشافعي، واعترض بإعراض البخاري عن روايته، ولولا ما أخذ الله على العلماء فيما يعلمونه ليبيننه للناس؛ لكان أولى الأشياء الإعراض عن اعتراض الجهال، وتركهم يعمهون، وذكر لي من يشار إليه خلو كتاب مسلم وغيره من حديث الشافعي، فأجبته بما فتح الله لي. ومثل الشافعي من حُسد، وإلى ستر معالمه قُصد، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ويظهر من كل حق مستوره، وكيف لا يغبط من حاز الكمال، بما جمع الله له من الخلال اللواتي لا ينكرها إلا ظاهر الجهل، أو ذاهب العقل.. ثم أخذ الخطيب يعدد علوم الإمام ومناقبه، وتعظيم الأئمة له، وقال:

أَبَـى اللـهُ إلاَّ رفْعَـه وعُلُـوَّهُ ... ولَيْسَ لِمَنْ يُعْلِيهِ ذُو العَرْشِ وَاضِعُ

إلى أن قال: والبخاري هذَّب ما في " جامعه "، غير أنه عدل عن كثير من الأصول إيثارا للإيجاز، قال إبراهيم بن معقل: سمعت البخاري يقول: ما أدخلت في كتابي "الجامع" إلا ما صح، وتركت من الصحاح لحال الطول. فترك البخاري الاحتجاج بالشافعي، إنما هو لا لمعنى يوجب ضعفه، لكن غني عنه بما هو أعلى منه، إذ أقدم شيوخ الشافعي مالك، والدَّراوَردي،

وداود العطار، وابن عيينة. والبخاري لم يدرك الشافعي، بل لقي من هو أسن منه، كعبيد الله بن موسى، وأبي عاصم ممن رووا عن التابعين، وحدثه عن شيوخ الشافعي عدة، فلم يَرَ أن يروي عن رجل، عن الشافعي، عن مالك. فإن قيل: فقد روى عن المسندي، عن معاوية بن عمرو، عن الفزاري، عن مالك، فلا شك أن البخاري سمع هذا الخبر من أصحاب مالك، وهو في "الموطأ" فهذا ينقض عليك؟! قلنا: إنه لم يرو حديثا نازلا وهو عنده عال، إلا لمعنى ما يجده في العالي، فأما أن يورد النازل، وهو عنده عال، لا لمعنى يختص به، ولا على وجه المتابعة لبعض ما اختلف فيه؛ فهذا غير موجود في الكتاب. وحديث الفزاري فيه بيان الخبر، وهو معدوم في غيره، وجَوَّده الفزاري بتصريح السماع.

ثم سرد الخطيب ذلك من طرق عدة، قال: والبخاري يتبع الألفاظ بالخبر في بعض الأحاديث ويراعيها، وإنا اعتبرنا روايات الشافعي التي ضمنها كتبه، فلم نجد فيها حديثا واحداً على شرط البخاري أغرب به، ولا تفرد بمعنى فيه يشبه ما بيناه، ومثل ذلك القول في ترك مسلم إياه، لإدراكه ما أدرك البخاري من ذلك، وأما أبو داود فأخرج في "سننه" للشافعي غير حديث، وأخرج له الترمذي، وابن خزيمة، وابن أبي حاتم.. ثم سرد الخطيب فصلاً في ثناء مشايخه وأقرانه عليه، ثم سرد أشياء في غمز بعض الأئمة، فأساء ما شاء -أعني غامزه-. **١٠ / ٩٢ - ٩٧**

(١٨٣) السماء لا تمطر ذهباً!

وعنه - أي: عن عتبة الغلام - قال: لا يعجبني رجل ألا يحترف. **٧ / ٦٣**

(١٨٤) رثاء كريم

وله - أي: للحسين بن مطير - يرثي معن بن زائدة:

أَلِمَّا بمعن ثم قولا لقبره: سقتك الغوادي مربعا ثم مربعا

فيا قبر معنٍ كيف واريت جوده؟ وقد كان منه البر والبحر مترعا

ولكن حويت الجودَ، والجودُ ميت ولو كان حيا ضقت حتى تصدعا

وما كان إلا الجود صورة وجهه فعاش ربيعا، ثم ولّى فودعا

فلما مضى معن مضى الجود والندى وأصبح عرنين المكارم أجدعا

٨٢/٧

(١٨٥) موعظة بليغة

أبو صالح كاتب الليث: عن الهقل بن زياد، عن الأوزاعي: أنه وعظ، فقال في موعظته: أيها الناس، تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها على الهرب من نار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، فإنكم في دارٍ الثواء فيها قليل، وأنتم مرتحلون وخلائف بعد القرون، الذين استقالوا من الدنيا زهرتها كانوا أطول منكم أعمارا، وأجد أجساما، وأعظم آثارا، فجددوا الجبال، وجابوا الصخور، ونقبوا في البلاد، مؤيدين ببطش شديد، وأجسام كالعماد، فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مدتهم، وعفت آثارهم، وأخوت منازلهم، وأنست ذكرهم، فما تحس منهم من أحد، ولا تسمع لهم ركزا، كانوا بلهو الأمل آمنين، ولميقات يوم غافلين، ولصباح قوم نادمين، ثم

إنكم قد علمتم ما نزل بساحتهم بياتا من عقوبة الله، فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين، وأصبح الباقون ينظرون في آثار نقمه وزوال نعمه، ومساكن خاوية، فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم، وعبرة لمن يخشى، وأصبحتم في أجل منقوص، ودنيا مقبوضة، في زمان قد ولى عفوه، وذهب رخاؤه، فلم يبق منه إلا حُمَة شر، وصبابة كدر، وأهاويل غِيَر، وأرسال فتن، ورذالة خَلْف. ٧ / ١١٧- ١١٨

(١٨٦) خطر المراء

قال الوليد بن مزيد: سمعت الأوزاعي يقول: إذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم باب الجدل، ومنعهم العمل. ٧ / ١٢١

وعن مالك - أي: ابن أنس - قال: الجدال في الدين ينشئ المراء، ويذهب بنور العلم من القلب، ويُقسِّي، ويورث الضِّغن. ٨ / ١٠٦

قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: المِرَاءُ في الدِّينِ يُقَسِّي القلب، ويورث الضغائن. ١٠ / ٢٨

قال ابن بطة: سمعت البربهاري - أي: الحسن بن علي بن خلف - يقول: المجالسة للمناصحة فتحُ باب الفائدة، والمجالسة للمناظرة غلقُ باب الفائدة. ١٥ / ٩١

(١٨٧) ألفة الإسلام

محمد بن الصباح: حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي قال: كتب إليَّ قتادة من البصرة: إن كانت الدار فرقت بيننا وبينك، فإن ألفة الإسلام بين أهلها جامعة. ٧ / ١٢١

(١٨٨) الصدع بالحق

أبو خليد عتبة بن حماد القارئ، حدثنا الأوزاعي، قال: بعث عبد الله بن علي إلي، فاشتد ذلك علي، وقدمت، فدخلت، والناس سماطان، فقال: ما تقول في مخرجنا وما نحن فيه؟ قلت: أصلح الله الأمير! قد كان بيني وبين داود بن علي مودة قال: لتخبرني. فتفكرت، ثم قلت: لأصدقنه، واستبسلت للموت، ثم رويت له عن يحيى بن سعيد حديث "الأعمال" - أي: حديث: إنما الأعمال بالنيات -، وبيده قضيب ينكت به، ثم قال: يا عبد الرحمن: ما تقول في قتل أهل هذا البيت؟ قلت: حدثني محمد بن مروان، عن مطرف بن الشخير، عن عائشة، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (لا يحل قتل المسلم إلا في ثلاث...) وساق الحديث. فقال: أخبرني عن الخلافة، وصية لنا من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؟ فقلت: لو كانت وصية من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما ترك علي -رضي الله عنه- أحداً يتقدمه. قال: فما تقول في أموال بني أمية؟ قلت: إن كانت لهم حلالا، فهي

عليك حرام، وإن كانت عليهم حراما، فهي عليك أحرم. فأمرني، فأخرجت.

قلت: قد كان عبد الله بن علي ملكا جبارا، سفاكا للدماء، صعب المراس، ومع هذا فالإمام الأوزاعي يصدعه بمر الحق كما ترى، لا كخلق من علماء السوء، الذين يحسنون للأمراء ما يقتحمون به من الظلم والعسف، ويقلبون لهم الباطل حقا -قاتلهم الله- أو يسكتون مع القدرة على بيان الحق.

< جاء في الحاشية (٤) ص: (١٢٤): " سماطان ": صفان >.

أبو الأسوار محمد بن عمر التنوحي، قال: كتب المنصور إلى الأوزاعي: أما بعد... فقد جعل أمير المؤمنين في عنقك ما جعل الله لرعيته قبلك في عنقه، فاكتب إليَّ بما رأيت فيه المصلحة مما أحببت. فكتب إليه: أما بعد.. فعليك بتقوى الله، وتواضع يرفعك الله يوم يضع المتكبرين في الأرض بغير الحق، واعلم أن قرابتك من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لن تزيد حق الله عليك إلا عظما، ولا طاعته إلا وجوبا. **٧ / ١٢٤ - ١٢٥**

(١٨٩) ويلٌ لهم!.. ويلٌ لهم!!..

وقال الوليد بن مزيد: سمعت الأوزاعي يقول: كان يقال: ويل للمتفقهين لغير العبادة، والمستحلين الحرمات بالشبهات. **٧ / ١٢٦**

(١٩٠) أطفئوا النار!

العباس بن الوليد بن مزيد: سمعت عقبة بن علقمة قال: سبب موت الأوزاعي أنه اختضب، ودخل الحمام الذي في منزله، وأدخلت معه امرأته كانوناً فيه فحم، لئلا يصيبه البرد، وأغلقت عليه من بَرًّا، فلما هاج الفحم، ضعفت نفسه، وعالج الباب ليفتحه، فامتنع عليه، فألقى نفسه، فوجدناه موسدا ذراعه إلى القبلة. ٧ / ١٢٧

(١٩١) من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه

قال محمد بن عمر الواقدي: ولد - أي: محمد بن أبي ذئب - سنة ثمانين وكان من أورع الناس وأودعهم، ورمي بالقدر، وما كان قدريا، لقد كان يتقي قولهم ويعيبه. ولكنه كان رجلاً كريما، يجلس إليه كل أحد ويغشاه فلا يطرده، ولا يقول له شيئا، وإن مرض، عاده؛ فكانوا يتهمونه بالقدر، لهذا وشبهه.

قلت: كان حقه أن يكفهر في وجوههم، ولعله كان حسن الظن بالناس. ٧ / ١٤٠ - ١٤١

أبا صالح الفراء، سمعت يوسف بن أسباط يقول: قال لي سفيان: إذا رأيت القارئ يلوذ بالسلطان، فاعلم أنه لص، وإذا رأيته يلوذ بالأغنياء فاعلم أنه مراء، وإياك أن تخدع، ويقال لك: ترد مظلمة، وتدفع عن مظلوم، فإن هذه خدعة إبليس، اتخذها القراء سلما. ١٣ / ٥٨٦

(١٩٢) عزة العالم

أحمد بن محمد بن عيسى، حدثنا أبو العيناء، قال: لما حج المهدي، دخل مسجد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلم يبق أحد إلا قام، إلا ابن أبي ذئب، فقال له المسيب بن زهير: قم، هذا أمير المؤمنين. فقال: إنما يقوم الناس لرب العالمين. فقال المهدي: دعه، فلقد قامت كل شعرة في رأسي. ٧ / ١٤٣

وقال البغوي: حدثنا هارون بن سفيان قال: قال أبو نعيم: حججت عام حج أبو جعفر ومعه ابن أبي ذئب، ومالك بن أنس، فدعا ابن أبي ذئب، فأقعده معه على دار الندوة، فقال له: ما تقول في الحسن بن زيد بن حسن -يعني أمير المدينة-؟ فقال: إنه ليتحرى العدل. فقال له: ما تقول فيَّ -مرتين-؟ فقال: ورب هذه البنية إنك لجائر. قال: فأخذ الربيع الحاجب بلحيته، فقال له أبو جعفر: كف يا ابن اللخناء، ثم أمر لابن أبي ذئب بثلاث مئة دينار. ٧ / ١٤٤

أبو مصعب: سمعت مالكاً - أي: ابن أنس - يقول: دخلت على أبي جعفر أمير المؤمنين، وقد نزل على مثال له - يعني فرشه - وإذا بساطه دابتان ما تروثان ولا تبولان، وجاء صبي يخرج ثم يرجع، فقال لي: أتدري من هذا؟ قلت: لا. قال: هذا ابني، وإنما يفزع من هيبتك، ثم ساءلني عن أشياء منها حلال، ومنها حرام، ثم قال لي: أنت - والله - أعقل الناس، وأعلم الناس. قلت: لا والله يا أمير المؤمنين. قال: بلى، ولكنك تكتم. ثم قال: والله لئن بقيت لأكتبن قولك كما تكتب المصاحف، ولأبعثن به إلى الآفاق، فلأحملنهم عليه. ٨ / ٦١ – ٦٢

عمر بن المحبِّر الرُّعيني، قال: قدم المهدي المدينة، فبعث إلى مالك - أي: ابن أنس -، فأتاه، فقال لهارون وموسى: اسمعا منه، فبعث إليه، فلم يجبهما، فأعلما المهدي، فكلمه، فقال: يا أمير المؤمنين، العلم يُؤتى أهله. فقال: صدق مالك، صيرا إليه، فلما صارا إليه، قال له مؤدبهما: اقرأ علينا، فقال: إن أهل المدينة يقرؤون على العالم، كما يقرأ الصبيان على المعلم، فإذا أخطأوا، أفتاهم. فرجعوا إلى المهدي، فبعث إلى مالك، فكلمه، فقال: سمعت ابن شهاب يقول: جمعنا هذا العلم في الروضة من رجال، وهم يا أمير المؤمنين: سعيد بن المسيب، وأبو سلمة، وعروة، والقاسم، وسالم، وخارجة بن زيد، وسليمان بن يسار، ونافع، وعبدالرحمن بن هرمز. ومن بعدهم: أبو الزناد، وربيعة، ويحيى بن سعيد، وابن شهاب. كل هؤلاء يُقرأ عليهم ولا يقرؤون. فقال: في هؤلاء قدوة، صيروا إليه، فاقرؤوا عليه، ففعلوا. **٨/٦٣-٦٤**

قال - أي: أحمد بن داود الحُدَّاني -: ورأيت فَرَجاً خادم أمير المؤمنين جاء إلى عيسى - أي: ابن يونس - وهو قاعد بدرب الحدث على بابه، فكلمه، فما رفع به رأسا، ولا نظر إليه، فانصرف ذليلا. **٨/٤٩٣**

وروي عن رجل عن وكيع أن عبد الله بن إدريس امتنع من القضاء، وقال للرشيد: لا أصلح، فقال الرشيد: وددت أني لم أكن رأيتك، فقال: وأنا وددت أني لم أكن رأيتك، فخرج. ثم ولى حفص بن غياث، وبعث الرشيد بخمسة آلاف إلى ابن إدريس، فقال للرسول - وصاح به -: مُرَّ من هنا، فبعث إليه الرشيد: لم تَلِ لنا، ولم تقبل صلتنا، فإذا جاءك ابني

المأمون، فحدثه، فقال: إن جاء مع الجماعة، حدثناه، وحلف ألا يكلم حفص بن غياث حتى يموت. **٩ / ٤٧**

ابن عرعرة، حدثني يحيى بن أكثم قال: قال لنا المأمون: لولا مكان يزيد بن هارون، لأظهرت القرآن مخلوق، فقيل: ومن يزيد حتى يتقى؟ فقال: ويحك إني لأرتضيه لا أن له سلطنة، ولكن أخاف إن أظهرته، فيرد علي، فيختلف الناس، وتكون فتنة. **٩ / ٣٦٢**

وفي حكاية المأمون المذكورة زيادة، قال: فخرج رجل -يعني من ناحية المأمون إلى واسط- قال: فجاء إلى يزيد، فقال: أمير المؤمنين يقرئك السلام، ويقول لك: أريد أن أظهر: القرآن مخلوق، قال: كذبت على أمير المؤمنين، فإنه لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه. **٩ / ٣٦٤**

وطلب - أي: خالد بن أحمد الذهلي - من البخاري أن يحدث بقصره "بالصحيح" ليَسْمَعَهُ أولادُه، فأبى، فتألم، وأخرجه من بخارى.

وكان المأمون قد وكل بالفَرَّاء ولديه يلقنهما النحو، فأراد القيام، فابتدرا إلى نعله، فقدم كل واحد فردة، فبلغ ذلك المأمون، فقال: لن يكبر الرجل عن تواضعه لسلطانه وأبيه ومعلمه. **١٠ / ١١٩**

قال جعفر بن حمدويه: كنا على باب قبيصة - أي: ابن عقبة -، ومعنا دلف ابن الأمير أبي دلف، ومعه الخدم، يكتب الحديث، فصار إلى باب قبيصة، فدق عليه، فأبطأ قبيصة، فعاوده الخدم. وقيل له: ابن ملك الجبل على الباب، وأنت لا تخرج إليه فخرج وفي طرف إزاره كسر من الخبز،

فقال: رجل قد رضي من الدنيا بهذا، ما يصنع بابن ملك الجبل؟ والله لا حدثته. فلم يحدثه. ١٠ / ١٣٤

قال الخطابي: حدثني عبد الله بن محمد المسكي، حدثني أبو بكر بن جابر خادم أبي داود - أي: صاحب السنن رحمه الله- قال: كنت مع أبي داود ببغداد، فصلينا المغرب، فجاءه الأمير أبو أحمد الموفق -يعني ولي العهد- فدخل، ثم أقبل عليه أبو داود، فقال: ما جاء بالأمير في مثل هذا الوقت؟ قال: خلالٌ ثلاث. قال: وما هي؟ قال: تنتقل إلى البصرة فتتخذها وطنا، ليرحل إليك طلبة العلم، فتعمُر بك، فإنها قد خربت، وانقطع عنها الناس، لِما جرى عليها من محنة الزنج. فقال: هذه واحدة. قال: وتروي لأولادي "السنن". قال: نعم، هات الثالثة. قال: وتفرد لهم مجلساً، فإن أولاد الخلفاء لا يقعدون مع العامة. قال: أما هذه فلا سبيل إليها، لأن الناس في العلم سواء.

قال ابن جابر: فكانوا يحضرون ويقعدون في كمٍ حِيرِي، عليه سِتر، ويسمعون مع العامة. ١٣ / ٢١٦

قال أبو حفص بن شاهين: أراد الوزير علي بن عيسى أن يصلح بين ابن أبي داود - أي: أبو بكر -، وابن صاعد، فجمعهما، وحضر أبو عمر القاضي، فقال الوزير: يا أبا بكر! أبو محمد أكبر منك، فلو قمت إليه، فقال: لا أفعل. فقال الوزير: أنت شيخ زيف، فقال: الشيخ الزيف: الكذاب على رسول الله صلى الله عله وسلم. فقال الوزير: من الكذاب؟ قال: هذا. ثم قام، وقال: تتوهم أني أذل لك لأجل رزقي، وأنه يصل إلي على يدك؟! والله

لا آخذ من يدك شيئا. قال: فكان الخليفة المقتدر يزن رزقه بيده، ويبعث به في طبق على يد الخادم. ١٣ / ٢٢٦

ومن محاسنه - أي: المنصور العبيدي - أنه ولّى محمد بن أبي المنظور الأنصاري قضاء القيروان، وكان من كبار أصحاب الحديث، قد لقي إسماعيل القاضي، والحارث بن أبي أسامة، فقال: بشرط أن لا آخذ رزقا ولا أركب دابة، فولاه ليتألف الرعية، فأحضر إليه يهودي قد سَبَّ، فبطحه وضربه إلى أن مات تحت الضرب، خاف أن يحكم بقتله فتحلّ عليه الدولة.

< جاء في الحاشية (٦) ص: (١٥٧) ما نصه: في "معالم الإيمان": ٣ / ٥٥: " فاشترط عليه أن لا يأخذ صلة، ولا يركب لهم دابة، ولا يقبل شهادة من طاف بهم أو قاربهم، ولا يركب إليهم مهنياً ولا معزياً " >.

< جاء في الحاشية (٧) ص: (١٥٧) بيان أن اليهودي قد سب النبي ﷺ >.

< جاء في الحاشية (١) ص: (١٥٨) ما نصه: في " معالم الإيمان": ٣ / ٥٦: " وإنما فعل ذلك - والله أعلم - لأنه لو رفع أمره إليه - يعني للمنصور - لم يقتله بسبب السب، فأظهر أنما يضربه ضرب الأدب، ليصل بذلك إلى قتله، فإذا قيل: لم قتلته؟ قال: مات من الضرب... >.

وأتى - أي: محمد بن أبي المنظور الأنصاري - يوما بيته، فوجد سُلاف داية السلطان - أي: المنصور العبيدي - تشفع في امرأة نائحة فاسقة ليطلقها من حبسه، فقال: ما لِك؟ قالت: قضيبُ محبوبة المنصور تطلب منك أن تطلقها، فقال: يا منتنة، لولا شيء لضربتك، لعنك الله، ولعن من أرسلك. فولولت، وشقت ثيابها، ثم ذكرت أمرها للمنصور، فقال: ما أصنع به؟ ما أخذ منا صلة، ولا نقدر على عزله، نحن نحب إصلاح البلد. ١٥ / ١٥٧ - ١٥٨

الفضل بن عمر النسوي يقول: كنت بجامع صور عند أبي بكر الخطيب - أي: البغدادي -، فدخل عَلَوِيٌّ وفي كُمِّه دنانير، فقال: هذا الذهب تصرفه في مهماتك. فقطَّب في وجهه، وقال: لا حاجة لي فيه، فقال: كأنك تستقله، وأرسله من كمه على سجادة الخطيب. وقال: هذه ثلاث مئة دينار. فقام الخطيب خجلاً محمراً وجهه، وأخذ سجادته، ورمى الدنانير، وراح. فما أنى عِزَّهُ وذُلَّ العلوي وهو يلتقط الدنانير من شقوق الحصير. **١٨ / ٢٧٧ - ٢٧٨**

قال نظام الملك -وأثنى على أبي إسحاق (أي: الشيرازي) وقال -: كيف حالي مع رجل لا يفرق بيني وبين " نهروز " الفراش في المخاطبة؟! قال لي: بارك الله فيك. وقال له لما صبّ عليه كذلك! **١٨ / ٤٥٩**

وشهِد عنده- أي: عند أبي بكر محمد بن المظفر الحَموي - المشطّب الفرغاني، فلم يقبله، لكونه يلبس الحرير، فقال: تردني، والسلطان ووزيره نظام الملك يلبسانه؟! فقال: ولو شهِدا لما قبلتهما. **١٩ / ٨٦**

قال ابن الجوزي: كان - أي: محمد بن يحيى الزبيدي - يقول الحق وإن كان مراً، لا تأخذه في الله لومة لائم، قيل: دخل على الوزير الزينبي وعليه خلعة الوزارة، وهم يهنئونه، فقال: هو ذا يوم عزاء، لا يوم هناء، فقيل: ولم؟ قال: أهنئ على لبس الحرير؟! **٢٠ / ٣١٧**

قال عبد القادر الحافظ: وكان أبو طاهر - أي: أحمد بن محمد السِّلفي - لا تبدو منه جفوة لأحد، ويجلس للحديث فلا يشرب ماء، ولا يبزق، ولا يتورك، ولا تبدو له قدم، وقد جاز المئة. بلغني أن سلطان مصر حضر عنده للسماع، فجعل يتحدث مع أخيه، فزبرهما، وقال: أيش هذا، نحن نقرأ الحديث وأنتما تتحدثان؟! **٢١ / ٢٤**

قال: وحضر عنده - أي: عند أبي طاهر أحمد بن محمد السِّلفي - السلطان صلاح الدين وأخوه الملك العادل لسماع الحديث، فتحدثا، فأظهر لهما الكراهة وقال: أنتما تتحدثان، وحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- يُقرأ؟! فأصغيا عند ذلك.

قلت: وقد حدث السلطان عنه. **٢١ / ٢٨**

قال أبو شامة:... وحدثني ابنه - أي: ابن قاضي القضاة أبو القاسم عبدالصمد بن محمد ابن الحَرَستاني - قال: جاء غليه ابن عُنين، فقال: السلطان يُسلِّم عليك ويوصي بفلان، فإن له محاكمة. فغضب وقال: الشرع ما يكون فيه وصية. **٢٢ / ٨٣**

(١٩٣) الأخذ عن أهل البدع

قال الحافظ محمد بن البرقي: قلت ليحيى بن معين: أرأيت من يرمى بالقدر يكتب حديثه؟ قال: نعم، قد كان قتادة، وهشام الدستوائي، وسعيد بن أبي عروبة، وعبد الوارث -وذكر جماعة- يقولون بالقدر، وهم ثقات، يكتب حديثهم ما لم يدعوا إلى شيء.

قلت: هذه مسألة كبيرة، وهي: القدري والمعتزلي والجهمي والرافضي، إذا علم صدقه في الحديث وتقواه، ولم يكن داعيا إلى بدعته، فالذي عليه أكثر العلماء قبول روايته، والعمل بحديثه، وترددوا في الداعية، هل يؤخذ عنه؟ فذهب كثير من الحفاظ إلى تجنب حديثه، وهجرانه، وقال بعضهم: إذا علمنا صدقه، وكان داعية، ووجدنا عنده سنة تفرد بها، فكيف يسوغ لنا ترك تلك السنة؟ فجميع تصرفات أئمة الحديث

تؤذن بأن المبتدع إذا لم تبح بدعته خروجه من دائرة الإسلام، ولم تبح دمه، فإن قبول ما رواه سائغ. وهذه المسألة لم تتبرهن لي كما ينبغي، والذي اتضح لي منها أن من دخل في بدعة، ولم يعد من رءوسها، ولا أمعن فيها، يقبل حديثه كما مثل الحافظ أبو زكريا بأولئك المذكورين، وحديثهم في كتب الإسلام لصدقهم وحفظهم.

<< جاء في الحاشية: " جاء في " تاريخ الثقات " لابن حبان في ترجمة جعفر بن سليمان الضبعي ما نصه: ليس بين أهل الحديث من أئمتنا خلاف أن الصدوق المتقن إذا كان فيه بدعة، ولم يكن يدعو إليها، أن الاحتجاج بأخباره جائز، فإذا دعا إلى بدعته، سقط الاحتجاج بأخباره ". وقال أيضاً في صحيحه: ١٢٠: " وأما المنتحلون المذاهب من الرواة، مثل الإرجاء والترفض وما أشبههما، فإنا نحتج بأخبارهم إذا كانوا ثقات، على الشرط الذي وصفناه، ونكل مذاهبهم وما تقلدوه فيما بينهم وبين خالقهم إلى الله جل وعلا، إلا أن يكونوا دعاة إلى ما انتحلوا، فإن الداعي إلى مذهبه، والذاب عنه حتى يصير إماماً فيه - وإن كان ثقة - ثم روينا عنه، جعلنا للاتباع لمذهبه طريقاً، وسوغنا للمتعلم الاعتماد عليه وعلى قوله. فالاحتياط ترك رواية الأئمة الدعاة منهم، والاحتجاج بالثقات الرواة منهم، على حسب ما وصفنا. ولو عمدنا إلى ترك حديث الأعمش، وأبي إسحاق، وعبدالملك بن عمير، وأضرابهم، لما انتحلوا، وإلى قتادة، وسعيد بن أبي عروبة، وابن أبي ذئب، وأشباههم، لما تقلدوا، وإلى عمر بن ذر، وإبراهيم التيمي، ومسعر بن كدام، وأقرانهم، لما اختاروا، فتركنا حديثهم لمذاهبهم، لكان ذلك ذريعة إلى ترك السنن كلها، حتى لا يصل في أيدينا من السنن إلا الشئ اليسير ".

والحق في هذه المسألة، كما قال العلامة محمد بخيت المطيعي في حاشيته على " نهاية السول ": ٣ / ٧٤٤: " قبول رواية كل من كان من أهل القبلة، يصلي بصلاتنا، ويؤمن بكل ما جاء به رسولنا مطلقاً، متى كان يقول بحرمة الكذب، فإنه من كان كذلك، لا يمكن أن يبتدع بدعة إلا وهو متأول فيها، مستند في القول بها إلى كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ بتأول رآه اجتهاده، وكل مجتهد مأجور - وإن أخطأ -. نعم، إذا كان ينكر أمراً متواتراً من الشرع، معلوماً من الدين بالضرورة، أو اعتقد عكسه، كان كافراً قطعاً، لأن ذلك ليس محلاً للاجتهاد، بل هو مكابرة فيما هو متواتر من الشريعة، معلوم من الدين بالضرورة، فيكون كافراً مجاهراً، فلا يقبل مطلقاً، حَرَّمَ الكذب أو لم يُحرمه >>. **٧ / ١٥٣ - ١٥٥**

(١٩٤) العفة عما في أيدي الناس

وقال مسعر - أي: ابن كدام -: من صبر على الخل والبقل، لم يستعبد. **٧ / ١٦٥**

(١٩٥) أيهما أفضل: طلب العلم أم النافلة؟

ابن أبي حاتم: حدثنا الربيع، سمعت الشافعي يقول: قراءة الحديث خير من صلاة التطوع، وقال: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة. **١٠ / ٢٣**

قال عمر بن محمد بن رجاء: حدثنا عبد الله بن أحمد - أي: ابن حنبل -، قال: لما قدم أبو زرعة نزل عند أبي، فكان كثير المذاكرة له؛ فسمعت

أبي يوما يقول: ما صليت اليوم غير الفريضة. استأثرت بمذاكرة أبي زرعة على نوافلي. ١١/ ٢٢٨

قال أبو عبدالله بن بطة: سمعت النجَّاد، سمعت عبدالله بن أحمد يقول: لما ورد علينا أبو زُرعة - أي: الرازي -، نزل عندنا، فقال لي أبي: يا بني! قد اعتضت بنوافلي مذاكرة هذا الشيخ. ١٣/ ٦٨

قال أبو أسامة: سمعت مسعراً - أي: ابن كدام - يقول: إن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله، وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون؟.

قلت: هذه مسألة مختلف فيها: هل طلب العلم أفضل، أو صلاة النافلة والتلاوة والذكر؟. فأما من كان مخلصا لله في طلب العلم، وذهنه جيد، فالعلم أولى، ولكن مع حظ من صلاة وتعبد، فإن رأيته مُجِداً في طلب العلم، لا حظ له في القربات، فهذا كسلان مهين، وليس هو بصادق في حسن نيته. وأما من كان طلبه الحديث والفقه غِيَّةً ومحبة نفسانية، فالعبادة في حقه أفضل، بل ما بينهما أفعل تفضيل، وهذا تقسيم في الجملة، فقلَّ - والله- من رأيته مخلصًا في طلب العلم، دعنا من هذا كله. فليس طلب الحديث اليوم على الوضع المتعارف من حيِّز طلب العلم، بل اصطلاح وطلب أسانيد عالية، وأخذٌ عن شيخ لا يعي، وتسميع لطفل يلعب ولا يفهم، أو لرضيع يبكي، أو لفقيه يتحدث مع حدث، أو آخر ينسخ. وفاضلهم مشغول عن الحديث بكتابة الأسماء أو بالنعاس، والقارئ إن كان له مشاركة فليس عنده من الفضيلة أكثر من قراءة ما في الجزء، سواء تصحف عليه الاسم، أو اختبط المتن، أو كان من الموضوعات. فالعلم عن هؤلاء بمعزل، والعمل لا أكاد أراه، بل أرى أموراً سيئة. نسأل الله العفو. ٧/ ١٦٧

(١٩٦) ذم المزاح والجدال

قال جعفر بن عون: سمعت مسعراً - أي: ابن كدام - يوصي ولده كداما:

إني منحتك يا كدام نصيحتي فاسمع مقال أب عليك شفيق
أما المزاحة والمراء، فدعهما خلقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحمدهما لمجاور جاراً ولا لرفيق
والجهل يزري بالفتى في قومه وعروقه في الناس أي عروق

٧ / ١٧٠

(١٩٧) المواعظ تجدد العبودية

قال هانئ بن المتوكل: حدثني محمد بن عبادة المعافري قال: كنا عند أبي شريح -رحمه الله- - أي: عبدالرحمن بن شريح - فكثرت المسائل، فقال: قد دَرِنت قلوبكم، فقوموا إلى خالد بن حميد المهري استقلوا قلوبكم، وتعلموا هذه الرغائب والرقائق، فإنها تجدد العبادة، وتورث الزهادة، وتجر الصداقة، وأقلوا المسائل، فإنها في غير ما نزل تقسي القلب، وتورث العداوة.

قلت: صدق والله، فما الظن إذا كانت مسائل الأصول، ولوازم الكلام في معارضة النص، فكيف إذا كانت من تشكيكات المنطق، وقواعد الحكمة، ودين الأوائل؟! فكيف إذا كانت من حقائق "الاتحادية"، وزندقة "السبعينية"، ومرق "الباطنية"؟! فواغربتاه، ويا قلة ناصراه. آمنت بالله، ولا قوة إلا بالله. ٧ / ١٨٢ - ١٨٣

(١٩٨) لذة العبادة

قال ابن المبارك: قيل لوهيب - أي: ابن الورد -: يجد طعم العبادة من يعصي؟ قال: و لا من يهم بالمعصية!. ٧ / ١٩٩

قال نصر بن محمد البلخي: قال أحمد بن حرب: عبدت الله خمسين سنة، فما وجدت حلاوة العبادة حتى تركت ثلاثة أشياء: تركت رضى الناس حتى قدرت أن أتكلم بالحق، وتركت صحبة الفاسقين حتى وجدت صحبة الصالحين، وتركت حلاوة الدنيا حتى وجدت حلاوة الآخرة. ١١ / ٣٤

(١٩٩) الاغترار بالعلم!

وقيل إنه - أي: مقاتل بن سليمان - قال: سلوني عما دون العرش!. فقالوا: أين أمعاء النملة؟. فسكت!. وسألوه: لما حج آدم: من حلق رأسه؟. فقال: لا أدري!. ٧ / ٢٠٢

(٢٠٠) أول من ابتدأ بالجرح والتعديل

قال المصنف رحمه الله: وكان أبو بسطام - أي: شعبة بن الحجاج - إماماً ثبتاً حجة، ناقداً، جهبذاً، صالحاً، زاهداً، قانعاً بالقوت، رأساً في العلم والعمل، منقطع القرين، وهو أول من جرَّح وعدَّل، أخذ عنه هذا الشأن يحيى بن سعيد القطان، وابن مهدي، وطائفة. ٧ / ٢٠٦

(٢٠١) نموذج للقناعة والزهد

وحدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه، سمعت أبا الوليد، سمعت شعبة - أي: ابن الحجاج - يقول: إذا كان عندي دقيق وقصب ما أبالي ما فاتني من الدنيا.

حدثني عباس بن محمد، حدثني قراد أبو نوح قال: رأى عليَّ شعبة قميصاً، فقال: بكم اشتريت هذا؟ فقلت: بثمانية دراهم. فقال لي: ويحك أما تتقي الله؟! ألا اشتريت قميصاً بأربعة دراهم، وتصدقت بأربعة كان خيرا لك؟ قلت: يا أبا بسطام، إنا مع قوم نتجمل لهم. قال: أيش نتجمل لهم؟! ٧ / ٢٠٧ - ٢٠٨

(٢٠٢) منع الجهلاء من التصدر للتعليم

قال الشافعي: كان شعبة- أي: ابن الحجاج - يجيء إلى الرجل - يعني الذي ليس أهلا للحديث- فيقول: لا تحدث، وإلا استعديت عليك السلطان. ٧ / ٢١٥

(٢٠٣) صفات من لا يروى عنه

قال نعيم بن حماد: سمعت عبد الرحمن بن مهدي يقول: قلت لشعبة- أي: ابن الحجاج -: من الذين تترك الرواية عنهم؟ قال: إذا أكثر عن المعروفين من الرواية ما لا يعرف، أو أكثر الغلط، أو تمادى في غلط مجتمع

عليه، ولم يتهم نفسه عند اجتماعهم على خلافه، أو رجل متهم بكذب، وسائر الناس، فارِو عنهم. ٧ / ٢٢١

(٢٠٤) الغيبة في الله!

عن النضر بن شميل: سمعت شعبة- أي: ابن الحجاج - يقول: تعالوا نغتاب في الله. يريد الكلام في الشيوخ. ٧ / ٢٢٣

قال أبو صالح الفراء: حكيت ليوسف بن أسباط عن وكيع شيئا من أمر الفتن، فقال: ذاك يشبه أستاذه -يعني الحسن بن حي- فقلت ليوسف: أما تخاف أن تكون هذه غيبة؟ فقال: لم يا أحمق؟ أنا خير لهؤلاء من آبائهم وأمهاتهم، أنا أنهى الناس أن يعملوا بما أحدثوا فتتبعهم أوزارهم، ومن أطراهم، كان أضر عليهم. ٧ / ٣٦٤

(٢٠٥) الاستمرار في طلب العلم أمر عزيز!

وقال ابن عقيل - أي: أبو الوفاء الحنبلي -: عصمني الله في شبابي بأنواع من العصمة، وقصر محبتي على العلم، وما خالطت لعَّاباً قط، ولا عاشرت إلا أمثالي من طلبة العلم. وأنا في عشر الثمانين أجد من الحرص على العلم أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين. وبلغتُ لاثنتي عشرة سنة. وأنا اليوم لا أرى نقصا في الخاطر والفكر والحفظ وحدة النظر بالعين لرؤية الأهلة الخفية، إلا أن القوة ضعيفة. ١٩ / ٤٤٦

قال يحيى بن أبي طالب: سمعت أبا داود يقول: كنت يوما بباب شعبة- أي: ابن الحجاج -، وكان المسجد مَلْأً، فخرج شعبة فاتكأ علي، وقال: يا سليمان! ترى هؤلاء كلهم يخرجون محدثين؟ قلت: لا. قال: صدقت، ولا خمسة، يكتب أحدهم في صغره، ثم إذا كبر تركه، أو يشتغل بالفساد. قال: ثم نظرت بعد ذلك، فما خرج منهم خمسة. **٧ / ٢٢٥**

روى أبو زرعة الطبري، عن ابن دُرُسْتُوَيْه - صاحب سهل - قال: قال سهل - أي: ابن عبدالله التُستَري -، ورأى أصحاب الحديث فقال: اجهدوا أن لا تلقوا الله إلا ومعكم المحابر.

ورُوي في كتاب " ذم الكلام ": سئل سهل: إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: حتى يموت، ويُصَبّ باقي حبره في قبره! **١٣ / ٣٣٠ - ٣٣١**

(٢٠٦) الإتقان مقدم على الإكثار

قال أبو الوليد: سمعت شعبة- أي: ابن الحجاج - يقول: كنت آتي قتادة، فأسأله عن حديثين، فيحدثني، ثم يقول: أزيدك؟ فأقول: لا، حتى أحفظهما، وأتقنهما. **٧ / ٢٢٥ - ٢٢٦**

(٢٠٧) الجمع بين العلم والعبادة

قال الإمام أحمد: كان شعبة- أي: ابن الحجاج - أمة وحده في هذا الشأن. وقال عبد السلام بن مطهر: ما رأيت أحدا أمعن في العبادة من شعبة. **٧ / ٢٢٦**

وروى ضمرة، عن المثنى بن الصباح قال: سفيان - أي: الثوري - عالم الأمة وعابدها. ٧ / ٢٣٨

وروى عبد الله بن خبيق، عن يوسف بن أسباط: قال لي سفيان- أي: الثوري - بعد العشاء: ناولني المطهرة أتوضأ. فناولته فأخذها بيمينه ووضع يساره علي خده، فبقي مفكراً، ونمت، ثم قمت وقت الفجر، فإذا المطهرة في يده كما هي فقلت: هذا الفجر قد طلع، فقال: لم أزل منذ ناولتني المطهرة أتفكر في الآخرة حتى الساعة. ٧ / ٢٤٠ - ٢٤١

ذكر ابن عبد البر في كتاب "العلم" له: قال ابن وهب - أي: عبد الله -: كان أول أمري في العبادة قبل طلب العلم، فولع بي الشيطان في ذكر عيسى ابن مريم -عليه السلام- كيف خلقه الله -تعالى-؟ ونحو هذا، فشكوت ذلك إلى شيخ، فقال لي: ابن وهب، قلت: نعم؟. قال: اطلب العلم. فكان سبب طلبي العلم. ٩ / ٢٢٤

قال أبو عبدالله الحاكم: حمزة المصري هو على تقدمه في معرفة الحديث أحُد من يذكر بالزهد والورع والعبادة. ١٦ / ١٨٠

كان - أي: يحيى بن مجاهد بن عوانة الأندلسي - منقطع القرين، مجاب الدعوة، جربت دعوته في أشياء ظهرت، حج وعُني بالقراءات والتفسير، وله حظٌ من الفقه، لكن غلبت عليه العبادة... وذكره عمر بن عفيف فقال: كان من أهل العلم والزهد والتقشف والعبادة. ١٦ / ٢٤٥

وقال أبو موسى المديني: مع ما ذُكِر من عبادته - أي: عبدالله بن محمد بن جعفر بن حيان، المعروف بأبي الشيخ -، كان يكتب كل يوم

دستجة كاغد، لأنه كان يورق ويصنف، وعرض كتابه " ثواب الأعمال " على الطبراني، فاستحسنه. ويروى عنه أنه قال: ما عملتُ فيه حديثاً إلا بعد أن استعملته. ١٦ / ٢٧٨

قال أبو علي الصدفي: هو - أي: أبو بكر محمد بن المظفر الحَموي - ورِع زاهد. وأما الفقه، فكان يقال: لو رفع مذهب الشافعي، لأمكنه أن يمليه من صدره. ١٩ / ٨٧

وقال ابن رشيد: كان - أي: أبو محمد عبدالله بن محمد الحَجْري الأندلسي - يجمع إلى الزهد والحفظ، المشاركة في أنواع من العلم. رحمه الله. ٢١ / ٢٥٥

(٢٠٨) أثر صحبة الصالحين

وقال أبو بكر بن عياش: إني لأرى الرجل يصحب سفيان- أي: الثوري -، فيعظم في عيني. ٧ / ٢٣٩

(٢٠٩) الحرص على تطبيق السنة

عبد الرحمن بن مهدي: سمعت سفيان - أي: الثوري - يقول: ما بلغني عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديث قط إلا عملت به، ولو مرة. ٧ / ٢٤٢

(٢١٠) التقوي على الطاعة

وقال عبد الرزاق: دعا الثوري بطعام ولحم، فأكله، ثم دعا بتمر وزبد فأكله، ثم قام، وقال: أَحسِنْ إلى الزَّنْجي وكُدَّه. ٧ / ٢٤٣

قال عبد الرزاق: لما قدم سفيان - أي: الثوري - علينا، طبخت له قدر سكباج فأكل، ثم أتيته بزبيب الطائف، فأكل ثم قال: يا عبد الرزاق! اعلف الحمار وكُدَّه. ثم قام يصلي حتى الصباح.

وقال أحمد بن يونس: أكلت عند سفيان خشكنانج، فقال: هذا أهدي لنا. وقال عبد الرزاق: أكل سفيان مرة تمراً بزبد، ثم قام يصلي حتى زالت الشمس. ٧ / ٢٧٧

(٢١١) الحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال شجاع بن الوليد: كنت أحج مع سفيان، فما يكاد لسانه يفتر من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، ذاهباً وراجعاً. ٧ / ٢٥٩

(٢١٢) البعد عن الترف في الحج

محمد بن مسعود، عن سفيان - أي: الثوري - قال: أُدخلت على المهدي بمنى، فسلمت عليه بالإمرة، فقال: أيها الرجل! طلبناك، فأعجزتنا، فالحمد لله الذي جاء بك، فارفع إلينا حاجتك. فقلت: قد ملأت الأرض ظلماً وجوراً، فاتق الله، وليكن منك في ذلك عبره. فطأطأ رأسه، ثم قال: أرأيت إن لم أستطع دفعه؟ قال: تخليه وغيرك. فطأطأ رأسه، ثم قال: ارفع إلينا

حاجتك. قلت: أبناء المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان بالباب، فاتق الله، وأوصل إليهم حقوقهم. فطأطأ رأسه، فقال أبو عبيد الله: أيها الرجل! ارفع إلينا حاجتك. قلت: وما أرفع؟ حدثني إسماعيل بن أبي خالد، قال: حج عمر، فقال لخازنه: كم أنفقت؟ قال: بضعة عشر درهما. وإني أرى هاهنا أموراً لا تطيقها الجبال. ٧ / ٢٦٤ - ٢٦٥

(٢١٣) البلاء نعمة

ابن المبارك: عن سفيان - أي: الثوري -، قال: ليس بفقيه من لم يعد البلاء نعمة، والرخاء مصيبة. ٧ / ٢٦٦

ابن سعد: حدثنا الواقدي قال: لما دعي مالك - أي: ابن أنس -، وشُوِوِر، وسُمِع منه، وقُبِل قوله، حُسِد، وبَغَوه بكل شئ، فلما ولي جعفر بن سليمان المدينة، سعوا به إليه، وكثروا عليه عنده، وقالوا: لا يرى أيمان بيعتكم هذه بشئ، وهو يأخذ بحديث رواه عن ثابت بن الأحنف في طلاق المُكرَه: أنه لا يجوز عنده. قال: فغضب جعفر، فدعا بمالك، فاحتج عليه بما رُفع إليه عنه، فأمر بتجريده، وضَرْبِه بالسياط، وجُبِذَت يده حتى انخلعت من كتفه، وارتُكِبَ منه أمرٌ عظيم، فوالله مازال مالك بعدُ في رفعة وعلو.

قلت: هذا ثمرة المحنة المحمودة، أنها ترفع العبد عند المؤمنين، وبكل حال فهي بما كسبت أيدينا، ويعفو الله عن كثير، " ومن يرد الله به خيراً يصب منه "، وقال النبي ﷺ: " كل قضاء المؤمن خير له "، وقال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [محمد: ٣١]، وأنزل تعالى في

وقعة أُحد قوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٦٥] وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى: ٣٠]. فالمؤمن إذا امتحن صبر واتعظ، واستغفر ولم يتشاغل بذم من انتقم منه، فالله حَكَمٌ مُقسِط، ثم يحمد الله على سلامة دينه، ويعلم أن عقوبة الدنيا أهون وخير له. ٨ / ٨٠ - ٨١

أخبرني خالي موفق الدين قال: كان الحافظ عبد الغني - أي: المقدسي - جامعا للعلم والعمل، وكان رفيقي في الصبا، وفي طلب العلم، وما كنا نستبق إلى خير إلا سبقني إليه إلا القليل، وكمل الله فضيلته بابتلائه بأذى أهل البدعة وعداوتهم، ورزق العلم وتحصيل الكتب الكثيرة إلا أنه لم يعمر. ٢١ / ٤٥٣

(٢١٤) وفاء طير!

قال أبو نعيم: حدثنا الطبراني، حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا عارم، قال: أتيت أبا منصور أعوده، فقال لي: بات سفيان - أي: الثوري - في هذا البيت، وكان هنا بلبل لابني، فقال: ما بال هذا محبوساً؟ لو خلي عنه. قلت: هو لابني، وهو يهبه لك. قال: لا، ولكن أعطيه ديناراً. قال: فأخذه، فخلى عنه، فكان يذهب ويرعى، فيجيء بالعشي، فيكون في ناحية البيت، فلما مات سفيان، تبع جنازته، فكان يضطرب على قبره، ثم اختلف بعد ذلك ليالي إلى قبره، فكان ربما بات عليه، وربما رجع إلى البيت، ثم وجدوه ميتا عند قبره، فدفن عنده. ٧ / ٢٦٦

(٢١٥) " فالله أحق أن تخشوه "

عن يعلى بن عبيد: قال سفيان - أي: الثوري -: لو كان معكم من يرفع حديثكم إلى السلطان، أكنتم تتكلمون بشيء؟ قلنا: لا. قال: فإن معكم من يرفع الحديث. ٧ / ٢٦٨

(٢١٦) مراحل حياة الإنسان

روى ضمرة، عن سفيان- أي: الثوري - قال: يثغر الغلام لسبع، ويحتلم بعد سبع، ثم ينتهي طوله بعد سبع، ثم يتكامل عقله بعد سبع، ثم هي التجارب. ٧ / ٢٧٠

(٢١٧) ضرورة تعليم الأبناء أمر دينهم

وعنه - أي: عن سفيان الثوري -: ينبغي للرجل أن يُكرِه ولده على العلم، فإنه مسئول عنه. ٧ / ٢٧٣

قال الخطيب: بلغني أن أحمد بن صالح - أي: المعروف بابن الطبري - كان لا يحدث إلا ذا لحية، ولا يترك أمرد يحضر مجلسه. فلما حمل أبو داود السجستاني إليه ابنه، ليسمع منه -وكان إذا ذاك أمرد - أنكر أحمد بن صالح على أبي داود إحضاره. فقال له أبو داود: هو -وإن كان أمرد- أحفظ من أصحاب اللِّحى، فامتحنْهُ بما أردتَ. فسأله عن أشياء أجابه ابن أبي داود عن جميعها، فحدثه حينئذ ولم يحدث أمرد غيره. ١٢ / ١٦٨- ١٦٩

قال عبد الصمد بن سعيد القاضي: سمعت محمد بن عوف يقول: كنت ألعب في الكنيسة بالكرة وأنا حدث، فدخلت الكرة، فوقعت قرب المعافى بن عمران الحمصي، فدخلت لأخذها، فقال: ابنُ منْ أنتَ؟ قلت: ابن عوف بن سفيان. قال: أما إن أباك كان من إخواننا، فكان ممن يكتب معنا الحديث والعلم، والذي كان يشبهك أن تتبع ما كان عليه والدك. فصِرْتُ إلى أمي، فأخبرتها، فقالت: صدق، هو صديق لأبيك، فألبستني ثوباً وإزارا، ثم جئت إلى المعافى، ومعي محبرة وورق. فقال لي: اكتب: حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عبد ربه بن سليمان، قال: كتبت لي أم الدرداء في لوحي: اطلبوا العلم صغاراً، تعملوا به كباراً، فإن لكل حاصد ما زرع. **١٢ / ٦١٤ – ٦١٥**

(٢١٨) غربة أهل السنة

وقال ابن المبارك، عن سفيان - أي: الثوري -: استوصوا بأهل السنة خيراً، فإنهم غرباء. **٧ / ٢٧٣**

(٢١٩) شرف أهل الحديث

قبيصة: سمعت سفيان - أي: الثوري - يقول: الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض.

وقال يحيى بن يمان: قيل لسفيان: ليست لهم نية -يعني أصحاب الحديث-؟ قال: طلبهم له نية، لو لم يأتني أصحاب الحديث لأتيتهم في بيوتهم. **٧ / ٢٧٤**

(٢٢٠) الغربة ذلة

وسمعته يقول- أي قال " خلف بن تميم " : سمعت الثوري يقول -: لولا أن أستذل، لسكنت بين قوم لا يعرفوني. ٧ / ٢٧٥

(٢٢١) رضا الناس غاية لا تدرك!

وعن يحيى بن المتوكل: قال سفيان - أي: الثوري -: إذا أثنى على الرجل جيرانه أجمعون، فهو رجل سوء ؛ لأنه ربما رآهم يعصون، فلا ينكر، ويلقاهم ببشر.

وقال فضيل، عن سفيان: إذا رأيت الرجل محببا إلى جيرانه، فاعلم أنه مداهن. ٧ / ٢٧٨

(٢٢٢) من أسباب فشو الفساد

قال غسان بن المفضل الغلابي: سمعت من يذكر أن الربيع بن صبيح كان بالأهواز، ومعه صاحب له، فتعرضت لهما امرأة، فبكى الشيخ، فقال له صاحبه: ما يبكيك؟ قال: إنها لم تطمع في شيخين إلا وقد رأت شيوخاً قبلنا يتابعونها، فلذا أبكي. ٧ / ٢٨٩

(٢٢٣) قاضي الجن!

قال المصنف رحمه الله:

ويقال له - أي: يقال لأبي اليسير بن عُلَاثة -: قاضي الجن. قيل: حكم

بينهم وبين الإنس في ماء بئر، فحكم للجن أن يستقوا بالليل، فكان من استقى بعد المغرب جاءه الرجم!. ٧ / ٣٠٩

علي بن إبراهيم بن بنت أبي سعد، يقول: كان القاضي الخِلَعي - أي: أبو الحسن علي بن الحسن - يحكم بين الجن، وإنهم أبطؤوا عليه قدر جمعة، ثم أتوه، وقالوا: كان في بيتك أترج، ونحن لا ندخل مكانا يكون فيه. ١٩ / ٧٥

(٢٢٤) بادروا بالأعمال

قال أحمد بن يونس: كان أبو بكر النهشلي صالحاً، يثب للصلاة في مرضه ولا يقدر، فيقال له، فيقول: أُبادر طيَّ الصحيفة. ٧ / ٣٣٣

(٢٢٥) مراتب الحديث في الصحيحين

"الصحيحين" فيهما الصحيح، وما هو أصح منه، وإن شئت قلت: فيهما الصحيح الذي لا نزاع فيه، والصحيح الذي هو حسن، وبهذا يظهر لك أن الحَسن قسم داخل في الصحيح، وأن الحديث النبوي قسمان -ليس إلا-: صحيح، وهو على مراتب، وضعيف: وهو على مراتب. والله أعلم. ٧ / ٣٣٩

(٢٢٦) الحرص على جمع الكتب

عن خلف بن تميم: سمعت أبا الأحوص - إن شاء الله - ذكر عن أبي إسحاق قال: ما ترك لنا إسرائيل - أي: ابن يونس - كُوَّة إلا دحسها كتباً!. ٧ / ٣٥٨

(٢٢٧) سعي الشيطان لإضلال العباد

عن الحسن بن صالح قال: إن الشيطان ليفتح للعبد تسعة وتسعين باباً من الخير، يريد بها باباً من الشر!. ٧ / ٣٦٩

قال سنيد بن داود: سمعت مخلد بن الحسين يقول: ما ندب الله العباد إلى شئ إلا اعترض فيه إبليس بأمرين، ما يبالي بأيهما ظفر: إما غلو فيه، وإما تقصير عنه. ٩ / ٢٣٦

ولأبي جعفر - أي: ابن جرير الطبري - في تآليفه عبارة وبلاغة، فمما قاله في كتاب: " الآداب النفيسة والأخلاق الحميدة ": القول في البيان عن الحال الذي يجب على العبد مراعاة حاله فيما يصدر من عمله لله عن نفسه. قال: إنه لا حالة من أحوال المؤمن يغفل عدوه الموكل به عن دعائه إلى سبيله، والقعود له رصداً بطرق ربه المستقيمة، صاداً له عنها، كما قال لربه -عز ذكره- إذ جعله من المنظرين: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١٦ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦] طمعاً منه في تصديق ظنه عليه إذ قال لربه: ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢]. فحق على كل ذي حِجًى أن يجهد نفسه في تكذيب ظنه، وتخييبه منه أمله وسعيه فيما أرغمه، ولا شيء من فعل العبد أبلغ في مكروهه من طاعته ربَّه، وعصيانه أمرَه، ولا شيء أسرُّ إليه من عصيانه ربه، واتباعه أمره. ١٤ / ٢٧٧ - ٢٧٨

(٢٢٨) حال مَنْ أبغض الخلفاء الراشدين

من سكت عن ترحم مثل الشهيد أمير المؤمنين عثمان، فإن فيه شيئاً من تشيع، فمن نطق فيه بغض وتنقص وهو شيعي جَلْد يؤدب، وإن ترقى إلى الشيخين بذم، فهو رافضي خبيث، وكذا من تعرض للإمام علي بذم، فهو ناصبي يعزر، فإن كفَّره، فهو خارجي مارق، بل سبيلنا أن نستغفر للكل ونحبهم، ونكف عما شجر بينهم. ٧ / ٣٧٠

(٢٢٩) الخوف من اليوم الآخر

قال حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي: كنت عند ابنَيْ صالح - أي: ابن صالح الهمداني - ورجل يقرأ: ﴿ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ ﴾[الأنبياء: ١٠٣] فالتفت علي إلى أخيه الحسن، وقد اخضر واصفر، فقال: يا حسن: إنها أفزاع فوق أفزاع، ورأيت الحسن أراد أن يصيح، ثم جمع ثوبه، فعض عليه حتى سكن عنه، وقد ذبل فمه واخضارّ واصفارّ. ٧ / ٣٧٠

(٢٣٠) الدعوة خير من حج النافلة

وقال أبو داود - أي: قال في " إبراهيم بن طهمان " -: ثقة من أهل سرخس، خرج يريد الحج، فقدم نيسابور، فوجدهم على قول جهم، فقال: الإقامة على هؤلاء أفضل من الحج، فأقام فنقلهم من قول جهم إلى الإرجاء. ٧ / ٣٨٠

وقال أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي: سمعت سفيان بن عيينة يقول: ما قدم علينا خراساني أفضل من أبي رجاء عبد الله بن واقد. قلت له: فإبراهيم بن طهمان؟ قال: كان ذاك مرجئا. ثم قال أبو الصلت: لم يكن إرجاؤهم هذا المذهب الخبيث: أن الإيمان قول بلا عمل، وأن ترك العمل لا يضر بالإيمان، بل كان إرجاؤهم أنهم يرجون لأهل الكبائر الغفران، ردا على الخوارج وغيرهم، الذين يكفرون الناس بالذنوب. **٧ / ٣٨٠**

(٢٣١) نصف العلم " لا أدري "!

قال مالك بن سليمان: كان لإبراهيم بن طهمان جراية من بيت المال فاخرة، يأخذ في كل وقت، وكان يسخو به. فسئل مرة في مجلس الخليفة، فقال: لا أدري. قالوا له: تأخذ في كل شهر كذا وكذا، ولا تحسن مسألة؟ فقال: إنما آخذ على ما أحسن، ولو أخذت على ما لا أحسن، لفني بيت المال علي، ولا يفنى ما لا أحسن. فأعجب أمير المؤمنين جوابه، وأمر له بجائزة فاخرة، وزاد في جرايته. **٧ / ٣٨٢**

قال أبو مسهر: سمعته – أي: سعيد بن عبدالعزيز التنوخي – يقول: " لا أدري " لما لا أدري، نصف العلم. **٨ / ٣٥ – ٣٦**

قال أحمد بن محمد بن الأزهر: سمعت عثمان بن سعيد الدارمي يقول: أتاني محمد بن الحسين السِّجزي، وكان قد كتب عن يزيد بن هارون، وجعفر بن عون، فقال: يا أبا سعيد! إنهم يجيئوني، فيسألوني أن أحدثهم، وأنا أخشى أن لا يسعني ردهم. قلت: ولم؟ قال: لقول النبي –صلى الله عليه

وسلم- : (من سئل عن علم، فكتمه، ألجم بلجام من نار) فقال: إنما قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن علم تعلمه، وأنت لا تعلمه.

قال ابن عبدالبر: صح عن أبي الدرداء أن: " لا أدري " نصف العلم. ١٣ / ٣٢٢

وعن مالك - أي: ابن أنس - قال: جُنَّة العالم " لا أدري "، فإذا أغفلها أصيبت مقاتله. ٨ / ٧٧

قال ابن وهب: لو شئت أن أملأ ألواحي من قول مالك: " لا أدري " لفعلت!. ٨ / ١٠٨

ابن وهب، عن مالك، سمع عبدالله بن يزيد بن هرمز يقول: ينبغي للعالم أن يُوَرِّث جلساءه قول: " لا أدري ". حتى يكون ذلك أصلاً يفزعون إليه. ٨ / ٧٧

أخبرنا الحسن بن علي القلانسي، أخبرنا عبد الله بن عمر، أخبرنا عبد الأول بن عيسى، أخبرنا أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الحافظ، أخبرنا محمد بن أحمد الجارودي، أخبرنا أبو إسحاق القراب، أخبرنا أبو يحيى الساجي، حدثنا أبو داود السجزي، حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا الشافعي، حدثنا مالك، عن ابن عجلان، عن أبيه قال: "إذا أغفل العالم" لا أدري " أصيبت مقاتله. فغالب هذا الإسناد مسلسل بالحفاظ من أبي إسماعيل إلى عجلان -رحمه الله. ١٠ / ٦٨

وكان - أي: موهوب بن أحمد ابن الجواليقي - متواضعاً، طويل الصمت، متثبتاً، يقول كثيراً: لا أدري. ٢٠ / ٩٠

(٢٣٢) الجار قبل الدار!

وروى إبراهيم الحربي، عن محمد بن علي بن الحسن بن شقيق، قال: أراد جار لأبي حمزة السكري أن يبيع داره، فقيل له: بكم؟ قال: بألفين ثمن الدار، وبألفين جوار أبي حمزة. فبلغ ذلك أبا حمزة، فوجه إليه بأربعة آلاف، وقال: لا تبع دارك. ٧ / ٣٨٧

(٢٣٣) أقسام الزهد

وعن إبراهيم - أي: ابن أدهم - قال: الزهد: فرض، وهو الزهد في الحرام. وزهد: سلامة، وهو: الزهد في الشبهات. وزهد: فضل، وهو: الزهد في الحلال. ٧ / ٣٩٠

(٢٣٤) لا كلفة بين الأصحاب

عصام بن رواد بن الجراح: حدثنا أبي، قال: كنت ليلة مع إبراهيم بن أدهم، فأتاه رجل بباكورة، فنظر حوله هل يرى ما يكافئه، فنظر إلى سرجي، فقال: خذ ذاك السرج، فأخذه، فسررت حين نزل مالي بمنزلة ماله. ٧ / ٣٩٢

(٢٣٥) الخصال الحسنة وأضدادها

وعن إبراهيم بن أدهم، قال: كل ملك لا يكون عادلا، فهو واللص سواء، وكل عالم لا يكون تقيا، فهو والذئب سواء، وكل من ذل لغير الله، فهو والكلب سواء. ٧ / ٣٩٤

(٢٣٦) الراحة في هجر الدنيا

قال ابن بشار: أمسينا مع إبراهيم - أي: ابن أدهم - ليلة، ليس لنا ما نفطر عليه، فقال: يا ابن بشار! ماذا أنعم الله على الفقراء والمساكين من النعيم والراحة، لا يسألهم يوم القيامة عن زكاة، ولا حج، ولا صدقة، ولا صلة رحم! لا تغتم، فرزق الله سيأتيك، نحن -والله- الملوك الأغنياء، تعجلنا الراحة، لا نبالي على أي حال كنا إذا أطعنا الله. ثم قام إلى صلاته، وقمت إلى صلاتي، فإذا برجل قد جاء بثمانية أرغفة، وتمر كثير، فوضعه، فقال: كل يا مغموم. فدخل سائل، فأعطاه ثلاثة أرغفة مع تمر، وأعطاني ثلاثة، وأكل رغيفين. وكنت معه، فأتينا على قبر مسنَّم، فترحم عليه، وقال: هذا قبر حميد بن جابر، أمير هذه المدن كلها، كان غارقا في بحار الدنيا، ثم أخرجه الله منها. بلغني أنه سُرَّ ذات يوم بشيء، ونام، فرأى رجلاً بيده كتاب، ففتحه، فإذا هو كتاب بالذهب: لا تؤثرن فانيا على باق، ولا تغترن بملكك، فإن ما أنت فيه جسيم لولا أنه عديم، وهو مُلك لولا أن بعده هُلْك، وفرح وسرور لولا أنه غرور، وهو يوم لو كان يوثق له بغد، فسارع إلى أمر الله، فإن الله قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣] فانتبه فَزِعاً، وقال: هذا تنبيه من الله وموعظة. فخرج من ملكه، وقصد هذا الجبل، فعبد الله فيه حتى مات.

٧ / ٣٩٤ - ٣٩٥

(٢٣٧) الورع في القضاء

قيل: سبب تركه القضاء، أنه - أي: عافية بن يزيد - تثبت في حكم، فأهدى له الخصم رطبا، فرده وزجره، فلما حاكم خصمه من الغد، قال عافية: لم يستويا في قلبي. ثم حكاها للخليفة، وقال: هذا حالي وما قبلت، فكيف لو قبلت؟! قال: فأعفاه. ٧ / ٣٩٩

(٢٣٨) التذلل بين يدي الله

قال داود بن رشيد: هاجت ريح سوداء، فسمعت سَلَمَاً الحاجب يقول: فُجِعنا أن تكون القيامة، فطلبت المهدي في الإيوان، فلم أجده، فإذا هو في بيت ساجد على التراب يقول: اللهم: لا تشمت بنا أعداءنا من الأمم، ولا تفجع بنا نبينا، اللهم إن كنت أخذت العامة بذنبي، فهذه ناصيتي بيدك. فما أتم كلامه حتى انجلت. ٧ / ٤٠٢

(٢٣٩) "هم العدو فاحذرهم"

عن حبيب بن أبي فضالة قال: كان بعض المهاجرين يقول: والله ما أخاف المسلم، ولا أخاف الكافر؛ أما المسلم، فيحجزه إسلامه، وأما الكافر، فقد أذله الله، ولكن كيف لي بالمنافق؟ ٧ / ٤١٥

(٢٤٠) الحرص على استغلال الوقت

قال يحيى بن أبي طالب: أنبأنا أبو المنذر إسماعيل بن عمر قال: دخلنا على ورقاء بن عمر وهو في الموت، فجعل يهلل ويكبر، ويذكر الله، وقال لابنه: يابني! اكفني رد السلام على هؤلاء لا يشغلوني عن ربي -عز وجل-. ٧/ ٤٢٢

(٢٤١) من فوائد الإكثار عن الشيوخ والعلماء

وعنه - أي: عن الخليل بن أحمد - قال: لا يعرف الرجل خطأ معلمه، حتى يجالس غيره. ٧ / ٤٣١

(٢٤٢) من أدب العالم والمتعلم

قال أيوب بن المتوكل: كان الخليل - أي: ابن أحمد الفراهيدي - إذا أفاد إنساناً شيئاً، لم يُره بأنه أفاده، وإن استفاد من أحد شيئاً، أراه بأنه استفاد منه. ٧ / ٤٣١

قال ابن الجوزي:... وسمعته - أي: أبو بكر محمد بن عبدالباقي الخزرجي النصري البزاز - يقول: من خدم المحابر، خدمته المنابر، يجب على المعلم أن لا يعنف، وعلى المتعلم ألا يأنف. ٢٠ / ٢٧

(٢٤٣) إحسان الظن بالله

قال أبو الشيخ: حدثنا الحسن بن محمد التاجر، حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري، قال: سمعت بعض أصحابنا يقول: عاد حماد بن سلمة سفيان الثوري فقال سفيان: يا أبا سلمة! أترى الله يغفر لمثلي؟ فقال حماد: والله لو خيرت بين محاسبة الله إياي، وبين محاسبة أبوي، لاخترت محاسبة الله، وذلك لأن الله أرحم بي من أبوي. ٧ / ٤٤٩

(٢٤٤) التدليس في رواية الحديث

وقال خلف بن هشام البزار: المدلس متشبع بما لم يعط.

قلت: هو داخل في قوله تعالى: ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ﴾ [آل عمران: ١٨٨] قلت: والمدلس فيه شيء من الغش، وفيه عدم نصح للأمة، لا سيما إذا دلس الخبر الواهي، يوهم أنه صحيح، فهذا لا يحل بوجه، بخلاف باقي أقسام التدليس، وما أحسن قول عبد الوارث بن سعيد: التدليس ذل. ٧ / ٤٦٠

(٢٤٥) الكتب لا تغني عن مجالسة العلماء

الدارمي: أخبرنا مروان بن محمد... وسمعته - أي: سعيد بن عبدالعزيز التنوخي - يقول: لا يؤخذ العلم من صَحَفي. ٨ / ٣٣ - ٣٤

(٢٤٦) الحياة خير لأحد رجلين

أبو مسهر، سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول: لا خير في الحياة إلا لأحد رجلين: صموت واعٍ، وناطق عارف. ٨ / ٣٦

(٢٤٧) خطر العجلة في التصدر

قال أبو عاصم النبيل: قال زفر - أي: ابن الهذيل -: من قعد قبل وقته، ذل. ٨ / ٤٠

وله - أي: أبو الطيب الصعلوكي - ألفاظ بديعة منها: من تصدَّر قبل أوانه، فقد تصدى لهوانه. ١٧ / ٢٠٨

قال عبيد الله بن سعيد: سمعت ابن مهدي - أي: عبد الرحمن - يقول: لا يجوز أن يكون الرجل إماماً حتى يعلم ما يصح مما لا يصح. ٩ / ١٩٥

أبو العباس السراج: حدثنا محمد بن سهل بن عسكر قال: تقدم رجل غريب بيده محبرة إلى المأمون، فقال: يا أمير المؤمنين، صاحب حديث منقطع به. فقال: ما تحفظ في باب كذا وكذا؟ فلم يذكر شيئا. فقال: حدثنا هشيم، وحدثنا يحيى، وحدثنا حجاج بن محمد، حتى ذكر الباب، ثم سأله عن باب آخر، فلم يذكر شيئا. فقال: حدثنا فلان، وحدثنا فلان. ثم قال لأصحابه: يطلب أحدهم الحديث ثلاثة أيام، ثم يقول: أنا من أصحاب الحديث، أعطوه ثلاثة دراهم. ١٠ / ٢٧٥ — ٢٧٦

وحدثني - القائل هو: اليسع بن حزم الغافقي- عنه - أي: عن الإمام ابن حزم - عمر بن واجب قال: بينما نحن عند أبي ببلنسية وهو يُدَرِس

المذهب، إذا بأبي محمد بن حزم يسمعنا، ويتعجب، ثم سأل الحاضرين مسألة من الفقه، جُووِب فيها، فاعترض في ذلك، فقال له بعض الحُضَّار: هذا العلم ليس من منتحلاتك. فقام وقعد، ودخل منزله فعكف، ووكف منه وابل فما كف، وما كان بعد أشهر قريبة حتى قصدنا إلى ذلك الموضع، فناظر أحسن مناظرة، وقال فيها: أنا أتبع الحق، وأجتهد، ولا أتقيد بمذهب.

قلت: نعم، من بلغ رتبة الاجتهاد، وشهد له بذلك عدة من الأئمة، لم يَسُغ له أن يقلد، كما أن الفقيه المبتدئ والعامي الذي يحفظ القرآن أو كثيرا منه لا يسوغ له الاجتهاد أبداً، فكيف يجتهد، وما الذي يقول؟ وعلام يبني؟ وكيف يطير ولمَّا يُرَيِّشْ؟ والقسم الثالث: الفقيه المنتهي اليقظ الفهم المحدث، الذي قد حفظ مختصراً في الفروع، وكتاباً في قواعد الأصول، وقرأ النحو، وشارك في الفضائل مع حفظه لكتاب الله وتشاغله بتفسيره وقوة مناظرته، فهذه رتبة من بلغ الاجتهاد المقيد، وتأهل للنظر في دلائل الأئمة، فمتى وضح له الحق في مسألة، وثبت فيها النص، وعمل بها أحد الأئمة الأعلام كأبي حنيفة مثلا، أو كمالك، أو الثوري، أو الأوزاعي، أو الشافعي، وأبي عبيد، وأحمد، وإسحاق، فليتبع فيها الحق ولا يسلك الرخص، وليتورع، ولا يسعه فيها بعد قيام الحجة عليه تقليد، فإن خاف ممن يشغّب عليه من الفقهاء فليتكتم بها ولا يتراءى بفعلها، فربما أعجبته نفسه، وأحب الظهور، فيعاقب، ويدخل عليه الداخل من نفسه. **١٨ / ١٩١ - ١٩٢**

(٢٤٨) وجوب الوقوف مع النص

قال عبد الرحمن بن مهدي: حدثنا عبد الواحد بن زياد، قال: لقيت زفر - أي: ابن الهذيل - -رحمه الله- فقلت له: صرتم حديثاً في الناس وضُحكة. قال: وما ذاك؟ قلت: تقولون: (ادرءوا الحدود بالشبهات) ثم جئتم إلى أعظم الحدود، فقلتم: تقام بالشبهات. قال: وما هو؟ قلت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا يقتل مسلم بكافر) فقلتم: يقتل به -يعني بالذمي-. قال: فإني أشهدك الساعة أني قد رجعت عنه.

قلت: هكذا يكون العالم وقافا مع النص. ٨ / ٤٠-٤١

وقال حرملة: قال الشافعي: كل ما قلته فكان من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خلاف قولي مما صح، فهو أولى، ولا تقلدوني.

الربيع: سمعت الشافعي يقول: إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقولوا بها، ودعوا ما قلته.

وسمعته يقول -وقد قال له رجل: تأخذ بهذا الحديث يا أبا عبد الله؟ فقال: متى رويت عن رسول الله حديثا صحيحا ولم آخذ به، فأشهدكم أن عقلي قد ذهب.

وقال الحميدي: روى الشافعي يوما حديثا، فقلت: أتأخذ به؟ فقال: رأيتَنِي خرجتُ مِن كَنِيسة، أو عليَّ زنار، حتى إذا سمعتُ عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثا لا أقول به؟!

قال الربيع: وسمعته يقول: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا رويت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثا فلم أقل به.

وقال أبو ثور: سمعته يقول: كل حديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فهو قولي، وإن لم تسمعوه منِّي.

ويروى أنه قال: إذا صح الحديث فهو مذهبي، وإذا صح الحديث، فاضربوا بقولي الحائط. **١٠ / ٣٣ – ٣٤**

وكان- أي: محمد بن أحمد بن حمدان الحيري النيسابوري - إذا صح عنده حديث عمل به ولم يلتفت إلى مذهب. **١٦ / ١٩٥**

(٢٤٩) علماء المدينة بعد وفاة رسول الله ﷺ وصاحبيه

كان عالم المدينة في زمانه بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصاحبيه: زيد بن ثابت، وعائشة، ثم ابن عمر، ثم سعيد بن المسيب، ثم الزهري، ثم عبيد الله بن عمر، ثم مالك. **٨ / ٥٧**

(٢٥٠) إكرام المعلم لطلابه

السراج: حدثنا قتيبة: كنا إذا دخلنا على مالك - أي: ابن أنس -، خرج إلينا مُزَيَّناً مُكَحَلاً مُطَيَّباً، قد لبس من أحسن ثيابه، وتصدر الحلقة، ودعا بالمراوح، فأعطى لكل منا مروحة. **٨ / ٦٤**

أحمد بن الحسن الحماني: حدثنا أبو عبيد، قال: رأيت الشافعي عند محمد بن الحسن، وقد دفع إليه خمسين ديناراً، وقد كان قبل ذلك دفع إليه خمسين درهما، وقال: إن اشتهيت العلم، فالزم. قال أبو عبيد: فسمعت

الشافعي يقول: كتبتُ عن محمد وقر بعير، ولما أعطاه محمد، قال له: لا تحتشم. قال: لو كنت عندي ممن أحشمك، ما قبلت برَّك. ١٠ / ١٤

قال القاضي الصيمري: سمعته - أي: أبو عبيدالله محمد بن عمران المرزباني - يقول: كان في داري خمسون مابين لحاف ودَواج، معدة لأهل العلم الذين يبيتون عندي. ١٦ / ٤٤٨

< جاء في الحاشية (٢): الدّواج: اللحاف الذي يلبس >.

(٢٥١) ما كل ما يُسمع يُقال

حرملة: حدثنا ابن وهب يقول: سمعت مالكاً - أي: ابن أنس - يقول: اعلم أنه فساد عظيم أن يتكلم الإنسان بكل ما يسمع. ٨ / ٦٦

(٢٥٢) لا يؤخذ العلم عن أربعة

إبراهيم بن المنذر: حدثنا معن، وغيره، عن مالك - أي: ابن أنس -، قال: لا يؤخذ العلم عن أربعة: سفيه يعلن السفه، وإن كان أروى الناس، وصاحب بدعة يدعو إلى هواه، ومن يكذب في حديث الناس، وإن كُنت لا أتهمه في الحديث، وصالح عابد فاضل إذا كان لا يحفظ ما يُحدِث به. ٨ / ٦٧ — ٦٨

(٢٥٣) اعتناء العالم بمظهره

عن عيسى بن عمر قال: ما رأيت قط بياضاً ولا حمرة أحسن من وجه مالك - أي: ابن أنس -، ولا أشد بياضاً من مالك.

وقال محمد بن الضحاك الحزامي: كان مالك نقي الثوب، رقيقه، يكثر اختلاف اللبوس. ٨ / ٦٩

وقال خالد بن خداش: رأيت على مالك طيلساناً، وثياباً مروية جياداً.

وقال مصعب: كان يلبس الثياب العدنية، ويتطيب.

وعن بشر بن الحارث قال: دخلت على مالك، فرأيت عليه طيلساناً يساوي خمس مئة، وقد وقع جناحاه على عينيه أشبه شئ بالملوك.

وقال أشهب: كان مالك إذا اعتم، جعل منها تحت حنكه، وأرسل طرفها خلفه، وكان يتطيب بالمسك وغيره.

وقد ساق القاضي عياض من وجوه، حسن بزة الإمام ووفور تجمله. ٨ / ٧٠

قال أبو عمرو: ترك - أي: الإمام مالك - من الناض ألفي دينار وست مئة دينار، وسبعة وعشرين ديناراً، ومن الدراهم ألف درهم.

قلت: قد كان هذا الإمام من الكبراء السعداء، والسادة العلماء، ذا حشمة وتجمل، وعبيد، ودار فاخرة، ونعمة ظاهرة، ورفعة في الدنيا والآخرة. كان يقبل الهدية، ويأكل طيباً، ويعمل صالحاً. وما أحسن قول ابن المبارك فيه:

صموت إذا ما الصمت زيّن أهله وفتّاق أبكار الكلام المختم

وعى ما وعى القرآن من كل حكـــمة وسيطت له الآداب باللحم والدم

<< جاء في الحاشية: ٢: في تفسير كلمة " الناض ": النقد من الدنانير والدراهم >>.

<< جاء في الحاشية: ٣: وسيطت: مزجت >>. **٨ / ١٣٣**

قال مهران الرازي: رأيت الثوري إذا خلع ثيابه طواها، وقال: إذا طويت، رجعت إليها نفسها. **٧ / ٢٦٧**

وعن الميموني قال: ما رأيت أنقى ثوباً، ولا أشد بياضاً من أحمد - أي: ابن حنبل -. **١١ / ٣١٧**

وقال السمعاني: كان - أي: أبو بكر بن المزكي - من أظرف المشايخ، وأرغبهم في التجمل والنظافة. **١٨ / ٤٠٠**

قال الخطيب: كتبنا عنه - أي: عن أبي الحسن علي بن عمر القزويني -، وكان أحد الزهاد، ومن عباد الله الصالحين...

وروي عن أقضى القضاة الماوردي قال: صليت خلف أبي الحسن القزويني، فرأيت عليه قميصاً نقيًّاً مطرَّزاً، فقلت في نفسي: أين الطرز من الزهد؟ فلما سلَّم، قال: سبحان الله! الطرز لا ينقض حكم الزهد!

أخبرنا أبو علي ابن الخلال، أخبرنا جعفر الهمداني، أخبرنا السلفي: سمعت جعفراً السراج يقول: رأيت على أبي الحسن القَزْوِينِيّ ثوبا رقيقا، فخطر لي: كيف مثله في زهده يلبس هذا؟ فنظر في الحال إلي، وقال: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ [الأعراف: ٣٢] وحضرت عنده يوما للسماع

إلى أن وصلت الشمس إلينا، وتأذينا بحرها، فقلت في نفسي: لو تحوَّل الشيخ إلى الظل. فقال في الحال: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ [التوبة: ٨١] **١٧ / ٦١٠ - ٦١٣**

(٢٥٣) مغبة إلزام الناس بمذهب معين

ابن سعد: حدثنا محمد بن عمر، سمعت مالكاً - أي: ابن أنس - يقول: لما حج المنصور، دعاني فدخلت عليه، فحادثته، وسألني فأجبته، فقال: عزمت أن آمر بكتبك هذه - يعني الموطأ - فتنسخ نسخاً، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين بنسخة، وآمرهم أن يعملوا بما فيها، ويَدعوا ما سوى ذلك من العلم المُحدَث، فإني رأيت أصل العلم رواية أهل المدينة وعلمهم. قلت: يا أمير المؤمنين، لا تفعل، فإن الناس قد سيقت إليهم أقاويل، وسمعوا أحاديث، ورووا روايات، وأخذ كل قوم بما سيق إليهم، وعملوا به، ودانوا به، من اختلاف أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم، وإنَّ ردهم عما اعتقدوه شديد، فدع الناس وما هم عليه، وما اختار أهل كل بلد لأنفسهم. فقال: لعمري، لو طاوعتني لأمرت بذلك. **٨ / ٧٨ - ٧٩**

وقال علي بن جعفر: أخبرنا إسماعيل بن بنت السدي، قال: كنت في مجلس مالك، فسئل عن فريضة، فأجاب بقول زيد، فقلت ما قال فيها علي وابن مسعود -رضي الله عنهما- فأومأ إلى الحجبة، فلما هموا بي عدوت وأعجزتهم، فقالوا: ما نصنع بكتبه ومحبرته؟ فقال: اطلبوه برفق، فجاؤوا إلي فجئت معهم. فقال مالك: من أين أنت؟ قلت: من الكوفة قال: فأين خلفت الأدب؟ فقلت: إنما ذاكرتك لأستفيد. فقال: إن علياً وعبد الله لا

ينكر فضلهما، وأهل بلدنا على قول زيد بن ثابت، وإذا كنت بين قوم، فلا تبدأهم بما لا يعرفون، فيبدأك منهم ما تكره. ١١ / ١٧٧

الحاكم: سمعت الأستاذ أبا الوليد يقول: قيل لأبي العباس الدَّغُولي: لم لا تقنتُ في صلاة الفجر؟ فقال: لراحةِ الجسد، وُسنةِ أهلِ البلد، ومداراةِ الأهلِ والولد. ١٤ / ٥٥٩

(٢٥٤) القول في صفات الباري جل وعلا

جعفر بن عبدالله قال: كنا عند مالك - أي: ابن أنس -، فجاءه رجل، فقال: يا أبا عبدالله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟. فما وجد مالك من شئ ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض، وجعل ينكت بعود في يده، حتى علاه الرُّحَضاء، ثم رفع رأسه، ورمى بالعود، وقال: الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة. وأمر به فأُخرج.

وقال محمد بن إسحاق الصغاني: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد العمري، حدثنا ابن أبي أويس، سمعت مالكاً يقول: القرآن كلام الله، وكلام الله منه، وليس من الله شئ مخلوق.

قال القاضي عياض في سيرة مالك: قال ابن نافع وأشهب - وأحدهما يزيد على الآخر - قلت: يا أبا عبدالله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ينظرون إلى الله؟ قال: نعم بأعينهم هاتين. قلت: فإن قوماً يقولون: ناظرة: بمعنى منتظرة إلى الثواب. قال: بل تنظر إلى الله، أما سمعت

قول موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ [الأعراف: ١٤٣] أتراه سأل محالاً؟ قال الله: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ في الدنيا، لأنها دار فناء، فإذا صاروا إلى دار البقاء، نظروا بما يبقى إلى ما يبقى. قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

< جاء في الحاشية (٢) ص: (١٠٠): الرحضاء: العرق إثر الحمى، أو عرق يغسل الجلد كثرة >. ٨/ ١٠٠- ١٠١- ١٠٢

الوليد بن مسلم، قال: سألت مالكاً، والثوري، والليث، والأوزاعي عن الأخبار التي في الصفات؛ فقالوا: أَمِرُّوها كما جاءت.

وقال أبو عبيد: ما أدركنا أحداً يفسر هذه الأحاديث، ونحن لا نفسرها.

قلت: قد صنف أبو عبيد كتاب "غريب الحديث" وما تعرض لأخبار الصفات الإلهية بتأويل أبداً، ولا فسر منها شيئاً، وقد أخبر بأنه ما لحق أحداً يفسرها، فلو كان والله تفسيرها سائغاً، أو حتماً، لأوشك أن يكون اهتمامهم بذلك فوق اهتمامهم بأحاديث الفروع والآداب. فلما لم يتعرضوا لها بتأويل، وأقروها على ما وردت عليه، عُلِم أن ذلك هو الحق الذي لا حيدة عنه. ٨/ ١٦٢

علي بن الحسن بن شقيق، سمعت عبد الله بن المبارك يقول: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية.

محمد بن إسحاق السراج: سمعت أبا يحيى يقول: سمعت علي بن الحسن بن شقيق يقول: قلت لعبد الله بن المبارك: كيف يعرف ربنا -عز

وجل؟ قال: في السماء على العرش. قلت له: إن الجهمية تقول هذا. قال: لا نقول كما قالت الجهمية: هو معنا هاهنا.

قلت: الجهمية يقولون: إن الباري تعالى في كل مكان، والسلف يقولون: إن علم الباري في كل مكان، ويحتجون بقوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] يعني: بالعلم، ويقولون: إنه على عرشه استوى، كما نطق به القرآن والسنة.

وقال الأوزاعي، وهو إمام وقته: كنا - والتابعون متوافرون - نقول: إن الله -تعالى- فوق عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته، ومعلوم عند أهل العلم من الطوائف أن مذهب السلف إمرار آيات الصفات وأحاديثها كما جاءت من غير تأويل ولا تحريف ولا تشبيه ولا تكييف، فإن الكلام في الصفات فرع على الكلام في الذات المقدسة. وقد علم المسلمون أن ذات الباري موجودة حقيقة لا مثل لها، وكذلك صفاته تعالى موجودة لا مثل لها.

علي بن الحسن بن شقيق قال: سألت ابن المبارك: كيف ينبغي لنا أن نعرف ربنا؟ قال: على السماء السابعة على عرشه، ولا نقول كما تقول الجهمية: إنه هاهنا في الأرض.

وروى عبد الله بن أحمد في هذا الكتاب بإسناده، عن ابن المبارك أن رجلا قال له: يا أبا عبد الرحمن، قد خفت الله -تعالى- من كثرة ما أدعو على الجهمية. قال: لا تخف، فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء. **٨ / ٤٠١ - ٤٠٣**

يونس بن عبد الأعلى، سمعت أبا عبد الله الشافعي يقول -وقد سئل عن صفات الله -تعالى- وما يؤمن به- فقال: لله أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه -صلى الله عليه وسلم- أمته، لا يسع أحدا قامت عليه الحجة ردها ؛ لأن القرآن نزل بها، وصح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- القول بها، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه، فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة، فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل، ولا بالروية والفكر، ولا نكفر بالجهل بها أحداً إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها. ونثبت هذه الصفات، وننفي عنها التشبيه، كما نفاه عن نفسه، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ١٠/ ٧٩-٨٠

العباس الدوري، سمعت أبا عبيد القاسم بن سلام -وذكر الباب الذي يروى فيه الرؤية، والكرسي موضع القدمين، وضحك ربنا، وأين كان ربنا- فقال: هذه أحاديث صحاح، حملها أصحاب الحديث والفقهاء بعضهم عن بعض، وهي عندنا حق لا نشك فيها، ولكن إذا قيل: كيف يضحك؟ وكيف وضع قدمه؟ قلنا: لا نفسر هذا، ولا سمعنا أحدا يفسره.

قلت: قد فسر علماء السلف المهم من الألفاظ وغير المهم، وما أبقوا ممكنا، وآيات الصفات وأحاديثها لم يتعرضوا لتأويلها أصلا، وهي أهم الدين، فلو كان تأويلها سائغا أو حتما، لبادروا إليه، فعلم قطعا أن قراءتها وإمرارها على ما جاءت هو الحق، لا تفسير لها غير ذلك، فنؤمن بذلك، ونسكت اقتداء بالسلف، معتقدين أنها صفات لله تعالى، استأثر الله بعلم حقائقها، وأنها لا تشبه صفات المخلوقين، كما أن ذاته المقدسة لا تماثل ذوات المخلوقين، فالكتاب والسنة نطق بها، والرسول -صلى الله عليه

وسلم- بلغ، وما تعرض لتأويل، مع كون الباري قال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] فعلينا الإيمان والتسليم للنصوص، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. ١٠ / ٥٠٥ – ٥٠٦

محمد بن إسماعيل الترمذي، سمعت نعيم بن حماد يقول: من شَبَّهَ الله بخلقه، فقد كفر، ومن أنكر ما وَصَفَ به نفسه، فقد كفر، وليس في ما وصَف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه.

قلت: هذا الكلام حق، نعوذ بالله من التشبيه ومن إنكار أحاديث الصفات، فما ينكر الثابت منها مَنْ فَقِه، وإنما بعد الإيمان بها هنا مقامان مذمومان:

تأويلها وصرفها عن موضوع الخطاب، فما أوَّلها السلف ولا حرفوا ألفاظها عن مواضعها، بل آمنوا بها، وأمروها كما جاءت.

المقام الثاني: المبالغة في إثباتها، وتصورها من جنس صفات البشر وتشكلها في الذهن، فهذا جهل وضلال، وإنما الصفة تابعة للموصوف، فإذا كان الموصوف -عزَّ وجلَّ- لم نَرَه، ولا أخبرنا أحد أنه عاينه مع قوله لنا في تنزيله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ فكيف بقي لأذهاننا مجال في إثبات كيفية البارئ، تعالى الله عن ذلك، فكذلك صفاته المقدسة، نُقِرُّ بها ونعتقد أنها حق، ولا نُمَثِّلُها أصلا ولا نَتَشَكَّلُها. ١٠ / ٦١٠ – ٦١١

وورد عن إسحاق – أي: ابن راهويه – أن بعض المتكلمين، قال له: كفرت برب ينزل من سماء إلى سماء. فقال: آمنت برب يفعل ما يشاء.

قلت: هذه الصفات من الاستواء والإتيان والنزول، قد صحت بها النصوص، ونقلها الخلف عن السلف، ولم يتعرضوا لها برد ولا تأويل، بل أنكروا على من تأولها مع إصفاقهم على أنها لا تشبه نعوت المخلوقين، وأن الله ليس كمثله شيء، ولا تنبغي المناظرة، ولا التنازع فيها ؛ فإن في ذلك محاولة للرد على الله ورسوله، أو حوما على التكييف، أو التعطيل.

< جاء في الحاشية (١) في معنى إصفاقهم: أي اجتماعهم >. **١١ / ٣٧٦**

محمد بن مرزوق الزعفراني، حدثنا الحافظ أبو بكر الخطيب - أي: البغدادي - قال: أما الكلام في الصفات، فإن ما روي منها في السنن الصحاح، مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم، فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله -تعالى- بين الغالي فيه والمقصر عنه. والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، ويُحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوماً أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف. فإذا قلنا: لله يد وسمع وبصر، فإنما هي صفات أثبتها الله لنفسه، ولا نقول: إن معنى اليد القدرة، ولا إن معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول: إنها جوارح. ولا نشبهها بالأيدي والأسماع والأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل، ونقول: إنما وجب إثباتها لأن

التوقيف وَرَد بها، ووجب نفي التشبيه عنها لقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾. ١٨ / ٢٨٣ – ٢٨٤

قال أبو المعالي- أي: عبدالملك بن عبدالله النيسابوري، الملقب بإمام الحرمين - في كتاب "الرسالة النظامية": اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة، وامتنع على أهل الحق فحواها، فرأى بعضهم تأويلها، والتزم ذلك في القرآن، وما يصح من السنن، وذهب أئمة السلف إلى الانكفاف عن التأويل وإجراء الظواهر على مواردها، وتفويض معانيها إلى الرب -تعالى-، والذي نرتضيه رأياً، وندين الله به عقداً اتباع سلف الأمة، فالأولى الاتباع، والدليل السمعي القاطع في ذلك أن إجماع الأمة حجة متبعة، وهو مستند معظم الشريعة، وقد درج صحب الرسول - صلى الله عليه وسلم- على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها وهم صفوة الإسلام المستقلون بأعباء الشريعة، وكانوا لا يألون جهداً في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها، وتعليم الناس ما يحتاجون إليه منها، فلو كان تأويل هذه الظواهر مَسوغاً أو محتوما ؛ لأوشك أن يكون اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، فإذا تصرم عصرهم وعصر التابعين على الإضراب عن التأويل ؛ كان ذلك قاطعا بأنه الوجه المتبع، فحُقَّ على ذي الدين أن يعتقد تنزه الباري عن صفات المحدثين، ولا يخوض في تأويل المشكلات، ويكِل معناها إلى الرب، فليُجر آية الاستواء والمجيء وقوله: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥] ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧] ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾

[القمر: ١٤] وما صح من أخبار الرسول كخبر النزول وغيره على ما ذكرناه.
١٨ / ٤٧٣ – ٤٧٤

قال السمعاني:... وكان كوتاه - أي: محمد بن عبدالجليل بن عبدالواحد الأصبهاني - يقول: النزول بالذات، فأنكر إسماعيل - أي: ابن محمد القرشي التيمي الأصبهاني - هذا، وأمره بالرجوع عنه، فما فعل.

قلت: وقد ارتحل إلى نيسابور... ومسألة النزول فالإيمان به واجب، وترك الخوض في لوازمه أولى، وهو سبيل السلف، فما قال هذا: نزوله بذاته، إلا إرغاما لمن تأوله، قال: نزوله إلى السماء بالعلم فقط. نعوذ بالله من المراء في الدين.

وكذا قوله: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر: ٢٢] ونحوه، فنقول: جاء، وينزل، وننهى عن القول: ينزل بذاته، كما لا نقول: ينزل بعلمه، بل نسكت ولا نتفاصح على الرسول -صلى الله عليه وسلم- بعبارات مبتدعة، والله أعلم.
٢٠ / ٣٣٠ - ٣٣١

(٢٥٥) من صفات طالب العلم

ابن وهب: سمعت مالكاً - أي: ابن أنس - يقول: حقٌّ على من طلب العلم أن يكون له وقار، وسكينة، وخشية، والعلم حَسَنٌ لمن رُزِق خيره، وهو قَسْمٌ من الله تعالى، فلا تمكن الناس من نفسك، فإن من سعادة المرء أن يوفَّق للخير، وإن من شقوة المرء أن لا يزال يخطئ، وذلٌّ وإهانة للعلم أن يتكلم الرجل بالعلم عند من لا يطيعه. ٨ / ١٠٧ – ١٠٨

(٢٥٦) " ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً "

ابن وهب عن مالك - أي: ابن أنس - قال: بلغني أنه ما زهد أحدٌ في الدنيا واتقى، إلا نطق بالحكمة. ٨ / ١٠٩

(٢٥٧) الناس مواهب!

قال الحافظ ابن عبد البر في " التمهيد " : هذا كتبته من حفظي، وغاب عني أصلي: إن عبدالله العمري العابد كتب إلى مالك - أي: ابن أنس - يحضه على الانفراد والعمل. فكتب إليه مالك: إن الله قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرُبَّ رجل فُتِح له في الصلاة، ولم يُفتح له في الصوم، وآخر فُتح له في الصدقة، ولم يُفتح له في الصوم، وآخر فُتح له في الجهاد. فنشر العلم من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فُتح لي فيه وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير وبر. ٨ / ١١٤

(٢٥٨) فائدة إعلان العقوبة

عن مالك بن أنس، عن هانئ بن حرام، قال: كُتب إلى عمر بن الخطاب في رجل وَجد مع امرأته رجلاً فقتله، فكتب في السر: يعطي الدية، وكتب في العلانية: يقاد منه.

قال يعقوب - أي: ابن شيبة السدوسي -: أراد عمر أن يرهب بذلك. ٨ / ١٢٦

(٢٥٩) فطنة العلماء

قال الحسن بن يوسف بن مليح: سمعت أبا الحسن الخادم، وكان قد عمي من الكبر في مجلس يُسْر، قال: كنت غلاما لزبيدة، وأتي بالليث بن سعد تستفتيه، فكنت واقفا على رأس ستي زبيدة، خلف الستارة، فسأله الرشيد، فقال له: حلفْتُ إن لي جنتين، فاستحلفه الليث ثلاثا: إنك تخاف الله؟ فحلف له، فقال: قال الله ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴾ [الرحمن: ٤٦] قال: فأقطعه قطائع كثيرة بمصر.

قلت: إن صح هذا، فهذا كان قبل خلافة هارون. **٨ / ١٤٥**

عمر بن سنان المنبجي: حدثنا عبد الوهاب بن الضحاك، قال لي بقية - أي: ابن الوليد -: قال لي شعبة: يا أبا يُحْمِد، نحن أبصر بالحديث وأعلم به منكم. قلت: أتقول ذا يا أبا بسطام؟ قال: نعم. قلت: فما تقول في رجل ضرب على أنفه فذهب شمه؟ فتفكر فيها، وجعل ينظر، وقال: أيش تقول يا أبا يُحْمِد؟ فقلت: حدثنا ابن ذي حماية قال: كان مشيختنا يقولون: يُجعل في أنفه الخردل، فإن حركه علمنا أنه كاذب، وإن لم يحركه فقد صدق. **٨ / ٥٣٢**

وقال محمد بن خلف التيمي: أخبرنا وكيع - أي: ابن الجراح - قال: أتيت الأعمش، فقلت: حدثني. قال: ما اسمك؟ قلت: وكيع. قال: اسم نبيل. ما أحسب إلا سيكون لك نبأ، أين تنزل من الكوفة؟ قلت: في بني رؤاس. قال: أين من منزل الجراح بن مليح؟ قلت: ذاك أبي، وكان على بيت المال، قال لي: اذهب، فجئني بعطائي، وتعال حتى أحدثك بخمسة أحاديث. فجئت إلى أبي، فأخبرته، قال: خذ نصف العطاء، واذهب، فإذا حدثك بالخمسة،

فخذ النصف الآخر حتى تكون عشرة، فأتيته بنصف عطائه، فوضعه في كفه، وقال: هكذا؟ ثم سكت، فقلت: حدثني، فأملى علي حديثين، فقلت: وعدتني بخمسة. قال: فأين الدراهم كلها؟ أحسب أن أباك أمرك بهذا، ولم يدر أن الأعمش مُدَرَّبٌ قد شهد الوقائع؟! اذهب فجئني بتمامه، فجئته، فحدثني بخمسة، فكان إذا كان كل شهر، جئته بعطائه، فحدثني بخمسة أحاديث. **٩ / ١٤٥ – ١٤٦**

قال حرملة: سئل الشافعي عن رجل في فمه تمرة، فقال: إن أكلتها، فامرأتي طالق، وإن طرحتها، فامرأتي طالق، قال: يأكل نصفا، ويطرح النصف. **١٠ / ٥٣**

وكان – أي: أبو ميسرة القيرواني – يختم كل ليلة في مسجده، فرأى ليلة نوراً قد خرج من الحائط، وقال: تملاً من وجهي، فأنا ربك. فبصق في وجهه، وقال: اذهب يا ملعون. فطُفئ النور. **١٥ / ٣٩٦**

وفي "تاريخ" محمد بن عبد الملك الهمذاني: توفي الخطيب – أي: البغدادي – في كذا، ومات هذا العلم بوفاته. وقد كان رئيسُ الرؤساء تقدم إلى الخطباء والوعاظ أن لا يرووا حديثا حتى يعرضوه عليه، فما صححه أوردوه، وما رده لم يذكروه. وأظهر بعض اليهود كتاباً ادعى أنه كتاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادة الصحابة، وذكروا أن خط علي -رضي الله عنه- فيه. وحُمِل الكتاب إلى رئيس الرؤساء، فعرضه على الخطيب، فتأمله، وقال: هذا مزور، قيل: من أين قلت؟ قال: فيه شهادة معاوية وهو أسلم عام الفتح،

وفتحت خيبر سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ ومات يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين. فاستحسن ذلك منه. ١٨ / ٢٨٠

(٢٦٠) من عجائب الأكولين!

قال الأصمعي: قال لي الرشيد: كم أكثر ما أكل ميسرة - أي التَّرَّاس -؟ قلت: مئة رغيف، ونصف مكوك ملح، فأمر الرشيد، فطرح للفيل مئة رغيف، ففضل منها رغيفاً!.

وقيل: إن بعض المُجَّان قالوا له: هل لك في كبش مشوي؟ قال: ما أكره ذلك، ونزل عن حماره، فأخذوا الحمار، وأتوه -وقد جاع- بالشواء. فأقبل يأكل، ويقول: أهذا لحم فيل؟! بل لحم شيطان. حتى فرغه، ثم طلب حماره، فتضاحكوا، وقالوا: هو والله في جوفك. وجمعوا له ثمنه.

وقيل: نذرت امرأة أن تشبعه، فرفق بها، وأكل ما يكفي سبعين رجلاً. ٨ / ١٦٥

(٢٦١) قَلَّت ذنوبهم وعظم استغفارهم!

قال أبو بكر بن أبي الدنيا: حدثنا علي بن أبي مريم قال: قال رياح القيسي: لي نيف وأربعون ذنباً، قد استغفرت لكل ذنب مئة ألف مرة. ٨ / ١٧٤

(٢٦٢) متى تذوق حلاوة قراءة القرآن؟

قال أحمد بن ثعلبة: سمعت سلماً الخواص قال: قلت لنفسي: يانفس، اقرئي القرآن كأنك سمعتيه من الله حين تكلم به، فجاءت الحلاوة. ٨ / ١٨٠

قال نعيم بن حماد: قال رجل لابن المبارك: قرأت البارحة القرآن في ركعة، فقال: لكني أعرف رجلاً لم يزل البارحة يكرر (ألهاكم التكاثر) إلى الصبح، ما قدر أن يتجاوزها - يعني نفسه -. ٨ / ٣٩٧

(٢٦٣) مراتب الخلفاء الراشدين

قال حفص بن غياث؛ من طريق علي بن خشرم، عنه: سمعت شَريكا - أي: القاضي - يقول: قُبض النبي -صلى الله عليه وسلم- واستخار المسلمون أبا بكر، فلو علموا أن فيهم أحدا أفضل منه كانوا قد غشونا، ثم استخلف أبو بكر عمرَ، فقام بما قام به من الحق والعدل، فلما حضرته الوفاة، جعل الأمر شورى بين ستة، فاجتمعوا على عثمان. فلو علموا أن فيهم أفضل منه كانوا قد غشونا.

قال علي بن خشرم: فأخبرني بعض أصحابنا من أهل الحديث، أنه عرض هذا على عبد الله بن إدريس، فقال ابن إدريس: أنت سمعت هذا من حفص؟ قلت: نعم. قال: الحمد لله الذي أنطق بهذا لسانه، فوالله إنه لشيعي، وإن شَريكا لشيعي.

قلت: هذا التشيع الذي لا محذور فيه -إن شاء الله- إلا من قبيل الكلام فيمن حارب عليا -رضي الله عنه- من الصحابة، فإنه قبيح يؤدب

فاعله. ولا نذكر أحداً من الصحابة إلا بخير، ونترضى عنهم، ونقول: هم طائفة من المؤمنين بغت على الإمام علي، وذلك بنص قول المصطفى -صلوات الله عليه- لعمار: "تقتلك الفئة الباغية "، فنسأل الله أن يرضى عن الجميع، وألا يجعلنا ممن في قلبه غل للمؤمنين. ولا نرتاب أن علياً أفضل ممن حاربه، وأنه أولى بالحق -رضي الله عنه-. **٨ / ٢٠٩ - ٢١٠**

(٢٦٤) حِيَل!

قال الحافظ ابن عدي: كان مولاه يزيد قد خيره (يعني كان يزيد بن عطاء قد خير مولاه الحافظ أبا عوانة) بين الحرية، وكتابة الحديث، فاختار كتابة الحديث. وفوض إليه مولاه التجارة، فجاءه سائل، فقال: أعطني درهمين، فإني أنفعك، فأعطاه، فدار السائل على رؤساء البصرة، وقال: بكروا على يزيد بن عطاء، فإنه قد أعتق أبا عوانة. قال: فاجتمعوا إلى يزيد، وهنؤوه، فأنف من أن ينكر ذلك، فأعتقه حقيقة. **٨ / ٢١٨ - ٢١٩**

قال أبو القاسم بن عساكر: قرأت في كتاب أبي الحسين الرازي - يعني والد تمام- قال: سمعت جماعة قالوا: لما اتصل الخبر بأبي أحمد الواثق، أن أحمد بن طولون قد خلعه بدمشق، أمر بلعن أحمد بن طولون على المنابر، فلما بلغ أحمد، أمر بلعن الموفق على المنابر بمصر والشام. وكان أبو زرعة محمد بن عثمان القاضي ممن خلع الموفق - يعني من ولاية العهد - ولعنه، ووقف عند المنبر بدمشق، ولعنه، وقال: نحن أهل الشام، نحن أهل صفين، وقد كان فينا من حضر الجمل، ونحن القائمون بمن عاند أهل الشام، وأنا أشهدكم أني قد خلعت أبا أحمق -يعني أبا أحمد- كما يخلع

الخاتم من الإصبع، فالعنوه، لعنه الله. قال الرازي: وحدثني إبراهيم بن محمد بن صالح، قال: لما رجع أحمد بن الموفق من وقعة الطواحين إلى دمشق، من محاربة خمارويه بن أحمد بن طولون -يعني بعد موت أبيه أحمد، وذلك في سنة إحدى وسبعين- قال لأبي عبد الله الواسطي: انظر ما انتهى إليك ممن كان يبغضنا فليحمل. فحمل يزيد بن عبد الصمد، وأبو زرعة - أي: عبدالرحمن بن عمرو - الدمشقي، والقاضي أبو زرعة بن عثمان، حتى صاروا بهم مقيدين إلى أنطاكية، فبينا أحمد بن أبي الموفق - وهو المعتضد- يسير يوما، إذ بصر بمحامل هؤلاء، فقال للواسطي: من هؤلاء؟ قال: أهل دمشق. قال: وفي الأحياء هم؟ إذا نزلت فاذكرني بهم. قال ابن صالح: فحدثنا أبو زرعة الدمشقي، قال: فلما نزل، أحضرنا بعد أن فكت القيود، وأوقفنا مذعورين، فقال: أيكم القائل: قد نزعت أبا أحمق؟ قال: فربت ألْسِنَتنا حتى خيل إلينا أننا مقتولون، فأما أنا: فأُبلست، وأما ابن عبد الصمد: فخرس، وكان تمتاما، وكان أبو زرعة القاضي أحدثنا سنا، فقال: أصلح الله الأمير. فالتفت إليه الواسطي، فقال: أمسك حتى يتكلم أكبر منك. ثم عطف علينا، وقال: ماذا عندكم؟ فقلنا: أصلحك الله! هذا رجل متكلم يتكلم عنا، قال: تكلم: فقال: والله ما فينا هاشمي، ولا قرشي صحيح، ولا عربي فصيح، ولكنا قوم مُلكنا حتى قُهرنا. وروى أحاديث كثيرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في السمع والطاعة، في المنشط والمكره، وأحاديث في العفو والإحسان، وكان هو الذي تكلم بالكلمة التي نطالب بخزيها، ثم قال: أصلح الله الأمير، وأشهدك أن نسواني طوالق، وعبيدي أحرار، ومالي حرام إن كان في هؤلاء القوم أحد

قال هذه الكلمة، ووراءنا عيال وحرم، وقد تسامع الناس بهلاكنا، وقد قدرت، وإنما العفو بعد المقدرة. فقال للواسطي: يا أبا عبد الله! أطلقهم، لا كثّر الله في الناس مثلهم. فأطلقنا، فاشتغلت أنا ويزيد بن عبد الصمد عند عثمان بن خرزاذ في نُزَهِ أنطاكية وطيبها وحَمَّامَاتِها، وسبق أبو زرعة القاضي إلى حمص. ١٣ / ٣١٥ – ٣١٦

(٢٦٥) من أحب شيئاً أكثر من ذكره

قال خالد بن خداش: سَمِعَتْ رابعة – أي: العدوية – صالحاً المُري يذكر الدنيا في قصصه، فنادته: يا صالح، من أحب شيئاً أكثر من ذكره. ٨ / ٢٤١

(٢٦٦) نسبة باطلة

قال أبو سعيد بن الأعرابي: أما رابعة – أي: العدوية –، فقد حمل الناس عنها حكمة كثيرة، وحكى عنها سفيان وشعبة وغيرهما ما يدل على بطلان ما قيل عنها، وقد تمثلته بهذا:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وأبحت جسمي من أراد جلوسي

فنسبها بعضهم إلى الحلول بنصف البيت، وإلى الإباحة بتمامه.

قلت: فهذا غلو وجهل، ولعل من نسبها إلى ذلك مباحي حلولي ليحتج بها على كفره كاحتجاجهم بخبر: " كنت سمعه الذي يسمع به ". ٨ / ٢٤٢ – ٢٤٣

(٢٦٧) في الغربة..

ورأى الداخل - أي: عبدالرحمن - نخلة مفردة بالرصافة، فهاجت شجنه، وتذكر وطنه فقال:

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة   تناءت بأرض الغرب عن بلد النخل
فقلت شبيهي في التغرب والنوى   وطول انتثائي عن بنيَّ وعن أهلي
نشأتِ بأرض أنت فيها غريبة   فمثلك في الإقصاء والمنتأى مثلي
سقتك عوادي المزن من صوبها الذي   يسح وتستمري السِّماكينِ بالوبل

٨ / ٢٤٧

وقال سعيد بن عثمان اللغوي المتوفى سنة أربع مئة: كانت بقرطبة جنة اتخذها عبد الرحمن بن معاوية، كان فيها نخلة أدركتها. وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن معاوية:

يا نخل أنت غريبة مثلي   في الغرب نائية عن الأهل
فابكي، وهل تبكي ملمسة   عجماء، لم تطبع على خبل
لو أنها تبكي إذن لبكت   ماء الفرات ومنبت النخل
لكنها ذهلت وأذهلني   بغضي بني العباس عن أهلي

٨ / ٢٥١ – ٢٥٢

(٢٦٨) يوم كان الإسلام عزيزاً في الأندلس..

وأما الإسلام فكان عزيزا منيعا بالأندلس في دولة الداخل - أي: عبدالرحمن -. فانظر إلى هذا الأمان الذي كتب عنه للنصارى:

بسم الله الرحمن الرحيم:

كتاب أمان ورحمة، وحقن دماء وعصمة، عقده الأمير الأكرم الملك المعظم عبد الرحمن بن معاوية، ذو الشرف الصميم، والخير العميم، للبطارقة والرهبان، ومن تبعهم من سائر البلدان، أهل قشتالة وأعمالها، ما داموا على الطاعة في أداء ما تحملوه، فأشهد على نفسه أن عهده لا ينسخ ما أقاموا على تأدية عشرة آلاف أوقية من الذهب، وعشرة آلاف رطل من الفضة، وعشرة آلاف رأس من خيار الخيل، ومثلها من البغال، مع ذلك ألف درع وألف بيضة، ومن الرماح الدَّردار مثلها في كل عام، ومتى ثبت عليهم النكث بأسير يأسرونه، أو مسلم يغدرونه، انتكث ما عوهدوا عليه، وكتب لهم هذا الأمان بأيديهم إلى خمس سنين، أولها صفر عام اثنين وأربعين ومئة. **٨ / ٢٥٠**

(٢٦٩) من أخلاق الإسلام

ثم كتب الحكم (أي: ابن هشام) كتاب أمان عام، وكان طالوت (أي: ابن عبدالجبار المعافري - أحد العلماء الذين هموا بخلع الحكم بن هشام لفسقه -) اختفى سنة عند يهودي، ثم خرج وقصد الوزير أبا البسام ليختفي عنده فأسلمه إلى الحكم، فقال: ما رأي الأمير في كبش سمين،

وقف على مذْوَدِه عاماً، فقال الحكم: لحم ثقيل، ما الخبر؟ قال: طالوت عندي، فأمره بإحضاره، فأحضر، فقال: يا طالوت، أخبرني لو أن أباك أو ابنك ملك هذه الدار، أكنت فيها في الإكرام والبر على ما كنت أفعل معك؟ ألم أفعل كذا؟ ألم أمش في جنازة امرأتك، ورجعت معك إلى دارك؟ أفما رضيت إلا بسفك دمي؟ فقال الفقيه في نفسه: لا أجد أنفع من الصدق. فقال: إني كنت أبغضك لله فلم يمنعك ما صنعت معي لغير الله، وإني لمعترف بذلك، أصلحك الله. فوجم الخليفة وقال: اعلم أن الذي أبغضتني له قد صرفني عنك، فانصرف في حفظ الله، ولست بتارك برك، وليت الذي كان لم يكن، ولكن أين ظفر بك أبو البسام لا كان، فقال: أنا أظفرته بنفسي، وقصدته. قال: فأين كنت في عامك؟ قال: في دار يهودي، حفظني لله، فأطرق الخليفة مليا، ورفع رأسه إلى أبي البسام وقال: حفظه يهودي، وستر عليه لمكانه من العلم والدين، وغدرت به إذ قصدك وخفرت ذمته، لا أرانا الله في القيامة وجهه إن رأينا لك وجهاً. وطرده وكتب لليهودي كتاباً بالجزية فيما ملك، وزاد في إحسانه، فلما رأى اليهودي ذلك، أسلم مكانه. ٨ / ٢٥٨ - ٢٥٩

(٢٧٠) من صور قدرة الله وعظمته

وفي سنة خمس وثلاثين – أي: ومئتين - جاء سيل مهول، حتى احتمل رَبَض قنطرة قرطبة، واحتمل ست عشرة قرية إلى البحر، بما فيها من الناس والمواشي. وهلك ما لا يعد ولا يحصى، فلا قوة إلا بالله. ٨ / ٢٦١

(٢٧١) الوقوف عند آيات الله سبحانه

وقال محمد بن وضاح: كان عبد الله الأمير (أي: عبدالله بن محمد بن عبدالرحمن الأمير المرواني) من الصالحين المتقين العالمين، روى العلم كثيرا، وطالع الرأي، وأبصر الحديث، وحفظ القرآن، وتفقه، وأكثر الصوم. وكان يلتزم الصلوات في الجامع، فيمر بالصف، فيقوم الناس له، فكتب إليه سعيد بن حمير: أيها الإمام أنت من المتقين، وإنما يقوم الناس لرب العالمين، فلا ترض من رعيتك بغير الصواب، فإن العزة لله جميعا. فأمر العامة بترك ذلك فلم ينتهوا، فحينئذ ابتنى الساباط طريقا مشهورا من قصره إلى المقصورة. ٨/ ٢٦٤

(٢٧٢) أفضل الجهاد

وساق (أي: عبدالرحمن الناصر) إليها (أي: إلى الزهراء - مسكنه قرب قرطبة -) أنهارا، ونقب لها الجبل، وأنشأها مدورة، وعدة أبراجها ثلاث مئة برج، وشرفاتها من حجر واحد، وقسمها أثلاثا: فالثلث المسند إلى الجبل قصوره، والثلث الثاني: دور المماليك والخدم، وكانوا اثني عشر ألفا بمناطق الذهب، يركبون لركوبه، والثلث الثالث: بساتين تحت القصور. وعمل مجلساً مشرفاً على البساتين، صفح عمده بالذهب، ورصعه بالياقوت والزمرد، واللؤلؤ، وفرشه بمنقوشى الرخام، وصنع قدامه بحرة مستديرة ملأها زئبقا، فكان النور ينعكس منه إلى المجلس، فدخل عليه قاضيه: منذر بن سعيد البلوطي، فوقف وقرأ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً

﴿لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزخرف: ٣٣] فقال: وعظت أبا الحكم، ثم قام عن المجلس، وأمر بنزع الذهب والجواهر. **٨ / ٢٦٧ – ٢٦٨**

وقد استغرق – أي: منذر بن سعيد البلوطي – مرة في خطبته بجامع الزهراء فأدخل فيها ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ [الشعراء: ١٢٨- ١٣٠]، فتخير الناصر لخطابة الزهراء أحمد بن مطرف إذا حضر الناصر. **١٦ / ١٧٧**

الصدع بالحق عظيم، يحتاج إلى قوة وإخلاص، فالمخلص بلا قوة يعجز عن القيام به، والقوي بلا إخلاص يُخْذَل، فمن قام بهما كاملا، فهو صدِّيق. ومن ضعف، فلا أقل من التألم والإنكار بالقلب. ليس وراء ذلك إيمان، فلا قوة إلا بالله.

سفيان الثوري، عن زبيد، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا يحقرن أحدكم نفسه أن يرَى أمرا لله فيه مقال، فلا يقول فيه، فيقال له: ما منعك؟ فيقول: مخافة الناس. فيقول: فإياي كنت أحق أن تخاف)رواه الفريابي وأبو نعيم وخلاد عنه. **١١ / ٢٣٤ – ٢٣٥**

قال محمد بن إبراهيم البوشنجي: جعلوا يذاكرون أبا عبد الله – أي: أحمد بن حنبل – بالرقة في التقية وما روي فيها. فقال: كيف تصنعون بحديث خباب: (إن من كان قبلكم كان ينشر أحدكم بالمنشار، لا يصده ذلك عن دينه) فأيسنا منه. **١١ / ٢٣٩**

قال محمد بن خريم الخُرَيْمي: سمعت هشام بن عمار، يقول في خطبته: قولوا الحق، ينزلكم الحق منازل أهل الحق يوم لا يُقضى إلا بالحق.

١١ / ٤٢٩

قال أبو الفرج بن الجوزي: أقام جوهر القائد لأبي تميم صاحب مصر أبا بكر النابلسي، وكان ينزل الأكواخ، فقال له: بلغنا أنك قلت: إذا كان مع الرجل عشرة أسهم، وجب أن يرمي في الروم سهما، وفينا - أي: العبيديين - تسعة، قال: ما قلت هذا، بل قلت: إذا كان معه عشرة أسهم، وجب أن يرميكم بتسعة، وأن يرمي العاشر فيكم أيضا، فإنكم غيرتم الملة، وقتلتم الصالحين، وادعيتم نور الإلهية، فشهره ثم ضربه، ثم أمر يهوديا فسلخه.

قال ابن الأكفاني: توفي العبد الصالح الزاهد أبو بكر بن النابلسي، كان يرى قتال المغاربة - أي: العبيديين -، هرب من الرملة إلى دمشق، فأخذه متوليها أبو محمود الكتامي، وجعله في قفص خشب، وأرسله إلى مصر، فلما وصل قالوا: أنت القائل، لو أن معي عشرة أسهم... وذكر القصة، فسلخ وحشي تبنا، وصلب.

قال معمر بن أحمد بن زياد الصوفي: أخبرني الثقة، أن أبا بكر سُلخ من مفرق رأسه حتى بلغ الوجه، فكان يذكر الله ويصبر حتى بلغ الصدر، فرحمه السلاخ، فوكزه بالسكين موضع قلبه فقضى عليه. **١٦ / ١٤٨ - ١٤٩**

(٢٧٣) رجلٌ اشترى نفسه من الله

قال عبد الله بن أحمد - أي: ابن حنبل -: قال أبي: كان خالد - أي: ابن عبدالله المزني - من أفاضل المسلمين، اشترى نفسه من الله ثلاث مرات، فتصدق بوزن نفسه فضة أربع مرات. ٨ / ٢٧٨

(٢٧٤) تبجيل الصحابة

قال أحمد العجلي: كان - أي: أبو الأحوص - ثقة صاحب سنة واتباع، وكان إذا ملئت داره من أصحاب الحديث، قال لابنه أحوص: يا بني قم، فمن رأيته في داري يشتم أحداً من الصحابة فأخرجه، ما يجيء بكم إلينا؟!!! ٨ / ٢٨٢

(٢٧٥) ما ينبغي ذكره من سير الصحابة

بهلول بن إسحاق: حدثنا سعيد بن منصور، حدثنا شهاب بن خراش قال: أدركت من أدركت من صَدَرَةِ هذه الأمة، وهم يقولون: اذكروا مجلس أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما تأتلف عليه القلوب، ولا تذكروا الذي شجر بينهم، فتَحُرِّشُوا عليهم الناس. ٨ / ٢٨٥

(٢٧٦) إذا جمع الطعام أربعاً فقد كمل

وقال عبد الوهاب بن نجدة: سمعت إسماعيل بن عياش يقول: كان ابن أبي حسين المكي يدنيني، فقال له أصحاب الحديث: نراك تقدم هذا الغلام الشامي، وتؤثره علينا، فقال: إني أؤمله، فسألوه يوما عن حديث يحدث به عن شهر، إذا جمع الطعام أربعا فقد كمل، فذكر ثلاثة، ونسي الرابعة، فسألني عن ذلك، فقال لي: كيف حدثتكم؟ قلت: حدثتنا عن شهر بن حوشب أنه قال: إذا جمع الطعام أربعا فقد كمل، إذا كان أوله حلالاً، وسمي الله عليه حين يوضع، وكثرت عليه الأيدي، وحُمِد الله حين يرفع، فأقبل على القوم، وقال: كيف ترون؟. ٨ / ٣١٥

(٢٧٧) احذر يا طالب العلم!

وهو - أي: أبو العباس بن السماك - القائل: كم من شئ إذا لم ينفع لم يضر، لكن العلم إذا لم ينفع ضر. ٨ / ٣٢٩

(٢٧٨) قول بليغ في علو شأن الشفاعة

دخل ابن السماك على رئيس في شفاعة لفقير. فقال: إني أتيتك في حاجة، والطالب والمعطي عزيزان إن قضيت الحاجة، ذليلان إن لم تقض، فاختر لنفسك عز البذل عن ذل المنع، وعز النجح على ذل الرد. ٨ / ٣٢٩

(٢٧٩) مواعظ بليغة

وعنه - أي: ابن السماك - قال: همة العاقل في النجاة والهرب، وهمة الأحمق في اللهو والطرب، عجبا لعين تلذ بالرقاد، وملك الموت معها على الوساد، حتى متى يبلغنا الوعاظ أعلام الآخرة، حتى كأن النفوس عليها واقفة، والعيون ناظرة، أفلا منتبه من نومته، أو مستيقظ من غفلته، ومفيق من سكرته، وخائف من صرعته، كدحاً للدنيا كدحا، أما تجعل للآخرة منك حظا، أقسم بالله، لو رأيتَ القيامة تخفق بأهوالها، والنار مشرفة على آلها، وقد وضع الكتاب، وجيء بالنبيين والشهداء، لسرك أن يكون لك في ذلك الجمع منزلة، أبعد الدنيا دار معتمل، أم إلى غير الآخرة منتقل؟. هيهات ولكن صُمَّت الآذان عن المواعظ، وذَهلت القلوب عن المنافع، فلا الواعظ ينتفع، ولا السامع ينتفع.

وعنه: هب الدنيا في يديك، ومثلها ضم إليك، وهب المشرق والمغرب يجيء إليك، فإذا جاءك الموت، فماذا في يديك؟! ألا من امتطى الصبر، قوي على العبادة، ومن أجمع الناس، استغنى عن الناس، ومن أهمته نفسه لم يول مرمتها غيره، ومن أحب الخير، وفق له، ومن كره الشر، جنبه، ألا متأهب فيما يوصف أمامه، ألا مستعد ليوم فقره، ألا مبادر فناء أجله. ما ينتظر من ابيضت شعرته بعد سوادها، وتكرش وجهه بعد انبساطه، وتقوس ظهره بعد انتصابه، وكَلَّ بصره، وضعف ركنه، وقل نومه، وبلي منه شيء بعد شيء في حياته، فرحم الله امرأ عقل الأمر، وأحسن النظر، واغتنم أيامه.

وعنه: الدنيا كلها قليل، والذي بقي منها قليل، والذي لك من الباقي قليل، ولم يبق من قليلك إلا قليل، وقد أصبحت في دار العزاء، وغدا تصير إلى دار الجزاء، فاشتر نفسك لعلك تنجو. ٨ / ٣٢٩ – ٣٣٠

(٢٨٠) الجهل خيرٌ من بعض العلوم!

قال سعيد بن عفير: ما رأيت أخطب منه على هذه الأعواد - يقصد: إسماعيل بن صالح الهاشمي -. كان جامعاً لكل سؤدد، ويعرف الفلسفة، وضرب العود، والنجوم.

قلت: علمه هذا الجهل خيرٌ منه. ٨ / ٣٥٩

وما أنبل قوله - أي قول: القاضي أبي يوسف الكوفي - الذي رواه جماعة عن بشر بن الوليد، سمعت أبا يوسف يقول: العلم بالخصومة والكلام جهل. والجهل بالخصومة والكلام علم.

قلت: مثاله شُبَهٌ وإشكالات من نتائج أفكار أهل الكلام، تورد في الجدال على آيات الصفات وأحاديثها، فيُكَفِّر هذا هذا، وينشأ الاعتزال، والتجهم، والتجسيم وكل بلاء. نسأل الله العافية. ٨ / ٥٣٩

(٢٨١) فائدة الإقلال من المعارف

عبد الخالق أبو همام، قال: قال بشر بن منصور: أقِلَّ من معرفة الناس، فإنك لا تدري ما يكون، فإن كان -يعني فضيحة- غداً، كان من يعرفك قليلا. ٨ / ٣٦٠ – ٣٦١

(٢٨٢) استنهاض همة الشباب

قال عفان: حدثنا يوسف الماجشون، قال لي ابن شهاب، ولأخي، ولابن عم لي - ونحن فتيان أحداث نسأله -: لا تحقروا أنفسكم لحداثة أسنانكم، فإن عمر بن الخطاب كان إذا نزل به أمر، دعا الشباب، فاستشارهم، يبتغي حدة عقولهم. ٨ / ٣٧٢ - ٣٧٣

(٢٨٣) عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال أبو المنذر إسماعيل بن عمر: سمعت أبا عبد الرحمن العمري الزاهد يقول: إن من غفلتك عن نفسك إعراضك عن الله، بأن ترى ما يسخطه فتجاوزه، ولا تأمر، ولا تنهى خوفا من المخلوق. من ترك الأمر بالمعروف خوف المخلوقين، نزعت منه الهيبة، فلو أمر ولده، لاستخف. ٨ / ٣٧٥

(٢٨٤) الأُنس بالعلم

نعيم بن حماد قال: كان ابن المبارك يكثر الجلوس في بيته، فقيل له: ألا تستوحش؟ فقال: كيف أستوحش وأنا مع النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه؟! ٨ / ٣٨٢

(٢٨٥) الأدب مع العلماء

سئل ابن المبارك بحضور سفيان بن عيينة عن مسألة، فقال: إنا نهينا أن نتكلم عند أكابرنا.

٨ / ٤٢٠

وقال إسماعيل الخطبي: بلغني عن ابن المبارك أنه حضر عند حماد بن زيد، فقال أصحاب الحديث لحماد: سل أبا عبد الرحمن أن يحدثنا. فقال: يا أبا عبد الرحمن، تحدثهم، فإنهم قد سألوني؟ قال: سبحان الله، يا أبا إسماعيل، أحدث وأنت حاضر؟! فقال: أقسمت عليك لتفعلن. فقال: خذوا. حدثنا أبو إسماعيل حماد بن زيد، فما حدث بحرف إلا عن حماد. ٨ / ٣٨٢ – ٣٨٣

وقال الأثرم: أخبرني عبد الله بن المبارك شيخ سمع قديما، قال: كنا عند ابن عُليَّة – أي: إسماعيل –، فضحك بعضنا وثَمَّ أحمد. قال: فأتينا إسماعيل بعد فوجدناه غضبان، فقال: تضحكون وعندي أحمد بن حنبل؟! ١١ / ١٩٤

قال جعفر بن أحمد بن نصر الحافظ: ما رأيت من المحدثين أهيب من محمد بن رافع – أي: القشيري النيسابوري –، كان يستند إلى الشجرة الصنوبر في داره، فيجلس العلماء بين يديه على مراتبهم، وأولاد الطاهرية ومعهم الخدم، كأن على رؤوسهم الطير. فيأخذ الكتاب، ويقرأ بنفسه، ولا ينطق أحد، ولا يتبسم إجلالاً له. وإذا تبسّم واحد أو رَاطَنَ صاحبه، قال:

وصلى الله على محمد، ويأخذ الكتاب، فلا يقدر أحد يراجعه أو يشير بيده. ولقد تبسم خادم من خدم الطاهرية يوما، فقطع ابن رافع مجلسه، فانتهى الخبر بذلك إلى طاهر بن عبد الله فأمر بقتل الخادم، حتى احتلنا لخلاصه! ١٢ / ٢١٦

وقال محمد بن الحسين بن حميد بن الربيع، عن أبيه، قال: ابتدأ أبو كريب يقرأ علينا "المغازي" ليونس بن بكير فقرأ علينا مجلسا أو مجلسين، فلغط بعض أصحاب الحديث، فقطع قراءته، وحلف لا يقرأه علينا، فعدنا إليه نسأله، فأبى وقال: امضوا إلى عبد الجبار العطاردي فإنه كان يحضر سماعه معنا من يونس. قلنا: قد مات. قال: اسمعوه من ابنه أحمد فإنه كان يحضر معنا. قال: فدلنا إلى منزله، وكان أحمد يلعب بالحمام، فقال لنا: مذ سمعناه ما نظرت فيه، ولكن هو في قماطر فيها كتب، فاطلبوه. فقمت، فطلبته، فوجدته وعليه ذَرْق الحمام، وإذا سماعه مع أبيه بالخط العتيق، فسألته أن يدفعه إلي، ويجعل وراقته لي، ففعل. ١٣ / ٥٦ — ٥٧

وقال حمزة بن محمد بن طاهر: كان ابن الأنباري - أي: أبو بكر محمد بن القاسم - زاهداً متواضعا، حكى الدارقطني أنه حضره، فصَحَّفَ- أي: ابن الأنباري - في اسم، قال: فأعظمت أن يُحمل عنه وَهْمٌ وهِبْتُهُ، فعَرَّفتُ مستمليه، فلما حضرت الجمعة الأخرى، قال ابن الأنباري لمستمليه: عرِّف الجماعة أنا صحفنا الاسم الفلاني، ونبهنا عليه ذلك الشاب على الصواب. ١٥ / ٢٧٧

(٢٨٦) القيام على العلماء

فبلغنا أنه - أي: ابن المبارك - قال للفضيل: لولاك وأصحابك ما اتجرت. ٨ / ٣٨٦

وكان - أي: الفضيل - يعيش من صلة ابن المبارك ونحوه من أهل الخير، ويمتنع من جوائز الملوك. ٨ / ٤٤٢

عباس بن يزيد، حدثنا حبان بن موسى، قال: عوتب ابن المبارك فيما يفرق من المال في البلدان دون بلده، قال: إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث، فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم، احتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعناهم بثوا العلم لأمة محمد -صلى الله عليه وسلم- لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم. ٨ / ٣٨٧

وقال المسيب بن واضح: أرسل ابن المبارك إلى أبي بكر بن عياش أربعة آلاف درهم، فقال: سد بها فتنة القوم عنك.

قال علي بن خشرم: قلت لعيسى بن يونس: كيف فضلكم ابن المبارك، ولم يكن بأسن منكم؟ قال: كان يقدم، ومعه الغِلْمة الخراسانية، والبزة الحسنة، فَيَصِلُ العلماء، ويعطيهم، وكنا لا نقدر على هذا.

قال نعيم بن حماد: قدم ابن المبارك أَيْلة على يونس بن يزيد، ومعه غلام مفرغ لعمل الفالوذج، يتخذه للمحدثين. ٨ / ٤١٠

روى علي بن حرملة التيمي عنه - أي: عن القاضي أبي يوسف الحنفي - قال: كنت أطلب العلم وأنا مقل، فجاء أبي فقال: يا بني لا تمدن رجلك مع أبي

حنيفة، فأنت محتاج، فآثرت طاعة أبي، فأعطاني أبو حنيفة مئة درهم، وقال: الزم الحلقة، فإذا نفذت هذه فأعلمني. ثم بعد أيام أعطاني مئة. **٨ / ٥٣٦**

عاصم المروزي، سمعت عمرو بن علي يقول: كانت غلة عبد الوهاب بن عبد المجيد في كل سنة ما بين أربعين ألفاً إلى خمسين ألفا، فكان إذا أتى عليه السنة، لم يبق منها شيئا، كان ينفقها على أصحاب الحديث. **٩ / ٢٣٩**

قال الخطيب: كان علي - أي: ابن عاصم - من ذوي الأموال والاتساع في الدنيا، ولم يزل ينفق في طلب العلم ويُفضِل على أهله قديماً وحديثاً. **٩ / ٢٥١**

(٢٨٧) وفاء عالم

محمد بن عيسى، قال: كان ابن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس، وكان ينزل الرقة في خان، فكان شاب يختلف إليه، ويقوم بحوائجه، ويسمع منه الحديث، فقدم عبد الله مرة، فلم يره، فخرج في النفير مستعجلاً، فلما رجع، سأل عن الشاب، فقال: محبوس على عشرة آلاف درهم، فاستدل على الغريم، ووزن له عشرة آلاف، وحلفه ألا يخبر أحداً ما عاش، فأخرج الرجل، وسرى ابن المبارك، فلحقه الفتى على مرحلتين من الرقة، فقال لي: يا فتى، أين كنت؟ لم أرك. قال: يا أبا عبد الرحمن كنت محبوسا بدَين. قال: وكيف خلصت؟ قال: جاء رجل، فقضى ديني، ولم أدر. قال: فاحمد الله. ولم يعلم الرجل إلا بعد موت عبد الله. **٨ / ٣٨٦ - ٣٨٧**

(٢٨٨) "والآخرة خير وأبقى"

أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب: سمعت الخليل أبا محمد قال: كان عبد الله بن المبارك إذا خرج إلى مكة قال:

بغض الحياة وخوف الله أخرجني وبيع نفسي بما ليست له ثمنا
إني وزنت الذي يبقى ليعدله ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا

٨ / ٣٩٤

وروى يعقوب بن عبدالرحمن، عن أبي حازم - أي: سلمة بن دينار - قال: ما أحببت أن يكون معك في الآخرة، فاتركه اليوم. ٦ / ٩٨

(٢٨٩) الجمع بين العلم والعمل والجهاد

قال جعفر بن أبي عثمان: قلت لابن معين: اختلف القطان ووكيع؟ قال: القول قول يحيى. قال: فإذا اختلف عبدالرحمن ويحيى؟ قال: يحتاج من يفصل بينهما. قلت: فأبو نعيم وعبدالرحمن؟ قال: يحتاج من يفصل بينهما. قلت: الأشجعي؟ قال: مات الأشجعي، ومات حديثه معه. قلت: ابن المبارك؟ قال: ذاك أمير المؤمنين في الحديث. ٨ / ٣٩٢

محمد بن مخلد: حدثنا عبدالصمد بن حميد، سمعت عبدالوهاب ابن عبدالحكم يقول: لما مات ابن المبارك بلغني أن هارون أمير المؤمنين قال: مات سيد العلماء. ٨ / ٣٩٠

أبو حاتم الرازي: حدثنا عبدة بن سليمان المروزي قال: كنا سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان، خرج رجل من العدو، فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله - أي: فقتل الروميُ المسلم-، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز، فخرج إليه رجل، فطارده ساعة فطعنه فقتله - أي: فقتل المسلمُ الروميَ -، فازدحم إليه الناس، فنظرت فإذا هو عبد الله بن المبارك، وإذا هو يكتم وجهه بكمه، فأخذت بطرف كمه فمددته، فإذا هو هو. فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يشنع علينا!! ٨ / ٣٩٤ — ٣٩٥

وقال نعيم: ما رأيت أعقل من ابن المبارك، ولا أكثر اجتهادا في العبادة. ٨ / ٤٠٥

محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة، قال: أملى علي ابن المبارك سنة سبع وسبعين و مئة، وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض من طرسوس:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضب جيده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب

أو كان يتعب خيله في باطل ... فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... رهج السنابك والغبار الأطيب

ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب

لا يستوي وغبار خيل الله في ... أنف امرئ ودخان نار تلهب

هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب

فلقيت الفضيل بكتابه في الحرم، فقرأه وبكى، ثم قال: صدق أبو عبد الرحمن ونصح. ٨ / ٤١٢ - ٤١٣

(٢٩٠) الحرص على رد الحقوق

الحسن بن عرفة يقول: قال لي ابن المبارك: استعرت قلماً بأرض الشام، فذهبت ((كذا، ولعل الصحيح: فذهلت)) على أن أرده، فلما قدمت مرو نظرت فإذا هو معي، فرجعت إلى الشام حتى رددته على صاحبه. ٨ / ٣٩٥

(٢٩١) الوفاء بالوعد

عن هارون بن رئاب، أن عبد الله بن عمرو لما حضرته الوفاة قال: انظروا فلاناً -لرجل من قريش- فإني كنت قلت له في ابنتي قولاً كشبيه العِدة، وما أحب أن ألقى الله تعالى بثلث النفاق، وأشهدكم أني قد زوجته.

هارون ثقة، لكنه لم يلحق عبد الله بن عمرو. ٨ / ٣٩٦

(٢٩٢) خير ما أُعطي الإنسان

قال حبيب الجلاب: سألت ابن المبارك: ما خير ما أعطي الإنسان؟ قال: غريزة عقل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: حسن أدب. قلت: فإن لم يكن؟ قال: أخٌ شفيق يستشيره. قلت: فإن لم يكن؟ قال: صمت طويل. قلت: فإن لم يكن؟ قال: موت عاجل. ٨ / ٣٩٧

(٢٩٣) القاعدة فيما يُذكر من صفات الناس

وروى عبدان بن عثمان، عن عبد الله - أي: ابن المبارك - قال: إذا غلبت محاسن الرجل على مساوئه لم تذكر المساوئ، وإذا غلبت المساوئ عن المحاسن لم تذكر المحاسن. ٨ / ٣٩٨

(٢٩٤) الأثر والرأي

وفي "مسند" الشافعي سماعنا، أخبرني أبو حنيفة بن سماك، حدثني ابن أبي ذئب، عن المقبري عن أبي شريح أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (من قتل له قتل فهو بخير النظرين: إن أحب أخذ العقل، وإن أحب فله القود). قلت لابن أبي ذئب: أتأخذ بهذا؟. فضرب صدري، وصاح كثيرا، ونال مني، وقال: أحدثك عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتقول: تأخذ به: نعم آخذ به، وذلك الفرض علي، وعلى كل من سمعه. إن الله اختار محمداً -صلى الله عليه وسلم- من الناس فهداهم به، وعلى يديه، فعلى الخلق أن يتبعوه طائعين أو داخرين، لا مخرج لمسلم من ذلك. ٧ / ١٤٢

مطرف بن عبدالله، سمعت مالكاً - أي: ابن أنس - يقول: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً، الأخذ بها اتباع لكتاب الله، واستكمال بطاعة الله، وقوة على دين الله، ليس لأحد تغييرها، ولا تبديلها، ولا النظر في شئ خالفها، من اهتدى بها، فهو مهتد، ومن استنصر بها، فهو منصور، ومن تركها، اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيراً.

الحلواني: سمعت إسحاق بن عيسى يقول: قال مالك: أكلما جاءنا رجلٌ أجْدَلُ من رجل، تركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ لِجَدَلِه؟!. ٨ / ٩٨ - ٩٩

قال عباد بن العوام: قال شَريك - أي: ابن عبدالله القاضي النخعي -: أَثَرٌ فيه بعض الضعف أَحَبُّ إليَّ من رأيهم. ٨ / ٢٠٧

وعن ابن المبارك قال: ليكن عمدتكم الأثر، وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث. ٨ / ٣٩٨

قال أبو زرعة الدمشقي: حدثنا يزيد بن عبد ربه يقول: سمعت وكيعا يقول ليحيى الوحاظي: اجتنب الرأي، فإني سمعت أبا حنيفة -رحمه الله- يقول: البول في المسجد أحسن من بعض قياسهم. ١٠ / ٤٥٦

وقال عبد الله بن أحمد بن شَبُّوية: سمعت قتيبة - أي: ابن سعيد الثقفي - يقول: كنت في حداثتي أطلب الرأي، فرأيت فيما يرى النائم أن مزادة دُلِّيَت من السماء، فرأيت الناس يتناولونها، فلا ينالونها، فجئت أنا، فتناولتها، فاطلعت فيها، فرأيت ما بين المشرق والمغرب، فلما أصبحت، جئت إلى مِخْضَعْ البزاز، -وكان بصيرا بعبارة الرؤيا- فقصصت عليه رؤياي، فقال: يا بني، عليك بالأثر، فإن الرأي لا يبلغ المشرق والمغرب، إنما يبلغ الأثر. قال: فتركت الرأي، وأقبلت على الأثر. ١١ / ١٧

علي بن عبد العزيز، سمعت أبا عبيد - أي: القاسم بن سلام - يقول: المتبع السنة كالقابض على الجمر، هو اليوم عندي أفضل من ضرب السيف في سبيل الله. ١٠ / ٤٩٩

قال المحدث أحمد بن سنان القطان: كان ـ أي: الوليد بن أبان - خالي، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: هل تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا. قال: فتتهموني؟ قالوا: لا. قال: فإني أوصيكم بما عليه أصحاب الحديث، فإني رأيت الحق معهم، لست أعني الرؤساء منهم، ولكن هؤلاء الممزقين. ١٠/ ٥٤٨

وقال حنبل: سمعت أبا عبد الله - أي: أحمد بن حنبل - يقول: من أحب الكلام لم يفلح، لأنه يؤول أمرهم إلى حيرة. عليكم بالسنة والحديث، وإياكم والخوض في الجدال والمراء، أدركنا الناس وما يعرفون هذا الكلام، عاقبة الكلام لا تؤول إلى خير. ١١/ ٢٩١

وسمعت أبا إسماعيل الترمذي، يذكر عن ابن نمير، قال: كنت عند وكيع، فجاءه رجل، أو قال: جماعة من أصحاب أبي حنيفة، فقالوا له: هاهنا رجل بغدادي يتكلم في بعض الكوفيين، فلم يعرفه وكيع. فبينا نحن إذ طلع أحمد بن حنبل، فقالوا: هذا هو، فقال وكيع: هاهنا يا أبا عبد الله، فأفرجوا له، فجعلوا يذكرون عن أبي عبد الله الذي ينكرون. وجعل أبو عبد الله يحتج بالأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا لوكيع: هذا بحضرتك ترى ما يقول؟ فقال: رجل يقول: قال رسول الله، أيش أقول له؟ ثم قال: ليس القول إلا كما قلت يا أبا عبد الله، فقال القوم لوكيع: خدعك والله البغدادي. ١١/ ١٨٦ — ١٨٧

وقال عبد الله - أي: ابن أحمد بن حنبل -: ما رأيت أبي حدث من غير كتاب إلا بأقل من مئة حديث. وسمعت أبي يقول: قال الشافعي: يا أبا عبد الله: إذا صح عندكم الحديث، فأخبرونا حتى نرجع إليه أنتم أعلم بالأخبار

الصحاح منا، فإذا كان خبر صحيح، فأعلمني حتى أذهب إليه، كوفياً كان أو بصرياً أو شاميا.

قلت: لم يحتج إلى أن يقول حجازياً، فإنه كان بصيراً بحديث الحجاز، ولا قال مصرياً، فإن غيرهما كان أقعد بحديث مصر منهما. **١١/ ٢١٣ - ٢١٤**

وهو - أي: أبو نصر القاضي - القائل في رسالة: ولسنا نجعل من تصديره في كتبه ومسائله: يقول ابن المسيب والزهري وربيعة، كمن تصديره في كتبه: يقول الله ورسوله، والإجماع.. هيهات! **١٦/ ٧٨**

قال ابن خلكان: كان - أي: أبو القاسم الداركي - يتهم بالاعتزال، وكان ربما يختار في الفتوى، فيقال له في ذلك، فيقول: ويحكم! حدث فلان عن فلان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا، والأخذ بالحديث أولى من الأخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة. **١٦/ ٤٠٥**

قال - أي: ابن النجار -: وهو - أي: شرف الدين محمد بن عبدالله السلمي المُرْسي الأندلسي - زاهدٌ متورعٌ كثيرُ العبادة، فقيرٌ مجرد، متعففٌ نَزِه، قليل المخالطة، حافظٌ لأوقاته، طيب الأخلاق، كريمٌ متودد، ما رأيت في فنه مثله، أنشدني لنفسه:

من كان يرغب في النجاة فما له ... غير اتباع المصطفى فيما أتى
ذاك السبيل المستقيم وغيره ... سبل الضلالة والغواية والردى
فاتبع كتاب الله والسنن التي ... صحَّت فذاك إن اتبعت هو الهدى
ودع السؤال بلِمْ وكيف فإنه ... باب يجر ذوي البصيرة للعمى

الـدين مـا قـال الرسـول وصحبـه   والتـابعون ومَـنْ منـاهِجَهم قَفَـا

٢٣ / ٣١٤

(٢٩٥) من آثار كتمان العلم

محبـوب بـن الحـسن: سمعـت ابـن المبـارك يقـول: مـن بخـل بـالعلم، ابتلـي بثلاث: إما موت يذهب علمه، وإما ينسى، وإما يلزم السلطان فيذهب علمه. ٨ / ٣٩٨

قال الحاكم: ورد كتاب من مصر بأن يحج أبو محمد المغفلي - أي: الملقب بالباز الأبيض - بالناس، ويخطب بعرفة ومنى. فصلى بعرفة وأتم الصلاة، فعجَّ الناس، فصعد المنبر، فقال: أيها الناس، أنا مقيم وأنتم على سفر، فلذلك أتممت. ١٦ / ١٨٣

(٢٩٦) تبجيل العلم

قال أحمد بن أبي الحواري: جاء رجل من بني هاشم إلى عبد الله بن المبارك ليسمع منه، فأبى أن يحدثه، فقال الشريف لغلامه: قم، فإن أبا عبد الرحمن لا يرى أن يحدثنا، فلما قام ليركب، جاء ابن المبارك ليمسك بركابه، فقال: يا أبا عبد الرحمن تفعل هذا ولا ترى أن تحدثني! فقال: أَذِلّ لك بدني، ولا أذل لك الحديث. ٨ / ٤٠٤

قال - أي: أحمد بن داود الحداني -: ورأيت فَرَجاً خادم أمير المؤمنين جاء إلى عيسى - أي: بن يونس الهمداني - وهو قاعد بدرب الحدث على بابه، فكلمه، فما رفع به رأسا، ولا نظر إليه، فانصرف ذليلا.

عن جعفر البرمكي قال: ما رأينا في القراء مثل عيسى بن يونس، أرسلنا إليه، فأتانا بالرقة، فاعتل قبل أن يرجع. فقلت له: يا أبا عمرو، قد أمرنا لك بعشرة آلاف. فقال: هيه. قلت: خمسون ألفا. قال: لا حاجة لي فيها. فقلت: ولِمَ؟ والله، لأهنِّئنَّكها، هي والله مئة ألف، قال: لا والله، لا يتحدث أهل العلم أني أكلت للسنّة ثمنا، ألا كان هذا قبل أن ترسلوا إلي، فأما على الحديث فلا، ولا شربة ماء، ولا إهليلجة. **٨ / ٤٩٣**

< جاء في الحاشية (١): الإهليلج: شجر ينبت في الهند وكابل والصين ثمره على هيئة حب الصنوبر الكبار >>.

قال غُنجار في " تاريخه ": سمعت أبا عمرو أحمد بن محمد المقرئ، سمعت بكر بن منير بن خُليد بن عسكر يقول: بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل - أي: الإمام البخاري - أن احمل إليَّ كتاب " الجامع " و " التاريخ " وغيرهما لأسمع منك. فقال لرسوله: أنا لا أُذِلُّ العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس. فإن كانت لك إلى شئ منه حاجة، فاحضر في مسجدي، أو في داري. وإن لم يعجبك هذا فإنك سلطان، فامنعني من المجلس، ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، لأني لا أكتم العلم، لقول النبي ﷺ: " من سئل عن علم فكتمه أُلجِم بلجام من نار " فكان سبب الوحشة بينهما هذا. **١٢ / ٤٦٤**

(٢٩٧) لا تأمن أربعاً

وعنه - أي: عن ابن المبارك - قال: إن البصراء لا يأمنون من أربع: ذنب قد مضى لا يدرى ما يصنع فيه الرب -عز وجل-، وعمر قد بقي لا يدري ما فيه من الهلكة، وفضل قد أُعطي العبد لعله مكرٌ واستدراج، وضلالة قد زينت، يراها هدى، وزيغ قلب ساعة فقد يسلب المرء دينه ولا يشعر. ٨ / ٤٠٦

(٢٩٨) دعاء ختم القرآن

وعن عبد الكريم السكري قال: كان عبد الله - أي: ابن المبارك - يعجبه إذا ختم القرآن أن يكون دعاؤه في السجود. ٨ / ٤٠٦

(٢٩٩) الكبر والعجب

قال أبو وهب المروزي: سألت ابن المبارك: ما الكبر؟ قال: أن تزدري الناس. فسألته عن العُجْب؟ قال: أن ترى أن عندك شيئا ليس عند غيرك، لا أعلم في المصلين شيئا شرا من العُجْب. ٨ / ٤٠٧

وعنه - أي: عن أبي يزيد البسطامي -: ما دام العبد يظن أن في الناس من هو شر منه، فهو متكبر. ١٣ / ٨٧

(٣٠٠) مع المحبرة إلى المقبرة

وروى غير واحد أن ابن المبارك قيل له: إلى متى تكتب العلم؟ قال: لعل الكلمة التي أنتفع بها لم أكتبها بعد. ٨ / ٤٠٧

وعن أبي عبيد - أي: القاسم بن سلام - أنه كان يقول: كنت في تصنيف هذا الكتاب - أي: كتابه: " غريب الحديث " - أربعين سنة، وربما كنت أستفيد الفائدة من أفواه الرجال، فأضعها في الكتاب، فأبيت ساهراً فرحاً مني بتلك الفائدة. وأحدكم يجيئني، فيقيم عندي أربعة أشهر، خمسة أشهر، فيقول: قد أقمت الكثير! ١٠ / ٤٩٦

(٣٠١) لزوم الاستعداد ليوم المعاد

قال ابن سهم الأنطاكي: سمعت ابن المبارك ينشد:

فكيف قَرّت لأهل العلم أعينهم ... أو استلذوا لذيذ النوم أو هجعوا

والنار ضاحيةٌ لا بد موردها ... وليس يدرون من ينجو ومن يقع

وطارت الصحف في الأيدي منشَّرة ... فيها السرائر والجبار مطلع

إما نعيم وعيش لا انقضاء له ... أو الجحيم فلا تُبقي ولا تدع

تهوي بساكنها طوراً وترفعه ... إذا رجَوا مخرجا من غمها قمعوا

لينفع العلم قبل الموت عالمه ... قد سال قوم بها الرُّجعى فما رجعوا

٨ / ٤١٣

(٣٠٢) كيف القرار؟!!

قال حبان بن موسى: سمعت ابن المبارك ينشد:

كيف القرار وكيف يهدأ مسلم والمسلمات مع العدو المعتدي

الضاربات خدودهن برنّة الداعيات نبيهن محمد

القائلات إذا خشين فضيحة جهد المقالة ليتنا لم نولد

ما تستطيع ومالها من حيلة إلا التستر من أخيها باليد

٨ / ٤١٦

(٣٠٣) فائدة تقييد العلم

قال أبو صالح الفراء: سألت ابن المبارك عن كتابة العلم فقال: لولا الكتاب ما حفظنا. ٨ / ٤٠٩

قال أحمد: كان ابن المبارك يحدث من كتاب، ومن حدث من كتاب لا يكاد أن يكون له سقط كثير. وكان وكيع يحدث من حفظه، فكان يكون له سقط، كم يكون حفظ الرجل؟. ٨ / ٤٢١

(٣٠٤) من طرق التعليم

قال أبو العباس بن مسروق: حدثنا ابن حميد، قال: عطس رجل عند ابن المبارك، فقال له ابن المبارك: أيش يقول الرجل إذا عطس؟ قال: الحمد لله، فقال له: يرحمك الله. ٨ / ٣٨٣

(٣٠٥) توبة قاطع طريق

عن الفضل بن موسى، قال: كان الفضيل بن عياض شاطرا يقطع الطريق بين أبيورد وسرخس، وكان سبب توبته أنه عشق جارية، فبينا هو يرتقي الجدران إليها، إذ سمع تاليا يتلو: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الحديد: ١٦] فلما سمعها قال: بلى يا رب، قد آن. فرجع، فآواه الليل إلى خربة فإذا فيها سابلة، فقال بعضهم: نرحل، وقال بعضهم: حتى نصبح فإن فُضَيلا على الطريق يقطع علينا. قال: ففكرت، وقلت: أنا أسعى بالليل في المعاصي، وقوم من المسلمين هاهنا، يخافوني، وما أرى الله ساقني إليهم إلا لأرتدع، اللهم إني قد تبت إليك، وجعلت توبتي مجاورة البيت الحرام. ٨ / ٤٢٣

(٣٠٦) فضل الخوف من الله

قال سري بن المغلس: سمعت الفضيل يقول: من خاف الله لم يضره أحد، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد. ٨ / ٤٢٦

(٣٠٧) طريق الخلاص

وقال فيض بن إسحاق: سمعت الفضيل بن عياض، وسأله عبد الله بن مالك: يا أبا علي: ما الخلاص مما نحن فيه؟ قال: أخبرني، من أطاع الله هل تضره معصية أحد؟ قال: لا. قال: فمن يعصي الله هل تنفعه طاعة أحد؟ قال: لا، قال: هو الخلاص إن أردت الخلاص. ٨ / ٤٢٦

(٣٠٨) حرمة إيذاء الآخرين

وقال فيض بن إسحاق: قال الفضيل: والله ما يحل لك أن تؤذي كلباً ولا خنزيراً بغير حق، فكيف تؤذي مسلما. ٨ / ٤٢٧

(٣٠٩) أكذب الناس، وأجهل الناس، وأعلم الناس

وسمعته - أي: قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل - يقول: أكذب الناس العائد في ذنبه، وأجهل الناس المُدِلّ بحسناته، وأعلم الناس بالله أخوفهم منه، لن يكمل عبد حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه. ٨ / ٤٢٧

(٣١٠) أثر احتقار الذنوب

وعنه - أي: عن الفضيل بن عياض -: بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله، وبقدر ما يعظم عندك يصغر عند الله. ٨ / ٤٢٧

(٣١١) علماء الصدق

الفضل بن الربيع: حج أمير المؤمنين -يعني هارون- فقال لي: ويحك، قد حك في نفسي شيء، فانظر لي رجلا أسأله. فقلت: هاهنا سفيان بن عيينة، فقال: امض بنا إليه، فأتيناه، فقرعت بابه، فقال: من ذا؟ فقلت: أجب أمير المؤمنين، فخرج مسرعا، فقال: يا أمير المؤمنين، لو أرسلت إليَّ

أتيتك. فقال: خذ لما جئتك له، فحدثه ساعة، ثم قال له: عليك دَين. قال: نعم. فقال لي: اقض دينه، فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئا. قلت: هاهنا عبد الرزاق. قال: امْضِ بنا إليه، فأتيناه، فقرعت الباب فخرج، وحادثه ساعة، ثم قال: عليك دين؟ قال: نعم. قال: أبا عباس، اقض دينه. فلما خرجنا قال: ما أغنى عني صاحبك شيئا، انظر لي رجلا أسأله، قلت: هاهنا الفضيل بن عياض، قال: امض بنا إليه، فأتيناه، فإذا هو قائم يصلي، يتلو آية يرددها، فقال: اقرع الباب، فقرعت، فقال: من هذا؟ قلت: أجب أمير المؤمنين. قال: مالي ولأمير المؤمنين؟ قلت: سبحان الله! أما عليك طاعة، فنزل ففتح الباب، ثم ارتقى إلى الغرفة، فأطفأ السراج ثم التجأ إلى زاوية، فدخلنا، فجعلنا نجول عليه بأيدينا فسبقت كف هارون قبلي إليه، فقال: يا لها من كف ما ألينها إن نجت غدا من عذاب الله، فقلت في نفسي: ليكلمنه الليلة بكلام نقي من قلب تقي، فقال له: خذ لما جئناك له -رحمك الله- فقال: إن عمر بن عبد العزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبد الله، ومحمد بن كعب، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إني قد ابتليت بهذا البلاء، فأشيروا عليّ. فعد الخلافة بلاء، وعددتها أنت وأصحابك نعمة. فقال له سالم: إن أردت النجاة، فصمِ الدنيا وليكن إفطارُك منها الموت. وقال له ابن كعب: إن أردت النجاة من عذاب الله، فليكن كبير المسلمين عندك أبا، وأوسطهم أخا، وأصغرهم ولدا، فوقّر أباك، وأكرم أخاك، وتحنن على ولدك. وقال له رجاء: إن أردت النجاة من عذاب الله، فأحبّ للمسلمين ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك، ثم مت إذا شئت، وإني أقول لك هذا، وإني أخاف عليك أشد الخوف يومًا تزل فيه الأقدام، فهل معك -

رحمك الله- مَن يشير عليك بمثل هذا. فبكى بكاء شديدا حتى غشي عليه. فقلت له: ارفق بأمير المؤمنين، فقال: يا ابن أم الربيع تقتله أنت وأصحابك، وأرفق به أنا؟ ثم أفاق، فقال له: زدني -رحمك الله- قلت: بلغني أن عاملاً لعمر بن عبد العزيز شُكي إليه، فكتب إليه: يا أخي أذكرك طول سهَر أهل النار في النار مع خلود الأبد، وإياك أن ينصرف بك من عند الله، فيكون آخر العهد وانقطاع الرجاء، فلما قرأ الكتاب طوى البلاد حتى قدم عليه، فقال: ما أقدمك؟ قال: خلعت قلبي بكتابك، لا أعود إلى ولاية حتى ألقى الله، فبكى هارون بكاء شديداً فقال: يا أمير المؤمنين، إن العباس عم النبي -صلى الله عليه وسلم- جاء إليه فقال: أمّرْني، فقال له: (إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة، فإن استطعت أن لا تكون أميرا فافعل) فبكى هارون، وقال: زدني. قال: يا حسن الوجه أنت الذي يسألك الله عن هذا الخلق يوم القيامة، فإن استطعت أن تقي هذا الوجه من النار، فافعل، وإياك أن تصبح وتمسي وفي قلبك غش لأحد من رعيتك، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (من أصبح لهم غاشا لم يَرح رائحة الجنة) فبكى هارون وقال له: عليك دَين؟ قال: نعم، دين لربي، لم يحاسبني عليه. فالويل لي إن ساءلني، والويل لي إن ناقشني، والويل لي إن لم ألهم حجتي. قال: إنما أعني من دَين العباد. قال: إن ربي لم يأمرني بهذا، أمرني أن أصدق وعده، وأطيع أمره، فقال -عز وجل-: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ الآيات [الذاريات: ٥٦]. فقال: هذه ألف دينار خذها، فأنفقها على عيالك، وتقوَّ بها على عبادة ربك، فقال: سبحان الله! أنا أدلك على طريق النجاة، وأنت

تكافئني بمثل هذا. سلمك الله، ووفقك. ثم صمت، فلم يكلمنا، فخرجنا، فقال هارون: أبا عباس، إذا دللتني، فدلني على مثل هذا، هذا سيد المسلمين. فدخلت عليه امرأة عن نسائه فقالت: قد ترى ما نحن فيه من الضيق، فلو قبلت هذا المال. قال: إنما مثلي ومثلكم كمثل قوم لهم بعير يأكلون من كسبه، فلما كبر نحروه، فأكلوا لحمه، فلما سمع هارون هذا الكلام قال: ندخل فعسى أن يقبل المال، فلما علم الفضيل، خرج فجلس في السطح على باب الغرفة، فجاء هارون، فجلس إلى جنبه، فجعل يكلمه فلا يجيبه، فبينا نحن كذلك إذ خرجت جارية سوداء، فقالت: يا هذا، قد آذيت الشيخ منذ الليلة، فانصرف! فانصرفنا. حكاية عجيبة، والغلابي غير ثقة، وقد رواها غيره. **٨ / ٤٢٨ – ٤٣١**

يحيى بن يوسف الزمي، عن فضيل بن عياض قال: لما دخل علي هارون أمير المؤمنين قلت: يا حسن الوجه، لقد كلفت أمراً عظيما، أما إني ما رأيت أحدا أحسن وجها منك، فإن قدرت أن لا تسوِّد هذا الوجه بلفحة من النار فافعل. قال: عظني. قلت: بماذا أعظك؟ هذا كتاب الله بين الدفتين، انظر ماذا عمل بمن أطاعه، وماذا عمل بمن عصاه، إني رأيت الناس يغوصون على النار غوصاً شديداً، ويطلبونها طلبا حثيثا، أما والله لو طلبوا الجنة بمثلها أو أيسر لنالوها، وقال: عد إليّ، فقال: لو لم تبعث إليّ لم آتك، وإن انتفعت بما سمعت، عدت إليك. **٨ / ٤٣٥ - ٤٣٦**

(٣١٢) أثر النية

وقال - أي: ابن المبارك -: رب عمل صغير تكثره النية، ورب عمل كثير تصغره النية. ٨ / ٤٠٠

وقال إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل يقول: من أحب أن يذكر لم يذكر، ومن كره أن يُذكر ذُكر. ٨ / ٤٣٢

(٣١٣) السعة والتضييق

وسمعته - أي: قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل - يقول: إذا أحب الله عبداً، أكثر غمه، وإذا أبغض عبداً، وسع عليه دنياه. ٨ / ٤٣٢

(٣١٤) بين الخوف والرجاء

وسمعته - أي: قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت الفضيل - يقول: وعزته، لو أدخلني النار ما أيست. وسمعته -وقد أفضنا من عرفات- يقول: واسوأتاه - واللهِ منك- وإن عفوت. وسمعته يقول: الخوف أفضل من الرجاء ما دام الرجل صحيحاً، فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل. قلت: وذلك لقوله -صلى الله عليه وسلم-: (لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله). ٨ / ٤٣٢-٤٣٣

(٣١٥) مصطلحات شرعية

وقيل له - أي: للفضيل -: ما الزهد؟ قال: القنوع، قيل: ما الورع؟ قال: اجتناب المحارم. قيل: ما العبادة؟ قال: أداء الفرائض. قيل: ما التواضع؟ قال: أن تخضع للحق. وقال: أشد الورع في اللسان.

قلت: هكذا هو، فقد ترى الرجل ورِعا في مأكله وملبسه ومعاملته، وإذا تحدث يدخل عليه الداخل من حديثه، فإما أن يتحرى الصدق، فلا يكمل الصدق، وإما أن يصدق، فينمق حديثه لِيُمْدَحَ على الفصاحة، وإما أن يظهر أحسن ما عنده ليعظم، وإما أن يسكت في موضع الكلام، لِيُثْنَى عليه. ودواء ذلك كله الانقطاع عن الناس إلا من الجماعة. ٨ / ٤٣٤

(٣١٦) أثر صلاح الإمام

قال عبد الصمد بن يزيد: سمعت الفضيل يقول: لو أن لي دعوة مستجابة ما جعلتها إلا في إمام، فصلاح الإمام صلاح البلاد والعباد. ٨ / ٤٣٤

(٣١٧) علماء الدنيا

وسمعته- أي: قال عبدالصمد بن يزيد: سمعت الفضيل - يقول: إنما هما عالمان: فعالم الدنيا علمه منشور، وعالم الآخرة علمه مستور. احذروا عالم الدنيا، لا يضركم بسُكْره، العلماء كثير، والحكماء قليل. ٨ / ٤٣٤

(٣١٨) حقيقة الإيمان

وعنه - أي: عن: الفضيل بن عياض -: لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يعد البلاء نعمة، والرخاء مصيبة، وحتى لا يحب أن يحمد على عبادة الله.

وعن الفضيل: حرام على قلوبكم أن تصيب حلاوة الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا. **٨ / ٤٣٤ - ٤٣٥**

(٣١٩) حقيقة الدنيا

فيض بن إسحاق: سمعت فضيلاً يقول: ليست الدنيا دار إقامة، وإنما آدم أُهْبِطَ إليها عقوبة، ألا ترى كيف يزويها عنه، ويمررها عليه بالجوع، بالعُري، بالحاجة، كما تصنع الوالدة الشفيقة بولدها، تسقيه مرة حُضَضا ومرة صبراً، وإنما تريد بذلك ما هو خير له. **٨ / ٤٣٤ - ٤٣٥**

(٣٢٠) علامة الحرمان

وعنه - أي: عن الفضيل -: إذا لم تقدر على قيام الليل، وصيام النهار، فاعلم أنك محروم، كبلتك خطيئتك. **٨ / ٤٣٥**

(٣٢١) حال القدوة

وعن فضيل، ورأى قوما من أصحاب الحديث يمرحون ويضحكون، فناداهم: مهلاً يا ورثة الأنبياء، مهلاً - ثلاثاً -، إنكم أئمة يقتدى بكم. **٨ / ٤٣٥**

(٣٢٢) بين الحسد والغبطة

وعن الفضيل قال: المؤمن يَغبط ولا يَحسد، الغبطة من الإيمان، والحسد من النفاق.

قلت: هذا يفسر لك قوله -عليه الصلاة والتسليم-: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا ينفقه في الحق، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار) فالحسد هنا معناه: الغبطة، أن تحسد أخاك على ما آتاه الله، لا أنك تحسده، بمعنى أنك تود زوال ذلك عنه، فهذا بغي وخُبث. ٨ / ٤٣٧

(٣٢٣) من أخلاق الأنبياء

وعن الفضيل قال: من أخلاق الأنبياء: الحلم، والأناة، وقيام الليل. ٨ / ٤٣٧

(٣٢٤) الجأ إلى حيث الملجأ

قال الأصمعي: نظر الفضيل إلى رجل يشكو إلى رجل، فقال: يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك. ٨ / ٤٣٩

(٣٢٥) الشرك الخفي

وقال الفيض: قال لي الفضيل: لو قيل لك: يا مرائي، غضبت، وشق عليك، وعسى ما قيل لك حق! تزيَّنت للدنيا وتصنَّعت، وقصَّرت ثيابك،

وحسَّنت سمتك، وكففت أذاك حتى يقال: أبو فلان عابد، ما أحسن سمته! فيكرمونك، وينظرونك، ويقصدونك، ويهدون إليك، مثل الدرهم السُّتُّوق لا يعرفه كل أحد فإذا قشر قشر عن نحاس.

< جاء في الحاشية (١) في بيان معنى " الستوق ": هو الردئ الزيف >. ٨/ ٤٣٩

(٣٢٦) أولئك هم القوم!

إبراهيم بن ألأشعث: سمعت الفضيل يقول: بلغني أن العلماء فيما مضى كانوا إذا تعلموا عملوا، وإذا عملوا شُغِلوا، وإذا شُغِلوا فُقِدوا، وإذا فُقِدوا طُلِبوا، فإذا طُلِبوا هربوا. ٨ / ٤٣٩ – ٤٤٠

(٣٢٧) خصلتان تقسيان القلب

وعنه – أي: عن الفضيل –: خصلتان تقسّيان القلب: كثرة الكلام، وكثرة الأكل. ٨ / ٤٤٠

(٣٢٨) عليك نفسك

وعنه – أي: عن الفضيل –: يا مسكين، أنت مسيء وترى أنك محسن، وأنت جاهل وترى أنك عالم، وتبخل وترى أنك كريم، وأحمق وترى أنك عاقل، أجلك قصير، وأملك طويل.

قلت: إي -واللهِ- صدق، وأنت ظالم وترى أنك مظلوم، وآكل للحرام وترى أنك متورع، وفاسق وتعتقد أنك عدل، وطالب العلم للدنيا وترى أنك تطلبه لله. ٨ / ٤٤٠

(٣٢٩) خطر الكبر

ونقل سنيد بن داود عن ابن عيينة قال: من كانت معصيته في الشهوة، فارجُ له، ومن كانت معصيته في الكبر، فاخش عليه، فإن آدم عصى مشتهياً، فغُفِر له، وإبليس عصى متكبراً، فلُعِن. ٨ / ٤٦١

(٣٣٠) " ويحذركم الله نفسه "

عبد الرحمن بن بشر، سمعت ابن عيينة يقول: غضَبُ اللّهِ الداءُ الذي لا دواء له، ومن استغنى بالله أحوج الله إليه الناس. ٨ / ٤٧٣

(٣٣١) قاض مغفل!

قال المصنف رحمه الله:

قاضي جَبُّل، عبد الرحمن بن مسهر، ذاك المغفل الذي بلغه أن المأمون قادم على ناحية جَبُّل، فكلم أهل جَبُّل ليثنوا عليه عند المأمون، فوجد منهم فتوراً، وأخلفوه الموعد فلبس ثيابه، وسرَّح لحيته، ووقف على جانب دجلة، فلما حاذاه المأمون، سلم بالخلافة وقال: يا أمير المؤمنين، نحن في عافية وعدل بقاضينا ابن مسهر. فغلب الضحك على يحيى بن أكثم، فعجب منه

المأمون وقال: ما بك. قال: يا أمير المؤمنين، إن الذي يبالغ في الثناء على قاضي جَبُّل هو القاضي. فضحك المأمون كثيراً، ثم قال ليحيى: اعزل هذا فإنه أحمق. ٨ / ٤٨٤ – ٤٨٥

(٣٣٢) عظيم شأن العلم

عن أبي بكر بن عياش قال: الدخول في العلم سهل، لكن الخروج منه إلى الله شديد. ٨ / ٥٠٣

(٣٣٣) من أدلة ثبوت خلافة أبي بكر رضي الله عنه

عن أبي بكر بن عياش قال: قال لي الرشيد: كيف استخلف أبو بكر -رضي الله عنه-؟ قلت: يا أمير المؤمنين، سكت الله، وسكت رسوله، وسكت المؤمنون. فقال: والله ما زدتني إلا عمىً. قلت: مرض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثمانية أيام، فدخل عليه بلال، فقال: مروا أبا بكر يصلي بالناس، فصلى بالناس ثمانية أيام، والوحي ينزل، فسكت رسول الله لسكوت الله، وسكت المؤمنون لسكوت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فأعجبه ذلك. وقال: بارك الله فيك. ٨ / ٥٠٦

(٣٣٤) شر الناس للأموات

يحيى بن معين، حدثنا الأشجعي، عن موسى، فروى عن الحسن قال:... وشر الناس لميتٍ أهلُه يبكون عليه ولا يقضون دَينه. ٨ / ٥١٧

(٣٣٥) القاعدة فيما يروى من الأحاديث الضعيفة

وقال يحيى بن المغيرة الرازي، عن ابن عيينة: لا تسمعوا من بقية - أي: ابن الوليد - ما كان في سُنَّة، واسمعوا منه ما كان في ثوابٍ وغيره.

قلت: لهذا أكثر الأئمة على التشديد في أحاديث الأحكام، والترخيص قليلاً لا كل الترخص في الفضائل والرقائق، فيقبلون في ذلك ما ضعف إسناده، لا ما اتهم رواته، فإن الأحاديث الموضوعة، والأحاديث الشديدة الوهن لا يلتفتون إليها، بل يروونها للتحذير منها، والهتك لحالها، فمن دلسها أو غطى تبيانها، فهو جانٍ على السنة، خائن لله ورسوله. فإن كان يجهل ذلك، فقد يعذر بالجهل، ولكن سلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون. **٨ / ٥٢٠**

(٣٣٦) حماية العلماء للسنة

ويروى أن هارون الرشيد أخذ زنديقاً ليقتله، فقال الرجل: أين أنت من ألف حديث وضعتها؟ قال: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري وابن المبارك يتخللانها، فيخرجانها حرفاً حرفاً. **٨ / ٥٤٢**

وقال نصر بن زكريا بإسبيجاب: سمعت محمد بن يحيى الذهلي: سمعت يحيى بن معين يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد في سبيل الله. فقلت ليحيى - أي: ابن يحيى التميمي -: الرجل ينفق ماله، ويتعب نفسه، ويجاهد، فهذا أفضل منه؟! قال: نعم، بكثير.

< جاء في الحاشية (٤): إسبيجاب - ويقال إسفيجاب بالفاء -: اسم بلدة كبيرة من أعيان بلاد ما وراء النهر في حدود تركستان >. **١٠ / ٥١٨**

(٣٣٧) من فضول الكلام

قال الأوزاعي في الرجل يسأل: أمؤمن أنت حقاً؟ قال: إن المسألة عن ذلك بدعة، والشهادةَ عليه تعمقٌ لم نُكَلَّفْه في ديننا، ولم يشرعه نبينا، القولُ فيه جدل، والمنازعة فيه حدث. وذكر فصلاً نافعا. ٨ / ٥٤٣

قال بشر الحافي: كان المعافى - أي: ابن عمران - صاحب دنيا واسعة وضياع كثيرة، قال مرة رجل: ما أشد البرد اليوم، فالتفت إليه المعافى، وقال: أستدفأت الآن؟! لو سكت، لكان خيرا لك.

قلت: قول مثل هذا جائز، لكنهم كانوا يكرهون فضول الكلام، واختلف العلماء في الكلام المباح، هل يكتبه الملكان، أم لا يكتبان إلا المستحب الذي فيه أجر، والمذموم الذي فيه تبعة؟ والصحيح كتابة الجميع لعموم النص في قوله تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨] ثم ليس إلى الملكين اطلاع على النيات والإخلاص، بل يكتبان النطق، وأما السرائر الباعثة للنطق، فالله يتولاها. ٩ / ٨٤

(٣٣٨) الورع عن القضاء

قال إبراهيم بن مهدي: سمعت حفص بن غياث، وهو قاض بالشرقية يقول لرجل يسأل عن مسائل القضاء: لعلك تريد أن تكون قاضياً؟ لأن يدخل الرجل أصبعه في عينه، فيقتلعها، فيرمي بها، خير له من أن يكون قاضيا.

قال أبو بكر بن أبي شيبة: سمعت حفص بن غياث يقول: والله ما وليت القضاء حتى حلّت لي الميتة. **٩ / ٢٦**

قال حجاج بن رشدين: سمعت عبد الله بن وهب يتذمر ويصيح، فأشرفت عليه من غرفتي، فقلت: ما شأنك يا أبا محمد؟ قال: يا أبا الحسن، بينما أنا أرجو أن أحشر في زمرة العلماء، أحشر في زمرة القضاة. قال: فتغيب في يومه، فطلبوه. **٩ / ٢٢٨**

سمعت المزكي: سمعت محمد بن المسيب، سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: كتب الخليفة إلى ابن وهب في قضاء مصر يليه، فجنَّنَ نفسه، ولزم البيت، فاطلع عليه رشدين بن سعد من السطح فقال: يا أبا محمد، ألا تخرج إلى الناس فتحكم بينهم كما أمر الله ورسوله؟ قد جنَّنت نفسك ولزمت البيت! قال: إلى ها هنا انتهى عقلك؟ ألم تعلم أن القضاة يحشرون يوم القيامة مع السلاطين، ويُحشر العلماء مع الأنبياء؟! **١٤ / ٤٢٤**

سأل عنه سفيان الثوري - أي: سأل عن: "سعد بن الصلت" - فقال: ما فعل سعد؟ قالوا: ولي قضاء شيراز. فقال: دُرَّةٌ وقع في الحُش. **٩ / ٣١٨**

وقيل: إن بكاراً - أي: ابن قتيبة - كان يشاور في حكم يونس (لعله: يونس بن عبدالأعلى)، والرجل الصالح موسى ولد عبد الرحمن بن القاسم، فبلغنا أن موسى سأله: من أين المعيشة؟ قال: من وَقْفٍ لأبي أتَكَفَّى به. قال: أريد أن أسألك يا أبا بَكْرة (أبو بكرة هو: بكار بن قتيبة)، هل رَكِبَكَ دَيْنٌ بالبصرة؟ قال: لا. قال: فهل لك ولد أو زوجة؟ قال: ما نكحت قط، وما عندي سوى غلامي. قال: فأَكْرَهَكَ السلطان على القضاء؟ قال:

لا. قال: فضربتَ آباط الإبل بغير حاجةٍ إلا لِتَلِيَ الدماءَ والفُرُوجَ؟ لله عليّ لا عُدْتُ إليك، قال: أقِلْنِي يا أبا هارون. قال: أنت ابتدأت بمسألتي، انصرفَ، ولم يعُد إليه.

قلت: رضي الله عن موسى، فلقد صدقه، وصدعه بالحق. ولم يكن بكار مكابرًا، فيقول: تعيَّن علي القضاء. ١٢/ ٦٠١

وقال ابن زولاق: شاهد أبو بكر بن الحداد الشافعي ببغداد سنة عشر وثلاث مئة بابَ أبي علي بن خيران مسموراً لامتناعه من القضاء، وقد استتر. قال: فكان الناس يأتون بأولادهم الصغار، فيقولون لهم: انظروا حتى تحدثوا بهذا. ١٥/ ٥٩

(٣٣٩) حين يكون القاضي عزيزاً!

يحيى بن الليث: باع رجل من أهل خراسان جِمالا بثلاثين ألف درهم من مرزبان المجوسي وكيل أم جعفر، فمطله بثمنها، وحبسه، فطال ذلك على الرجل، فأتى بعض أصحاب حفص بن غياث، فشاوره، فقال: اذهب إليه، فقل له: أعطني ألف درهم، وأحيل عليك بالمال الباقي، وأخرج إلى خراسان، فإذا فعل هذا، فالقني حتى أشير عليك. ففعل الرجل، وأعطاه مرزبان ألف درهم. قال: فأخبره. فقال: عد إليه، فقل: إذا ركبت غدا، فطريقك على القاضي، تحضر، وأُوكل رجلا يقبض المال، وأخرج. فإذا جلس إلى القاضي، فادَّع عليه بمالك، فإذا أقر، حبسه حفص، وأخذت مالك. فرجع إلى مرزبان، وسأله، فقال: انتظرني بباب القاضي فلما ركب من الغد، وثب إليه الرجل، فقال: إن رأيت أن تنزل إلى القاضي حتى أوكل بقبض

المال، وأخرج. فنزل مرزبان، فتقدما إلى حفص بن غياث، فقال الرجل: أصلح الله القاضي، لي على هذا الرجل تسعة وعشرون ألف درهم، فقال حفص: ما تقول يا مجوسي؟ قال: صدق، أصلح الله القاضي. قال: ما تقول يا رجل فقد أقر لك؟ قال: يعطيني مالي. فقال: ما تقول؟ قال: هذا المال على السيدة. قال: أنت أحمق تقر ثم تقول: هو على السيدة! ما تقول يا رجل؟. قال: أصلح الله القاضي، إن أعطاني مالي، و إلا حبستَه. قال: ما تقول يا مجوسي؟ قال: المال على السيدة. قال القاضي: خذوا بيده إلى الحبس. فلما حُبس، بلغ الخبر أم جعفر، فغضبت، وبعثت إلى السندي: وجه إلي مرزبان - وكانت القضاة تحبس الغرماء في الحبس - فعجل السندي، فأخرجه، وبلغ حفصاً الخبر، فقال: أَحْبِس أنا ؛ ويُخرج السندي؟!! لا جلست أو يرد مرزبان الحبس. فجاء السندي إلى أم جعفر، فقال: الله الله فيَّ، إنه حفص بن غياث، وأخاف من أمير المؤمنين أن يقول لي: بأمر من أخرجت؟ رديه إلى الحبس، وأنا أكلم حفصاً في أمره. فأجابته، فرجع مرزبان إلى الحبس، فقالت أم جعفر لهارون: قاضيك هذا أحمق، حبس وكيلي، واستخف به، فمره لا ينظر في الحكم، وتولي أمره إلى أبي يوسف، فأمر لها بالكتاب، وبلغ حفصاً الخبر، فقال للرجل: أحضرني شهوداً حتى أسجل لك على المجوسي بالمال، فجلس حفص، فسجل على المجوسي بالمال، وورد كتاب هارون مع خادم له، فقال: هذا كتاب أمير المؤمنين، قال: مكانك، نحن في شيء حتى نفرغ منه. فقال: كتاب أمير المؤمنين. قال: انظر ما يقال لك. فلما فرغ حفص من السجل، أخذ الكتاب من الخادم، فقرأه، فقال: اقرأ على أمير المؤمنين السلام، وأخبره أن كتابه ورد، وقد أنفذت الحكم. فقال

الخادم: قد والله عرفتُ ما صنعت ؛ أبيتَ أن تأخذ كتاب أمير المؤمنين حتى تفرغ مما تريد، والله لأخبرنه بما فعلت، قال له: قل له ما أحببت. فجاء الخادم، فأخبر هارون، فضحك، وقال للحاجب: مُر لحفص بثلاثين ألف درهم، فركب يحيى بن خالد، فاستقبل حفصاً منصرفا من مجلس القضاء، فقال: أيها القاضي، قد سَررتَ أمير المؤمنين اليوم، وأمر لك بمال، فما كان السبب في هذا؟ قال: تمم الله سرور أمير المؤمنين، وأحسن حفظه وكلاءته، ما زدت على ما أفعل كل يوم قال: على ذلك؟ قال: ما أعلم إلا أن يكون سجلت على مرزبان المجوسي بما وجب عليه. قال: فمِن هذا سُرَّ أمير المؤمنين. فقال حفص: الحمد لله كثيراً. فقالت أم جعفر لهارون: لا أنا ولا أنت إلا أن تعزل حفصاً، فأبى عليها، ثم ألحت عليه، فعزله عن الشرقية، وولاه قضاء الكوفة، فمكث عليها ثلاث عشرة سنة. قال: وكان أبو يوسف لما ولي حفص، قال لأصحابه: تعالوا نكتب نوادر حفص، فلما وردت أحكامه وقضاياه على أبي يوسف، قال له أصحابه: أين النوادر التي زعمت تكتبها؟، قال: ويحكم، إن حفصاً أراد الله، فوفقه. ٩ / ٢٨ — ٣٠

(٣٤٠) البعد عن مواطن البلاء

وكان ابن إدريس - أي: عبد الله الأودي - يحرم النبيذ، وقال: قلت لحفص بن غياث: اترك الجلوس في المسجد، فقال: أنت قد تركت ذلك ولم تُترك!. قلت: لأن يأتيني البلاء وأنا فارٌّ أحبُّ إلي من أن يأتيني وأنا متعرض له. ٩ / ٤٥

(٣٤١) الوفاء للأصحاب

وورد أن يحيى بن سعيد قال في سجوده مرة: اللهم اغفر لخالد بن الحارث، ومعاذ بن معاذ، ثم قال: حدثنا شعبة، عن معاوية بن قرة، قال أبو الدرداء: إني لأستغفر لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسماء آبائهم. ٩/ ٥٥

(٣٤٢) هجر السنة ينسيها

قال أحمد بن عبدة: حدثنا معاذ بن معاذ - أي: العنبري - قال: لما قدم بنو العباس، بدؤوا بالصلاة قبل الخطبة، فانصرف الناس وهم يقولون: بدلت السنة، بدلت السنة يوم العيد.

<< جاء في الحاشية (١) ما مفاده أن مروان بن الحكم قدم الخطبة على الصلاة في العيدين، ومضى الناس على ذلك زمناً، فلما أعاد العباسيون السنة ظن الناس أن السنة قد هجرت!.. واستدل على ذلك بحديث رواه مسلم برقم: ((٨٨٩)) >>.. ٩/ ٥٦

(٣٤٣) الأيام دول

وقال الأصمعي: سمعت يحيى بن خالد - أي: البرمكي - يقول: الدنيا دول، والمال عاريَّة، ولنا بمن قبلنا أسوة، وفينا لمن بعدنا عبرة.

قيل: إن ولدا ليحيى قال له وهم في القيود: يا أبة بعد الأمر والنهي والأموال صرنا إلى هذا؟ قال: يا بني دعوة مظلوم غفلنا عنها، لم يغفل الله عنها. ٩/ ٦٠ – ٦١

عن محمد بن عبد الرحمن الهاشمي خطيب الكوفة، قال: دخلتُ على أمي يوم الأضحى، وعندها عجوز في أثواب رثة، فقالت: تعرف هذه؟ قلت: لا، قالت: هذه والدة جعفر البرمكي، فسلمت عليها، ورحبت بها، وقلت: حدثينا ببعض أمركم. قالت: لقد هجم علي مثل هذا العيد، وعلى رأسي أربع مئة جارية، وأنا أزعم أن ابني عاق لي!، وقد أتيتكم يقنعني جلد شاتين، أجعل أحدهما فراشاً لي. قال: فأعطيتها خمس مئة درهم، فكادت تموت فرحا! ٩/ ٦٩

وكان - أي: أبو جعفر بن الزيات - يقول بخلق القرآن، ويقول: ما رحمت أحداً قط، الرحمة خَوَرٌ في الطبع. فسُجن في قفص حَرِج، جهاته بمسامير كالمَسَالِّ، فكان يصيح: ارحموني!، فيقولون: الرحمة خور في الطبيعة!!

< جاء في الحاشية (٢): طلب دواة وبطاقة، فأحضرتا إليه، فكتب:

هي السبيل فمن يوم إلى يوم كأنه ما تريك العين في النوم.

لا تجزعنَّ، رويداً، إنها دول دنيا تنقَّل من قوم إلى قوم >. ١١/ ١٧٣

وفيها - أي: في سنة (٢٨٦) هـ -: تحارب الصفار وابن أسد صاحب سمرقند، وجرت أمور ثم ظفر ابن أسد بالصفار أسيراً، فرفق به، واحترمه، وجاءت رسل المعتضد - أي: الخليفة العباسي - تحث في إنفاذه، فنُفِّذَ، وأُدخل بغداد أسيراً على جمل، وسجن بعد مملكة العجم عشرين سنة. ومبدأه كان هو وأخوه يعقوب صانعين في ضرب النحاس. وقيل: بل كان عمرو يكري الحمير، فلم يزل مكارياً حتى عظم شأن أخيه يعقوب، فترك الحمير، ولحق به، وكان الصفار يقول: لو شئت أن أعمل على نهر جيحون

جسراً من ذهب لفعلت، وكان مطبخي يحمل على ست مئة جمل، وأركب في مئة ألف، ثم صيرني الدهر إلى القيد والذل. فيقال: إنه خنق عند وفاة المعتضد. **١٣ / ٤٧٥**

أبو عبد الله الحميدي، أنشدنا أبو محمد علي بن أحمد - أي: ابن حزم - لنفسه:

لا تشمتنْ حاسدي إن نكبةٌ عَرَضت   فالدهر ليس على حال بمُتَّرِك

ذو الفضل كالتِبر طوراً تحت مَيفعة   وتارة في ذرى تاج على ملك

< جاء في الحاشية (٣) الميفعة: الشرف من الأرض >. **١٨ / ٢٠٨**

أبو القاسم النسيب: أنشدنا أبو بكر الخطيب - أي: البغدادي - لنفسه:

لا تغبطنَّ أخا الدنيا لزخرفها   ولا للذةِ وقتٍ عَجَّلت فرحا

فالدهر أسرع شيء في تقلبه   وفعلُه بيِّنٌ للخلق قد وضحا

كم شارب عسلاً فيه منيته   وكم تقلد سيفا من به ذُبحا

١٨ / ٢٩٦

وفي رجب سنة أربع - أي: (٤٨٤ هـ) -، هجم المرابطون على البلد، وشنوا الغارات، وخرج الناس عراياً، وأسروا المعتمد - أي: ابن عباد -.

قال عبد الواحد - أي: ابن علي -: برز المعتمد من قصره في غلالة بلا درع ولا درقة، وبيده سيفه، فرماه فارس بحربة أصاب الغلالة، وضرب الفارس فتله، فولت المرابطون. ثم وقت العصر، كرت البربر، وظهروا على البلد من واديه، ورموا فيه النار، فانقطع العمل، واتسع الخرق على الراقع

بقدوم سير ابن أخي السلطان، ولم يترك البربر لأهل البلد شيئا، ونُهبت قصور المعتمد، وأُكره على أن كتب إلى ولديه أن يسلما الحصنين، وإلا قُتِلت، فَدَمِيْ رهن على ذلك، وهما المعتد، والراضي، وكانا في رُندة ومارتلة، فنزلا بأمان ومواثيق كاذبة، فقتلوا المعتد، وقتلوا الراضي غيلة، ومضوا بالمعتمد وآله إلى طنجة بعد أن أفقروهم، ثم سجن بأغمات عامين وزيادة، في قلة وذلة، فقال:

تبدلتُ من ظل عز البنود ... بذل الحديد وثِقْلِ القيود

وكان حديدي سناناً ذليقا ... وعضباً رقيقا صقيلَ الحديد

وقد صار ذاك وذا أدهما ... يَعَضُّ بساقي عَضَّ الأسود

قيل: إن بنات المعتمد أتينه في عيد، وكن يغزلن بالأجرة في أغمات، فرآهن في أطمار رثة، فصَدَعنَ قلبه، فقال:

فيما مضى كنتَ بالأعياد مسرورا ... فساءك العيدُ في أغماتَ مأسورا

ترى بناتك في الأطمار جائعة ... يغزلن للناس ما يملكن قطميرا

برزن نحوك للتسليم خاشعة ... أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطأن في الطين والأقدام حافية ... كأنها لم تطأ مسكا وكافورا

١٩ / ٦٣ - ٦٤

قال ابن خلكان: كان - أي: الوزير العادل علي ابن السلار الكردي - جنديا فدخل على الموفق التنيسي، فشكا إليه غرامة، فقال: إن كلامك ما يدخل في أذني. فلما وزر - أي: ابن السلار - اختفى الموفق، فنودي في البلد: من أخفاه فدمه هدر. فخرج في زِيّ امرأة، فأُخذ، فأمر العادل بلوحٍ

ومِسمار، وسُمِّرَ في أذنه إلى اللَّوْحِ، ولما صرخ، قال: دخل كلامِي في أُذُنِك أم لا؟! ٢٠ / ٢٨٢

قال أبو المظفر السبط: اقتنى ابن نُجيَّة - أي: علي بن إبراهيم بن نجا الأنصاري - أموالاً عظيمة، وتنعم تنعماً زائدا، بحيث أنه كان في داره عشرون جارية للفراش، تساوي كل واحدة ألف دينار وأكثر، وكان يعمل له من الأطعمة ما لا يعمل للملوك، أعطاه الخلفاء والملوك أموالاً جزيلة. قال: ومع هذا مات فقيرا كفّنه بعض أصحابه. ٢١ / ٣٩٦

ودخلت سنة ٦١٦: فتقهقر خوارزم شاه، وأقبلت المغل - أي: المغول - كالليل المظلم، وما زال أمر خوارزم شاه في إدبار، وسعده في سفال، وملكه في زوال، وهو في تقهقر واندفاع إلى أن قارب همذان، وتفرق عنه جمعه، حتى بقي في عشرين ألفاً، فما بلع ريقه إلا وطلائع المغل قد أظلته، وأحدقوا به، فنجا بنفسه، واستحر القتل بجنده، وفر إلى الجبل، ثم إلى مازندران، ونزل بمسجد على حافة البحر يصلي بجماعة ويتلو ويبكي، ثم بعد أيام كبسه العدو، فهرب في مركب صغير، فوصل إليه نشابهم وخاض وراءه طائفة، فبقي في لجة، ومرض بذات الجنب، فقال: سبحان الله ما بقي لنا من مملكتنا قدر ذراعين ندفن فيها؟. فوصل إلى جزيرة فأقام بها طريداً وحيداً مجهوداً، ومات فكفنه فراشه في عمامته سنة سبع عشرة وست مئة. ٢٢ / ٢٣٣

(٣٤٤) الحث على الجود

وكان - أي: جعفر بن يحيى البرمكي - يقول: إذا أقبلت الدنيا عليك، فأعط، فإنها لا تفنى، وإذا أدبرت، فأعط، فإنها لا تبقى.

٩ / ٦١

قال أبو بكر البيهقي في " شعب الإيمان ": أنشدنا أبو نصر بن قتادة، أنشدنا أبو بكر القفال - أي: الشاشي -:

أُوَسع رحلي على من نزل وزادي مباح على من أكل

نُقدم حاضر ما عندنا وإن لم يكن غير خبز وخل

فأما الكريم فيرضى به وأما اللئيم فمن لم أُبَل

١٦ / ٢٨٥

(٣٤٥) الافتقار إلى الله

قال أحمد بن أبي الحواري: جاء إلى أبي معاوية الأسود جماعة، ثم قالوا: ادع الله لنا. فقال: اللهم ارحمني بهم، ولا تحرمهم بي. ٩ / ٧٩

(٣٤٦) الحرص على بذل العلم

قال يونس بن عبد الأعلى: ما رأيت أحداً أحسن خُلُقاً من أبي ضمرة - رحمه الله -- أي: أنس بن عياض الليثي - ولا أسمَحَ بعلمه منه، قال لنا: والله لو تهيأ لي أن أحدثكم بكل ما عندي في مجلس لفعلت. ٩ / ٨٧

وروي عن علي بن حرب الطائي قال: أتينا زيد بن الحباب، فلم يكن له ثوب يخرج فيه إلينا، فجعل الباب بيننا وبينه حاجزاً، وحدثنا من ورائه رحمه الله. **٩ / ٣٩٥**

ويروى عن أبي سبرة المديني قال: قلت للقعنبي - أي: عبدالله بن مسلمة -: حدثتَ ولم تكن تحدث؟! قال: إني أُريت كأن القيامة قد قامت، فصيحَ بأهل العلم، فقاموا، وقمت معهم، فنودي بي: اجلس. فقلت: إلهي ألم أكن أطلب؟ قال: بلى، ولكنهم نشروا، وأخفيته. قال: فحدثت. **١٠ / ٢٦١ - ٢٦٢**

قال أبو علي الصدفي: كان أبو بكر - أي: ابن الخاضبة البغدادي - محبوباً إلى الناس كلهم، فاضلاً، حسن الذكر، ما رأيت مثله على طريقته، وكان لا يأتيه مستعير كتاباً إلا أعطاه أو دلّه عليه. **١٩ / ١١١**

(٣٤٧) من لطائف الكرماء

قال إسحاق الموصلي: كانت صِلات يحيى - أي: ابن خالد البرمكي - لمن تعرَّض له إذا ركب مئتي درهم، فقال لي أبي: شكوت إلى يحيى ضيقا، فقال: كيف أصنع؟ ما عندي شيء، لكن أدلك على أمر، فكن فيه رجلاً، جاءني وكيل صاحب مصر، يطلب أن أستهدي منه شيئا، فأبيت، فألح، وقد بلغني أنك أُعطيت في جارية لك ثلاثة آلاف دينار، فهو ذا أستهديه إياها وأخبره أنها قد أعجبتني فلا تنقصها عن ثلاثين ألف دينار، قال: فوالله ما شعرت، إلا والرجل يسومني الجارية، فبذل فيها عشرين ألف دينار، فضعف قلبي عن ردها، فلما صرت إلى الوزير، قال: إنك لكذا،

كنت صبرت، وهذا خليفة صاحب فارس، قد جاءني في مثل هذا، فخذ جاريتك، فإذا ساومك، لا تنقصها من خمسين ألف دينار، قال: فجاءني، فلنت، وبعتها بثلاثين ألفا، فلما صرت إلى الوزير، قال: ألم تؤدبك الأولى عن الثانية خذ جاريتك إليك. فقلت: قد أفدت بها خمسين ألف دينار، أشهدك أنها حرة، وأني قد تزوجتها. ٩/ ٩٠

(٣٤٨) فله أجرها وأجر من عمل بها

قال منصور بن عمار - أي: السُّلمي -: لما قدمت مصر، كانوا في قحط، فلما صلوا الجمعة، ضجوا بالبكاء والدعاء، فحضرتني نية، فصرت إلى الصحن، وقلت: يا قوم، تقربوا إلى الله بالصدقة، فما تقرب بمثلها، ثم رميت بكسائي. فقال: هذا جهدي فتصدقوا، حتى جعلت المرأة تلقي خُرْصَهَا حتى فاض الكساء، ثم هطلت السماء، وخرجوا في الطين، فدفعت إلى الليث وابن لهيعة، فنظرا إلى كثرة المال، فوكلوا به الثقات ورحت أنا إلى الإسكندرية، فبينا أنا أطوف على حصنها، إذا رجل يرمقني. قلت: ما لك؟ قال: أنت المتكلم يوم الجمعة؟ قلت: نعم. قال: صرت فتنة، قالوا: إنك الخَضِر، دعا فأجيب. قلت: بل أنا العبد الخاطئ، فقدمت مصر، فأقطعني الليث خمسة عشر فدانا. ٩/ ٩٥ – ٩٦

(٣٤٩) المعتقد تجاه كتاب الله تعالى

قال سليم بن منصور: كتب بشر المريسي إلى أبي - أي: منصور بن عمار -: أخبرني عن القرآن. فكتب إليه: عافانا الله وإياك، نحن نرى أن الكلام في القرآن بدعة، تشارك فيها السائل والمجيب، تعاطى السائل ما ليس له، وتكلف المجيب ما ليس عليه، وما أعرف خالقاً إلا الله، وما دونه مخلوق، والقرآن كلام الله، فانته بنفسك وبالمختلفين فيه معك إلى أسمائه التي سماه الله بها، ولا تسم القرآن باسم من عندك، فتكون من الضالين. **٩ / ٩٧**

قال أحمد بن كامل القاضي: أخبرني أبو عبد الله الوراق: أنه كان يورق على داود بن علي - أي: الأصبهاني كبير أهل الظاهر -، وأنه سمعه يسال عن القرآن، فقال: أما الذي في اللوح المحفوظ: فغير مخلوق، وأما الذي هو بين الناس: فمخلوق.

قلت: هذه التفرقة والتفصيل ما قالها أحد قبله، فيما علمت، وما زال المسلمون على أن القرآن العظيم كلام الله، ووحيه وتنزيله، حتى أظهر المأمون القول: بأنه مخلوق، وظهرت مقالة المعتزلة، فثبت الإمام أحمد بن حنبل، وأئمة السنة على القول: بأنه غير مخلوق، إلى أن ظهرت مقالة حسين بن علي الكرابيسي، وهي: أن القرآن كلام الله غير مخلوق، وأن ألفاظنا به مخلوقة، فأنكر الإمام أحمد ذلك، وعدَّهُ بدعة، وقال: من قال: لفظي بالقرآن مخلوق، يريد به القرآن، فهو جهمي. وقال أيضا: من قال: لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع. فزجر عن الخوض في ذلك من الطرفين.

وأما داود فقال: القرآن محدث. فقام على داود خلق من أئمة الحديث، وأنكروا قوله وبدعوه، وجاء من بعده طائفة من أهل النظر، فقالوا: كلام الله معنى قائم بالنفس، وهذه الكتب المنزلة دالة عليه، ودققوا وعمقوا، فنسأل الله الهدى واتباع الحق، فالقرآن العظيم، حروفه ومعانيه وألفاظه كلام رب العالمين، غير مخلوق، وتلفظنا به وأصواتنا به من أعمالنا المخلوقة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (زينوا القرآن بأصواتكم) ولكن لما كان الملفوظ لا يستقل إلا بتلفظنا، والمكتوب لا ينفك عن كتابة، والمتلو لا يسمع إلا بتلاوة تالٍ، صَعُبَ فهم المسألة، وعَسُرَ إفراز اللفظ الذي هو الملفوظ من اللفظ الذي يُعنى به التلفظ، فالذهن يعلم الفرق بين هذا وبين هذا، والخوض في هذا خطر. نسأل الله السلامة في الدين. وفي المسألة بحوث طويلة، الكف عنها أولى، ولا سيما في هذه الأزمنة المزمنة. ١٣ / ١٠٠-١٠١

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم في كتاب "الرد على الجهمية"، له: حدثنا أبي، وأبو زرعة، قال: كان يحكى لنا أن هنا رجلا من قصته هذا، فحدثني أبو زرعة، قال: كان بالبصرة رجل، وأنا مقيم سنة ثلاثين ومئتين، فحدثني عثمان بن عمرو بن الضحاك عنه، أنه قال: إن لم يكن القرآن مخلوقا فمحا الله ما في صدري من القرآن. وكان من قراء القرآن. فنسي القرآن، حتى كان يقال له: قل: (بسم الله الرحمن الرحيم). فيقول: معروف، معروف. ولا يتكلم به. قال أبو زرعة: فجهدوا به أن أراه، فلم أره. ١٣ / ٢٥٩ - ٢٦٠

(٣٥٠) رجلٌ نَسَّاء!

الفضل بن موسى: كان علينا عامل بمرو، وكان نَسَّاءً، فقال: اشتروا لي غلاماً، وسموه بحضرتي حتى لا أنسى اسمه، ثم قال: ما سميتموه؟ قالوا: واقد، فقال: فهلاَّ اسماً لا أنساه أبداً؟ أو قال: فهذا اسم لا أنساه أبداً. ثم قال: قم يا فرقد! ٩/ ١٠٤

(٣٥١) لا تبع الدين بالدنيا

وقد بعث إليه - أي: إلى ابن علية - ابن المبارك بأبيات حسنة يعنفه فيها، وهي:

يا جاعل العلم له بازيا	يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها	بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنونا بها بعدما	كنت دواء للمجانين
أين رواياتك فيما مضى	عن ابن عون وابن سيرين
ودرسك العلم بآثاره	في ترك أبواب السلاطين
تقول:أُكرهت، فماذا كذا	زل حمار العلم في الطين
لا تبع الدين بالدنيا كما	يفعل ضُلال الرهابين

٩/ ١١٠

(٣٥٢) البعد عن ملذات الدنيا

وقال الحارث بن مسكين: سمعته - أي: سمع عبد الرحمن بن القاسم - يقول: اللهم امنع الدنيا مني، وامنعني منها. **٩ / ١٢١**

(٣٥٣) كل يؤخذ من قوله ويترك خلا النبي ﷺ

قال ابن عمار: كان وكيع - أي: ابن الجراح - يصوم الدهر، ويفطر يوم الشك والعيد، وأخبر أنه كان يشتكي إذا أفطر في هذه الأيام. **٩ / ١٤٩**

الفضل بن محمد الشعراني: سمعت يحيى بن أكثم يقول: صحبت وكيعا في الحضر والسفر، وكان يصوم الدهر، ويختم القرآن كل ليلة.

قلت: هذه عبادة يخضع لها، ولكنها من مثل إمام من الأئمة الأثرية مفضولة، فقد صح نهيه -عليه السلام- عن صوم الدهر، وصح أنه نهى أن يقرأ القرآن في أقل من ثلاث، والدين يسر، ومتابعة السنة أولى، فرضي الله عن وكيع، وأين مثل وكيع؟! ومع هذا فكان ملازما لشرب نبيذ الكوفة الذي يُسكر الإكثار منه فكان متأولا في شربه، ولو تركه تورعا، لكان أولى به، فإن من توقى الشبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، وقد صح النهي والتحريم للنبيذ المذكور، وليس هذا موضع هذه الأمور، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك، فلا قدوة في خطأ العالم، نعم، ولا يوبخ بما فعله باجتهاد، نسأل الله المسامحة. **٩ / ١٤٢ — ١٤٤**

(٣٥٤) داء ودواء

قال علي بن خشرم: ما رأيت بيد وكيع كتاباً قط، إنما هو حفظ، فسألته عن أدوية الحفظ، فقال: إن علمتك الدواء استعملته؟ قلت: إي والله. قال: ترك المعاصي ما جربت مثله للحفظ. ٩ / ١٥١

(٣٥٥) حسن الوقوف بين يدي الله

وقال أحمد بن سنان: رأيت وكيعا إذا قام في الصلاة، ليس يتحرك منه شيء، لا يزول ولا يميل على رجل دون الأخرى. ٩ / ١٥٧

(٣٥٦) هكذا يكون الطلب!

علي بن خشرم: سمعت وكيعا يقول: لا يكمل الرجل حتى يكتب عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه. ٩ / ١٥٩

(٣٥٧) غاية التواضع

وسئل يوسف - أي: ابن أسباط -: ما غاية التواضع؟ فقال: أن لا تلقى أحداً إلا رأيت له الفضل عليك. ٩ / ١٧٠

(٣٥٨) التسبيح بالمسبحة

قال ابن معين: وكان يحيى - أي: القطان - يجئ معه بمسباح، فيدخل يده في ثيابه، فيسبح. ٩ / ١٨٠

وعن إسماعيل بن إبراهيم قال: دخلت على سحنون، وهو يومئذ قاض، وفي عنقه تسبيح يسبح به. ١٢ / ٦٦

(٣٥٩) نتاج العلوم

المزني: سمعت الشافعي يقول: من تعلم القرآن عظمت قيمته، ومن تكلم في الفقه نما قدره، ومن كتب الحديث قويت حجته، ومن نظر في اللغة رق طبعه، ومن نظر في الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه، لم ينفعه علمه. ١٠ / ٢٤

ويروى عن ابن مهدي - أي: عبد الرحمن - قال: من طلب العربية، فآخره مؤدب، ومن طلب الشعر، فآخره شاعر، يهجو أو يمدح بالباطل، ومن طلب الكلام، فآخر أمره الزندقة، ومن طلب الحديث، فإن قام به، كان إماما، وإن فرط، ثم أناب يوما، يرجع إليه، وقد عتقت وجادت. ٩ / ١٩٩

(٣٦٠) حال طالب العلم مع غيره

وقال رسته: سمعت عبد الرحمن - أي: ابن مهدي - يقول: كان يقال: إذا لقي الرجل الرجل فوقه في العلم، فهو يوم غنيمته، وإذا لقي من هو مثله، دارسه، وتعلم منه، وإذا لقي من هو دونه، تواضع له، وعلَّمه، ولا يكون إماماً في العلم من حدَّث بكل ما سمع، ولا يكون إماماً من حدث عن كل أحد، ولا من يحدث بالشاذ، والحفظ للإتقان. ٩ / ٢٠٣

(٣٦١) الحرص على صلاة الجماعة

قال عبد الرحمن رسته: سألت ابن مهدي عن الرجل يبني بأهله، أيترك الجماعة أياما؟ قال: لا، ولا صلاة واحدة. وحضرته صبيحة بني على ابنته، فخرج، فأذن، ثم مشى إلى بابهما، فقال للجارية: قولي لهما: يخرجان إلى الصلاة، فخرج النساء والجواري، فقلن: سبحان الله! أي شيء هذا؟ فقال: لا أبرح حتى يخرجا إلى الصلاة، فخرجا بعدما صلى، فبعث بهما إلى مسجد خارج من الدرب.

قلت: هكذا كان السلف في الحرص على الخير. ٩ / ٢٠٤

(٣٦٢) مزاح ثقيل!

وعاش أبوه - أي: أبو عبد الرحمن بن مهدي - بعده، وكان شيخا عاميا، ربما كان يمزح بجهل، ويشير إلى الجماعة إلى ابنه، ويشير إلى متاعه، فيقول: هذا خرج من هذا! ٩ / ٢٠٦

(٣٦٣) الجمع بين العلم والعمل

قال إبراهيم بن الأشعث: سمعت ابن عيينة يقول: من عمل بما يعلم، كفي ما لم يعلم. ٨ / ٤٦٧ - ٤٦٨

لقي - أي: عبد الله بن وهب - بعض صغار التابعين، وكان من أوعية العلم، ومن كنوز العمل. ٩ / ٢٢٤

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا حرملة: سمعت ابن وهب يقول: نذرت أني كلما اغتبت إنسانا أن أصوم يوما، فأجهدني، فكنت أغتاب وأصوم، فنويت أني كلما اغتبت إنسانا أن أتصدق بدرهم، فمِن حُبِّ الدراهم تركت الغيبة.

قلت: هكذا والله كان العلماء وهذا هو ثمرة العلم النافع. **٩ / ٢٢٨**

وروي عن سحنون قال: من لم يعمل بعلمه، لم ينفعه علمه، بل يضره. **١٢ / ٦٥**

وقال أبو موسى المديني:... ويروى عنه - أي: عن أبي الشيخ الأصبهاني - أنه قال: ما عملتُ فيه حديثاً إلا بعد أن استعملته - يعني: ما كتب في كتابه " ثواب الأعمال " حديثاً، إلا بعد أن عمل بما فيه -. **١٦ / ٢٧٨**

وعنه - أي: عن أبي إسحاق الشيرازي - قال: العلم الذي لا ينتفع به صاحبه: أن يكون الرجل عالماً ولا يكون عاملا.

وقال: الجاهل بالعالم يقتدي، فإذا كان العالم لا يعمل، فالجاهل ما يرجو من نفسه؟ فالله الله يا أولادي! نعوذ بالله من علم يصير حجة علينا. **١٨ / ٤٥٧**

(٣٦٤) اختبار قبول الطلاب!

أبو العيناء قال: أتيت عبد الله بن داود - أي: الخُريبي -، فقال: ما جاء بك؟ قلت: الحديث، قال: اذهب فتحفظ القرآن، قلت: قد حفظت القرآن، قال: اقرأ ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ نُوحٍ﴾ [يونس: ٧١] فقرأت العشر حتى أنفذته،

فقال لي: اذهب الآن فتعلم الفرائض، قلت: قد تعلمت الصلب والجد والكُبَر. قال: فأيما أقرب إليك ابن أخيك أو عمك؟ قلت: ابن أخي، قال: ولم؟ قلت: لأن أخي من أبي، وعمي من جدي، قال: اذهب الآن، فتعلم العربية، قال: قد علمتها قبل هذين، قال: فلم قال عمر -يعني حين طُعِن-: يا لَلهِ، يا لِلمسلمين، لم فتح تلك، وكسر هذه (يعني حرف اللام في كل منهما)؟ قلت: فتح تلك اللام على الدعاء، وكسر هذه على الاستغاثة والاستنصار، فقال: لو حدثت أحداً، لحدثتك.

<< جاء في الحاشية (١) في تفسير لفظ " الكُبَر ": أي: مسائل الفرائض الكبرى >> ٩ / ٣٥١

(٣٦٥) المظهر قد لا يدل على المخبر!

وعن شقيق - أي: ابن إبراهيم الأزدي - قال: كنت شاعراً، فرزقني الله التوبة، وخرجت من ثلاث مئة ألف درهم، ولبست الصوف عشرين سنة، ولا أدري أني مراء حتى لقيت عبد العزيز بن أبي رواد، فقال: ليس الشأن في أكل الشعير ولبس الصوف، الشأن أن تعرف الله بقلبك، ولا تشرك به شيئا، وأن ترضى عن الله، وأن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في أيدي الناس. ٩ / ٣١٤

وعنه - أي عن: معروف الكرخي - قال: ما أكثر الصالحين، وما أقل الصادقين. ٩ / ٣٤١

(٣٦٦) أدب العلماء مع بعضهم البعض

أحمد ابن أخي ابن وهب، حدثني عمي قال: كنت عند مالك، فسئل عن تخليل الأصابع، فلم ير ذلك، فتركت حتى خف المجلس، فقلت: إن عندنا في ذلك سنة: حدثنا الليث وعمرو بن الحارث، عن أبي عُشَّانة (عن عقبة بن عامر، أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: إذا توضأت، خلل أصابع رجليك) فرأيته بعد ذلك يسأل عنه، فيأمر بتخليل الأصابع، وقال لي: ما سمعت بهذا الحديث قط إلى الآن. **٩ / ٢٣٣ – ٢٣٤**

خلف بن سالم: كنا في مجلس يزيد بن هارون، فمزح مع مستمليه، فتنحنح أحمد بن حنبل، فقال يزيد: من المتنحنح؟ فقيل له: أحمد بن حنبل، فضرب يزيد على جبينه، وقال: ألا أعلمتموني أن أحمد هاهنا حتى لا أمزح؟! **٩ / ٣٧١**

قال أبو إسحاق الجوزجاني: سمعت يحيى بن معين يقول: الذي يحدث ببلدٍ به من هو أولى بالتحديث منه أحمق، وإذا رأيتني أحدث ببلد فيها مثل أبي مِسهر – أي: عبدالأعلى بن مسهر الغساني – فينبغي للحيتي أن تحلق. **١٠ / ٢٣٠ – ٢٣١**

الفلاس: رأيت يحيى – أي: ابن معين – يوماً حدث بحديث، فقال له عفان- أي: ابن مسلم الأنصاري -: ليس هو هكذا. فلما كان من الغد، أتيت يحيى، فقال: هو كما قال عفان، ولقد سألت الله أن لا يكون عندي على خلاف ما قال عفان.

قلت: هكذا كان العلماء، فانظر يا مسكين كيف أنت عنهم بمعزل. ١٠ / ٢٤٨ - ٢٤٩

(٣٦٧) من الأبناء من هو عون على الطاعة

روى الهيثم بن خلف الدوري أن محمد بن سويد الطحان حدثه قال: كنا عند عاصم بن علي - أي: ابن عاصم التيمي - ومعنا أبو عبيد، وإبراهيم بن أبي الليث وجماعة، وأحمد بن حنبل يُضْرَب، فجعل عاصم يقول: ألا رجل يقوم معي، فنأتي هذا الرجل، فنكلمه؟ قال: فما يجيبه أحد، ثم قال ابن أبي الليث: أنا أقوم معك يا أبا الحسين، فقال: يا غلام: خفي. فقال ابن أبي الليث: يا أبا الحسين أَبْلُغُ إلى بناتي، فأوصيهم، فظننا أنه ذهب يتكفن ويتحنط. ثم جاء، فقال: إني ذهبت إليهن، فبكين. قال: وجاء كتاب ابنَتَي عاصم من واسط: يا أبانا إنه بلغنا أن هذا الرجل أخذ أحمد بن حنبل، فضربه على أن يقول: القرآن مخلوق، فاتق الله، ولا تجبه فوالله لأن يأتينا نعيك أحب إلينا من أن يأتينا أنك أجبت. ٩ / ٢٦٣ - ٢٦٤

(٣٦٨) "وفوق كل ذي علم عليم"

عن أبي نعيم قال: لما خرجنا في جنازة مسعر، جعلت أتطاول في المشي، فقلت: يجيئوني فيسألوني عن حديث مسعر. فذاكرني محمد بن بشر العبدي بحديث مسعر، فأغرب علي سبعين حديثاً لم يكن عندي منها إلا حديث واحد! ٩ / ٢٦٦

(٣٦٩) ندرة من يبغض في الله!

قال رفيقه - أي: رفيق حذيفة بن قتادة -: سمعته يقول: لو أصبت من يبغضني على الحقيقة في الله لأوجبت على نفسي حبه. ٩ / ٢٨٣

(٣٧٠) جماع الخير

وعنه - أي: عن حذيفة بن قتادة -: جماع الخير في حرفين: حِلُّ الكِسْرَة، وإخلاص العمل لله. ٩ / ٢٨٤

(٣٧١) المهدي لا تبعثه المنامات!

قال الميموني: قال أحمد بن حنبل للهيثم بن خارجة: كيف كان مخرج السفياني - أي: علي بن عبد الله - بدمشق أيام ابن زبيدة بعد سليمان بن أبي جعفر؟ فوصفه بهيئة جميلة وعزلة للشر، ثم ظلم، وأرادوه على الخروج مراراً فأبى، فحفر له " خطاب بن وجه الفُلْس " سِرباً، ثم دخلوه في الليل، ونادوه: أخرج فقد آن لك، قال: هذا شيطان، ثم في ثاني ليلة، وقع في نفسه، وخرج. فقال أحمد: أفسدوه. ٩ / ٢٨٥

(٣٧٢) الحكمة في نصح الولاة

وعن الأصمعي قال: قال لي الرشيد وأمر لي بخمسة آلاف: وقِّرنا في الملأ، وعلِّمنا في الخلاء. ٩ / ٢٨٨ - ٢٨٩

(٣٧٣) " قناة السويس " فكرة قديمة!

وقال المسعودي في " مروجه ": رام الرشيد أن يوصل ما بين بحر الروم - أي: الأبيض المتوسط - وبحر القلزم - أي: الأحمر - مما يلي الفَرَما، فقال له يحيى البرمكي: كان يختطف الروم الناس من الحرم، وتدخل مراكبهم الحجاز.

< جاء في الحاشية (٢) الفَرَما: بلدة بنواحي مصر >. **٩ / ٢٨٩**

(٣٧٤) مَثَل المؤمن، ومَثَل المنافق

عن شقيق - أي: ابن إبراهيم الأزدي - قال: مَثَلُ المؤمن مَثَلُ من غرس نخلة، يخاف أن تحمل شوكاً، ومثل المنافق مثل من زرع شوكاً، يطمع أن يحمل تمراً، هيهات. **٩ / ٣١٥**

(٣٧٥) من علامات التوبة الصادقة

وعنه - أي عن: شقيق بن إبراهيم الأزدي - قال: علامة التوبة: البكاء على ما سلف، والخوف من الوقوع في الذنب، وهجران إخوان السوء، وملازمة الأخيار. **٩ / ٣١٥**

(٣٧٦) نهي السلف عن التعمق في السؤال

وكان الثوري يستثقله - أي: يستثقل بشر بن السري -، لأنه سأل سفيان عن أطفال المشركين، فقال: ما أنت وذا يا صبي؟.

قلت: هكذا كان السلف يزجرون عن التعمق، ويبدعون أهل الجدال.

٩ / ٣٣٣ – ٣٣٤

عن معروف – أي: الكرخي – قال: إذا أراد الله بعبد شراً، أغلق عنه باب العمل، وفتح عليه باب الجدل. ٩ / ٣٤٠

(٣٧٧) حال العبد مع ربه

وعنه – أي: عن معروف الكرخي –: من كابر الله، صرعه، ومن نازعه، قمعه، ومن ماكره، خدعه، ومن توكل عليه، منعه، ومن تواضع له، رفعه، كلام العبد فيما لا يعنيه خذلان من الله. ٩ / ٣٤١

(٣٧٨) الشؤم في الثلاثة

عن ابن شهاب، عن سالم وحمزة ابني عبد الله بن عمر، عن أبيهما أنه سمع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: (الشؤم في الفرس والمرأة والدار). متفق عليه من حديث ابن شهاب.

< جاء في الحاشية (٤): رواه مالك ٣ / ١٤٠، ومن طريقه البخاري ٩ / ١١٨ في النكاح: باب ما يتقى من شؤم المرأة، ومسلم (٢٢٢٥) في السلام: باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم، عن ابن شهاب الزهري، عن سالم، عن ابن عمر، ورواه البخاري ٦ / ٤٤، ٤٥ في الجهاد: باب ما يذكر من شؤم الفرس، من طريق أبي اليمان، عن شعيب، عن الزهري... وأخرجه أيضاً ٦ / ١١٨ من طريق محمد بن منهال، حدثنا يزيد بن زريع، حدثنا عمر

بن محمد العسقلاني، عن أبيه، عن ابن عمر قال: ذكروا الشؤم عند النبي ﷺ: " إن كان الشؤم في شئ، ففي الدار و المرأة والفرس ". وأخرجه أحمد ٢ / ٨٥، ومسلم أيضاً (١١٧) من حديث ابن عمر بلفظ: " إن يكن من الشؤم شئ حق، ففي الفرس والمرأة والدار ". وفي الباب عن سهل بن سعد عند مالك ٣ / ١٤٠، والبخاري ٦ / ٤٥، ٤٨، ومسلم (٢٢٢٦) بلفظ: " إن كان ففي الفرس والمرأة والسكن " يعني: الشؤم. وهذا اللفظ الأخير يفهم منه أن الشؤم منتف عن كل شئ، لأن معناه: لو كان الشؤم ثابتاً في شئ ما، لوجد في هذه الثلاثة، لكنه ليس بثابت في شئ. ويظهر أن الرواية الأولى: " الشؤم في الفرس... " وقع فيه اختصار وتصرف من بعض الرواة. على أنه قد جاء عن عائشة رضي الله عنها الإنكار على من روى هذا الحديث بهذه السياقة، فقد أخرج الإمام أحمد ٦ / ١٥٠ و ٢٤٠ و ٢٤٦ من طريق روح، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أبي حسان الأعرج أن رجلين دخلا على عائشة، فقالا: إن أبا هريرة يحدث أن نبي الله ﷺ كان يقول: " إنما الطيرة في المرأة والدابة والدار " قال: فطارت شقة منها في السماء، وشقة في الأرض، فقالت: والذي أنزل القرآن على أبي القاسم ما هكذا كان يقول، ولكن نبي الله ﷺ كان يقول: " كان أهل الجاهلية يقولون: الطيرة في المرأة والدابة والدار " ثم قرأت عائشة: (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها). وأخرجه أيضاً ٦ / ١٥٠ و ٢٤٠ من طريقين عن همام، عن قتادة... وإسناده صحيح. ونقل الزركشي في " الإجابة " ص: ١١٥ عن بعض الأئمة قولهم: ورواية عائشة في هذا أشبه بالصواب إن شاء الله، لموافقتها نهيه عليه الصلاة والسلام عن الطيرة نهياً عاماً، وكراهيتها، والترغيب في

تركها بقوله: " يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، وهم الذين لا يكتوون، ولا يتطيرون، ولا يسترقون، وعلى ربهم يتوكلون " >.

(٣٧٩) المبادرة بالامتثال

وقال البخاري: سمعت أبا عاصم - أي: الضحاك ابن مخلد - يقول: منذ عقلت أن الغيبة حرام، ما اغتبت أحداً قط. ٩/ ٤٨٢

وسمعته - أي: وقال: محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعت البخاري - يقول: ما اغتبت أحداً منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها. ١٢/ ٤٤١

(٣٨٠) " وكان أمر الله قدراً مقدوراً "

وله - أي: لمحمد بن عبدالله بن كناسة - في ابنه يحيى:

وسميته يحيى ليحيا ولم يكن   إلى قدر الرحمن فيه سبيل

تفاءلت لو يغني التفاؤل باسمه   وما خلت فألاً قبل ذاك يفيل

٩/ ٥٠٩ — ٥١٠

(٣٨١) قاعدة في المحبة

عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن زيد بن أسلم، عن أبيه قال: قال عمر: " يا أسلم، لا يكن حبك كلفا، ولا بغضك تلفا ". قلت: وكيف ذاك؟ قال: " إذا أحببت، فلا تكلف كما يكلف الصبي، وإذا أبغضت، فلا تبغض بغضا تحب أن يتلف صاحبك ويهلك ". ٩/ ٥٧٩

(٣٨٢) مجاهدة النفس على الطاعة

وقال موسى بن طريف: كانت الجارية تفرش لعلي بن بكار، فيلمسه بيده، ويقول: والله إنك لطيب، والله إنك لبارد، والله لا علوتك الليلة!. وكان يصلي الفجر بوضوء العتمة. ٩ / ٥٨٥

(٣٨٣) تعظيم حرمات الله عند الولاة الأخيار

وعن خرزاد العابد قال: حدث أبو معاويةُ - أي: " الضرير " فيما يظهر - الرشيدَ - أي: الخليفة العباسي - بحديث: " احتج آدم وموسى " فقال رجل شريف: فأين لقيه؟، فغضب الرشيد، وقال: النطع والسيف، زنديق يطعن في الحديث!. فما زال أبو معاوية يسكِّنُهُ ويقول: بادرة منه يا أمير المؤمنين، حتى سكن. ٩ / ٢٨٨

(٣٨٤) " المُخَذِّلُونَ " لهم سلف فيما مضى!!

وعن أبي عبد الله الشافعي، فيما نقله ابن أبي حاتم، عن ابن أخي ابن وهب عنه، قال: ولدت باليمن -يعني القبيلة، فإن أمه أزدية- قال: فخافت أمي عليّ الضيعة، وقالت: الْحَقْ بأهلك، فتكون مثلهم، فإني أخاف عليك أن تُغلب على نسبك، فجهزتني إلى مكة، فقدمتها يومئذ وأنا ابن عشر سنين، فصرت إلى نسيب لي، وجعلت أطلب العلم، فيقول لي: لا تشتغل بهذا، وأقبل على ما ينفعك، فجُعِلت لذتي في العلم. ١٠ / ١٠

(٣٨٥) من أدب المناظرة

قال يونس الصدفي: ما رأيت أعقل من الشافعي، ناظرته يوما في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة؟.

قلت: هذا يدل على كمال عقل هذا الإمام، وفقه نفسه، فما زال النظراء يختلفون. ١٠ / ١٦

(٣٨٦) التحذير من علم الكلام

عن أبي ثور: سمعت الشافعي يقول: ما ارتدى أحد بالكلام، فأفلح.

ابن عبد الحكم، سمعت الشافعي يقول: لو علم الناس ما في الكلام والأهواء، لفروا منه كما يفرون من الأسد. ١٠ / ١٨

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: قال لي الشافعي: يا محمد، إن سألك رجل عن شيء من الكلام، فلا تجبه، فإنه إن سألك عن دِيَة، فقلت درهماً، أو دانقاً، قال لك: أخطأت، وإن سألك عن شيء من الكلام، فزللت، قال لك: كفرت. ١٠ / ٢٨

محمد بن عبد الله بن عبد الحكم: كان الشافعي بعد أن ناظر حفصاً الفرد يكره الكلام، وكان يقول: والله لأن يفتي العالم، فيقال: أخطأ العالم خير له من أن يتكلم فيقال: زنديق، وما شيء أبغض إليَّ من الكلام وأهله.

قلت: هذا دال على أن مذهب أبي عبد الله أن الخطأ في الأصول ليس كالخطأ في الاجتهاد في الفروع. **١٠ / ١٨ - ١٩**

(وقال السمعاني:) وقرأت بخط أبي جعفر أيضا: سمعت أبا المعالي- أي: عبدالملك بن عبدالله بن الجويني النيسابوري، الملقب بإمام الحرمين - يقول: قرأت خمسين ألفاً في خمسين ألفا، ثم خَلَّيتُ أهل الإسلام بإسلامهم فيها وعلومهم الظاهرة، وركبت البحر الخضم، وغصت في الذي نهى أهل الإسلام، كل ذلك في طلب الحق، وكنت أهرب في سالف الدهر من التقليد، والآن فقد رجعت إلى كلمة الحق، عليكم بدين العجائز، فإن لم يدركني الحق بلطيف بره، فأموت على دين العجائز، ويختم عاقبة أمري عند الرحيل على كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، فالويل لابن الجويني.

قلت: كان هذا الإمام مع فرط ذكائه وإمامته في الفروع وأصول المذهب وقوة مناظرته لا يدري الحديث كما يليق به لا متناً ولا إسناداً. ذكر في كتاب "البرهان" حديث معاذ في القياس فقال: هو مدون في الصحاح، متفق على صحته. قلت: بل مداره على الحارث بن عمرو، وفيه جهالة، عن رجال من أهل حمص، عن معاذ. فإسناده صالح. **١٨ / ٤٧١ - ٤٧٢**

قال الفقيه غانم الموشيلي: سمعت الإمام أبا المعالي يقول: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما اشتغلت بالكلام. **١٨ / ٤٧٣**

قال الحافظ محمد بن طاهر: سمعت أبا الحسن القيرواني الأديب - وكان يختلف إلى درس الأستاذ أبي المعالي في الكلام- فقال: سمعت أبا المعالي اليوم يقول: يا أصحابنا: لا تشتغلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به. **١٨ / ٤٧٤**

قلت: قد ألَّف الرجل - أي: أبو حامد الغزالي - في ذم الفلاسفة كتاب " التهافت "، وكشف عوارهم، ووافقهم في مواضع ظنا منه أن ذلك حق، أو موافق للملة، ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل، وحُبِّب إليه إدمان النظر في كتاب " رسائل إخوان الصفا " وهو داء عضال، وجَرَبٌ مُرْد، وسُمٌّ قَتَّال، ولولا أن أبا حامد من كبار الأذكياء، وخيار المخلصين، لتلف. فالحِذَارَ الحِذَارَ من هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شبه الأوائل، وإلا وقعتم في الحَيْرَة، فمن رام النجاة والفوز، فليلزم العبودية، وليدمن الاستغاثة بالله، وليبتهل إلى مولاه في الثبات على الإسلام وأن يُتوفى على إيمان الصحابة، وسادة التابعين، والله الموفق، فبحسن قصد العالم يُغفر له وينجو إن شاء الله. **١٩ / ٣٢٨ - ٣٢٩**

وقد اعترف - أي: فخر الدين محمد بن عمر البكري الطبرستاني - في آخر عمره حيث يقول: لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلاً ولا تروي غليلا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن، أقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ﴾ [فاطر: ١٠] وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. **٢١ / ٥٠١**

ومن فتاويه - أي: فتاوي تقي الدين أبو عمرو ابن الصلاح الشافعي - أنه سئل عمن يشتغل بالمنطق والفلسفة فأجاب: الفلسفة أُسُّ السَفَه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال، ومثار الزيغ والزندقة، ومن تفلسف، عميت بصيرته عن محاسن الشريعة المؤيدة بالبراهين، ومن تلبس بها، قارنه الخذلان والحرمان، واستحوذ عليه الشيطان، وأظلم قلبه عن نبوة محمد

صلى الله عليه وسلم، إلى أن قال: واستعمال الاصطلاحات المنطقية في مباحث الأحكام الشرعية من المنكرات المستبشعة، والرقاعات المستحدثة، وليس بالأحكام الشرعية ـ ولله الحمد ـ افتقار إلى المنطق أصلا، هو قعاقع قد أغنى الله عنها كل صحيح الذهن، فالواجب على السلطان أعزه الله أن يدفع عن المسلمين شر هؤلاء المشائيم، ويخرجهم من المدارس ويبعدهم. **٢٣ / ١٤٣**

(٣٨٧) المحدثون والفقهاء

قال الربيع: سمعت الشافعي قال لبعض أصحاب الحديث: أنتم الصيادلة، ونحن الأطباء. **١٠ / ٢٣**

(٣٨٨) الإخلاص في بذل العلم

الأصم: سمعت الربيع، سمعت الشافعي يقول: وددت أن الناس تعلموا هذا العلم -يعني كتبه- على أن لا ينسب إليَّ منه شيء. **١٠ / ٢٩**

مسروق بن عبد الرحمن الكندي: حدثني محمد بن المنذر الكندي جار لعبد الله بن إدريس، قال: حج الرشيد، فدخل الكوفة، فلم يتخلف إلا ابن إدريس وعيسى بن يونس، فبعث إليهما الأمين والمأمون، فحدثهما ابن إدريس بمئة حديث، فقال المأمون: يا عم أتأذن لي أن أعيدها حفظا؟ قال: افعل. فأعادها، فعجب من حفظه. ومضيا إلى عيسى، فحدثهما، فأمر له المأمون بعشرة آلاف درهم، فأبى، وقال: ولا شربة ماء على حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم. **١٠ / ٢٧٦**

واشتكت عينه - أي: عين زكريا بن عدي -، فأتاه رجل بكحل، فقال: أنت ممن يسمع الحديث مني؟. قال: نعم. فأبى أن يأخذه. **١٠ / ٤٤٤**

وعن ابن وارة، أنه سمع سليمان الهاشمي -أي: ابن داود - يقول: ربما أُحَدِّثُ بحديث واحد، ولي نية، فإذا أتيت على بعضه، تغيرت نيتي، فإذا الحديث الواحد يحتاج إلى نيات. **١٠ / ٦٢٥**

قال خالد بن سعد الأندلسي: سمعت سعيد بن عثمان الأعناقي، وسعد بن معاذ، ومحمد بن فُطيس يُحْسِنُون الثناء على أحمد ابن أخي ابن وهب - أي: أحمد بن عبدالرحمن المعروف بـ: " بحشل "، ابن أخي: عبدالله بن وهب عالم مصر -، ويوثقونه، فقال الأعناقي: قدمنا مصر، فوجدنا يونس أمره صعبا، ووجدنا أحمد أسهل، فجمعنا له دنانير، وأعطيناه، وقرأنا عليه "موطأ" عمه وجامعه. وسمعت ابن فطيس يقول: فصار في نفسي، فأردت أن أسأل محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، فقلت: أصلحك الله، العالم يأخذ على قراءة العلم؟. فشعر فيما ظهر لي أني إنما سألته عن ابن أخي ابن وهب، فقال لي: جائز، عافاك الله، حلالٌ أن لا أقرأ لك ورقةً إلا بدرهم، ومن أخذني أن أقعد معك طول النهار، وأدع ما يلزمني من أسبابي، ونفقة عيالي؟!.

هذا الذي قاله ابن عبد الحكم متوجه في حق متسبب يفوته الكسب والاحتراف لتعوُّقه بالرواية لما قال علي بن بيان الرزاز الذي تفرد به بعلو جزء بن عرفة، فكان يطلب على تسميعه دينارا: أنتم إنما تطلبون مني العُلُوَّ، وإلا فاسمعوا الجزء من أصحابي، ففي الدرب جماعة سمعوه مني. فإن كان

الشيخ عَسِرًا ثقيلا لا شغل له، وهو غني، فلا يعطى شيئا. والله الموفق.
١٢ / ٣٢٢ – ٣٢٣

قال - أي: أبو بكر الحافظ -: وكان - أي: أحمد بن محمد الهمداني، المعروف بابن عقدة - يؤدب ابن هشام الخزاز، فلما حذق الصبي وتعلم، وجه إليه أبوه بدنانير صالحة، فردها، فظن ابن هشام أنها استُقِلت، فأضعفها له، فقال: ما رددتها استقلالاً، ولكن سألني الصبي أن أعلمه القرآن، فاختلط تعليم النحو بتعليم القرآن، ولا أستحل أن آخذ منه شيئا، ولو دفع إلي الدنيا. **١٥ / ٣٤٤**

قال السمعاني: قرأت بخط هبة الله السقطي أن ابن الدجاجي - أي: أبو الغنائم محمد بن علي البغدادي - كان ذا وجاهة وتقدم وحالٍ واسعة، وعهدي به وقد أخْنَى عليه الزمان، وقصدته في جماعة مثرين لنسمع منه وهو مريض، فدخلنا وهو على باريَّة، وعليه جبة قد حرقت النار فيها، وليس عنده ما يساوي درهما، فحمل على نفسه حتى قرأنا عليه بحسب شَرَهِ أهل الحديث، فلما خرجنا قلت: هل معكم ما نصرفه إلى الشيخ؟ فاجتمع له نحو خمسة مثاقيل، فدعوت بنته، وأعطيتها، ووقفت لأرى تسليمها له، فلما أعطته ؛ لطم حُرَّ وجهه، ونادى: وافضيحتاه: آخذ على حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم- عِوَضاً؟ لا والله. ونهض حافياً إليَّ، وبكى، فأعدت الذهب إليهم، فتصدقوا به. **١٨ / ٢٦٣ – ٢٦٤**

وقال آخر: كان - أي: أبو منصور محمد بن أحمد الخياط - إمام مسجد ابن جَرْدة بالحريم، لقَّن العميان دهراً لله، وكان يسأل لهم، وينفق عليهم، بحيث إن ابن النجار نقل في " تاريخه " أن أبا منصور الخياط بلغ

عدد من أقرأهم من العميان سبعين ألفا، ثم قال: هكذا رأيت بخط أبي نصر اليونارتي الحافظ.

قلت: هذا مستحيل، والظاهر أنه أراد أن يكتب نفساً، فسبقه القلم، فخط ألفاً، ومن لقن القرآن لسبعين ضريراً، فقد عمل خيراً كثيرا. **١٩ / ٢٢٣**

قال ابن الأنماطي: سمعت منه - أي: من حنبل بن عبدالله الواسطي - جميع "المسند" ببغداد أكثره بقراءتي عليه، في نيفٍ وعشرين مجلسا، ولما فرغت أخذت أُرَغِّبُهُ في السفر إلى الشام فقلت: يحصلُ لك مالٌ ويقبل عليك وجوه الناس ورؤساؤهم، فقال: دعني؛ فوالله ما أسافر لأجلهم، ولا لما يحصل منهم، وإنما أسافر خدمة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- أروي أحاديثه في بلد لا تروى فيه. **٢١ / ٤٣٢ - ٤٣٣**

(٣٨٩) وصف لبعض الفرق الضالة

البويطي: سألت الشافعي: أصلي خلف الرافضي؟ قال: لا تصل خلف الرافضي، ولا القَدَرِيِّ، ولا المُرْجِئ. قلت: صفهم لنا. قال: من قال: الإيمان قَوْلٌ، فهو مُرْجِئ، ومن قال: إن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين، فهو رافضي، ومن جعل المشيئة إلى نفسه، فهو قَدَرِيٌّ. **١٠ / ٣١**

(٣٩٠) لا تتكلَّفْ علم ما لم يبلغه عقلك

قال علي بن محمد بن أبان القاضي: حدثنا أبو يحيى زكريا الساجي، حدثنا المزني، قال: قلت: إن كان أحد يخرج ما في ضميري، وما تعلق به

خاطري من أمر التوحيد فالشافعي، فصرت إليه، وهو في مسجد مصر، فلما جثوت بين يديه، قلت: هجس في ضميري مسألة في التوحيد، فعلمت أن أحداً لا يعلم علمك، فما الذي عندك؟ فغضب، ثم قال: أتدري أين أنت؟ قلت: نعم، قال: هذا الموضع الذي أغرق الله فيه فرعون. أبلغك أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمر بالسؤال عن ذلك؟ قلت: لا، قال: هل تكلم فيه الصحابة؟ قلت: لا، قال: تدري كم نجماً في السماء؟ قلت: لا، قال: فكوكب منها؛ تعرف جنسه، طلوعه، أفوله، مم خلق؟ قلت: لا، قال: فشيءٌ تراه بعينِك من الخلق لستَ تعرفه، تتكلم في عِلْمِ خالقه؟! ثم سألني عن مسألة في الوضوء، فأخطأت فيها، ففرعها على أربعة أوجه، فلم أصب في شيء منه، فقال: شيء تحتاج إليه في اليوم خمس مرات، تدع علمه، وتتكلف علم الخالق، إذا هجس في ضميرك ذلك، فارجع إلى الله، وإلى قوله تعالى: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآية [البقرة: ١٦٣] فاستَدِلّ بالمخلوق على الخالق، ولا تتكلَّفْ علم ما لم يَبْلُغْهُ عقلُك. قال: فتبت. ١٠/ ٣١-٣٢

(٣٩١) الحق ضالة المؤمن

وعن الشافعي قال: ما كابرني أحد على الحق ودافع، إلا سقط من عيني، ولا قَبِلَهُ إلا هبته، واعتقدت مودته. ١٠/ ٣٣

ويروى عنه - أي: عن حاتم الأصم - قال: أفرح إذا أصاب من ناظرني، وأحزن إذا أخطأ. ١١/ ٤٨٧

(٣٩٢) " إنما الأعمال بالنيات "

الربيع بن سليمان: كان الشافعي قد جزَّء الليل، فثلثه الأول يكتب، والثاني يصلي، والثالث ينام.

قلت: أفعاله الثلاثة عبادة بالنية. ١٠ / ٣٥

(٣٩٣) " ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه "

الربيع: سمعت الشافعي يقول: ما شبِعْتُ منذ ست عشرة سنة إلا مرَّة، فأدخلت يدي فتَقَيَّأْتُهَا.

رواها ابن أبي حاتم عن الربيع، وزاد: لأن الشِّبَع يثقل البدن، ويقسي القلب، ويزيل الفطنة، ويجلب النوم، ويضعف عن العبادة. ١٠ / ٣٦

عن الشافعي: ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن، قيل: ولم؟ قال: لأن العاقل لا يعدو من إحدى خلتين: إما يغتم لآخرته أو لدنياه، والشحم مع الغم لا ينعقد. ١٠ / ٩١ – ٩٢

قال أبو بكر المروزي: سمعت بشراً - أي: ابن الحارث - يقول: الجوع يصفي الفؤاد، ويميت الهوى، ويورث العلم الدقيق. ١٠ / ٤٧١

(٣٩٤) " واحفظوا أيمانكم "

حرملة: سمعت الشافعي يقول: ما حلفت بالله صادقاً ولا كاذبا. ١٠ / ٣٦

(٣٩٥) أصولٌ وثمارٌ وغايات

الأصمعي: عن الشافعي: أصل العلم التثبيت، وثمرته السلامة. وأصل الورع القناعة، وثمرته الراحة. وأصل الصبر الحزم، وثمرته الظفر. وأصل العمل التوفيق، وثمرته النجح. وغاية كل أمر الصدق. ١٠/٤٠-٤١

(٣٩٦) خير علوم الدين والدنيا

محمد بن يحيى بن حسان: سمعت الشافعي يقول: العلم علمان: علم الدين وهو الفقه، وعلم الدنيا وهو الطب، وما سواه من الشعر وغيره فعناء وعبث. ١٠ / ٤١

قال صالح بن محمد جزرة: سمعت الربيع، سمعت الشافعي يقول: لا أعلم علماً بعد الحلال والحرام أنبل من الطب، إلا أن أهل الكتاب قد غلبونا عليه.

قال حرملة: كان الشافعي يتلهف على ما ضيع المسلمون من الطب، ويقول: ضيعوا ثلث العلم، ووكلوه إلى اليهود والنصارى. ١٠ / ٥٧

(٣٩٧) لا خير في "المجاملة" الكاذبة!

وعن الشافعي قال: ما رفعتُ من أحدٍ فوق منزلته إلا وضع مني بمقدار ما رفعتُ منه. ١٠ / ٤٢

(٣٩٨) دواء العجب

وعنه - أي: عن الشافعي -: إذا خفت على عملك العُجب، فاذكر رِضَى مَنْ تَطْلُب، وفي أي نعيم ترغب، ومن أي عقاب تَرْهَب. فمن فكر في ذلك صَغُرَ عنده عملُه. ١٠/ ٤٢

(٣٩٩) مؤهلات القيادة

وعنه - أي: عن الشافعي -:... آلات الرياسة خمس: صدق اللهجة، وكتمان السِّر، والوفاء بالعهد، وابتداء النصيحة، وأداء الأمانة. ١٠/ ٤٢

(٤٠٠) بادر بالعبادة

قال موسى بن سهل الجوني: حدثنا أحمد بن صالح: قال لي الشافعي: تعبَّد من قبل أن ترأَّس، فإنك إن ترأست، لم تقدر أن تتعبد. ١٠/ ٤٩

(٤٠١) شهادة عالم رباني لقرينه

وقال محمد بن هارون الزنجاني: حدثنا عبدالله بن أحمد - أي: ابن حنبل -، قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي، فإني سمعتك تكثر من الدعاء له؟ فقال: يابني، كان كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس، فهل لهذين من خلف أو منهما عوض؟.

قال أحمد بن حنبل من طرق عنه: إن الله يُقَيِّضُ للنَّاسِ في رأس كل مئة من يعلمهم السُّنَن، وينفي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

الكذب، قال: فنظرنا، فإذا في رأس المئة عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المئتين الشافعي. ١٠ / ٤٥ - ٤٦

(٤٠٢) إنما الحجة في الدليل

ابن عبد الحكم: ما رأت عيني قط مثل الشافعي، قدمت المدينة، فرأيت أصحاب عبد الملك بن الماجشون يغلون بصاحبهم، يقولون: صاحبنا الذي قطع الشافعي، قال: فلقيت عبد الملك، فسألته عن مسألة، فأجابني، فقلت: الحجة؟ قال: لأن مالكا قال كذا وكذا، فقلت في نفسي: هيهات، أسألك عن الحجة، وتقول: قال معلمي! وإنما الحجة عليك وعلى معلمك. ١٠ / ٥٣ - ٥٤

أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه، حدثنا إبراهيم بن محمد الكوفي -وكان من الإسلام بمكان- قال: رأيت الشافعي بمكة يفتي الناس، ورأيت أحمد وإسحاق حاضرين، فقال الشافعي: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (وهَلْ تَرَكَ لنَا عَقِيلٌ مِنْ دَارٍ) فقال إسحاق: حدثنا يزيد، عن الحسن، وأخبرنا أبو نعيم وعبدة، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم أنهما لم يكونا يريانه، وعطاء وطاوس لم يكونا يريانه. فقال الشافعي: من هذا؟ قيل: إسحاق بن إبراهيم الحنظلي بن راهويه، فقال الشافعي: أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيههم، ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك، فكنت آمر بعرك أذنيه، أقول: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأنت تقول: عطاء، وطاوس، ومنصور عن إبراهيم والحسن، وهل لأحد مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حُجة؟! ١٠ / ٦٨ - ٦٩

محمد بن عقيل الفريابي: قال المزني أو الربيع: كنا يوما عند الشافعي، إذ جاء شيخ عليه ثياب صوف، وفي يده عكازة، فقام الشافعي، وسوى عليه ثيابه، وسلم الشيخ، وجلس، وأخذ الشافعي ينظر إلى الشيخ هيبة له، إذ قال الشيخ: أسأل؟ قال: سل، قال: ما الحجة في دين الله؟ قال: كتاب الله. قال: وماذا؟ قال: سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. قال: وماذا؟ قال: اتفاق الأمة. قال: من أين قلت: اتفاق الأمة؟ فتدبر الشافعي ساعة، فقال الشيخ: قد أجلتك ثلاثا، فان جئت بحجة من كتاب الله، وإلا تب إلى الله تعالى، فتغير لون الشافعي، ثم إنه ذهب، فلم يخرج إلى اليوم الثالث بين الظهر والعصر، وقد انتفخ وجهه ويداه ورجلاه وهو مِسْقَام، فجلس، فلم يكن بأسرع من أن جاء الشيخ، فسلم، وجلس، فقال: حاجتي؟ فقال الشافعي: نعم، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ الآية [النساء: ١١٥]. قال: فلا يصليه على خلاف المؤمنين إلا وهو فرض. فقال: صدقت، وقام فذهب. فقال الشافعي: قرأت القرآن في كل يوم وليلة ثلاث مرات، حتى وقفت عليه. **١٠ / ٨٣-٨٤**

(٤٠٣) قول في "الفول" !!

وعنه - أي: عن الشافعي -: الفول يزيد في الدماغ، والدماغ يزيد في العقل. **١٠ / ٥٦**

(٤٠٤) العلوم يستعان ببعضها على بعض

وعن الشافعي قال: ما أردت بها -يعني: العربية والأخبار- إلا للاستعانة على الفقه. ١٠/ ٧٥

(٤٠٥) كلمة واحدة كان لها عظيم الأثر

حسين الكرابيسي، سمعت الشافعي يقول: كنت امرأ أكتب الشعر، فآتي البوادي، فأسمع منهم، فقدمت مكة، فخرجت وأنا أتمثل بشعر للبيد، وأضرب وحشي قدمي بالسوط، فضربني رجل من ورائي من الحجبة، فقال: رجل من قريش ثم ابن المطلب، رضي من دينه ودنياه أن يكون معلما، ما الشعر إذا استحكمت فيه فعدت معلما؟ تفقه يُعْلِكَ الله. فنفعني الله بكلامه، فكتبت ما شاء الله من ابن عيينة، ثم كنت أجالس مسلم بن خالد، ثم قدمت على مالك، فلما عرضت عليه إلى كتاب السير، قال لي: تفقه تَعْلُ يا ابن أخي، فجئت إلى مصعب بن عبد الله، فكلمته أن يكلم لي بعض أهلنا، فيعطيني شيئا، فإنه كان بي من الفقر والفاقة ما الله به عليم، فقال لي مصعب: أتيت فلانا، فكلمته، فقال: أتكلمني في رجل كان منا، فخالفنا؟ قال: فأعطاني مئة دينار. ثم قال لي مصعب: إن الرشيد كتب إلي أن أصير إلى اليمن قاضيا، فتخرج معنا، لعل الله أن يعوضك، فخرجت معه، وجالسنا الناس، فكتب مطرف بن مازن إلى الرشيد: إن أردت اليمن لا يفسد عليك ولا يخرج من يدك، فأخرج عنه محمد بن إدريس، وذكر أقواما من الطالبيين، فبعث إلى حماد البربري،

فأوثقت بالحديد، حتى قدمنا على هارون الرقة، فأدخلت عليه... وذكر اجتماعه بعد بمحمد بن الحسن، ومناظرته له. ١٠/ ٨٥ — ٨٦

إبراهيم بن معقل، سمعت أبا عبدالله - أي: الإمام البخاري - يقول: كنت عند إسحاق بن راهويه، فقال بعض أصحابنا: لو جمعتم كتاباً مختصراً لسنن النبي ﷺ، فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع هذا الكتاب ١٢/ ٤٠١.

جعفر الخُلْدي: قلت لمطين - أي: محمد بن عبدالله الحضرمي -: لم لقبت بهذا؟ قال: كنت صبياً ألعب مع الصبيان، وكنت أطولهم، فنسبح ونخوض، فيطينون ظهري، فبَصُر بي يوما أبو نعيم، فقال لي: يا مطين، لم لا تحضر مجلس العلم؟. فلما طلبت الحديث مات أبو نعيم، وكتبت عن أكثر من خمس مئة شيخ. ١٤/ ٤٢

قال الحاكم: سمعته - أي: الحسين بن علي النيسابوري - يقول: كنت أختلف إلى الصاغة، وفي جوارنا فقيه كرَّامي، يعرف بالولي، أخذت عنه مسائل، فقال لي أبو الحسن الشافعي: لا تضيع أيامك، فقلت: إلى من أختلف؟ قال: إلى إبراهيم بن أبي طالب، فأتيه سنة أربع وتسعين. فلما رأيت شمائله، وسمته، وحسن مذاكرته للحديث، حلا في قلبي فحدث يوما عن محمد بن يحيى، عن إسماعيل بن أبي أويس، فقال لي رجل: اخرج إلى هراة فإن بها من يحدث عن إسماعيل، فوقع ذلك في قلبي، فخرجت إلى هراة سنة ٩٥. ١٦/ ٥٤ — ٥٥

وقال أبو بكر محمد بن طرخان التركي: قال لي الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد -يعني والد أبي بكر بن العربي-: أخبرني أبو محمد بن حزم أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة، فدخل المسجد، فجلس، ولم يركع، فقال له رجل: قم فصل تحية المسجد. وكان قد بلغ ستا وعشرين سنة. قال: فقمت وركعت، فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة، دخلت المسجد، فبادرت بالركوع، فقيل لي: اجلس اجلس، ليس ذا وقت صلاة -وكان بعد العصر- قال: فانصرفت وقد حزنت، وقلت للأستاذ الذي رباني: دلني على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون. قال: فقصدته، وأعلمته بما جرى، فدلني على "موطأ" مالك، فبدأت به عليه، وتتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحواً من ثلاثة أعوام، وبدأت بالمناظرة. **١٨ / ١٩٩**

يحيى بن القاسم، حدثنا أبو النجيب - أي: عبدالقاهر بن عبدالله السهروردي الشافعي - قال: كنت أدخل على الشيخ حماد وفيَّ فتور، فيقول: دخلت علي وعليك ظلمة، وكنت أبقى اليومين والثلاثة لا أستطعم بزاد، فأنزل في دجلة أتقلب ليسكن جوعي، ثم اتخذت قِربة أستقي بها، فمن أعطاني شيئا أخذته، ومن لم يعطني لم أطالبه، ولما تعذر ذلك في الشتاء علي، خرجت إلى سوق، فوجدت رجلا بين يديه طبرزد، وعنده جماعة يدقون الأرز، فقلت: استعملني. قال: أرني يدك. فأريته، قال: هذه يد لا تصلح إلا للقلم، وأعطاني ورقة فيها ذهب، فقلت: لا آخذ إلا أجرة عملي، فان شئت نسخت لك بالأجرة. قال: اصعد، وقال لغلامه: ناوله المِدَقَّة، فدققت معهم وهو يلحظني، فلما عملت ساعة، قال: تعال. فناوَلَني الذهب، وقال: هذه أجرتك، فأخذته، ثم أوقع الله في قلبي الاشتغال بالعلم،

فاشتغلت حتى أتقنت المَذْهَبَ، وقرأت الأصلين، وحفظت "الوسيط" للواحدي في التفسير، وسمعت كتب الحديث المشهورة. **٢٠ / ٤٧٧ - ٤٧٨**

(٤٠٦) فتوى عالم

أبو بكر محمد بن يزيد بن حكيم المستملي قال: رأيت الشافعي في المسجد الحرام، وقد جعلت له طنافس، فجلس عليها، فأتاه رجل من أهل خراسان، فقال: يا أبا عبد الله، ما تقول في أكل فرخ الزنبور؟ فقال: حرام. فقال: حرام؟! قال: نعم من كتاب الله، وسنة رسول الله، والمعقول، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] وحدثنا سفيان، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن مولى لربعي، عن حذيفة، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:) اقْتَدُوا باللَّذِينَ مِنْ بَعْدِي أبِي بَكْرٍ وعمَر (هذا الكتاب والسنة. وحدثونا عن إسرائيل، قال أبو بكر المستملي: حدثنا أبو أحمد، عن إسرائيل، عن إبراهيم بن عبد الأعلى، عن سويد بن غفلة، أن عمر أمر بقتل الزنبور، وفي المعقول أن ما أمر بقتله فحرام أكله. **١٠ / ٨٨**

(٤٠٧) القاعدة في مخالطة الناس

وقال يونس بن عبد الأعلى: سمعت الشافعي يقول: يا يونس، الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط. **١٠ / ٨٩**

(٤٠٨) الاعتناء بالمروءة

وعنه - أي: عن الشافعي -: لو أعلم أن الماء البارد ينقص مروءتي ما شربته. ١٠ / ٨٩

وعنه - أي: عن الإمام الشافعي -: للمروءة أركان أربعة: حسن الخلق، والسخاء، والتواضع، والنسك. ١٠ / ٩٨

(٤٠٩) من حكم الإمام الشافعي

وبلغنا عن الإمام الشافعي ألفاظ قد لا تثبت، ولكنها حكم، فمنها:

ما أفلح من طلب العلم إلا بالقلة.

وعنه قال: ما كذبت قط، ولا حلفت بالله، ولا تركت غسل الجمعة وما شبعت منذ ست عشرة سنة، إلا شبعة طرحتها من ساعتي.

وعنه قال: من لم تُعِزه التقوى، فلا عز له.

وعنه: ما فزعت من الفقر قط. طلب فضول الدنيا عقوبة عاقب بها الله أهل التوحيد.

وقيل له: ما لك تكثر من إمساك العصا، ولست بضعيف؟ قال: لأذكر أني مسافر.

وقال: من لزم الشهوات، لزمته عبودية أبناء الدنيا.

وقال: الخير في خمسة: غنى النفس، وكف الأذى، وكسب الحلال، والتقوى، والثقة بالله.

وعنه: أنفع الذخائر التقوى، وأضرها العدوان.

وعنه: اجتناب المعاصي، وترك ما لا يعنيك، يُنَوِّرُ القلب. عليك بالخَلْوَة، وقلة الأكل، إياك ومخالطة السفهاء ومن لا ينصفك. إذا تكلمت فيما لا يعنيك ملكتك الكلمة، ولم تملكها.

وعنه: لو أوصى رجل بشيء لأعقل الناس، صُرِف إلى الزهاد.

وعنه: سياسة الناس أشد من سياسة الدواب.

وعنه: العاقل من عَقَلَهُ عَقْلُهُ عن كل مذموم.

وعنه: لا يكمل الرجل إلا بأربع: بالديانة، والأمانة، والصيانة، والرزانة.

وعنه: ليس بأخيك من احتجت إلى مداراته.

وعنه: علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقا.

وعنه: من نَمَّ لك نَمَّ عليك.

وعنه قال: التواضع من أخلاق الكرام، والتكبر من شيم اللئام، التواضع يورث المحبة، والقناعة تورث الراحة.

وقال: أرفع الناس قدراً من لا يرى قدره، وأكثرهم فضلاً من لا يرى فضله.

وقال: ما ضُحِكَ من خطأ رجل إلا ثبت صوابه في قلبه. **١٠ / ٩٧ — ٩٩**

(٤١٠) لا خير فيه .. لا خير فيه ..

قال عباس الدوري: حدثنا بعض أصحابنا قال: قالت جارية الهيثم بن عدي: كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي، فإذا أصبح جلس يكذب!

وقال ابن معين وأبو داود: كذاب. **١٠ / ١٠٣ — ١٠٤**

(٤١١) رؤية الله جل وعلا في الدنيا

أنبأنا عبد الرحمن بن محمد الفقيه، أخبرنا أبو الفتح المندائي، أخبرنا عبيد الله بن محمد بن أحمد، أخبرنا جدي أبو بكر البيهقي في كتاب "الصفات" له، أخبرنا أبو سعد الماليني، أخبرنا عبد الله بن عدي، أخبرني الحسن بن سفيان، حدثنا محمد بن رافع، حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "رأيْتُ ربِّي -يعني في المنام-.. " وذكر الحديث.

وهو بتمامه في تأليف البيهقي، وهو خبر منكر، نسأل الله السلامة في الدين، فلا هو على شرط البخاري ولا مسلم، ورواته وإن كانوا غير متهمين، فما هم بمعصومين من الخطأ والنسيان، فأول الخبر: قال: "رأيت ربي" وما قيد الرؤية بالنوم، وبعض من يقول: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- رأى ربه ليلة المعراج يحتج بظاهر الحديث. والذي دل عليه الدليل عدم الرؤية مع إمكانها، فنقف عن هذه المسألة، (فإنَّ مِن حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيه) فإثبات ذلك أو نفيه صعب، والوقوف سبيل السلامة والله أعلم. وإذا ثبت شيء قلنا به، ولا نعنف من أثبت الرؤية لنبينا في الدنيا، ولا من نفاها، بل نقول: الله ورسوله أعلم. بلى نعنف ونبدع من أنكر الرؤية في الآخرة، إذ رؤية الله في الآخرة ثبت بنصوص متوافرة. ١٠ / ١١٣ – ١١٤

(٤١٢) العلماء والضحك

وقال محمد بن النعمان بن عبد السلام: لم أَرَ أعبد من يحيى بن حماد، وأظنه لم يضحك.

قلت: الضحك اليسير والتبسم أفضل، وعدم ذلك من مشايخ العلم على قسمين:

أحدهما: يكون فاضلاً لمن تَرَكه أدباً وخوفاً من الله، وحزناً على نفسه المسكينة.

والثاني: مذموم لمن فعله حمقاً وكِبراً وتصنعا.

كما أن من أكثر الضحك استخف به. ولا ريب أن الضحك في الشباب أخف منه وأعذر منه في الشيوخ.

وأما التبسم وطلاقة الوجه فأرفع من ذلك كله، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ) وقال جرير: (ما رآني رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- إلاَّ تَبَسَّمَ) فهذا هو خلق الإسلام، فأعلى المقامات من كان بَكَّاء بالليل، بَسَّاما بالنهار. وقال -عليه السلام-: (لن تَسَعُوا النَّاسَ بأمْوَالِكُم، فَلْيَسَعْهُم مِنْكُم بَسْطُ الوَجْهِ).

بقي هنا شيء: ينبغي لمن كان ضحوكاً بساماً أن يُقْصِرَ من ذلك، ويلوم نفسه حتى لا تَمُجُّهُ الأنفس، وينبغي لمن كان عبوساً منقبضاً أن يتبسم، ويحسن خلقه، ويمقت نفسه على رداءة خلقه، وكل انحراف عن الاعتدال فمذموم، ولا بد للنفس من مجاهدة وتأديب. ١٠ / ١٤٠ – ١٤١

(٤١٣) اختبار عالم!

قال أحمد بن منصور الرمادي: خرجت مع أحمد ويحيى إلى عبد الرزاق خادماً لهما، قال: فلما عدنا إلى الكوفة، قال يحيى بن معين: أريد أن أختبر أبا نعيم - أي: الفضل بن دكين -، فقال أحمد: لا تُرِدْ، فالرجل ثقة. قال يحيى: لا بد لي. فأخذ ورقة، فكتب فيها ثلاثين حديثاً وجعل على رأس كل عشرة منها حديثا ليس من حديثه، ثم إنهم جاؤوا إلى أبي نعيم، فخرج، وجلس على دكان طين، وأخذ أحمد بن حنبل، فأجلسه عن يمينه، ويحيى عن يساره، وجلست أسفل الدكان، ثم أخرج يحيى الطبق، فقرأ عليه عشرة أحاديث، فلما قرأ الحادي عشر، قال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي، اضرب عليه، ثم قرأ العشر الثاني، وأبو نعيم ساكت، فقرأ الحديث الثاني، فقال أبو نعيم: ليس هذا من حديثي فاضرب عليه، ثم قرأ العشر الثالث، ثم قرأ الحديث الثالث، فتغير أبو نعيم، وانقلبت عيناه، ثم أقبل على يحيى، فقال: أما هذا -وذراع أحمد بيده- فأورع من أن يعمل مثل هذا، وأما هذا - يريدني -فأقل من أن يفعل ذاك، ولكن هذا من فعلك يا فاعل وأخرج رجله، فرفس يحيى، فرمى به من الدكان، وقام، فدخل داره. فقال أحمد بن حنبل ليحيى: ألم أمنعك وأقل لك: إنه ثبت، قال: والله، لرفْسَتُهُ لي أحب إلي من سَفْرَتي! ١٠ / ١٤٨ - ١٤٩

(٤١٤) ثبات العلماء الربانيين

قال أبو العباس السراج عن الكديمي قال: لما دخل أبو نعيم - أي: الفضل بن دكين - على الوالي ليمتحنه، وثَمَّ يونس وأبو غسان وغيرهما،

فأول من امتحن فلان، فأجاب، ثم عطف على أبي نعيم، فقال: قد أجاب هذا، فما تقول؟ فقال: والله ما زلت أتهم جده بالزندقة، ولقد أخبرني يونس بن بكير أنه سمع جده يقول: لا بأس أن يرمي الجمرة بالقوارير. أدركت الكوفة وبها أكثر من سبع مئة شيخ، الأعمش فمن دونه يقولون: القرآن كلام الله وعنقي أهون من زِرِّي هذا، فقام إليه أحمد بن يونس، فقبل رأسه -وكان بينهما شحناء- وقال: جزاك الله من شيخ خيرا. ١٠ / ١٤٩

قال حنبل: حضرت أبا عبد الله وابن معين عند عفان - أي: ابن مسلم الأنصاري - بعدما دعاه إسحاق بن إبراهيم للمحنة، وكان أول من امتحن من الناس عفان، فسأله يحيى من الغد بعدما امتحن، وأبو عبد الله حاضر ونحن معه، فقال - أي: يحيى بن معين -: أخبرنا بما قال لك إسحاق؟ قال: يا أبا زكريا لم أسود وجهك ولا وجوه أصحابك، إني لم أجب. فقال له: فكيف كان؟ قال: دعاني وقرأ علي الكتاب الذي كتب به المأمون من الجزيرة، فإذا فيه: امتحن عفان، وادعه إلى أن يقول: القرآن كذا وكذا، فإن قال ذلك فأقره على أمره، وإن لم يجبك إلى ما كتبتُ به إليك فاقطع عنه الذي يجرى عليه -وكان المأمون يجري على عفان كل شهر خمس مئة درهم -فلما قرأ عليّ الكتاب قال لي إسحاق: ما تقول؟ فقرأت عليه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ حتى ختمتها. فقلت: أمخلوق هذا؟ فقال: يا شيخ إن أمير المؤمنين يقول: إنك إن لم تجبه إلى الذي يدعوك إليه يقطع عنك ما يجري عليك. فقلت: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] فسكت عني، وانصرفت. فسُرَّ بذلك أبو عبد الله ويحيى.

قلت: هذه الحكاية تدل على جلالة عفان وارتفاع شأنه عند الدولة، فإن غيره امتحن، وقيد وسجن، وعفان فما فعلوا معه غير قطع الدراهم عنه.

قال القاسم بن أبي صالح: سمعت إبراهيم بن ديزيل يقول: لما دعي عفان للمحنة، كنت آخذا بلجام حماره، فلما حضر، عرض عليه القول، فامتنع أن يجيب، فقيل له: يُحبس عطاؤك -قال: وكان يُعطَى في كل شهر ألف درهم- فقال: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] فلما رجع إلى داره عذله نساؤه ومن في داره، قال: وكان في داره نحو أربعين إنسانا، فدق عليه داق الباب، فدخل عليه رجل شبهته بسَمَّان أو زَيَّات، ومعه كيس فيه ألف درهم، فقال: يا أبا عثمان ثبَّتَكَ الله كما ثبَّتَ الدِّين، وهذا في كل شهر. ١٠ / ٢٤٤ — ٢٤٥

قال صالح - أي ابن علي الهاشمي -: حضرته - أي: المهتدي بالله العباسي - وقد جلس، والقصص تقرأ عليه، ويأمر بالتوقيع عليها، فسرني ذلك، وجعلت أنظر إليه، ففطن، ونظر إلي، فغضضت عنه، قال: فقال لي: في نفسك شيء تحب أن تقوله. فلما انفض المجلس، أدخلت مجلسه، فقال: تقول ما دار في نفسك، أو أقوله لك؟ قلت: يا أمير المؤمنين، ما ترى؟ قال: أقول: إنه قد استحسنت ما رأيت منا، فقلت في نفسك: أي خليفة خليفتنا إن لم يكن يقول: القرآن مخلوق. قال: فورد علي أمر عظيم، ثم قلت: يا نفس، هل تموتين قبل أجلك؟! فقلت: نعم، فأطرق، ثم قال: اسمع، فوالله لتسمعن الحق، فسري عني، وقلت: ومن أولى بالحق منك وأنت خليفة رب العالمين؟ قال: ما زلت أقول: القرآن مخلوق صدراً من أيام الواثق حتى أَقدم شيخاً من أَذَنَة، فأُدخل مقيداً، وهو شيخ جميل، حسن الشيبة، فرأيت الواثق قد

استحيا منه، ورقَّ له، فما زال يدنيه حتى قرب منه، وجلس، فقال: ناظر ابن أبي دؤاد، قال: يا أمير المؤمنين، إنه يضعف عن المناظرة، فغضب وقال: أبو عبد الله يضعف عن مناظرتك أنت؟ قال: هَوِّن عليك، وائذن لي، واحفظ علي وعليه. ثم قال: يا أحمد، أخبرني عن مقالتك هذه، هي مقالة واجبة داخلة في عقد الدين، فلا يكون الدين كاملاً حتى تقال؟ قال: نعم. قال: فأخبرنى عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حين بعثه الله، هل ستر شيئا مما أمر به؟ قال: لا، قال: فدعا إلى مقالتك هذه؟ فسكت، فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين، واحدة. قال الواثق: واحدة. ثم قال: أخبرني عن الله -تعالى- حين قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ [المائدة: ٣] أكان الله هو الصادق في إكمال ديننا، أو أنت الصادق في نقصانه حتى يقال بمقالتك؟ فسكت أحمد، فقال الشيخ: اثنتان يا أمير المؤمنين، قال: نعم. فقال: أخبرني عن مقالتك هذه، أعلمها رسول الله أم جهلها؟ قال: علمها، قال: فدعا إليها؟ فسكت، قال الشيخ: ثلاثة، ثم قال: فاتسع لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يمسك عنها، ولم يطالب أمته بها؟ قال: نعم، قال: واتسع ذلك لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي؟ قال: نعم. فأعرض الشيخ عنه، وقال: يا أمير المؤمنين، قد قدمت القول بأن أحمد يضعف عن المناظرة، يا أمير المؤمنين، إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة ما زعم هذا أنه اتسع للنبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، فلا وسَّع الله عليك! قال الواثق: نعم، كذا هو، اقطعوا قيد الشيخ، فلما قطعوه، ضرب - أي: الشيخ - بيده، فأخذه، فقال الواثق: لِمَ أخذته؟ قال: لأني نويت أن أوصي أن يجعل معي في كفني لأخاصم هذا به عند الله، ثم بكى، فبكى الواثق، وبكينا، ثم سأله

الواثق أن يُحَالَّهُ، وأمر له بصلة، فقال: لا حاجة لي بها. ثم قال المهتدي: فرجعت عن هذه المقالة، وأظن الواثق رجع عنها في يومئذ. ١٠ / ٣٠٩ / ٣١٠

وقال الربيع بن سليمان: كان البويطي - أي: يوسف بن يحيى - أبداً يحرك شفتيه بذكر الله، وما أبصرت أحداً أنزع بحجة من كتاب الله من البويطي. ولقد رأيته على بغل في عنقه غُلٌّ، وفي رجليه قيد، وبينه وبين الغُلِّ سلسلة فيها لبنة وزنها أربعون رطلا، وهو يقول: إنما خلق الله الخلق بـ " كن "، فإذا كانت مخلوقة، فكأن مخلوقاً خُلِقَ بمخلوق. ولئن أُدْخِلْتُ عليه لأَصْدُقَنَّه، يعني: الواثق، ولأموتنَّ في حديدي هذا حتى يأتي قوم يعلمون أنه قد مات في هذا الشأن قوم في حديدهم. ١٢ / ٥٩

(٤١٥) من صفات أهل الحسبة: " العلم بما ينكرونه "

قال أبو المظفر في كتاب "مرآة الزمان": قال عبد الصمد بن المهتدي: لما دخل المأمون بغداد، نادى بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك لأن الشيوخ بقوا يضربون ويحبسون، فنهاهم المأمون، وقال: قد اجتمع الناس على إمام. فمر أبو نعيم - أي: الفضل بن دكين -، فرأى جندياً وقد أدخل يديه بين فخذي امرأة، فنهاه بعنف، فحمله إلى الوالي، فحمله الوالي إلى المأمون. قال: فأدخلت عليه بكرة وهو يُسَبِّح، فقال: توضأ. فتوضأت ثلاثا ثلاثا على ما رواه عبدُ خيرٍ، عن علي، فصليت ركعتين، فقال: ما تقول في رجل مات عن أبوين؟ فقلت: للأم الثلث، وما بقي للأب. قال: فإن خلف أبويه وأخاه؟ قلت: المسألة بحالها، وسقط الأخ. قال: فإن خلف أبوين وأخوين؟ قلت: للأم السدس وما بقي للأب. قال: في قول الناس كلهم؟ قلت: لا، إن جدك

ابن عباس يا أمير المؤمنين ما حجب الأم عن الثلث إلا بثلاثة إخوة. فقال: يا هذا، من نهى مثلك عن الأمر بالمعروف؟! إنما نهينا أقواما يجعلون المعروف منكراً. ثم خرجت. ١٠ / ١٥٠

(٤١٦) "الفهم" شرط لمن يؤخذ عنه

محمد بن مسلم بن وارة، سمعت أبا نعيم – أي: الفضل بن دكين – يقول: ينبغي أن يكتب هذا الشأن عمن كتب الحديث يوم كتب، يدري ما كتب، صدوق مؤتمن عليه، يحدث يوم يحدث، يدري ما يحدث. ١٠ / ١٥٣–١٥٤

(٤١٧) من مُلَح العلماء!

وقد كان أبو نعيم – أي: الفضل بن دكين – ذا دعابة، فروى علي بن العباس المقانعي، سمعت الحسين بن عمرو العنقزي يقول: دقَّ رجلٌ على أبي نعيم الباب، فقال: من ذا؟ قال: أنا، قال: من أنا؟ قال: رجل من ولد آدم، فخرج إليه أبو نعيم، وقبله، وقال: مرحباً وأهلا، ما ظننت أنه بقي من هذا النسل أحد! ١٠ / ١٥٤

(٤١٨) ذهب الذين يعاش في أكنافهم!

الكديمي، سمعت أبا نعيم – أي: الفضل بن دكين – يقول: كثر تعجبي من قول عائشة: ذهب الذين يعاش في أكنافهم، لكني أقول:

ذَهَبَ النَّاسُ فَاسْتَقَلُّوا وصِرْنَا ... خَلَفًا فِي أَرَاذِلِ النَّسْنَاسِ

فـي أُنَـاسٍ نَعُـدُّهُم مِـن عَدِيـدٍ   فـإِذَا فُتِّشُـوا فَلَيْـسُـوا بِنَـاسِ
كُلَّمَـا جِئْتُ أبْتَغِي النَّيْلَ مِنْـهُمْ   بَـدَرُونِي قَبْـلَ السُّؤَالِ بِيَـاسِ
وبَكَـوْا لِـي حَـتَّى تَمَنَّيْتُ أنِّـي   مِنْهُـم قـد أُفْلِتُ رَأْسًـا بِـرَاسِ

١٠ / ١٥٦ — ١٥٧

(٤١٩) أهمية علم النحو

قال أبو داود السنجي: سمعت الأصمعي يقول: إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قوله -عليه السلام-: (مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ). ١٠ / ١٧٨

(٤٢٠) حفظ عجيب!

وروى ثعلب، عن أحمد بن عمر النحوي قال: قدم الحسن بن سهل، فجمع أهل الأدب، وحضرت، ووقَّعَ الحسن على خمسين رقعة، وجرى ذكر الحفاظ، فذكرنا الزهري وقتادة، فقال الأصمعي: فأنا أعيد ما وقع به الأمير على التوالي، فأحضرت الرقاع، فقال: صاحب الرقعة الأولى كذا وكذا، واسمه كذا وكذا، ووقع له بكذا وكذا، والرقعة الثانية كذا، والثالثة... حتى مر على نيِّف وأربعين رقعة، فقال نصر بن علي الجهضمي: أيها المرء أبق على نفسك من العين.

وقد روى نحوها من وجه آخر، وقال: حسبك لا تقتل بالعين، وقال: يا غلام احمل معه خمسين ألفا. ١٠ / ١٨٠

وقال أبو أحمد عبدالله بن عدي الحافظ: سمعت عدة مشايخ يحكون أن محمد بن إسماعيل البخاري قدم بغداد، فسمع به أصحاب الحديث، فاجتمعوا وعمدوا إلى مئة حديث، فقلبوا متونها وأسانيدها، وجعلوا متن هذا الإسناد هذا، وإسناد هذا المتن هذا، ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها على البخاري في المجلس، فاجتمع الناس، وانتدب أحدهم، فسأل البخاري عن حديث من عشرته، فقال: لا أعرفه. وكذلك حتى فرغ من عشرته. فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض، ويقولون: الرجل فَهِمَ. ومن كان لا يدري قضى على البخاري بالعجز. ثم انتدب آخر، ففعل كما فعل الأول. والبخاري يقول: لا أعرفه. ثم الثالث وإلى تمام العشرة أنفس، وهو لا يزيدهم على: لا أعرفه. فلما علم أنهم قد فرغوا، التفت إلى الأول منهم، فقال: أما حديثك الأول فكذا، والثاني كذا، والثالث كذا إلى العشرة، فرد كل متن إلى إسناده. وفعل بالآخرين مثل ذلك. فأقرَّ له الناس بالحفظ. فكان ابن صاعد إذا ذكره يقول: الكبش النطاح. ١٢/ ٤٠٨-٤٠٩

وقال أبو طالب أحمد بن إسحاق بن البهلول: تذاكرت أنا وابن صاعد ما حدَّث به جدي ببغداد، فقلت له: قال لي أنيس المستملي: إنه حدث من حفظه بأربعين ألف حديث. فقال ابن صاعد: لا يدري أنيس ما قال، حدَّث إسحاق بن البهلول من حفظه ببغداد بأكثر من خمسين ألف حديث. ١٢/ ٤٩٠

(٤٢١) كل بدعة ضلالة

وسمعته - أي: قال ابن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الداراني - يقول: ليس لمن أُلهم شيئاً من الخيرات أن يعمل به حتى يسمعه من الأثر. ١٠/ ١٨٣

قال الحافظ عبد القادر: وكان السلفي - أي: أبو طاهر أحمد بن محمد - آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، حتى إنه قد أزال من جواره منكرات كثيرة. ورأيه يوما، وقد جاء جماعة من المقرئين بالألحان، فأرادوا أن يقرؤوا فمنعهم من ذلك، وقال: هذه القراءة بدعة، بل اقرءوا ترتيلا، فقرؤوا كما أمرهم. ٢١ / ٢٥

(٤٢٢) الفتوة الحقيقية

وعنه - أي: عن أبي سليمان الداراني -: الفتوة: أن لا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك. ١٠ / ١٨٥

(٤٢٣) وقت الغناء!!

روى إبراهيم بن إسماعيل الكاتب أنها - أي: عُلَيَّة بنت المهدي - كانت لا تغني إلا زمن حيضها، فإذا طهرت أقبلت على التلاوة والعلم، إلا أن يدعوها الخليفة، ولا تقدر تخالفه. ١٠ / ١٨٧

(٤٢٤) سوء خاتمة شاعر

ومن المديح - أي: ومن مديح: أبي الحسن العَكَوَّك -:

إنَّمَا الدُّنْيَا أبُو دَلَفٍ ... بَيْنَ مَغْزَاهُ ومُخْتَصَرِه

فإذا وَلَّى أبُو دَلَفٍ ... وَلَّتِ الدُّنْيَا علَى أَثَرِه

كانَ مَنْ فِي الأرْضِ مِنْ عَرَبٍ ... بين بَادِيه إلى حَضَرِه

مُـستعـيرٌ مِنْـكَ مَكْرُمَـةً يـكْتَـسِيهَا يَـوْمَ مُفْتَخَـرِه

وهي طويلة بديعة وازن بها قصيدة أبي نواس:

أيُّهَـا المنتـاب عـن عفـره لـست مـن ليلـي ولا سمـره

قال ابن عنين: ما يصلح أن يفاضل بين القصيدتين إلا من يكون في درجة هذين الشاعرين.

وقال ابن المعتز في "طبقات الشعراء": لما بلغ المأمون خبر هذه القصيدة غضب، وقال: اطلبوه، فطلبوه، فلم يقدروا عليه، لأنه كان مقيماً بالجبل، ففر إلى الجزيرة، ثم إلى الشامات، فظفروا به، فحُمِل مقيداً إلى المأمون، فقال: يا ابن اللخناء، أنت القائل:

كُلُّ مَنْ فِي الأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ ....

جعلتنا نستعير منه المكارم؟ قال: يا أمير المؤمنين أنتم أهل بيت لا يقاس بكم، قال: والله ما أبقيت أحداً، وإنما أستحل دمك بكفرك، حيث تقول:

أنتَ الـذي تُنْزِلُ الأيَّامَ منْزِلُـهَا وتَنْقِلُ الدَّهْرَ مِن حَالٍ إلى حَالِ

وما مَدَدْتَ مَدى طرفٍ إلى أَحَدٍ إلاّ قَضَيْتَ بِأَرْزَاقٍ وآجَالِ

ذاك هو الله، أخرجوا لسانه من قفاه، ففعلوا به، فمات. ١٠ / ١٩٢ – ١٩٤

(٤٢٥) وصف حسناء

وهو – أي: أبو العتاهية – القائل:

حَسْنَاءُ لا تَبْتَغِي حُلِيًا إذَا بَرَزَتْ لأنَّ خَالِقَهَا بالحُسْنِ حَلاَّهَا

قَامَتْ تَمَشَّى فَلَيْتَ اللهُ صَيَّرَنِي ذَاكَ التُّرَابِ الَّذِي مَسَّتْهُ رِجْلاهَا

١٠ / ١٩٦

وقال - أي: أبو العتاهية -:

إذَا مَا بَدَتْ والبَدْرُ لَيْلَةَ تَمِّهِ رأيْتَ لها وَجْهًا يدُلُّ على عُذْرِي

وتَهْتَزُّ مِنْ تَحْتِ الثِّيَابِ كأنَّها قَضِيبٌ مِنَ الرَّيْحَانِ فِي وَرَقٍ خَضِرِ

أَبَى اللَّهُ إلاَّ أنْ أَمُوتَ صَبَابَةً بِسَاحِرَةِ العَيْنَيْنِ طَيِّبَةِ النَّشْرِ

< جاء في الحاشية (٢): والأبيات قالها في " عتبة " فتاة المهدي >. **١٠ / ١٩٧**

(٤٢٦) شراسة الصغار، دليل على تمام عقلهم عند الكبر!

قال ابن زنجويه: سمعت أبا مسهر - أي: عبدالأعلى - يقول: عَرَامَةُ الصبي في صغره، زيادة في عقله في كبره.

< جاء في الحاشية (٢): والعرامة: الشدة والشراسة >. **١٠ / ٢٣٣**

(٤٢٧) فقه خليفة

روى محمد بن عون، عن ابن عيينة، أن المأمون جلس، فجاءته امرأة، فقالت: مات أخي، وخلف ست مئة دينار، فأعطوني ديناراً واحدا، وقالوا: هذا ميراثك. فحسب المأمون، وقال: هذا خلف أربع بنات. قالت: نعم. قال: لهن أربع مئة دينار. قالت: نعم. قال: وخلَّف أماً فلها مئة دينار، وزوجة لها خمسة وسبعون ديناراً، بالله ألك اثنا عشر أخا؟ قالت: نعم. قال: لكل واحد ديناران، ولك دينار. **١٠ / ٢٧٧**

(٤٢٨) طريقة ظريفة للحفاظ على سرية الرسائل!!

وعن المأمون: من أراد أن يكتب كتابًا سِرًّا، فليكتب بلبَنٍ حُلِبَ لوقْتِه، ويرسله، فيعمد إلى قرطاس، فيحرقه، ويذر رماده على الكتابة، فيُقرأ له. ١٠ / ٢٧٨

(٤٢٩) ضرورة الحوار لإخماد الفتن

وعن يحيى بن أكثم قال: كان المأمون يجلس للمناظرة يوم الثلاثاء، فجاء رجل قد شمَّر ثيابه، ونعلُه في يده، فوقف على طرف البساط، وقال: السلام عليكم. فرد المأمون. فقال: أتاذن لي في الدنو؟ قال: ادن، وتكلم. قال: أخبرني عن هذا المجلس الذي أنت فيه، جلسته باجتماع الأمة أم بالغلبة والقهر؟ قال: لا بهذا ولا بهذا، بل كان يتولى أمر الأمة من عَقَدَ لي ولأخي، فلما صار الأمر إلي، علمت أني محتاج إلى اجتماع كلمة المسلمين على الرضى بي، فرأيت أني متى خليت الأمر، اضطرب حبل الإسلام، ومرج عهدهم، وتنازعوا، وبطل الحج والجهاد، وانقطعت السبل، فقمت حياطة للمسلمين، إلى أن يجمعوا على من يرضونه، فأُسلم إليه. فقال: السلام عليك ورحمة الله. وذهب، فوجه المأمون من يكشف خبره، فرجع، فقال: مضى إلى مسجد فيه خمسة عشر رجلاً في هيئته، فقالوا: لقيت الرجل؟ قال: نعم، وأخبرهم بما جرى، فقالوا: ما نرى بما قال بأساً، وافترقوا. فقال المأمون: كفينا مؤنة هؤلاء بأيسر الخطب. ١٠ / ٢٧٨

وقيل: أُدخل خارجي على المأمون، فقال: ما حملك على الخلاف؟ قال: قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] قال: ألك علم بأنها منزلة؟ قال: نعم. قال: وما دليلك؟ قال: إجماع الأمة. قال: فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل، فارض بإجماعهم في التأويل. قال: صدقت. السلام عليك يا أمير المؤمنين. ١٠ / ٢٨٠

(٤٣٠) مواقف محرجة!

وعن المأمون قال: أعياني جواب ثلاثة:

صرت إلى أم ذي الرياستين الفضل بن سهل أعزيها فيه، وقلت: لا تأسي عليه، فإني عوضه لك، قالت: يا أمير المؤمنين وكيف لا أحزن على ولد أكسبني مثلك.

قال: وأتيت بمتنبئ، فقلت: من أنت؟ قال: أنا موسى بن عمران. قلت: ويحك، موسى كانت له آيات، فائتني بها حتى أومن بك. قال: إنما أتيت بالمعجزات فرعون، فإن قلت: أنا ربكم الأعلى كما قال، أتيتك بالآيات!

وأتى أهل الكوفة يشكون عاملهم، فقال خطيبهم: هو شر عامل، أما في أول سنة، فبعنا الأثاث والعقار، وفي الثانية بعنا الضياع، وفي الثالثة نزحنا وأتيناك، قال: كذبت، بل هو محمود، وعرفت سخطكم على العمال. قال: صدقتَ يا أمير المؤمنين، وكذبتُ، قد خصصتنا به مدة دون باقي البلاد، فاستعمله على بلد آخر ليشملهم من عدله وإنصافه ما شملنا. فقلت: قم في غير حفظ الله، قد عزلته. ١٠ / ٢٨٠ - ٢٨١

قال أبو محمد الخلال: قال لي ابن سمعون - أي: أبو الحسين محمد بن أحمد البغدادي -: ما اسمك؟ قلت: حسن. قال: قد أعطاك الله الاسم، فسله المعنى! ١٦/ ٥٠٧

(٤٣١) طبقات الناس

وعن المأمون قال: الناس ثلاثة: رجل منهم مثل الغذاء لا بد منه، ومنهم كالدواء يحتاج إليه في حال المرض، ومنهم كالداء مكروه على كل حال. ١٠/ ٢٨١

وروى عن إبراهيم الحربي، قال: الناس على أربع طبقات: مليح يتملح، ومليح يتبغض، وبغيض يتملح، وبغيض يتبغض، فالأول: هو المُنى، الثاني: يحتمل، وأما بغيض يتملح، فإني أرحمه، وأما البغيض، الذي يتبغض، فأفر منه. ١٣/ ٣٦٤

(٤٣٢) ألَذُّ النُزَه

وعنه - أي:المأمون - قال: لا نزهة ألذ من النظر في عقول الرجال. ١٠/ ٢٨٢

(٤٣٣) الخليفة المثمن

قال نفطويه: يقال للمعتصم: المثمَّن، فإنه ثامن بني العباس، وتملَّك ثماني سنين، وثمانية أشهر. وله فتوحات ثمانية: بابك، وعمورية، والزط، وبحر البصرة، وقلعة الأجراف، وعرب ديار ربيعة، والشاري، وفتح مصر -

يعني قهر أهلها- قبل خلافته. وقتل ثمانية: بابك، والأفشين، ومازيار، وباطيس، ورئيس الزنادقة، و عجيفا، وقارون، وأمير الرافضة.

وقال غير نفطويه: خلف من الذهب ثمانية آلاف ألف دينار، وثمانية عشر ألف ألف درهم، وثمانين ألف فرس، وثمانية آلاف مملوك، وثمانية آلاف جارية، وبنى ثمانية قصور. وقيل: بلغ مماليكه ثمانية عشر ألفا، وكان ذا سطوة إذا غضب لا يبالي من قتل. ١٠ / ٣٠٢ – ٣٠٣

(٤٣٤) أدب السؤال

حدثنا يحيى بن أكثم: قال لي المأمون: من تركتَ بالبصرة؟ فوصفت له مشايخ منهم سليمان بن حرب، وقلت: هو ثقة حافظ للحديث، عاقل، في نهاية الستر والصيانة. فأمرني بحمله إليه، فكتبت إليه في ذلك، فقدم، فاتفق أني أدخلته إليه، وفي المجلس ابن أبي دؤاد، وثمامة، وأشباه لهما، فكرهت أن يدخل مثله بحضرتهم، فلما دخل، سلم، فأجابه المأمون، ورفع مجلسه، ودعا له سليمان بالعز والتوفيق، فقال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين، نسأل الشيخ عن مسألة؟ فنظر المأمون إليه نظر تخيير له، فقال سليمان: يا أمير المؤمنين، حدثنا حماد بن زيد قال: قال رجل لابن شبرمة: أسألك؟ قال: إن كانت مسألتك لا تضحك الجليس، ولا تزري بالمسئول، فَسَلْ. وحدَّثنا وهيب قال: قال إياس بن معاوية: مِن المَسائل ما لا ينبغي للسائل أن يسأل عنها، ولا للمجيب أن يجيب فيها. فإن كانت مسألته من غير هذا، فليسأل، وإن كانت من هذا فليمسك. قال: فهابوه، فما نطق أحد منهم حتى قام، وولاه قضاء مكة، فخرج إليها. ١٠ / ٣٣٢ – ٣٣٣

(٤٣٥) العلماء يثبت بعضهم بعضاً على الحق

قال أبو بكر الأعين: أتيت آدم العسقلاني، فقلت له: عبد الله بن صالح كاتب الليث يقرئك السلام، فقال: لا تُقْرِئْهُ مني السلام. قلت: ولم؟ قال: لأنه قال: القرآن مخلوق. فأخبرته بعذره، وأنه أظهر الندامة، وأخبر الناس بالرجوع. قال: فأقرئه السلام، وإذا أتيت أحمد بن حنبل، فأقره السلام، وقل له: يا هذا، اتق الله، وتقرب إلى الله تعالى بما أنت فيه، ولا يَسْتَفِزَّنَّكَ أحد، فإنك -إن شاء الله- مشرف على الجنة، وقل له:أخبرنا الليث، عن ابن عجلان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (مَنْ أَرَادَكُم عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلا تُطِيعُوهُ) قال: فأبلغت ذلك أبا عبد الله، فقال: رحمه الله حيًّا وميِّتًا، فلقد أحسن النصيحة. ١٠ / ٣٣٦

(٤٣٦) الحرص على ضبط العلم

وقال أبو عمار الحسين بن حريث: قلت للشقيقي - أي: علي بن الحسن بن شقيق -: سمعتَ من أبي حمزة كتاب الصلاة؟ قال: قد سمعت، ولكن نهق حمار يوماً، فاشتبه علي حديث، فلا أدري أي حديث هو، فتركت الكتاب كله. ١٠ / ٣٥١ — ٣٥٢

وقال يعقوب الفسوي: كان - أي: سعيد بن منصور - إذا رأى في كتابه خطأً، لم يرجع عنه.

قلت: أين هذا من قرينه يحيى بن يحيى الخراساني الإمام، الذي كان إذا شك في حرف، أو تردد، ترك الحديث كله ولم يروه. ١٠ / ٥٩٠

(٤٣٧) من صور العبادة

يحيى بن معين: كان المعلى بن منصور يوماً يصلي، فوقع على رأسه كور الزنابير، فما التفت ولا انفتل حتى أتم صلاته، فنظروا فإذا رأسه قد صار هكذا من شدة الانتفاخ. ١٠ / ٣٦٨

قال الفضل بن محمد الشعراني: ما رأيت عبد الله بن صالح - أي: الجهني - إلا وهو يُحَدِّثُ أو يُسَبِّح. ١٠ / ٤١٤

(٤٣٨) عقوبة متهاون في أداء الجمعة

روى غير واحد عن محمد بن كثير، عن الأوزاعي قال: كان عندنا ببيروت صياد، يخرج يوم الجمعة يصطاد، ولا يمنعه مكان الجمعة، فخرج يوماً، فخُسِفَ به وببغلته، فلم يبق منها إلا أُذُناها وذنبها. ١٠ / ٣٨٢

(٤٣٩) علامات المحبة الصادقة

وعنه - أي: عن أبي عبد الله الصوري - قال: علامة الحب لله المراقبة للمحبوب، والتحري لمرضاته. ١٠ / ٣٩١

الحسن بن زياد: أخذ الفضيل بن عياض بيدي فقال: يا حسن، ينزل الله إلى سماء الدنيا، فيقول: كذب من ادعى محبتي، فإذا جَنَّه الليل نام عني. ١٤ / ٤٢٤

وسئل - أي: أبو محمد المرتعش -: بماذا ينال العبد المحبة؟ قال: بموالاة أولياء الله، ومعاداة أعداء الله. ١٥ / ٢٣١

(٤٤٠) المسألة ذل

وعنه - أي: عن أبي عبد الله الصوري - قال: كذب من ادعى المعرفة ويده ترعى في قصاع المكثرين، من وضع يده في قصعة غيره ذل له. ١٠ / ٣٩١

(٤٤١) من أخطاء القراء

قال يحيى بن بكير: أبطأ حبيب، فقال مالك: ليقرأ بعضكم، فقرأ عبدالملك بن مسلمة، فلما مر بابن شهاب، قال: شهاب - فعل ذلك مراراً -، وضجر مالك، وكان يغيب، فيكتب في ألواحه ما يسمع من مالك، فيقول: أنا كتبته. فيعجب من تغفله. وقرأ لنا على مالك في النذور قال: فقرَّبت إليه " جزءً وفتىً مكسوراً "، فضحك مالك وقال: " جِرْوَ قِثَّاءٍ مكسوراً " عافاك الله. رواها ابن يونس، حدثنا عبدالوهاب بن سعد، حدثنا عمرو بن أحمد بن السرح، حدثنا ابن بكير، فذكرها كلها. ١٠ / ٤٤٥ - ٤٤٦

(٤٤٢) الهوى يُعمي ويُصم

قال أحمد بن حنبل: أخبرني رجل من أصحاب الحديث أن يحيى بن صالح قال: لو ترك أصحاب الحديث عشرة أحاديث -يعني هذه التي في الرؤية- ثم قال أحمد: كأنه نزع إلى رأي جَهْمٍ.

قلت: والمعتزلة تقول: لو أن المحدثين تركوا ألف حديث في الصفات والأسماء والرؤية، والنزول، لأصابوا. والقدرية تقول: لو أنهم تركوا سبعين حديثاً في إثبات القدر. والرافضة تقول: لو أن الجمهور تركوا من الأحاديث التي يدَّعون صحتها ألف حديث، لأصابوا، وكثير من ذوي الرأي يردون أحاديث شَافَهَ بها الحافظ المفتي المجتهد أبو هريرة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ويزعمون أنه ما كان فقيها، ويأتوننا بأحاديث ساقطة، أو لا يعرف لها إسناد أصلا محتجين بها.

قلنا: وللكل موقف بين يدي الله تعالى. يا سبحان الله! أحاديث رؤية الله في الآخرة متواترة، والقرآن مصدق لها، فأين الإنصاف؟ **١٠ / ٤٥٥**

(٤٤٣) مكانة الجود

وعنه - أي: عن بشر بن الحارث -: شاطر سخي أحب إلى الله من صوفي بخيل. **١٠ / ٤٧٢**

(٤٤٤) من صور الرياء

وعنه - أي: عن بشر بن الحارث - قال: قد يكون الرجل مرائياً بعد موته، يحب أن يكثر الخلق في جنازته. **١٠ / ٤٧٣**

وقال أبو بكر الرازي: سمعته - أي: أبو علي محمد بن عبدالوهاب الثقفي - يقول: ترك الرياء للرياء، أقبح من الرياء. **١٥ / ٢٨٣**

(٤٤٥) الغنيمة الباردة

وكان - أي: أحمد بن عاصم الأنطاكي - يقول: غنيمة باردة: أصلح ما بقي يغفر لك ما مضى. ١٠ / ٤٨٨

(٤٤٦) تجنب لباس الشهرة

أوصى - أي: يحيى بن يحيى التميمي - بثياب بدنه لأحمد بن حنبل، فلما قدمت على أحمد، أخذ منها ثوباً... ورد الباقي، وقال: إنه ليس تفصيل ثيابه من زي بلدنا. ١٠ / ٥١٧

(٤٤٧) مراعاة أحوال الطلبة

كان - أي: يحيى بن يحيى الليثي - عند مالك بن أنس -رحمه الله، فمر على باب مالِك الفيل، فخرج كل من كان في مجلسه لرؤية الفيل، سوى يحيى بن يحيى، فلم يقم، فأعجب به مالك، وسأله: من أنت؟ وأين بلدك؟ ثم لم يزل بعد مكرما له. ١٠ / ٥٢١

(٤٤٨) خدمة العلماء

وعن يحيى بن يحيى، قال: أخذت بركاب الليث - أي: ابن سعد -، فأراد غلامه أن يمنعني فقال الليث: دعه. ثم قال لي: خدمَك العلم. قال: فلم تزل بي الأيام حتى رأيت ذلك. ١٠ / ٥٢١

(٤٤٩) من أسباب انتشار مذهب الإمام مالك في الأندلس

قال أبو القاسم بن بشكوال الحافظ: كان يحيى بن يحيى مجاب الدعوة، قد أخذ نفسه في هيئته ومقعده هيئة مالك الإمام بالأندلس، فإنه عرض عليه قضاء الجماعة، فامتنع، فكان أمير الأندلس لا يولي أحدا القضاء بمدائن إقليم الأندلس، إلا من يشير به يحيى بن يحيى، فكثر لذلك تلامذة يحيى بن يحيى، وأقبلوا على فقه مالك، ونبذوا ما سواه. ١٠ / ٥٢٤

(٤٥٠) مِن تقعر المتكلمين!

قال المبرد: قال رجل لهشام الفوطي: كم تعد من السنين؟ قال: من واحد إلى أكثر من ألف. قال: لم أرد هذا، كم لك من السِّنِّ؟ قال: اثنان وثلاثون سِنًّا. قال: كم لك من السنين؟ قال: ما هي لي، كلها لله. قال: فما سنك؟ قال: عظم. قال: فابن كم أنت؟ قال: ابن أم وأب. قال: فكم أتى عليك؟ قال: لو أتى علي شيء، لقتلني، قال: ويحك، فكيف أقول؟ قال: قل: كم مضى من عمرك.

قلت: هذا غاية ما عند هؤلاء المتقعرين من العلم، عبارات وشقاشق لا يعبأ الله بها، ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦] قديما وحديثا، فنعوذ بالله من الكلام أهله. ١٠ / ٥٤٧

(٤٥١) من حوادث قُطَّاع الطرق!

قال علي بن المغيرة الأثرم: حدثنا إبراهيم - أي: ابن المهدي العباسي -: أنه ولي إمرة دمشق أعواماً لم يُقطع فيها على أحد طريق. وحُدِّثْتُ أن الآفة في قطع الطريق من دعامة ونعمان ويحيى بن أرميا اليهودي البلقاوي، وأنهم لم يضعوا يدهم في يد عامل، فكاتبتهم. فتاب دعامة، وحلف النعمان بالأيمان أنه لا يؤذي مهما وليت، وطلب ابن أرميا أماناً ليأتي، ويناظر، فأجبته. فقدم شاب أشعر أمعر في أقبية ديباج، ومِنطقة، وسيف محلى، فدخل على الخضراء، فسلم دون البساط، فقلت: اصعد. قال: إن للبساط ذماما، أخاف أن يلزمني جلوسي عليه، وما أدري ما تسومني، قلت: أسلم، وأطع. قال: أما الطاعة فأرجو، ولا سبيل إلى الإسلام، فما عندك إن لم أسلم؟ قلت: لا بد من جزية. قال: أعفني. قلت: كلا. قال: فأنا منصرف على أماني. فأذنت له، وأمرتهم أن يسقوا فرسه، فلما رأى ذلك، دعا بدابة غلامه، وترك فرسه، وقال: لن آخذ شيئا ارْتَفَقَ منكم، فأحاربكم عليه. فاستحييت وطلبته، فلما دخل، قلت: الحمد لله، ظفرت بك بلا عهد. قال: وكيف؟ قلت: لأنك انصرفت من عندي، وقد عدت، قال: شرطك أن تصرفني إلى مأمني، فإن كان دارك مأمني، فلست بخائف، وإن كان مأمني أرضي، فردني. فجهدت به أن يؤدي جزية على أن أهبه في السنة ألفي دينار، فأبى، وذهب، فأَسعر الدنيا شراً، وحُمِل مال من مصر، فتعرض له، فكتب النعمان إلي، فأمرته بمحاربته، فسار النعمان، ووافاه اليهودي في جماعته، فسأله النعمان الانصراف، فأبى، وقال: بارزني، وإن شئت برزت

وحدي إليك وإلى جندك. فقال النعمان: يا يحيى، ويحك أنت حدث قد بليت بالعجب، ولو كنت من أنفس قريش لما أمكنك معارة السلطان، وهذا الأمير هو أخو الخليفة، وأنا -وإن افترقنا في الدين- أحب أن لا يقتل على يدي فارس، فإن كنت تحب السلامة، فابرز إلي، ولا يُبْتَلَى بنا غيرنا، فبرز له العصر، فما زالا في مبارزة إلى الليل، فوقف كل منهما على فرسه متكئا على رمحه، فنعس النعمان، فطعنه اليهودي، فيقع سنان رمحه في المنطقة، فدارت، وصار السنان يدور معها، فاعتنقه النعمان، وقال: أغدراً يا ابن اليهودية؟! فقال: أَوَ محارب ينام يا ابن الأمَة؟! فاتَّكأ عليه النعمان، فسقط فوقه، وكان النعمان ضخما، فصار فوقه، فذبح اليهودي، وبعث إليَّ برأسه، فاطمأنت البلاد، ثم ولي بعدي عمي سليمان، فانتهبه أهل دمشق، وسبوا حرمه. ١٠ / ٥٥٧ – ٥٥٩

(٤٥٢) فصاحة صبي

قال – أي: محمد بن عبدالوهاب الفراء –: وسمعت علياً – أي: ابن عثّام – وكان من أفصح الناس، يقول: دفّت إلينا دافة من بني هلال، فخرج صبي، فقال: يا أبة، إن فلانا دفعني في حومة الماء، قلت: يا بني، ما حومة الماء؟ قال: بُعْثُطُه، قلت: وما بعثطه؟ قال: مَجَمَّةُ الماء، قلت: وما مجمة الماء؟ فقال كلمةً لم أحفظها!

< جاء في الحاشية (١): الدافة: الجماعة من الناس تقبل من بلد إلى بلد >. ١٠ / ٥٧١

(٤٥٣) الصبر على المشقة في الطلب

أحمد بن إبراهيم وراق خلف بن هشام أنه سمع خلفاً يقول: قدمت الكوفة، فصرت إلى سليم بن عيسى، فقال لي: ما أقدمك؟ قلت: أقرأ على أبي بكر بن عياش. فقال: لا تريده، قلت: بلى. فدعا ابنه وكتب معه إلى أبي بكر، لم أدر ما كتب، فأتينا منزل أبي بكر. قال ابن أبي حسان: وكان لخلف تسع عشرة سنة، فلما قرأ الورقة، قال: أدخل الرجل، فدخلت وسلمت، فصعد في النظر، ثم قال: أنت خلف؟ قلت: نعم، قال: أنت لم تخلف ببغداد أحداً أقرأ منك؟ فسكت، فقال لي: اقعد، هات اقرأ، قلت: أعليك؟ قال: نعم، قلت: لا والله، لا أقرأ على رجل يستصغر رجلا من حملة القرآن، ثم خرجت، فوجَّه إلى سليم يسأله أن يردني فأبيت، ثم إني ندمت واحتجت، فكتبت قراءة عاصم عن يحيى بن آدم عن أبي بكر. ١٠ / ٥٧٩ - ٥٨٠

(٤٥٤) أول من جمع المسند وصنفه

قال أبو بكر الخطيب: يقال: إن أول من جمع المسند وصنفه نعيم - أي: ابن حماد -. ١٠ / ٥٩٧

(٤٥٥) ما يُبذل من العلم وما لا يُبذل

وقد قال علي رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون، ودعوا ما ينكرون. وقد صح أن أبا هريرة كتم حديثاً كثيراً مما لا يحتاجه المسلم في

دينه. وكان يقول: لو بثثته فيكم لقُطع هذا البلعوم، وليس هذا من باب كتمان العلم في شيء؛ فإن العلم الواجب يجب بثه ونشره، ويجب على الأمة حفظه، والعلم الذي في فضائل الأعمال مما يصح إسناده يتعين نقله ويتأكد نشره، وينبغي للأمة نقله، والعلم المباح لا يجب بثه ولا ينبغي أن يدخل فيه إلا خواص العلماء.

والعلم الذي يحرم تعلمه ونشره علم الأوائل وإلهيات الفلاسفة وبعض رياضتهم بل أكثره وعلم السحر، والسيمياء، والكيمياء، والشعبذة، والحيل، ونشر الأحاديث الموضوعة، وكثير من القصص الباطلة أو المنكرة، وسيرة البُطَّال المختلقة، وأمثال ذلك، ورسائل إخوان الصفا، وشعر يعرض فيه إلى الجَناب النبوي، فالعلوم الباطلة كثيرة جداً فلتحذر. ومن ابتلي بالنظر فيها للفرجة والمعرفة من الأذكياء، فليقلل من ذلك، وليطالعه وحده، وليستغفر الله تعالى، وليلتجئ إلى التوحيد، والدعاء بالعافية في الدين، وكذلك أحاديث كثيرة مكذوبة وردت في الصفات لا يحل بثُّها إلاَّ التحذير من اعتقادها، وإن أمكن إعدامها فحسن. اللهم فاحفظ علينا إيماننا، ولا قوة إلا بالله. ١٠ / ٦٠٣ – ٦٠٤

(٤٥٦) العلم صيدٌ..

وروى محمد بن يوسف السمرقندي، عن محمد بن مبشر الكرميني، قال: انكسر قلم محمد بن سلام البيكندي في مجلس شيخ، فأمر أن ينادى: قلم بدينار!، فطارت إليه الأقلام!! ١٠ / ٦٢٩

(٤٥٧) المداومة على العبادة

قيل: كان - أي: بشر بن الوليد - وِرده في اليوم مئتي ركعة، وكان يحافظ عليها بعد ما فُلِج واندكّ، رحمه الله. ١٠ / ٦٧٤

(٤٥٨) المعاقبة بين "الضاد" والظاء"

وكان - أي: محمد بن زياد بن الأعرابي - يقول: جائز في كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء.

< جاء في الحاشية (٥): " إنباه الرواة " ٣ / ١٣٠ وتتمته فيه: فلا يخطئ من جعل هذه في موضع هذه، وينشد:

إلى الله أشكو من خليل أودّه ثلاث خلال كلها لي غائض

بالضاد، ويقول: هكذا سمعت من فصحاء العرب >. ١٠ / ٦٨٨

(٤٥٩) المعاقبة بين "الصاد" والسين"

وروى البرقاني عن أبي حاتم بن أبي الفضل الهروي قال: بلغني أن صالحاً - أي: ابن محمد بن أبي الأشرس الملقب بـ: " جزرة " - سمع بعض الشيوخ يقول: إن السين والصاد يتعاقبان. فسأل بعض تلامذته عن كنيته، فقال له: أبو صالح. قال: فقلت للشيخ: يا أبا سالح: أسلحك الله، هل يجوز أن تقرأ: (نَحنُ نَقُسُّ عَليكَ أحسنَ القَسَسِ)؟ فقال بعض تلامذته: تواجه الشيخ بهذا؟ فقلت: فلا يكذب، إنما تتعاقب السين والصاد في مواضع. ١٤ / ٢٨

أبو علي صالح بن محمد: دخلت مصر فإذا حلقة ضخمة، فقلت: من هذا؟ قالوا: صاحب نحو. فقربت منه، فسمعته يقول: ما كان بصادٍ جاز بالسين. فدخلت بين الناس، وقلت: صلام عليكم يا أبا سالح، سلّيتم بعد؟ فقال لي: يا رقيع! أي كلام هذا؟ قلت: هذا من قولك الآن. قال: أظنك من عياري بغداد. قلت: هو ما ترى. ١٤/ ٣١

(٤٦٠) الأصدقاء الحقيقيون

(قال علي بن المديني): غبت عن البصرة في مخرجي إلى اليمن -أظنه ذكر ثلاث سنين- وأمي حية. فلما قدمت، قالت: يا بني: فلان لك صديق، وفلان لك عدو. قلت: من أين علمت يا أمه؟ قالت: كان فلان وفلان، فذكرت منهم يحيى بن سعيد يجيئون مسلّمين، فيُعَزُّوني، ويقولون: اصبري، فلو قدم عليك، سرك الله بما ترين. فعلمت أن هؤلاء أصدقاء. وفلان وفلان إذا جاءوا، يقولون لي: اكتبي إليه، وضيقي عليه ليقدم. ١١/ ٤٩

(٤٦١) فتنة أهل العلم

الحسين بن فهم: حدثني أبي، قال: قال ابن أبي دؤاد للمعتصم: يا أمير المؤمنين، هذا يزعم -يعني: أحمد بن حنبل- أن الله يُرى في الآخرة، والعين لا تقع إلا على محدود، والله لا يُحَدّ. فقال: ما عندك؟ قال: يا أمير المؤمنين عندي ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: وما هو؟ قال: حدثني غندر، حدثنا شعبة، عن إسماعيل، عن قيس، عن جرير، قال: (كنا مع

النبي -صلى الله عليه وسلم- في ليلة أربع عشرة، فنظر إلى البدر، فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا البدر، لا تضامون في رؤيته). فقال لابن أبي دؤاد: ما تقول؟ قال: أَنظرُ في إسناد هذا الحديث، ثم انصرف. فوجه إلى علي بن المديني، وعلي ببغداد مُمْلِق، ما يقدر على درهم، فأحضره، فما كلمه بشيء حتى وصله بعشرة آلاف درهم، وقال: هذه وصلك بها أمير المؤمنين، وأمر أن يدفع إليه جميع ما استحق من أرزاقه. وكان له رَزْق سنتين. ثم قال له: يا أبا الحسن حديث جرير بن عبد الله في الرؤية ما هو؟ قال: صحيح. قال: فهل عندك عنه شيء؟ قال: يعفيني القاضي من هذا. قال: هذه حاجة الدهر. ثم أمر له بثياب وطيب ومركب بسرجه ولجامه. ولم يزل حتى قال له: في هذا الإسناد من لا يُعْمَل عليه، ولا على ما يرويه، وهو قيس بن أبي حازم، إنما كان أعرابيا بَوَّالا على عقبيه. فقبَّل ابن أبي دؤاد علياً واعتنقه. فلما كان الغد، وحضروا، قال ابن أبي دؤاد: يا أمير المؤمنين: يحتج في الرؤية بحديث جرير، وإنما رواه عنه قيس، وهو أعرابي بوال على عقبيه؟ قال: فقال أحمد بعد ذلك: فحين أطلع لي هذا، علمت أنه من عمل علي بن المديني، فكان هذا وأشباهه من أَوْكَد الأمور في ضربه.

قال الخطيب: أما ما حُكي عن علي في هذا الخبر من أنه لا يعمل على ما يرويه قيس، فهو باطل. قد نزه الله علياً عن قول ذلك؛ لأن أهل الأثر -وفيهم علي- مجمعون على الاحتجاج برواية قيس وتصحيحها، إذ كان من كبراء تابعي أهل الكوفة. وليس في التابعين من أدرك العشرة، وروى عنهم، غير قيس مع روايته عن خلق من الصحابة. إلى أن قال: فإن كان هذا

محفوظا عن ابن فهم، فأحسب أن ابن أبي دؤاد، تكلم في قيس بما ذكر في الحديث، وعزا ذلك إلى ابن المديني. والله أعلم.

قلت: إن صحت الحكاية، فلعل علياً قال في قيس ما عنده عن يحيى القطان، أنه قال: هو منكر الحديث، ثم سمّى له أحاديث استنكرها، فلم يصنع شيئا، بل هي ثابتة، فلا ينكر له التفرد في سعة ما روى، من ذلك حديث كلاب الحوأب، وقد كاد قيس أن يكون صحابيا، أسلم في حياة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم هاجر إليه، فما أدركه، بل قدم المدينة بعد وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بليال. وقد قال يحيى بن معين فيما نقله عنه معاوية بن صالح، كان قيس بن أبي حازم أوثق من الزهري.

نعم، ورؤية الله -تعالى- في الآخرة منقولة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- نقل تواتر، فنعوذ بالله من الهوى، ورد النص بالرأي.

قال أبو داود: أجود التابعين إسناداً قيس بن أبي حازم، قد روى عن تسعة من العشرة، لم يرو عن عبد الرحمن بن عوف. **١١ / ٥٢ – ٥٤**

< وجاء في حاشية (١) ص: " ٣٢٣ " من هذا الجزء: وممن طعن في صحة هذا الخبر أيضاً السبكي في الطبقات: ٢ / ١٤٧ >.

أبو بكر الجرجاني: حدثنا أبو العيناء، قال: دخل ابن المديني إلى ابن أبي دؤاد بعدما تم من محنة أحمد ما جرى، فناوله رقعة، قال: هذه طرحت في داري، فإذا فيها:

يا ابن المديني الذي شرعت له ... دنيا فجاد بدينه لينالها

ماذا دعاك إلى اعتقاد مقالة ... قد كان عندك كافراً من قالها

أمـرٌ بـدا لـك رشـده فقبلتـه؟ أم زهـرة الدنيـا أردت نوالهـا؟

فلقد عهدتك -لا أبا لك- مـرة صعـب المقـادة للـتي تُـدعَى لهـا

إن الحَرِيـب لمـن يُصـاب بدينـه لا مـن يُـرَزَّى ناقـة وفـصالها

فقال له أحمد: هذا بعض شُرَّاد هذا الوثن، يعني: ابن الزيات، وقد هُجي خيار الناس، وما هدم الهجاء حقا، ولا بنى باطلا. وقد قمت وقمنا من حق الله بما يُصَغِّر قدر الدنيا عند كثير ثوابه. ثم دعا له بخمسة آلاف درهم، فقال: اصرفها في نفقاتك وصدقاتك.

قال زكريا الساجي: قدم ابن المديني البصرة، فصار إليه بُنْدار، فجعل علي يقول: قال أبو عبد الله، قال أبو عبد الله، فقال بندار على رءوس الملأ: من أبو عبد الله، أأحمد بن حنبل؟ قال: لا، أحمد بن أبي دُؤَاد. فقال بندار: عند الله أحتسب خطاي، شُبِّهَ عَلَيَّ هذا، وغضب وقام.

قال أبو بكر الشافعي: كان عند إبراهيم الحربي قِمْطَر من حديث ابن المديني، وما كان يحدث به. فقيل له: لم لا تحدث عنه؟ قال: لقيته يوما، وبيده نعله، وثيابه في فمه، فقلت: إلى أين؟ فقال: ألحق الصلاة خلف أبي عبد الله، فظننت أنه يعني أحمد بن حنبل، فقلت: من أبو عبد الله؟ قال: ابن أبي دؤَاد، فقلت: والله لا حدثت عنك بحرف.

وقال سليمان بن إسحاق الجلاب، وآخر: قيل لإبراهيم الحربي: أكان ابن المديني يُتَّهم؟ قال: لا، إنما كان إذا حدث بحديث فزاد في خبره كلمة، ليرضي بها ابن أبي دؤاد. فقيل له: أكان يتكلم في أحمد بن حنبل؟ قال: لا، إنما كان إذا رأى في كتاب حديثا عن أحمد، قال: اضرب على ذا، ليرضي به ابن أبي دؤاد، وكان قد سمع من أحمد، وكان في كتابه: سمعت

أحمد، وقال أحمد، وحدثنا أحمد. وكان ابن أبي دؤاد إذا رأى في كتابه حديثا عن الأصمعي، قال: اضرب على ذا، ليرضيَ نفسه بذلك.

قال إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد: سمعت يحيى بن معين، وذكر عنده علي بن المديني، فحملوا عليه. فقلت: ما هو عند الناس إلا مرتد، فقال: ما هو بمرتد، هو على إسلامه، رجل خاف فقال. ١١ / ٥٥ – ٥٧

(٤٦٢) التذكير بالحق

قال ابن عمار الموصلي في "تاريخه" قال لي علي بن المديني: ما يمنعك أن تكفِّر الجهمية – وكنت أنا أولاً لا أكفرهم؟ (القائل هو: ابن عمار) –. فلما أجاب علي إلى المحنة، كتبت إليه أذكره ما قال لي، وأذكره الله. فأخبرني رجل عنه أنه بكى حين قرأ كتابي. ثم رأيته بعد، فقال لي: ما في قلبي مما قلت، وأجبت إلى شيء، ولكني خفت أن أُقْتل، وتعلم ضعفي أني لو ضربت سوطاً واحداً لمت، أو نحو هذا. ١١ / ٥٧

(٤٦٣) من أجود ما قيل في المديح

(قال أبو تمام) وهي في المعتصم:

تغاير الشعر فيه إذ سَهرت له حتى ظننتُ قوافيه ستقتتل ١١ / ٦٥

ولعمارة – أي: ابن علي اليمني –فيه– أي: في أبي شجاع شاور السعدي، وزير العاضد العبيدي –:

ضَجِر الحديد من الحديد وشاَورٌ في نصر دين محمد لم يضجر

حلف الزمان ليأتين بمثله حنثت يمينك يا زمان فكفِّر ١٥ / ٢١٠ – ٢١١

ولليشكري في أبي عمر - أي: محمد بن عبدالواحد، المعروف بغلام ثعلب -: فلو أنني أقسمت ما كنت كاذباً بأنْ لم ير الراؤون حَبراً يعادله إذا قلتَ شارفنا أواخر علمه تفجر حتى قلتَ هذا أوائله. ١٥ / ٥١٣

(٤٦٤) المنهج في علاج الأخطاء

قال يحيى - أي: ابن معين -: ما رأيت على رجل خطأ إلا سترته، وأحببت أن أُزين أمره، وما استقبلت رجلاً في وجهه بأمر يكرهه، ولكن أبين له خطأه فيما بيني وبينه، فإن قبل ذلك وإلا تركته. ١١ / ٨٣

(٤٦٥) لا يُنال العلم بالعجلة

وقال جعفر بن أبي عثمان: كنا عند يحيى بن معين، فجاءه رجل مستعجل، فقال: يا أبا زكريا، حدثني بشئ أذكرك به. فقال يحيى: اذكرني أنك سألتني أن أحدثك فلم أفعل! ١١ / ٨٧

زكريا بن يحيى الضرير: قلت لأحمد بن حنبل: كم يكفي الرجل من الحديث حتى يكون مفتياً؟ يكفيه مئة ألف؟ فقال: لا. إلى أن قال: فيكفيه خمس مئة ألف؟ قال: أرجو. ١١ / ٢٣٢

(٤٦٦) رجوع العلماء إلى الحق

قال عباس الدوري: حدثنا يحيى بن معين، قال: حضرت نعيم بن حماد بمصر، فجعل يقرأ كتابا صنفه، فقال: حدثنا ابن المبارك، عن ابن عون،

وذكر أحاديث، فقلت: ليس ذا عن ابن المبارك، فغضب، وقال: ترد علي؟ قلت: إي والله، أريد زينك، فأبى أن يرجع، فلما رأيته لا يرجع قلت: لا والله، ما سمعتَ هذه من ابن المبارك، ولا سمعها هو من ابن عون قط. فغضب، وغضب من كان عنده، وقام فدخل، فأخرج صحائف، فجعل يقول، وهي بيده: أين الذين يزعمون أن يحيى بن معين ليس بأمير المؤمنين في الحديث؟ نعم، يا أبا زكريا: غلطت، وإنما روى هذه الأحاديث، غير ابن المبارك، عن ابن عون. **١١ / ٨٩ – ٩٠**

وسمعت أبا إسماعيل الترمذي، يذكر عن ابن نمير، قال: كنت عند وكيع، فجاءه رجل، أو قال: جماعة من أصحاب أبي حنيفة، فقالوا له: هاهنا رجل بغدادي يتكلم في بعض الكوفيين، فلم يعرفه وكيع. فبينا نحن إذ طلع أحمد بن حنبل، فقالوا: هذا هو، فقال وكيع: هاهنا يا أبا عبد الله، فأفرجوا له، فجعلوا يذكرون عن أبي عبد الله الذي ينكرون. وجعل أبو عبد الله يحتج بالأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فقالوا لوكيع: هذا بحضرتك ترى ما يقول؟ فقال: رجل يقول: قال رسول الله، أيش أقول له؟ ثم قال: ليس القول إلا كما قلت يا أبا عبد الله، فقال القوم لوكيع: خدعك والله البغدادي. **١١ / ١٨٦ – ١٨٧**

وقال عبد الله - أي: ابن أحمد بن حنبل -: ما رأيت أبي حدث من غير كتاب إلا بأقل من مئة حديث. وسمعت أبي يقول: قال الشافعي: يا أبا عبد الله: إذا صح عندكم الحديث، فأخبرونا حتى نرجع إليه أنتم أعلم بالأخبار الصحاح منا، فإذا كان خبر صحيح، فأعلمني حتى أذهب إليه، كوفياً كان أو بصرياً أو شاميا.

قلت: لم يحتج إلى أن يقول حجازيا، فإنه كان بصيراً بحديث الحجاز، ولا قال مصرياً، فإن غيرهما كان أقعد بحديث مصر منهما. ١١/ ٢١٣ - ٢١٤

(٤٦٧) من جر ذيول الناس جروا ذيله!

قال إبراهيم بن هانئ: رأيت أبا داود يقع في يحيى بن معين، فقلت له: تقع في مثل يحيى؟ فقال: من جر ذيول الناس جروا ذيله.

قال أبو الربيع محمد بن الفضل البلخي: سمعت أبا بكر محمد بن مهرويه، سمعت علي بن الحسين بن الجنيد، سمعت يحيى بن معين، يقول: إنا لنطعن على أقوام لعلهم قد حطوا رحالهم في الجنة من أكثر من مئتي سنة. قال ابن مهرويه: فدخلت على ابن أبي حاتم، وهو يقرأ على الناس كتاب " الجرح والتعديل "، فحدثته بهذه الحكاية، فبكى وارتعدت يداه حتى سقط الكتاب من يده، وجعل يبكي، ويستعيدني الحكاية، أو كما قال. ١١/ ٩٤ – ٩٥

قال المصنف بعد أن أورد الحكاية السابقة في موضع آخر:

لعلها: " من مئة سنة "، فإن ذلك لا يبلغ في أيام يحيى هذا القدر.

وقال المصنف أيضاً:

أصابه على طريق الوجل وخوف العاقبة، وإلا فكلام الناقد الوَرِع في الضعفاء من النصح لدين الله، والذب عن السنة. ١٣/ ٢٦٨

(٤٦٨) لا تأكل طعاماً لم ينضج!

قال محمد بن جرير الطبري: خرج ابن معين حاجا، وكان أكولا، فحدثني أبو العباس أحمد بن شاه أنه كان في رفقته، فلما قدموا فَيْد، أهدي إلى يحيى فالوذج لم ينضج، فقلنا له: يا أبا زكريا، لا تأكله، فإنا نخاف عليك. فلم يعبأ بكلامنا وأكله، فما استقر في معدته حتى شكا وجع بطنه وانسهل، إلى أن وصلنا إلى المدينة ولا نهوض به. فتفاوضنا في أمره، ولم يكن لنا سبيل إلي المقام عليه لأجل الحج، ولم ندر ما نعمل في أمره. فعزم بعضنا على القيام عليه وترك الحج. وبتنا فلم يصبح حتى وصَّى ومات، فغسلناه ودفناه. ١١ / ٩٠

(٤٦٩) الخوف من استلاب الإيمان

عن يزيد بن مزيد قال: ذُكر الدَّجال في مجلس فيه أبو الدرداء، فقال نوف البِكَالي: لَغير الدجال أخوف مني من الدجال. فقال أبو الدرداء: ما هو؟ قال: أخاف أن أُسلَب إيماني ولا أشعر. فقال أبو الدرداء: ثكلتك أمك يا ابن الكِنْدية، وهل في الأرض خمسون يتخوَّفون ما تتخوف؟ ثم قال: وثلاثين، ثم قال: عشرين، ثم قال: عشرة، ثم قال: خمسة، ثم قال: ثلاثة. والذي نفسي بيده ما أمن عبد على إيمانه إلا سلبه، أو انتزع منه فيفقده، والذي نفسي بيده ما الإيمان إلا كالقميص يتقمصه مرة، ويضعه أخرى. ١١ / ١٠٦ – ١٠٧

(٤٧٠) الجد في الطلب

كان ابن الأعرابي يصف إسحاق - أي: ابن إبراهيم النديم - بالعلم والصدق والحفظ. ويقول: هل سمعتم بأحسن من ابتدائه:

هل إلى أن تنام عيني سبيل إن عهدي بالنوم عهد طويل. ١١ / ١٢٠

(٤٧١) العناية بلسان الصدق

وعن إسحاق - أي: ابن إبراهيم النديم - أنه كان يكره أن يُنسب إلى الغناء، ويقول: لأَن أُضرب على رأسي بالمقارع أحب إلي من أن يقال عني: مغني. ١١ / ١٢٠

قال أبو طالب بن عبد السميع: كان من ألفاظ المستظهر - أي العباسي -:

خير ذخائر المرء لدنياه ذكر جميل، ولآخرته ثواب جزيل. ١٩ / ٣٩٨

(٤٧٢) أهمية الحفظ في الصغر

قال محمد بن عمر بن العلاء الجرجاني: سمعت أبا بكر بن أبي شيبة، وأنا معه في جَبّانة كِندة، فقلت له: يا أبا بكر، سمعتَ من شَريك وأنت ابن كم؟ قال: وأنا ابن أربع عشرة سنة، وأنا يومئذ أحفظ للحديث مني اليوم.

قلت: صدق والله، وأين حفظ المراهق من حفظ من هو في عشر الثمانين؟ ١١ / ١٢٤

(٤٧٣) من أقوال حكماء الهند

(قال داود بن رُشَيد): قالت حكماء الهند: لا ظفر مع بغي، ولا صحة مع نهم، ولا ثناء مع كبر، ولا صداقة مع خِب، ولا شرف مع سوء أدب، ولا بِرَّ مع شح، ولا محبة مع هزء، ولا قضاء مع عدم فقه، ولا عذر مع إصرار، ولا سِلْمَ قلب مع غيبة، ولا راحة مع حسد، ولا سؤدد مع انتقام، ولا رئاسة مع عزة نفس وعجب، ولا صواب مع ترك مشاورة، ولا ثبات ملك مع تهاون. ١١ / ١٣٤

(٤٧٤) مكانة الطلبة في زمن السلف!

قال الحافظ أحمد بن جوصا: سمعت إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني يقول: كنا عند سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، فلم يأذن للناس ثلاثة أيام، فلما دخلنا عليه، واستزدناه، قال: بلغني ورود هذا الغلام الرازي - يعني: أبا زرعة -، فدرست للالتقاء به ثلاث مئة ألف حديث. ١١ / ١٣٨

(٤٧٥) الجمع بين العلم والعبادة والغزو

قال صالح بن أحمد الحافظ: صنف- أي: سَندول الهمذاني - كتباً كثيرة، وهو أحد الثقات والصالحين.

وقال غيره: كان كثير الغزو والحج والعبادة، كبير القدر. ١١ / ١٥٧

(٤٧٦) عاقبة الظلم

قال المصنف رحمه الله:

سالم بن حامد: نائب دمشق للمتوكل، كان ظلوماً عسوفا، شد عليه طائفة من أشراف العرب فقتلوه بباب دار الإمارة يوم جمعة سنة بضع وثلاثين ومئتين. فبلغ المتوكل فتنمَّر، وقال: من للشام في صولة الحجاج؟ فندب أفريدون التركي، فسار في سبعة آلاف فارس. ورخص له المتوكل في بذل السيف ضحوتين، وفي نهب البلد. فنزل ببيت لِهْيا. فلما أصبح، قال: يا دمشق، أيش يحل بك اليوم مني. فقدمت له بغلة دهماء ليركبها، فضربته بالزوج على فؤاده فقتلته. فقبره كان معروفاً ببيت لهيا، ورُد عسكره إلى العراق. ثم جاء بعد المتوكل إلى دمشق، وأنشأ قصراً بداريا، وصلح الحال. ١١/ ١٦٢

(٤٧٧) الإمام الشهيد

قال الصولي: كان - أي: الإمام أحمد بن نصر الخزاعي - هو وسهل بن سلامة حين كان المأمون بخراسان بايعا الناس على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم قدم المأمون فبايعه سهل، ولزم ابن نصر بيته، ثم تحرك في آخر أيام الواثق، واجتمع إليه خلق يأمرون بالمعروف. قال: إلى أن ملكوا بغداد، وتعدَّى رجلان موسران من أصحابه، فبذلا مالا، وعزما على الوثوب في سنة إحدى وثلاثين، فنمَّ الخبرُ إلى نائب بغداد إسحاق بن إبراهيم، فأخذ أحمد وصاحبيه وجماعة، ووجد في منزل أحدهما أعلاما،

وضرب خادماً لأحمد، فأقر بأن هؤلاء كانوا يأتون أحمد ليلا، ويخبرونه بما عملوا. فحُمِلوا إلى سامراء مقيدين، فجلس الواثق لهم، وقال لأحمد: دع ما أُخذت له، ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله. قال: أفمخلوق هو؟ قال: كلام الله. قال: فترى ربك في القيامة؟ قال: كذا جاءت الرواية. قال: ويحك يرى كما يرى المحدود المتجسم، ويحويه مكان ويحصره ناظر؟ أنا كفرت بمن هذه صفته، ما تقولون فيه؟ فقال قاضي الجانب الغربي: هو حلال الدم، ووافقه فقهاء، فأظهر أحمد بن أبي دؤاد أنه كاره لقتله. وقال: شيخ مختل، تغير عقله، يؤخر. قال الواثق: ما أراه إلا مؤدياً لكفره قائما بما يعتقده، ودعا بالصمصامة، وقام. وقال: أحتسب خطاي إلى هذا الكافر. فضرب عنقه بعد أن مدوا له رأسه بحبل وهو مقيد، ونصب رأسه بالجانب الشرقي، وتتبع أصحابه فسجنوا. ١١ / ١٦٧ – ١٦٨

(٤٧٨) أثر الجود

قال عون بن محمد الكندي: لعهدي بالكرخ، ولو أن رجلاً قال: ابن أبي دؤاد مسلم، لقتل. ثم وقع الحريق في الكرخ، فلم يكن مثله قط. فكلم ابن أبي دؤاد المعتصم في الناس، ورققه إلى أن أطلق له خمسة آلاف ألف درهم، فقسمها على الناس، وغرم من ماله جملة. فلعهدي بالكرخ، ولو أن إنسانا، قال: زِرُّ أحمد بن أبي دؤاد وسخ، لقتل. ١١ / ١٧٠

(٤٧٩) ضلال العقول

مات لصالح بن عبد القدوس المُتكلم ولد، فأتاه العلاف - أي: محمد بن الهذيل - يعزيه، فرآه جَزِعاً، فقال: ما هذا الجزع، وعندك أن المرء كالزرع؟ قال: يا أبا الهذيل جزعت عليه لكونه ما قرأ كتاب " الشكوك " لي، فمن قرأه، يشك فيما كان حتى يتوهم أنه لم يكن، وفيما لم يكن حتى يظن أنه كان. قال: فشك أنت في موت ابنك، وظن أنه لم يمت، وشك أنه قد قرأ كتاب " الشكوك "!. ١١ / ١٧٤

(٤٨٠) العفة عما في أيدي الناس

وعن شيخ أنه كان عنده كتاب بخط أحمد بن حنبل، فقال: كنا عند ابن عيينة سنة، ففقدت أحمد بن حنبل أياما، فدُللت على موضعه، فجئت، فإذا هو في شبيه بكهف في جياد. فقلت: سلام عليكم، أدخل؟ فقال: لا. ثم قال: ادخل، فدخلت، وإذا عليه قطعة لِبْدٍ خَلَق، فقلت: لم حجبتني؟ فقال: حتى استترت. فقلت: ما شأنك؟ قال: سُرِقت ثيابي. قال: فبادرت إلى منزلي فجئته بمئة درهم، فعرضتها عليه، فامتنع، فقلت: قرضاً، فأبى، حتى بلغت عشرين درهما، ويأبى. فقمت، وقلت: ما يحل لك أن تقتل نفسك. قال: ارجع، فرجعت، فقال: أليس قد سمعت معي من ابن عيينة؟ قلت: بلى. قال: تحب أن أنسخه لك؟ قلت: نعم. قال: اشتر لي ورقا. قال: فكتب بدراهم اكتسى منها ثوبين. ١١ / ١٩١

الرمادي: سمعت عبد الرزاق، وذكر أحمد بن حنبل، فدمعت عيناه، فقال: بلغني أن نفقته نفدت، فأخذت بيده، فأقمته خلف الباب، وما معنا أحد، فقلت له: إنه لا تجتمع عندنا الدنانير، إذا بعنا الغلة، أشغلناها في شيء. وقد وجدتُ عند النساء عشرة دنانير فخذها، وأرجو أن لا تنفقها حتى يتهيأ شيء. فقال لي: يا أبا بكر، لو قبلت من أحد شيئا، قبلت منك.

وقال عبد الله: قلت لأبي: بلغني أن عبد الرزاق عرض عليك دنانير؟ قال: نعم. وأعطاني يزيد بن هارون خمس مئة درهم -أظن- فلم أقبل، وأعطى يحيى بن معين، وأبا مسلم، فأخذا منه. **١١ / ١٩٢ – ١٩٣**

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان، قال: بلغني أن أحمد بن حنبل رَهَنَ نَعْلَهُ عند خباز باليمن، وأكرى نفسه من جمالين عند خروجه، وعرض عليه عبد الرزاق دراهم صالحة، فلم يقبلها. **١١ / ٢٠٦**

قال المروذي: سمعت أبا عبد الله - أي: أحمد بن حنبل - يقول: الغَلَّةُ ما يكون قوتنا، وإنما أذهب فيه إلى أن لنا فيه شيئاً. فقلت له: قال رجل: لو ترك أبو عبدالله الغلة، وكان يصنع له صديق له، كان أعجب إليَّ. فقال: هذه طعمة سوء. ومن تعود هذا، لم يصبر عنه. ثم قال: هذا أعجب إليَّ من غيره - يعني: الغلة -، وأنت تعلم أنها لا تقيمنا. وإنما أخذها على الاضطرار.

قال ابن الجوزي: ربما احتاج أحمد، فخرج إلى اللِّقاط.

أبو جعفر الطرسوسي: حدثني الذي نزل عليه أبو عبدالله، قال: لما نزل عَلَي، خرج إلى اللِّقاط، فجاء وقد لقط شيئاً يسيراً. فقلت له: قد أكلت أكثر مما لقطت. فقال: رأيت أمراً استحييت منه، رأيتهم يلتقطون، فيقوم الرجل على أربع، وكنت أزحف.

المروذي: قال أبو عبدالله: خرجت إلى الثغر على قَدَمَيَّ، فالتقطت، لو قد رأيتَ قوماً يفسدون مزارع الناس. قال: وكنا نخرج إلى اللقاط.

قلت: وربما نسخ بأجرة، وربما عمل التِّكَكَ، وأجَّر نفسه لجمَّال، رحمة الله عليه.

< جاء في الحاشية (١): جاء في " اللسان ": مادة (لقط): اللِّقاط: السنبل الذي تخطئه المناجل، ويلتقطه الناس. واللِّقاط: اسم لذلك الفعل >. ١١ / ٣٢٠

(٤٨١) مواقف ورجال

المزني: أحمد بن حنبل يوم المحنة، أبو بكر يوم الردة، وعمر يوم السقيفة، وعثمان يوم الدار، وعلي يوم صِفين. ١١ / ٢٠١

(٤٨٢) الخوف من الاستدراج بالنعم

وأخبرنا المروذي: قلت لأبي عبد الله - أي: أحمد بن حنبل -: ما أكثر الداعي لك! قال: أخاف أن يكون هذا استدراجاً! بأي شيء هذا؟. وقلت له: قدم رجل من طرسوس، فقال: كنا في بلاد الروم في الغزو إذا هدأ الليل، رفعوا أصواتهم بالدعاء، ادعوا لأبي عبد الله، وكنا نمد المنجنيق، ونرمي عن أبي عبد الله. ولقد رمي عنه بحجر، والعِلج على الحصن متترس بدَرَقَة فذهب برأسه وبالدَّرَقة. قال: فتغير وجه أبي عبد الله، وقال: ليته لا يكون استدراجاً. قلت: كلا. ١١ / ٢١٠

(٤٨٣) البعد عن العُجْب

قال المروذي:... وأدخلت نصرانيا على أبي عبد الله - أي: أحمد بن حنبل -، فقال له: إني لأشتهي أن أراك منذ سنين. ما بقاؤك صلاح للإسلام وحدهم، بل للخلق جميعا، وليس من أصحابنا أحد إلا وقد رضي بك. فقلت لأبي عبد الله: إني لأرجو أن يكون يُدعى لك في جميع الأمصار. فقال: يا أبا بكر إذا عرف الرجل نفسه، فما ينفعه كلام الناس. ١١ / ٢١١

الخلال: أخبرني محمد بن موسى، قال: رأيت أبا عبد الله، وقد قال له خراساني: الحمد لله الذي رأيتك، قال: اقعد، أي شيء ذا؟ من أنا؟. وعن رجل قال: رأيت أثر الغمّ في وجه أبي عبد الله، وقد أثنى عليه شخص، وقيل له: جزاك الله عن الإسلام خيرا. قال: بل جزى الله الإسلام عني خيراً، من أنا وما أنا؟!

الخلال: أخبرنا علي بن عبد الصمد الطيالسي، قال: مسحت يدي على أحمد بن حنبل، وهو ينظر، فغضب، وجعل ينفض يده ويقول: عمَّن أخذتم هذا.

وقال خطاب بن بشر: سألت أحمد بن حنبل عن شيء من الورع، فتبين الاغتمام عليه إزراء على نفسه.

وقال المروذي: سمعت أبا عبد الله ذكر أخلاق الورعين، فقال: أسأل الله أن لا يمقتنا. أين نحن من هؤلاء؟!! ١١ / ٢٢٥ — ٢٢٦

(قال الحافظ الضياء:) وسمعت ابنه عبد الرحمن - أي: ابن الحافظ عبدالغني المقدسي - يقول: سمعت بعض أهلنا يقول: إن الحافظ سئل: لم لا تقرأ من غير كتاب؟ قال: أخاف العُجب. ٢١ / ٤٤٩

(٤٨٤) كرامات

قال عباس الدوري: حدثنا علي بن أبي فزارة جارنا، قال: كانت أمي مُقعدة من نحو عشرين سنة. فقالت لي يوماً: اذهب إلى أحمد بن حنبل، فسله أن يدعو لي، فأتيت، فدققت عليه وهو في دهليزه، فقال: من هذا؟ قلت: رجل سألتني أمي وهي مُقعدة أن أسألك الدعاء. فسمعت كلامه كلام رجل مغضب. فقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا، فوليت منصرفا. فخرجت عجوز، فقالت: قد تركته يدعو لها. فجئت إلى بيتنا ودققت الباب، فخرجت أمي على رجليها تمشي.

هذه الواقعة نقلها ثقتان عن عباس. **١١ / ٢١١ – ٢١٢**

وقال – أي: الخليلي –: سمعت الحسن بن أحمد بن صالح يحكي عن سليمان بن يزيد: أن علي بن أبي طاهر لما رحل إلى الشام وكتب الحديث جعل كتبه في صندوق، وقيَّرَه، وركب البحر، فاضطربت السفينة وماجت، فألقى الصندوق في البحر، ثم سكنت السفينة، فلما خرج منها، أقام على الساحل ثلاثاً يدعو الله، ثم سجد في الليلة الثالثة، وقال: إن كان طلبي ذلك لوجهك وحب رسولك، فأغثني بَردِّ ذلك، فرفع رأسه فإذا بالصندوق ملقى عنده، فقدم، وأقام برهة، ثم قصدوه لسماع الحديث، فامتنع منه. قال: فرأيت النبي –صلى الله عليه وسلم– في منامي، ومعه علي –رضي الله عنه–، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: يا علي، من عامل الله بما عاملك به على شط البحر؟! لا تمتنع من رواية أحاديثي. قال: فقلت: قد تبت إلى الله. فدعا لي، وحثني على الرواية. **١٤ / ٨٨**

أبو العباس البكري: جمعت الرحلة بين ابن جرير، وابن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني بمصر، فأرملوا ولم يبقَ عندهم ما يقوتهم، وأضر بهم الجوع، فاجتمعوا ليلة في منزلٍ كانوا يأوون إليه، فاتفق رأيهم على أن يستهموا ويضربوا القرعة، فمن خرجت عليه القرعة سأل لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على ابن خزيمة، فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أصلي صلاة الخيرة. قال: فاندفع في الصلاة، فإذا هم بالشموع وخَصِيٍ من قِبَلِ والي مصر يدق الباب، ففتحوا، فقال: أيكم محمد بن نصر؟ فقيل: هو ذا. فأخرج صرة فيها خمسون دينارا، فدفعها إليه، ثم قال: وأيكم محمد بن جرير؟ فأعطاه خمسين دينارا، وكذلك للروياني، وابن خزيمة، ثم قال: إن الأمير كان قائلاً بالأمس، فرأى في المنام أن المحامد جياع قد طووا كشحهم، فأنفذ إليكم هذه الصُّرَر، وأقسم عليكم: إذا نفدت، فأبعثوا إليّ أحدكم. **١٤ / ٢٧٠ – ٢٧١**

وقد امتُحِنَ - أي: بنان الحمال - في ذات الله، فصبر، وارتفع شأنه، فنقل أبو عبد الرحمن السلمي في "محن الصوفية" أن بنانًا الحمال قام إلى وزير خمارويه -صاحب مصر- وكان نصرانيًا، فأنزله عن مركوبه وقال: لا تركب الخيل وعيِّر، كما هو مأخوذ عليكم في الذمة. فأمر خمارويه بأن يؤخذ ويوضع بين يدي سبع، فطُرِح، فبقي ليلة، ثم جاءوا والسبع يلحسه، وهو مستقبل القبلة، فأطلقه خمارويه واعتذر إليه. **١٤ / ٤٨٩**

بدران بن أبي بكر: كنت مع الحافظ - أي: عبدالغني المقدسي - يعني في الدار التي وقفها عليه يوسف المسّجف، وكان الماء مقطوعا، فقام في الليل، وقال: املأ لي الإبريق، فقضى الحاجة، وجاء فوقف، وقال: ما كنت

أشتهي الوضوء إلا من البركة، ثم صبر قليلاً فإذا الماء قد جرى، فانتظر حتى فاضت البركة، ثم انقطع الماء، فتوضأ، فقلت: هذه كرامة لك، فقال لي: قل أستغفر الله، لعل الماء كان محتبساً، لا تقل هذا! ٢١ / ٤٦٦

(٤٨٥) شدة الاقتداء بالسنة

وقال المروذي: قال لي أحمد - أي: ابن حنبل -: ما كتبت حديثاً إلا وقد عملت به، حتى مر بي (أن النبي -صلى الله عليه وسلم- احتجم وأعطى أبا طيبة ديناراً) فأعطيت الحجام ديناراً حين احتجمت. ١١ / ٢١٣

(٤٨٦) البعد عن عطايا السلاطين

أحمد بن محمد التستري: ذكروا أن أحمد بن حنبل أتى عليه ثلاثة أيام ما طعم فيها، فبعث إلى صديق له، فاقترض منه دقيقا، فجهزوه بسرعة، فقال: كيف ذا؟ قالوا: تنور صالح مُسْجَر، فخبزنا فيه، فقال: ارفعوا، وأمر بسدِّ باب بينه وبين صالح.

قلت: لكونه أخذ جائزة المتوكل. ١١ / ٢١٤

(٤٨٧) استشعار لذة الطلب

قال أحمد الدورقي: لما قدم أحمد بن حنبل من عند عبد الرزاق، رأيت به شحوباً بمكة. وقد تبين عليه النصب والتعب، فكلمته، فقال: هيِّنٌ فيما استفدنا من عبد الرزاق. ١١ / ٢١٥

(٤٨٨) مزايا الأرز!

عن ابن صبح قال: حضرت أبا عبد الله - أي: أحمد بن حنبل - على طعام، فجاءوا بأرز، فقال أبو عبد الله: نعم الطعام، إن أكل في أول الطعام أشبع، وإن أكل في آخره هضم. ١١ / ٢١٩ — ٢٢٠

يونس بن سليم: الأرز من طعام الكرام.

قال قتيبة: فلما حججت صيروه حديثا، فكانوا يجيئون ببغداد، فيقولون: حديث الأرز، حديث الأرز! ١٣ / ٥٨٦

(٤٨٩) لا يُمدح الرجل في وجهه

قال المروذي: قلت لأبي عبد الله- أي: أحمد بن حنبل -: الرجل يُقال في وجهه: أحببتَ السنة؟ قال: هذا فساد لقلبه. ١١ / ٢٢٥

(٤٩٠) تجنب الجلوس في أماكن المنكرات

قال إبراهيم الحربي: كان أحمد - أي: ابن حنبل - يجيب في العرس والختان، ويأكل. وذكر غيره أن أحمد ربما استعفى من الإجابة. وكان إن رأى إناء فضة أو منكراً، خرج. ١١ / ٢٢٦

(٤٩١) الرؤى تسر المؤمن ولا تغره

وعن المروذي قال: أدخلتُ إبراهيم الحُصْري على أبي عبد الله - أي: أحمد بن حنبل - وكان رجلاً صالحاً - أي: إبراهيم -فقال: إن أمي رأت لك

مناما، هو كذا وكذا. وذكرت الجنة، فقال: يا أخي، إن سهل بن سلامة كان الناس يخبرونه بمثل هذا، وخرج إلى سفك الدماء. وقال: الرؤيا تسر المؤمن ولا تغرُّه. ١١ / ٢٢٧

(٤٩٢) عظم شأن العلماء ودورهم في منع المنكرات

ابن عرعرة، حدثني ابن أكثم، قال: قال لنا المأمون: لولا مكان يزيد بن هارون، لأظهرت أن القرآن مخلوق. فقال بعض جلسائه: يا أمير المؤمنين، ومن يزيد حتى يُتقى؟ فقال: ويحك! إني أخاف إن أظهرته فيَرد علي، يختلف الناس، وتكون فتنة، وأنا أكره الفتنة. فقال الرجل: فأنا أخبُرُ ذلك منه، قال له: نعم. فخرج إلى واسط، فجاء إلى يزيد، وقال: يا أبا خالد، إن أمير المؤمنين يقرئك السلام، ويقول لك: إني أريد أن أظهر خلق القرآن، فقال: كذبت على أمير المؤمنين، أمير المؤمنين لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه. فإن كنت صادقا، فاقعد. فإذا اجتمع الناس في المجلس، فقل. قال: فلما أن كان الغد، اجتمعوا، فقام، فقال كمقالته، فقال يزيد: كذبت على أمير المؤمنين، إنه لا يحمل الناس على ما لا يعرفونه، وما لم يقل به أحد. قال: فقدم، وقال: يا أمير المؤمنين، كنتَ أعلم، وقص عليه، فقال - أي: المأمون-: ويحك يُلعب بك!! ١١ / ٢٣٧

(٤٩٣) الغضب لله

أبو معمر القطيعي: لما أُحضرنا إلى دار السلطان أيام المحنة، وكان أحمد بن حنبل قد أُحْضِر فلما رأى الناس يجيبون، وكان رجلا ليِّناً،

فانتفخت أوداجه، واحمرت عيناه، وذهب ذلك اللين. فقلت: إنه قد غضب لله، فقلت أبشر: حدثنا ابن فضيل، عن الوليد بن عبد الله بن جميع، عن أبي سلمة، قال: كان من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من إذا أريد على شيء من أمر دينه، رأيت حماليق عينيه في رأسه تدور كأنه مجنون. **١١ / ٢٣٨**

(٤٩٤) أهل الحق يثبت بعضهم البعض

أبو جعفر الأنباري: لما حُمِلَ أحمد إلى المأمون، أُخبرت، فعبرت الفرات، فإذا هو جالس في الخان، فسلمت عليه، فقال: يا أبا جعفر، تعنَّيت. فقلت: يا هذا أنت اليوم رأس، والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن، ليجيبنّ خلق، وإن أنت لم تُجب، ليمتنعن خلق من الناس كثير. ومع هذا فإن الرجل إن لم يقتلك فإنك تموت، لا بد من الموت، فاتق الله ولا تجب. فجعل أحمد يبكي، ويقول: ما شاء الله. ثم قال: يا أبا جعفر، أعد علي فأعدت عليه، وهو يقول: ما شاء الله. **١١ / ٢٣٨ – ٢٣٩**

قال صالح بن أحمد: حُمِلَ أبي ومحمد بن نوح من بغداد مقيدين، فصرنا معهما إلى الأنبار. فسأل أبو بكر الأحول أبي: يا أبا عبد الله، إن عُرِضت على السيف، تجيب؟ قال: لا. ثم سُيِّرا، فسمعت أبي يقول: صرنا إلى الرحبة، ورحلنا منها في جوف الليل، فعرض لنا رجل، فقال: أيكم أحمد بن حنبل؟ فقيل له: هذا، فقال للجمال: على رسلك، ثم قال: يا هذا، ما عليك أن تقتل هاهنا، وتدخل الجنة؟ ثم قال: أستودعك الله، ومضى.

فسألت عنه، فقيل لي: هذا رجل من العرب من ربيعة يعمل الشَعَر في البادية، يقال له: جابر بن عامر، يُذكر بخير.

أحمد بن أبي الحواري: حدثنا إبراهيم بن عبد الله، قال: قال أحمد بن حنبل: ما سمعت كلمة منذ وقعت في هذا الأمر أقوى من كلمة أعرابي كلمني بها في رحبة طوق. قال: يا أحمد، إن يقتلك الحق، مت شهيداً، وإن عشت، عشت حميداً. فقوَّى قلبي. **١١ / ٢٤١**

وقال حنبل: قال أبو عبد الله: ما رأيت أحداً على حداثة سنه، وقدر علمه أقوم بأمر الله من محمد بن نوح، إني لأرجو أن يكون قد خُتِمَ له بخير. قال لي ذات يوم: يا أبا عبد الله، الله الله، إنك لست مثلي. أنت رجل يُقْتدى بك. قد مد الخلق أعناقهم إليك، لما يكون منك، فاتقِ الله واثبت لأمر الله، أو نحو هذا. فمات، وصليت عليه، ودفنته. **١١ / ٢٤٢**

قال - أي ابن أبي حاتم -: وقال إبراهيم بن الحارث العبادي -وكان رافقنا في بلاد الروم- قال: حضر أحمدَ بن حنبلٍ أبو محمد الطُّفاوي، فذُكر له حديث، فقال أبو عبد الله: أخبرك بنظير هذا، لما أُخرج بنا، جعلت أفكر فيما نحن فيه، حتى إذا صرنا إلى الرحْبة، أُنزلنا بظاهرها، فمددت بصري، فإذا بشيء لم أستثبته، فلم يزل يدنو، وإذا أعرابي جعل يتخطى تلك المحامل حتى صار إلي، فوقف علي، فسلم، ثم قال: أنت أحمد بن حنبل؟ فسكت تعجبا!! ثم أعاد، فسكت. فبرك على ركبتيه، فقال: أنت أبو عبد الله أحمد بن حنبل؟ فقلت: نعم. فقال: أبشر واصبر، فإنما هي ضربة هاهنا، وتدخل الجنة هاهنا. ثم مضى. **١١ / ٢٥٨ — ٢٥٩**

(٤٩٥) سعي أهل السوء في صد الناس عن العلماء

وقال صالح: قال أبي - أي: أحمد بن حنبل -: ولما جيء بالسياط، نظر إليها المعتصم، فقال: ائتوني بغيرها، ثم قال للجلادين: تقدموا، فجعل يتقدم إلي الرجل منهم، فيضربني سوطين، فيقول له: شد، قطع الله يدك! ثم يتنحى ويتقدم آخر، فيضربني سوطين، وهو يقول في كل ذلك: شد، قطع الله يدك! فلما ضُربت سبعة عشر سوطا، قام إلي، يعني: المعتصم، فقال: يا أحمد، علام تقتل نفسك؟ إني والله عليك لشفيق، وجعل عُجَيف ينخسني بقائمة سيفه، وقال: أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم؟ وجعل بعضهم يقول: ويلك! إمامك على رأسك قائم. وقال بعضهم: يا أمير المؤمنين، دمه في عنقي، اقتله، وجعلوا يقولون: يا أمير المؤمنين، أنت صائم، وأنت في الشمس قائم! فقال لي: ويحك يا أحمد، ما تقول؟ فأقول: أعطوني شيئا من كتاب الله أو سنة رسول الله أقول به. فرجع وجلس. وقال للجلاد: تقدم، وأوجع، قطع الله يدك، ثم قام الثانية، وجعل يقول: ويحك يا أحمد: أجبني. فجعلوا يقبلون علي، ويقولون: يا أحمد، إمامك على رأسك قائم! وجعل عبد الرحمن يقول: من صنع من أصحابك في هذا الأمر ما تصنع؟ والمعتصم يقول: أجبني إلى شيء لك فيه أدنى فرج حتى أطلق عنك بيدي، ثم رجع، وقال للجلاد: تقدم، فجعل يضربني سوطين ويتنحى، وهو في خلال ذلك يقول: شد، قطع الله يدك. فذهب عقلي، ثم أفقت بعد، فإذا الأقياد قد أطلقت عني. فقال لي رجل ممن حضر: كببناك على وجهك، وطرحنا على ظهرك باريَّة ودُسْناك! قال أبي: فما شعرت بذلك، وأتوني بسويق، وقالوا: اشرب وتقيأ، فقلت: لا

أفطر. ثم جيء بي إلى دار إسحاق بن إبراهيم، فحضرت الظهر، فتقدم ابن سماعة، فصلى. فلما انفتل من صلاته، قال لي: صليت، والدم يسيل في ثوبك؟ قلت: قد صلى عمر، وجرحه يثعب دما. **١١ / ٢٥١ - ٢٥٢**

قال حنبل: سمعت أبا عبد الله، يقول: ذهب عقلي مراراً، فكان إذا رُفِع عني الضرب، رجَعَتْ إلي نفسي. وإذا استرخيت وسقطت، رفع الضرب، أصابني ذلك مراراً. ورأيته - يعني: المعتصم - قاعداً في الشمس بغير مظلة، فسمعته، وقد أفقت، يقول لابن أبي دؤاد: لقد ارتكبتُ إثماً في أمر هذا الرجل. فقال: يا أمير المؤمنين، إنه -والله- كافر مشرك، قد أشرك من غير وجه. فلا يزال به حتى يصرفه عما يريد. وقد كان أراد تخليتي بلا ضرب، فلم يدعه، ولا إسحاق بن إبراهيم. **١١ / ٢٥٣**

قال - أي ابن أبي حاتم -: وقال إبراهيم بن الحارث العبادي -وكان رافقنا في بلاد الروم- قال: حضر أحمد بن حنبل أبو محمد الطفاوي، فذُكر له حديث، فقال أبو عبد الله: أخبرك بنظير هذا، لما أخرج بنا، جعلت أفكر فيما نحن فيه، حتى إذا صرنا إلى الرحْبة، أنزلنا بظاهرها، فمددت بصري، فإذا بشيء لم أستثبته، فلم يزل يدنو، وإذا أعرابي جعل يتخطى تلك المحامل حتى صار إلي، فوقف علي، فسلم، ثم قال: أنت أحمد بن حنبل؟ فسكت تعجبا!! ثم أعاد، فسكت. فبرك على ركبتيه، فقال: أنت أبو عبد الله أحمد بن حنبل؟ فقلت: نعم. فقال: أبشر واصبر، فإنما هي ضربة هاهنا، وتدخل الجنة هاهنا. ثم مضى. فقال الطفاوي: يا أبا عبد الله! إنك محمود عند العامة، فقال: أحمد الله على ديني، إنما هذا دين، لو قلت لهم، كفرت. فقال الطفاوي: أخبرني بما صنعوا بك؟ قال: لما ضربت

بالسياط، جعلت أذكر كلام الأعرابي، ثم جاء ذاك الطويل اللحية -يعني: عُجيفا- فضربني بقائم السيف. ثم جاء ذاك، فقلت: قد جاء الفرج، يضرب عنقي، فأستريح. فقال له ابن سماعة: يا أمير المؤمنين: اضرب عنقه ودمه في رقبتي. فقال ابن أبي دؤاد: لا يا أمير المؤمنين، لا تفعل. فإنه إن قتل أو مات في دارك، قال الناس: صَبَر حتى قُتِل، فاتخذه الناس إماما، وثبتوا على ما هم عليه، ولكن أطلقه الساعة، فإن مات خارجاً من منزلك، شك الناس في أمره. وقال بعضهم: أجاب، وقال بعضهم: لم يجب. فقال الطفاوي: وما عليك لو قلت؟ قال أبو عبد الله: لو قلت، لكفرت. **١١ / ٢٥٨ - ٢٥٩**

(٤٩٦) ابتلاء الصالحين سنة جارية

الحسن بن عبد العزيز الجروي، قال: دخلت أنا والحارث بن مسكين على أحمد - أي: ابن حنبل - حِدثانَ ضَرْبه، فقال لنا: ضربت فسقطت وسمعت ذاك -يعني: ابن أبي دؤاد- يقول: يا أمير المؤمنين، هو والله ضال مضل. فقال له الحارث: أخبرني يوسف بن عمر، عن مالك، أن الزهري سُعي به حتى ضُرِب بالسياط، وقيل: عُلِّقتْ كتبه في عنقه. ثم قال مالك: وقد ضُرب سعيد بن المسيب، وحُلق رأسه ولحيته، وضُرب أبو الزناد، وضُرب محمد بن المنكدر وأصحاب له في حمام بالسياط. وما ذكر مالك نفسه، فأُعجب أحمد بقول الحارث. قال مكي بن عبدان: ضَرب جعفرُ بن سليمان مالكاً تسعين سوطا سنة (١٤٧).

وروي عن محمد بن أبي سمينة، عن شاباص التائب، قال: لقد ضُرب أحمد بن حنبل ثمانين سوطا، لو ضَربتَه على فيل، لهدَّتْه. **١١ / ٢٩٥**

وفي سنة ٦٣٨: فيها سلَّم الصالح إسماعيل قلعة الشَّقيف إلى الفرنج، لينجدوه على المصريين، فأنكر عليه ابن الحاجب وابن عبدالسلام، فسجنهما مدة! ٢٣ / ١٦٦

عبد الرحمن بن منده: قد عجبت من حالي، فإني وجدت أكثر من لقيته إن صدّقته فيما يقوله مداراةً له سمّاني موافقاً، وإن وقفت في حرف من قوله أو في شيء من فعله سماني مخالفاً، وإن ذكرت في واحدٍ منهما أن الكتاب والسنة بخلاف ذلك سماني خارجياً، وإن قُرئ علي حديث في التوحيد سماني مشبهاً، وإن كان في الرؤية سمّاني سالمياً... إلى أن قال: وأنا متمسك بالكتاب والسنة، متبرئ إلى الله من الشبه والمثل والند والضد والأعضاء والجسم والآلات، ومن كل ما ينسبه الناسبون إليَّ، ويدَّعيه المدعون عليَّ من أن أقول في الله -تعالى- شيئا من ذلك، أو قلته، أو أراه، أو أتوهمه، أو أصفه به. ١٨ / ٣٥١

أطلق - أي: عبدالرحمن بن منده - عبارات بَدَّعَهُ بعضُهم بها، الله يسامحه. وكان زعِراً على من خالفه، فيه خارجية، وله محاسن، وهو في تواليفه حاطب ليل؛ يروي الغث والسمين، وينظم رديء الخرز مع الدر الثمين. ١٨ / ٣٥٤

(٤٩٧) ليكن لك سَلَفٌ فيما تتبع

قال الميموني: قال لي أحمد - أي: ابن حنبل -: يا أبا الحسن، إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام. ١١ / ٢٩٦

أبو طاهر المخلص، سمعت أبي: سمعت إبراهيم الحربي، وكان وعدنا أن يملي علينا مسألة في الاسم والمسمى، وكان يجتمع في مجلسه ثلاثون ألف محبرة، وكان إبراهيم مُقِلاً، وكانت له غرفة، يصعد، فيشرف منها على الناس، فيها كوة إلى الشارع، فلما اجتمع الناس، أشرف عليها، فقال لهم: قد كنت وعدتكم أن أملي عليكم في الاسم والمسمى، ثم نظرت فإذا لم يتقدمني في الكلام فيها إمام يقتدى به، فرأيت الكلام فيه بدعة، فقام الناس، وانصرفوا. فلما كان يوم الجمعة، أتاه رجل، وكان إبراهيم لا يقعد إلا وحده، فسأله عن هذه المسألة، فقال، ألم تحضر مجلسنا بالأمس؟ قال: بلى. فقال: أتعرف العلم كله؟ قال: لا. قال: فاجعل هذا مما لم تعرف. ١٣ / ٣٦٠ – ٣٦١

قال ابن أبي هاشم: قال رجل لابن مجاهد – أي: أبو بكر أحمد بن موسى البغدادي شيخ المقرئين –: لم لا تختار لنفسك حَرْفاً؟. قال: نحن إلى أن تعمل أنفسنا في حفظ ما مضى عليه أئمتنا، أحوج منا إلى اختيار. ١٥ / ٢٧٣

قال ابن خلكان: كان – أي: أبو القاسم الداركي – يُتهم بالاعتزال، وكان ربما يختار في الفتوى، فيقال له في ذلك، فيقول: ويحكم! حدث فلان عن فلان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا، والأخذ بالحديث أولى من الأخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة.

قلت: هذا جيد، لكن بشرط أن يكون قد قال بذلك الحديث إمام من نظراء هذين الإمامين مثل مالك، أو سفيان، أو الأوزاعي...١٦ / ٤٠٥

من بلغ رتبة الاجتهاد، وشهد له بذلك عدة من الأئمة، لم يَسُغ له أن يقلد، كما أن الفقيه المبتدئ والعامي الذي يحفظ القرآن أو كثيرا منه لا يسوغ له الاجتهاد أبداً، فكيف يجتهد، وما الذي يقول؟ وعلام يبني؟ وكيف يطير ولمّا يُرَيِّشْ؟ والقسم الثالث: الفقيه المنتهي اليقظ الفهم المحدث، الذي قد حفظ مختصراً في الفروع، وكتاباً في قواعد الأصول، وقرأ النحو، وشارك في الفضائل مع حفظه لكتاب الله وتشاغله بتفسيره وقوة مناظرته، فهذه رتبة من بلغ الاجتهاد المقيد، وتأهل للنظر في دلائل الأئمة، فمتى وضح له الحق في مسألة، وثبت فيها النص، وعمل بها أحد الأئمة الأعلام كأبي حنيفة مثلا، أو كمالك، أو الثوري، أو الأوزاعي، أو الشافعي، وأبي عبيد، وأحمد، وإسحاق، فليتبع فيها الحق ولا يسلك الرخص، وليتورع، ولا يسعه فيها بعد قيام الحجة عليه تقليد، فإن خاف ممن يشغّب عليه من الفقهاء فليتكتم بها ولا يتراءى بفعلها، فربما أعجبته نفسه، وأحب الظهور، فيعاقب، ويدخل عليه الداخل من نفسه. **١٨ / ١٩١ - ١٩٢**

(٤٩٨) أهل الأهواء لا يُوَلَّونَ المناصب

قال أبو مزاحم الخاقاني: قال لي عمي عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان: أمر المتوكل بمسألة أحمد - أي: ابن حنبل - عمن يقلد القضاء، فسألت عمي أن يخرج إلي جوابه، فوجه إلي نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم نسخة الرقعة التي عرضتها على أحمد بن محمد بن حنبل بعد أن سألته، فأجابني بما قد كتبته. سألته عن أحمد بن رباح، فقال فيه: جهمي معروف، وإنه إن قلد شيئا من أمور المسلمين، كان

فيه ضرر عليهم. وسألته عن الخلنجي، فقال فيه: كذلك. وسألته عن شعيب بن سهل، فقال: جهمي معروف بذلك. وسألته عن عبيد الله بن أحمد، فقال: كذلك. وسألته عن المعروف بأبي شعيب، فقال: كذلك. وسألته عن محمد بن منصور قاضي الأهواز، فقال: كان مع ابن أبي دؤاد، وفي ناحيته وأعماله، إلا أنه كان من أمثلهم. وسألته عن علي بن الجعد، فقال: كان معروفاً بالتجهم، ثم بلغني أنه رجع. وسألته عن الفتح بن سهل، فقال: جهمي من أصحاب المريسي. وسألته عن الثلجي، فقال: مبتدع صاحب هوى. وسألته عن إبراهيم بن عتاب، فقال: لا أعرفه إلا أنه كان من أصحاب بشر المريسي. وفي الجملة أن أهل البدع والأهواء، لا ينبغي أن يستعان بهم في شيء من أمور المسلمين مع ما عليه رأي أمير المومنين، أطال الله بقاءه، من التمسك بالسنة والمخالفة لأهل البدع. يقول أحمد بن محمد بن حنبل: قد سألني عبد الرحمن بن يحيى عن جميع من في هذا الكتاب، وأجبته بما كتب، وكنت عليل العين ضعيفا في بدني، فلم أقدر أن أكتب بخطي، فوقع هذا التوقيع في أسفل القرطاس عبد الله ابني بأمري، وبين يدي. **١١ / ٢٩٧ – ٢٩٨**

وله - أي: لمحمد بن علي بن المطلب - هجو بليغ، عُزِل من كتابة، فقال:

عُزلت وما خُنتُ فيما وليت ... وغيري يخون ولا يُعزَلُ

فهذا يدل على أنَّ من ... يُوَلي ويَعزِلُ لا يعقلُ

١٨ / ٤٩١

وله - أي: لعبدالخالق بن أسد الطرابلسي - شعر حسن، فمنه:

قَلَّ الحفاظ فذو العاهات مُحتَرمُ والشهمُ ذو الفضل يُؤذى مع سلامته

كالقوس يُحفظ عمداً وهو ذو عوجٍ ويُنبذُ السهم قصداً لاستقامته

٢٠ / ٤٩٨

(٤٩٩) "لو كان يقوم الليل"!

عاصم بن عصام البيهقي: بت ليلة عند أحمد بن حنبل، فجاء بماء فوضعه، فلما أصبح نظر إلى الماء بحاله، فقال: سبحان الله! رجل يطلب العلم لا يكون له ورد بالليل؟! ١١ / ٢٩٨

(٥٠٠) سرعة انقضاء الأعمار

الخلال: أخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد الوراق، سمعت أحمد بن حنبل، يقول: ما شبَّهْتُ الشباب إلا بشيء كان في كُمِّي فسقط. ١١ / ٣٠٥

(٥٠١) عالم رباني يُفحم عالم سوء

طاهر بن خلف، سمعت المهتدي بالله محمد بن الواثق يقول: كان أبي إذا أراد أن يقتل أحداً، أحضرنا، فأُتي بشيخ مخضوب مقيَّد، فقال أبي: ائذنوا لأبي عبدالله وأصحابه - يعني: ابن أبي دؤاد -، قال: فأُدخل الشيخ، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، فقال: لا سلم الله عليك. فقال: يا أمير المؤمنين، بئس ما أدبك مؤدبك، قال الله تعالى: (وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها). فقال ابن أبي دؤاد: الرجل متكلم. قال له: كلمه.

فقال: يا شيخ: ما تقول في القرآن؟ قال: لم ينصفني، ولي السؤال. قال: سل. قال: ما تقول في القرآن؟ قال: مخلوق. قال الشيخ: هذا شئ علمه النبي ﷺ، وأبو بكر، وعمر، والخلفاء الراشدون، أم شئ لم يعلموه؟ قال: شئ لم يعلموه. فقال: سبحان الله! شئ لم يعلمه النبي ﷺ، علمته أنت؟ فخجل. فقال: أقلني. قال: المسألة بحالها. قال: نعم علِموه. فقال: علموه، ولم يدعوا الناس إليه؟ قال: نعم. فقال: أفلا وسعك ما وسعهم؟ قال: فقام أبي، فدخل مجلساً واستلقى، وهو يقول: شئ لم يعلمه النبي ﷺ، ولا أبو بكر، وعمر وعثمان وعلي ولا الخلفاء الراشدون، علمته أنت! سبحان الله! شئ علموه، ولم يدعوا الناس إليه، أفلا وسِعك ما وسِعهم؟!. ثم أمر برفع قيوده، وأن يعطى أربع مئة دينار، ويؤذن له في الرجوع، وسقط من عينه ابن أبي دؤاد، ولم يمتحن بعدها أحداً.

هذه قصة مليحة، وإن كان في طريقها من يُجهل، ولها شاهد. ١١ / ٣١٢ -٣١٣

وناظر - أي: ابن سحنون المالكي - شيخاً معتزلياً، فقال: ياشيخ! المخلوق يَذِلُ لخالقه؟ فسكت، فقال: إن قلت بالذلة على القرآن، فقد خالفت قوله تعالى: (وإنه لكتاب عزيز). ١٣ / ٦٢

(٥٠٢) العالم يُؤخذ عنه الأدب كما يؤخذ عنه العلم

عن الحسن بن إسماعيل، عن أبيه، قال: كان يجتمع في مجلس أحمد - أي: ابن حنبل - زُهاء خمسة آلاف أو يزيدون، نحو خمس مئة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت.

ابن بطة: سمع النجاد يقول: سمعت أبا بكر بن المُطَوِّعِي يقول: اختلفت إلى أبي عبدالله، ثنتي عشرة سنة، وهو يقرأ " المسند " على أولاده، فما كتبت عنه حديثاً واحداً، إنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه. ١١ / ٣١٦

قال أبو النضر الفقيه: سمعت البوشنجي - أي: محمد بن إبراهيم - يقول: من أراد العلم والفقه بغير أدب، فقد اقتحم أن يكذب على الله ورسوله. ١٣ / ٥٨٦

(٥٠٣) من أدب العلماء

عبدالله بن محمد الوراق: كنت في مجلس أحمد بن حنبل، فقال: من أين أقبلتم؟ قلنا: من مجلس أبي كريب. فقال: اكتبوا عنه، فإنه شيخ صالح. فقلنا: إنه يطعن عليك. فقال: فأي شئ حيلتي؟ شيخ صالح بلي بي. ١١ / ٣١٧

وقال أحمد بن حفص السعدي - شيخ ابن عدي -: سمعت أحمد بن حنبل يقول: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق - أي: ابن راهويه -، وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً. ١١ / ٣٧٠ — ٣٧١

(٥٠٤) تقبيل العلماء!

الخلال: حدثنا محمد بن علي: حدثنا مهنى قال: رأيت أبا عبد الله - أي: أحمد ابن حنبل - يُقَبَّلُ وجهه ورأسه، ولا يقول شيئاً ولا يمتنع. ورأيت سليمان بن داود الهاشمي يُقَبِّلُ رأسه وجبهته، لا يمتنع من ذلك ولا يكرهه. ١١ / ٣١٨

(٥٠٥) الفِراق..

قال المصنف: ومن شعره - أي: شعر إبراهيم بن هرمة -:

كأن عيني إذ ولت حمولهم   عني جناحا حمام صادفت مطرا
أو لؤلؤ سلس في عقد جارية   خرقاء نازعها الولدان فانتشرا

٦ / ٢٠٧

علوان بن الحسين: سمعت عبدالله بن أحمد - أي: ابن حنبل - قال: سئل أبي: لم لا تصحب الناس؟ قال: لوحشة الفراق. ١١ / ٣١٨

ومن شعره - أي: أحمد بن عبدالله المغفلي، الملقب بالباز الأبيض -:

نزلنا مُكرَهينَ بها فلما   أَلِفناها خرجنا كارهينا
وما حب الديار بنا ولكن   أَمَرُّ العيش فُرقةُ من هَوَينا

١٦ / ١٨٣

وله - أي: لأبي المطاع ابن ناصر الدولة التغلبي، ذي القرنين -:

لو كنت ساعةَ بينِنا ما بينَنا   وشهدت حين نكررُ التوديعا
أيقنت أن من الدموع محدثاً   وعلمت أن من الحديث دموعاً

١٧ / ٥٣٧

وهو - أي: الصاحب ابن زيدون الأندلسي - صاحب هذه الكلمة البديعة:

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا   شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
كنا نرى اليأس تسلينا عوارضه   وقد يئسنا فما لليأس يغرينا

نكاد حين تناجيكم ضمائرنا   يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت   سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
لِيُسقَ عهدُكمُ عهدُ السرور فما   كنتم لأرواحنا إلا رياحينا

١٨ / ٢٤٠ - ٢٤١

الزاغوني، أنشدنا رزق الله - أي: ابن أبي الفرج - لنفسه:

لا تسألاني عن الحي الذي بانا   فإنني كنت يوم البين سكرانا
يا صاحبَيَّ على وجدي بنَعْمَانا   هل راجعٌ وصلُ ليلى كالذي كانا
ما ضرهم لو أقاموا يوم بَيْنِهِمُ   بقدر ما يلبس المحزون أكفانا

١٨ / ٦١٤

أيها الركب الميمم أرضي   أَقرِ من بعضيَ السلامَ لبعضي
إن جسمي كما علمت بأرض   وفؤادي ومالكيه بأرض
قُدر البين بيننا فافترقنا   فطوى البين عن جفونيَ غمضي
وقضى الله بالفراق علينا   فعسى باجتماعنا سوف يقضي

< جاء في الحاشية (١) أنها منسوبة لعبدالرحمن الداخل >. **٨ / ٢٤٦**

(٥٠٦) من صور التورية

إسحاق بن هانئ: كنا عند أحمد بن حنبل في منزله، ومعه المروذي، ومهنى، فدَقَّ داقٌ الباب، وقال: المروذي هاهنا؟ فكأن المروذي كره أن يُعلم

موضعه، فوضع مهنى أصبعه في راحته وقال: ليس المروذي هاهنا، وما يصنع المروذي هاهنا؟! فضحك أحمد ولم ينكر. ١١/ ٣١٩

(٥٠٧) معاملة أهل الكتاب

قال إبراهيم الحربي: سئل أحمد - أي: ابن حنبل - عن المسلم يقول للنصراني: أكرمك الله؟ قال: نعم، ينوي بها الإسلام. ١١/ ٣٢١

(٥٠٨) الإمام أحمد بن حنبل: مُحَدِّثٌ فَقِيه

قال ابن عقيل: من عجيب ما سمعته عن هؤلاء الجهال الأحداث، أنهم يقولون: أحمد ليس بفقيه، لكنه محدث! قال: وهذا غاية الجهل، لأن له اختيارات بناها على الأحاديث بناء لا يعرفه أكثرهم، وربما زاد على كبارهم.

قلت: أحسبهم يظنونه كان محدثاً وبس، بل يتخيلونه من بابة محدثي زماننا! ووالله لقد بلغ في الفقه خاصة مرتبة الليث، ومالك، والشافعي، وأبي يوسف. وفي الزهد والورع رتبة الفضيل، وإبراهيم بن أدهم. وفي الحفظ رتبة شعبة، ويحيى القطان، وابن المديني. ولكن الجاهل لا يعلم رتبة نفسه، فكيف يعرف رتبة غيره؟!! ١١/ ٣٢١

(٥٠٩) زهد الإمام أحمد رحمه الله

الخلال: أخبرنا المروذي قال: رأيت أحمد بن عيسى المصري، ومعه قوم من المحدثين، دخلوا على أبي عبدالله - أي: أحمد بن حنبل - بالعسكر،

فقال له أحمد - أي: المصري -: يا أبا عبدالله ما هذا الغم؟ الإسلام حنيفية سمحة، وبيت واسع. فنظر إليهم - وكان مضطجعاً -، فلما خرجوا، قال: ما أُريد أن يدخل علي هؤلاء.

إسحاق بن هانئ، قال لي أبو عبدالله - أي: أحمد بن حنبل -: بَكِّر حتى نعارِض بشئ من الزهد. فبكَّرت إليه، وقلت لأم ولده: أعطيني حصيراً ومِخدة، وبسطت في الدهليز، فخرج أبو عبدالله، ومعه الكتب والمحبرة، فقال: ما هذا؟!. فقلت: لنجلس عليه. فقال: ارفعه، الزهد لا يحسن إلا بالزهد. فرفعته، وجلس على التراب.

قال: وأخبرني يوسف بن الضحاك، حدثني ابن جبلة قال: كنت على باب أحمد بن حنبل، والباب مجاف، وأم ولده تكلمه، وتقول: أنا معك في ضيق، وأهل صالح يأكلون ويفعلون. وهو يقول: قولي خيراً. وخرج الصبي معه، فبكى. فقال: ما تريد؟ قال: زبيب. قال: اذهب خذ من البقال بحبة.

وقال الميموني: كان منزل أبي عبدالله ضيقاً صغيراً، وينام في الحر في أسفله.

< جاء في الحاشية (٢): الحبة: سُدُس ثُمُن درهم، وهو جزء من ثمانية وأربعين جزءاً من الدرهم >. **١١ / ٣٢٤ — ٣٢٥**

(٥١٠) حسن العشرة مع الأزواج

قال الخلال: سمعت المروذي، سمعت أبا عبدالله، ذكر أهله، فترحم عليها، وقال: مكثنا عشرين سنة، ما اختلفنا في كلمة. وما علمنا أحمد تزوج ثالثة. **١١ / ٣٣٢**

قال محمد بن إسحاق الصيرفي: سألت الزبير: منذ كم زوجتك معك؟ قال: لا تسألني، ليس ترد القيامة أكثرُ كِباشاً منها!، ضحيت عنها سبعين كبشاً. ١٢ / ٣١٤

(٥١١) الفرح بانتشار السنة

(قال صالح بن الإمام أحمد) وجاء جار لنا قد خضَبَ، فقال أبي: إني لأرى الرجل يحيي شيئاً من السنة فأفرح به. ١١ / ٣٣٥

(٥١٢) شدة التمسك بالسنة

(قال المروذي) واشتدت علته - أي: أحمد بن حنبل - يوم الخميس، ووضأته، فقال: خلل الأصابع، فلما كانت ليلة الجمعة، ثَقُل، وقُبِضَ صدر النهار، فصاح الناس، وعلت الأصوات بالبكاء، حتى كأن الدنيا قد ارتجت، وامتلأت السكك والشوارع. ١١ / ٣٣٧

(٥١٣) بيننا وبينهم يوم الجنائز

قال السُّلَمِي: حضرت جنازة أبي الفتح القواس مع الدارقطني، فلما نظر إلى الجمع قال: سمعت أبا سهل بن زياد يقول: سمعت عبدالله بن أحمد - أي: الإمام - يقول: سمعت أبي يقول: قولوا لأهل البدع بيننا وبينكم يوم الجنائز. ١١ / ٣٤٠

قال الخلال: سمعت عبدالوهاب الوراق يقول: ما بَلَغَنا أن جمعاً في الجاهلية ولا الإسلام مثله - يعني من شهد الجنازة -: جنازة أحمد بن حنبل - -، حتى بلغنا أن الموضع مُسِحَ وحُزِر على الصحيح، فإذا هو نحو من ألف ألف. وحزرنا على القبور نحواً من ستين ألف امرأة، وفتح الناس أبواب المنازل في الشوارع والدروب، ينادون من أراد الوضوء. ١١ / ٣٣٩

(٥١٤) من صور الوفاء بالوعد

عن هارون بن رئاب، أن عبدالله بن عمرو لما حضرته الوفاة، خطب إليه رجل ابنته، فقال له: إني قد قلت فيه قولا شبيها بالعِدَة، وأني أكره أن ألقى الله بثلث النفاق. ١١ / ٣٦٠

(٥١٥) شعب النفاق

أخبرنا أبو المعالي الأبرقوهي، أخبرنا أبو الفرج بن عبد السلام، أخبرنا أبو الفضل الأرموي، وأبو غالب بن الداية، وأبو عبد الله الطرائفي، أخبرنا محمد بن أحمد، أخبرنا عبيد الله الزهري، أخبرنا جعفر الفريابي، حدثنا إسحاق بن راهويه، أخبرنا النضر بن شميل، أخبرنا أبو معشر، عن سعيد هو المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (ثلاث من كن فيه فهو منافق: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان. قال رجل: يا رسول الله، ذهبت اثنتان، وبقيت واحدة؟ قال: فإن عليه شعبة من نفاق، ما بقي فيه منهن شيء) هذا حديث حسن الإسناد. وأبو معشر

نجيح السندي صدوق في نفسه، وما هو بالحجة. و أما المتن، فقد رواه جماعة عن أبي هريرة. وفيه دليل على أن النفاق يتبعَّض ويتشعب، كما أن الإيمان ذو شعب ويزيد وينقص، فالكامل الإيمان من اتصف بفعل الخيرات، وترك المنكرات، وله قُرَب ماحية لذنوبه، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٢-٤] وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ ﴾[المؤمنون: ١، ١٠، ١١] ودون هؤلاء خلق من المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئا، ودونهم عصاة المسلمين، ففيهم إيمان ينجون به من خلود عذاب الله تعالى وبالشفاعة. ألا تسمع إلى الحديث المتواتر (أنه يخرج من النار من في قلبه وزن ذرة من إيمان) وكذلك شعب النفاق من الكذب والخيانة والفجور والغدر والرياء، وطلب العلم ليقال، وحب الرئاسة والمشيخة، وموادة الفجار والنصارى. فمن ارتكبها كلها، وكان في قلبه غل النبي -صلى الله عليه وسلم- أو حَرَج من قضاياه، أو يصوم رمضان غير محتسب، أو يُجَوِّزُ أن دين النصارى أو اليهود دين مليح، ويميل إليهم. فهذا لا تَرْتَبْ في أنه كامل النفاق، وأنه في الدرك الأسفل من النار، وصفاته المقوتة عديدة في الكتاب والسنة من قيامه إلى الصلاة كسلان، وأدائه الزكاة وهو كاره، وإن عامل الناس فبالمكر والخديعة، قد اتخذ إسلامه جنة، نعوذ بالله من النفاق، فقد خافه سادة الصحابة على نفوسهم. فإن كان فيه شعبة من نفاق الأعمال، فله قسط من المقت حتى يدعها، ويتوب منها، أما من كان في قلبه شك من

الإيمان بالله ورسوله، فهذا ليس بمسلم وهو من أصحاب النار ؛ كما أن من في قلبه جزم بالإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه وبالمعاد، وإن اقتحم الكبائر، فإنه ليس بكافر. قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ﴾ [التغابن: ٢] وهذه مسألة كبيرة جليلة، قد صنف فيها العلماء كتبا، وجمع فيها الإمام أبو العباس شيخنا مجلداً حافلا قد اختصرته. نسأل الله -تعالى- أن يحفظ علينا إيماننا حتى نوافيه به. ١١ / ٣٦٢ – ٣٦٤

(٥١٦) حوادث طريفة!

قال أبو حاتم البستي في مقدمة كتاب " الضعفاء ": أخبرنا محمد بن عمر بن محمد الهمداني، حدثنا أبو يحيى المستملي، حدثنا أبو جعفر الجوزجاني، حدثني أبو عبد الله البصري، قال: أتيت إسحاق بن راهويه، فسألته شيئا، فقال: صنع الله لك. قلت: لم أسألك صنع الله، إنما سألتك صدقة، فقال: لطف الله لك، قلت: لم أسألك لطف الله، إنما سألتك صدقة. فغضب وقال: الصدقة لا تحل لك. قلت: ولم؟ قال: لأن جريراً حدثنا عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مِرّة سوي) فقلت: ترفق، يرحمك الله، فمعي حديث في كراهية العمل. قال إسحاق: وما هو؟ قلت: حدثني أبو عبد الله الصادق الناطق، عن أفشين، عن إيتاخ، عن سيماء الصغير، عن عُجيف بن عنبسة، عن زُغملُجُ بن أمير المؤمنين، أنه قال: العمل شؤم، وتركه خير، تقعد تَمَنَّى خير من أن تعمل تَعَنَّى. فضحك إسحاق،

وذهب غضبه. وقال: زدنا فقلت: وحدثنا الصادق الناطق بإسناده عن عجيف، قال: قعد زغلمج في جلسائه، فقال: أخبروني بأعقل الناس، فأخبر كل واحد بما عنده، فقال: لم تصيبوا، بل أعقل الناس الذي لا يعمل؛ لأن من العمل يجيء التعب، ومن التعب يجيء المرض، ومن المرض يجيء الموت، ومن عمل، فقد أعان على نفسه. والله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩] فقال: زدنا من حديثك. فقال: وحدثني أبو عبد الله الصادق الناطق بإسناده عن زغلمج، قال: من أطعم أخاه شواء، غفر الله له عدد النوى، ومن أطعم أخاه هريسة، غَفر له مثل الكنيسة، ومن أطعم أخاه جنب، غفر الله له كل ذنب. فضحك إسحاق، وأمر له بدرهمين ورغيفين. أوردها ابن حبان، ولم يضعفها. **١١ / ٣٦٥ - ٣٦٦**

أبو عبدالله الحاكم: حضرت أبا العباس - أي: محمد بن يعقوب السناني المعقلي الأصم - يوماً في مسجده، فخرج ليؤذن لصلاة العصر، فوقف موضع المئذنة، ثم قال بصوت عال: أخبرنا الربيع بن سليمان، أخبرنا الشافعي! ثم ضحك، وضحك الناس، ثم أذَّن. **١٥ / ٤٥٨**

(٥١٧) علاج النسيان

أحمد بن سلمة، سمعت إسحاق - أي: ابن راهويه -، يقول: قال لي عبد الله بن طاهر: بلغني أنك شربت البلاذر للحفظ؟ قلت: ما هممت بذلك، ولكن أخبرني معتمر بن سليمان، قال: أخبرنا عثمان بن ساج، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: خذ مثقالا من كندر، ومثقالا من

سكر، فدقهما ثم اقتحمهما على الريق ؛ فإنه جيد للنسيان والبول. فدعا عبد الله بقرطاس فكتبه.

< جاء في الحاشية (١): البلاذر: هو ثمرة شجرة، في داخله شئ شبيه بالدم، وهذا هو المستعمل منه. جيد لفساد الذهن، وجميع الأعراض الحادثة في الدماغ من البرودة والرطوبة " المعتمد في الأدوية المفردة ": ٣١ >. ١١ / ٣٦٨

(٥١٨) الواعظ الكاذب

قال أبو زرعة: أملى عليَّ أحمد بن عاصم الحكيم: الناس ثلاث طبقات: مطبوع غالب وهم المؤمنون، فإذا غفلوا ذَكروا، ومطبوع مغلوب فإذا بُصِّروا أبصروا ورجعوا بقوة العقل، ومطبوع مغلوب غير ذي طباع، ولا سبيل إلى رد هذا بالمواعظ.

قلت: فما الظن إذا كان واعظ الناس من هذا الضرب عبْدَ بطنه وشهوته، وله قلب عَرِيّ من الحزن والخوف، فإن انْضافَ إلى ذلك فسق مكين، أو انحلال من الدين، فقد خاب وخسر، ولا بد أن يفضحه الله تعالى. ١١ / ٤١٠

(٥١٩) الحرص على العلم

أبو سعيد الأشج: سمعت أبا عبد الرحمن الحارثي يقول: دفن سفيان - أي: الثوري - كتبه، فكنت أعينه عليها، فقلت: يا أبا عبد الله! و(في الركاز الخمس) فقال: خذ ما شئت. فعزلت منها شيئا، كان يحدثني منه. ٧ / ٢٦٧ - ٢٦٨

قال محمد بن علي السلمي: قمت ليلة سحراً لآخذ النوبة على ابن الأخرم - أي: محمد بن النضر الربعي الدمشقي -، فوجدت قد سبقني ثلاثون قارئاً. وقال: لم تدركني النوبة إلى العصر. **١٥ / ٥٦٥**

هشام بن عمار: دخلت على مالك، فقلت له: حدثني، فقال: اقرأ، فقلت: لا. بل حدثني، فقال: اقرأ، فلما أكثرت عليه، قال: يا غلام، تعال اذهب بهذا، فاضربه خمسة عشر، فذهب بي فضربني خمس عشرة درة، ثم جاء بي إليه، فقال: قد ضربته، فقلت له: لم ظلمتني؟ ضربتني خمس عشرة درة بغير جرم، لا أجعلك في حل، فقال مالك: فما كفارته؟ قلت: كفارته أن تحدثني بخمسة عشر حديثا. قال: فحدثني بخمسة عشر حديثا. فقلت له: زد من الضرب، وزد في الحديث، فضحك مالك، وقال: اذهب. **١١ / ٤٢٩**

قال عمار بن رجاء: سمعت عبيد بن يعيش يقول: أقمت ثلاثين سنة، ما أكلت بيدي بالليل. كانت أختي تلقمني، وأنا أكتب. **١١ / ٤٥٩**

قال حمزة: وسمعت أبا بكر الإسماعيلي يقول: لما ورد نعي محمد ابن أيوب الرازي، بكيت وصرخت، ومزقت القميص، ووضعت التراب على رأسي، فاجتمع علي أهلي، وقالوا: ما أصابك؟ قلت: نعي إلي محمد بن أيوب، منعتموني الارتحال إليه، فسلّوني وأذنوا لي في الخروج إلى نَسَا إلى الحسن بن سفيان، ولم يكن هاهنا شعرة، وأشار إلى وجهه. **١٦ / ٢٩٥ - ٢٩٦**

وعنه - أي: عن أبي إسحاق الشيرازي -: أنه اشتهى ثريداً بماءِ باقلاء، قال: فما صحَّ لي أكلُه لاشتغالي بالدرس وأخذ النوبة. **١٨ / ٤٥٥**

(٥٢٠) خشية السلف على أنفسهم من النفاق

عوف بن موسى البصري، سمعت معاوية بن قرة، يقول: أن لا نكون في نفاق، أحب إلي من الدنيا وما فيها. كان عمر يخشاه، وآمنه أنا! ١١ / ٤٣٥

(٥٢١) المسارعة إلى الخيرات

أبو القاسم البغوي، سمعت عبيد الله القواريري، يقول: لم تكن تكاد تفوتني صلاة العتمة في جماعة. فنزل بي ضيف، فشغلت به. فخرجت أطلب الصلاة في قبائل البصرة. فإذا الناس قد صلوا. فقلت في نفسي: يُرْوَى عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (صلاة الجميع تفضل على صلاة الفذ إحدى وعشرين درجة) وروي (خمساً وعشرين درجة) وروي) سبعا وعشرين (فانقلبت إلى منزلي، فصليت العتمة سبعا وعشرين مرة، ثم رقدت فرأيتني مع قوم راكبي أفراس، وأنا راكب، ونحن نتجارى وأفراسهم تسبق فرسي، فجعلت أضربه لألحقهم، فالتفت إلي آخرهم، فقال: لا تجهد فرسك ؛ فلستَ بلاحِقِنا. قال: فقلت: ولم؟ قال: لأنا صلينا العتمة في جماعة. ١١ / ٤٤٣ – ٤٤٤

(قال) محمد بن طاهر الرقي:

ليس في كل حالة وأوان تتهيا صنائع الإحسان

فإذا أمكنت فبادر إليها حذراً من تعذر الإمكان

١٨ / ٤١٩

ومن نظم أبي الوليد - أي: سليمان بن خلف الباجي -:

إذا كنتُ أعلم علماً يقيناً بأن جميع حياتي كساعة

فَلِمْ لا أكون ضنيناً بها وأجعلها في صلاح وطاعة

١٨ / ٥٤٢

(٥٢٢) العلم لا يكتم

وقال سلم بن معاذ: قلت لسليمان بن عبد الرحمن: إن صفوان بن صالح - أي: الثقفي - يأبى أن يحدثنا. قال: فدخل صفوان، فسلم عليه، فقال سليمان: بلغني أنك تأبى أن تُحدِّث؟ فقال: يا أبا أيوب، منعنا السلطان. قال: ويحك حدِّث؛ فإنه بلغني أن أهل الجنة يحتاجون إلى العلماء في الجنة، كما يحتاجون إليهم في الدنيا. فحدِّث لعلك أن تكون منهم. فحدثنا صفوان. ١١ / ٤٧٥

(٥٢٣) التوكل على الله

قيل له - أي: لحاتم الأصم -: على ما بنيتَ أمرك في التوكل؟ قال: على خصال أربعة: علمت أن رزقي لا يأكله غيري، فاطمأنت به نفسي، وعلمت أن عملي لا يعمله غيري، فأنا مشغولٌ به، وعلمت أن الموت يأتي بغتة، فأنا أبادره، وعلمت أني لا أخلو من عين الله، فأنا مستحيٍ منه. ١١ / ٤٨٥

(٥٢٤) وصايا للسائرين

وقال أبو تراب: قال شقيق - أي: البلخي - لحاتمٍ - أي: الأصم -: مُذْ صحبتني، أي شيء تعلمت مني؟ قال: ستَّ كلمات: رأيت الناس في شك من أمر الرزق، فتوكلت على الله. قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾. [هود: ٦].

ورأيت لكل رجل صديقاً يفشي إليه سره، ويشكو إليه، فصادقت الخير ليكون معي في الحساب، ويجوز معي الصراط.

ورأيت كل أحدٍ له عدو، فمن اغتابني ليس بعَدُوِّي، ومن أخذ مني شيئا ليس بعدُوِّي ؛ بل عدوي من إذا كنت في طاعة، أمرني بمعصية الله، وذلك إبليس وجنوده، فاتخذتهم عدواً وحاربتهم.

ورأيت الناس كلهم لهم طالب، وهو ملك الموت، ففرَّغت له نفسي.

ونظرت في الخلق، فأحببت ذا، وأبغضت ذا. فالذي أحببته لم يعطني، والذي أبغضته لم يأخذ مني شيئا، فقلت: من أين أُتيت؟ فإذا هو من الحسد فطرحته، وأحببتُ الكل، فكل شيء لم أرضَه لنفسي لم أرضه لهم.

ورأيت الناسَ كلهم لهم بيت ومأوى، ورأيت مأواي القبر، فكل شيء قَدِرتُ عليه من الخير قدَّمته لنفسي لأعمر قبري.

فقال شقيق: عليك بهذه الخصال. **١١ - / ٤٨٥ - ٤٨٦**

(٥٢٥) "فإن لم تكن تراه فإنه يراك"

وعن حاتم - أي: الأصم - قال: لو أن صاحب خبرٍ جلس إليك، لكنت تتحرز منه، وكلامك يعرض على الله فلا تحترز!.

قلت: هكذا كانت نكت العارفين وإشاراتهم، لا كما أحدث المتأخرون من الفناء والمحو والجمع الذي آل بجهلتهم إلى الاتحاد، وعدم السِّوَى. ١١ / ٤٨٧

(٥٢٦) الإيثار

قال يوسف بن البهلول الأزرق: حدثنا يعقوب بن شيبة، قال: أظل العيد رجلا، وعنده مئة دينار لا يملك سواها، فكتب إليه صديق يسترعي منه نفقة، فأنفذ إليه بالمئة دينار، فلم يَنشَبْ أن ورد عليه رقعة من بعض إخوانه يذكرُ أنه أيضاً في هذا العيد في إضاقة، فوجَّه إليه بالصُّرَّة بعينها. قال: فبقي الأول لا شيء عنده، فاتفق أنه كتب إلى الثالث وهو صديقه يذكر حاله، فبعث إليه الصرة بختمها. قال فعرفها، وركب إليه، وقال: خبرني، ما شأن هذه الصرة؟ فأخبره الخبر، فركبا معا إلى الذي أرسلها، وشرحوا القصة، ثم فتحوها واقتسموها.

قال ابن البهلول: الثلاثة يعقوب بن شيبة، وأبو حسان الزيادي، وآخر نسيته.

إسنادها صحيح. ١١ / ٤٩٧ - ٤٩٨

(٥٢٧) الدين النصيحة

عن عطاء بن يزيد، عن تميم الداري عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال:) إن الدين النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولأئمة المسلمين أو المؤمنين، وعامتهم). هذا حديث صحيح في "صحيح مسلم".

فتأمل هذه الكلمة الجامعة، وهي قوله:) الدين النصيحة (فمن لم ينصح لله وللأئمة وللعامة، كان ناقص الدين. وأنت لو دُعيت -يا ناقص الدين- لغضبت. فقل لي: متى نصحت لهؤلاء؟ كلا والله، بل ليتك تسكت، ولا تنطق، أو لا تُحَسِّن لإمامك الباطل، وتجرئه على الظلم وتغشه. فمن أجل ذلك سقطت من عينه، ومن أعين المؤمنين. فبالله قل لي: متى يفلح من كان يسره ما يضره؟ ومتى يفلح من لم يراقب مولاه؟ ومتى يفلح من دنا رحيلُه، وانقرض جيلُه، وساء فعله وقيلُه؟ فما شاء الله كان، وما نرجو صلاح أهل الزمان، لكن لا ندع الدعاء، لعل الله أن يلطف، وأن يصلحنا. آمين. **١١ / ٤٩٩ — ٥٠٠**

نَفَّذه - أي: أبا عمرو محمد بن عبدالرحمن النسوي الشافعي - ملكشاه رسولاً ليخطب بنت الخليفة، فأدى الرسالة، وبذل النصيحة فقال: لا تخلط بيتك الطاهر بالتركمان. **١٨ / ٤٧٨**

قال القاضي شمس الدين ابن خلكان: دخل الطرطوشي - أي: أبو بكر محمد بن الوليد- على الأفضل ابن أمير الجيوش بمصر، فبسط تحته

مئزره، وكان إلى جانب الأفضل نصراني، فوعظ الأفضل حتى أبكاه، ثم أنشده:

يا ذا الذي طاعته قربة   وحقه مفترض واجب

إن الذي شُرِّفتَ من أجله   يزعم هذا أنه كاذب

وأشار إلى ذلك النصراني، فأقام الأفضل النصراني من موضعه.

< جاء في الحاشية (١): فكان مما قال له - أي في موعظته للأفضل - كما في " نفح الطيب ": ٢ / ٨٧: إن الأمر الذي أصبحت فيه من الملك، إنما صار إليك بموت من قبلك، وهو خارج عنك بمثل ما صار إليك، فاتق الله فيما خوَّلك من هذه الأمة، فإن الله عزوجل سائلك عن النقير والقطمير والفتيل، واعلم أن الله عزوجل آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بحذافيرها، فسخَّر له الإنس والجن والشياطين والطير والوحش والبهائم، وسخَّر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، ورفع عنه حساب ذلك أجمع، فقال عز من قائل: (هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب)، فما عدَّ ذلك نعمة كما عددتموها، ولا حسبها كرامة كما حسبتموها، بل خاف أن يكون استدراجاً من الله عزوجل، فقال: (هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر)، فافتح الباب، وسهِّل الحجاب، وانصر المظلوم >. **١٩ / ٤٩٢**

(٥٢٨) لص مُتَّبِع!

عن أحمد بن المعذل، قال: كنت عند ابن الماجشون، فجاءه بعض جلسائه، فقال: يا أبا مروان، أعجوبة، خرجت إلى حائطي بالغابة، فعرض

لي رجل، فقال: اخلع ثيابك، قلت: لم؟ قال: لأني أخوك، وأنا عريان. قلت: فالمواساة؟ قال: قد لبستَها بُرهة. قلت: فتُعَرِّيني؟ قال: قد روينا عن مالك، أنه قال: لا بأس للرجل أن يغتسل عُريانا. قلت: ترى عورتي. قال: لو كان أحد يلقاك هنا، ما تعرضتُ لك. قلت: دعني أدخل حائطي، وأبعثُ بها إليك، قال: كلا، أردت أن توجه عبيدك، فأُمسك. قلت: أحلف لك. قال: لا تلزمُ يمينُك للص. فحلفت له: لأبعثن بها طيبة بها نفسي، فأطرق ثم قال: تصفحت أمر اللصوص من عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى وقتنا، فلم أجد لصاً أخذ بنسيئة، فأكره أن أَبتدع!. فخلعت ثيابي له. ١١/ ٥٢٠-٥٢١

(٥٢٩) الفرح بنيل العلم

قال عبدالله بن أحمد: سمع - أي: يحيى بن أكثم - من ابن المبارك صغيراً، فصنع أبوه طعاماً، ودعا الناس، وقال: اشهدوا أن ابني سمع من عبدالله. ١٢/ ٦

(٥٣٠) عثرات اللسان

قال ثعلب: أجمعوا أنه لم يكن أحدٌ بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من ابن السِّكِّيت - أي: أبو يوسف -. وكان المتوكل قد ألزمه تأديب ولده المعتز، فلما حضر، قال له ابن السكيت: بم تحب أن تبدأ؟ قال: بالانصراف. قال: فأقوم. قال المعتز: فأنا أخف منك، وبادر، فعثر، فسقط وخجل، فقال يعقوب:

يمـوت الفتـى مـن عـثرةٍ بلسـانه وليس يموت المرء من عثرة الرِّجْلِ
فـعثرتُـه بـالقول تُـذهب رأسـه وعثرته بالرِّجْلِ تبرا على مَهـْلِ

١٢ / ١٨ – ١٩

وبسط – أي: ابن حزم الأندلسي – لسانه وقلمه، ولم يتأدب مع الأئمة في الخطاب، بل فجَّج العبارة، وسبَّ وجدَّع، فكان جزاؤه من جنس فعله، بحيث إنه أعرض عن تصانيفه جماعة من الأئمة، وهجروها، ونفروا منها، وأُحرقت في وقت، واعتنى بها آخرون من العلماء، وفتشوها انتقاداً واستفادة، وأخذاً ومؤاخذة، ورأوا فيها الدر الثمين ممزوجاً في الرَّصْفِ بالخرز المهين، فتارة يَطربون، ومرة يَعجبون، ومن تفرده يهزؤون. وفي الجملة فالكمال عزيز، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله –صلى الله عليه وسلم–. **١٨ / ١٨٦ – ١٨٧**

وقد امتُحن – أي: ابن حزم – لتطويل لسانه في العلماء، وشُرِّدَ عن وطنه، فنزل بقرية له، وجرت له أمور، وقام عليه جماعة من المالكية، وجرت بينه وبين أبي الوليد الباجي مناظرات ومنافرات، ونفَّروا منه ملوك الناحية، فأقصته الدولة، وأُحرقت مجلدات من كتبه، وتحول إلى بادية لَبْلَة في قرية. **١٨ / ١٩٨**

(٥٣١) المسلمون أمةٌ من دون الناس

وفي سنة ٢٣٥ ألزم المتوكل النصارى بلبس العَسَلِيّ. **١٢ / ٣٤**

(٥٣٢) "والعاقبة للمتقين"

وغضب المتوكل على أحمد بن أبي دؤاد، وصادره، وسجن أصحابه، وحمل ستة عشر ألف ألف درهم، وافتقر هو وآله. وولى يحيى بن أكثم القضاء، وأطلق من تبقى في الاعتقال ممن امتنع من القول بخلق القرآن، وأُنزلت عظام أحمد بن نصر الشهيد، ودفنها أقاربه، وبنى قصر العروس بسامراء، وأنفق عليه ثلاثون ألف ألف درهم. والتمس المتوكل من أحمد بن حنبل أن يأتيه، فذهب إلى سامراء ولم يجتمع به، استعفى، فأعفاه، ودخل على ولده المعتز، فدعا له. ١٢ / ٣٦

(٥٣٣) أهل العراق والفتن!

وهاجت الفتنة الكبرى بالعراق، فتنكر الترك للمستعين - أي: الخليفة العباسي -، فخاف، وتحول إلى بغداد، فنزل بالجانب الغربي على نائبه ابن طاهر، فاتفق الأتراك بسامراء، وبعثوا يعتذرون، ويسألونه الرجوع، فأبى عليهم، فغضبوا، وقصدوا السجن، وأخرجوا المعتز بالله، وبايعوا له، وخلعوا المستعين، وبنوا أمرهم على شبهة، وهي أن المتوكل عقد للمعتز بعد المنتصر، فجهز المعتز أخاه أبا أحمد لمحاربة المستعين، وتهيأ المستعين وابن طاهر للحصار، وإصلاح السور، وتجرد أهل بغداد للقتل، ونصبت المجانق، ووقع الجد، ودام البلاء أشهراً، وكثرت القتلى، واشتد القحط، وتمت بينهما عدة وقعات، بحيث إنه قتل في نوبة من جند المعتز ألفان، إلى أن ضعف أهل بغداد وذلوا وجاعوا وتعثروا، فما أصبرهم على الشر والفتن! ١٢ / ٤٩

(٥٣٤) قد تكون الإهانة سبيلاً للإكرام!

قال الربيع: كتب إلي أبو يعقوب البويطي أن اصبر نفسك للغرباء، وحسِّن خلقك لأهل حلقتك، فإني لم أزل أسمع الشافعي يقول كثيرا ويتمثل:

أُهِينُ لهم نفسي لكي يُكرمونها ... ولن تُكْرَمَ النفسُ التي لا تُهِينُها

١٢ / ٦١

(٥٣٥) منهج المتصوفة

أحمد بن أبي الحواري: قلت لراهب في دَيْر حرملة، وأشرف من صومعته: ما اسمك؟ قال: جريج. قلت: ما يحبسك؟ قال: حبست نفسي عن الشهوات. قلت: أما كان يستقيم لك أن تذهب معنا هاهنا، وتجيء وتمنعها الشهوات؟ قال: هيهات!! هذا الذي تصفه قوةٌ، وأنا في ضعف، قلت: ولم تفعل هذا؟ قال: نجد في كتبنا أن بدن ابن آدم خُلِقَ من الأرض، وروحُه خُلِقَ من ملكوت السماء، فإذا أجاع بدنه وأعراه وأسهره وأقمأه نازع الروح إلى الموضع الذي خرج منه، وإذا أطعمه وأراحه أخلد البدن إلى المواضع الذي منه خُلِقَ، فأحبَّ الدنيا. قلت: فإذا فعل هذا يعجل له في الدنيا الثواب؟ قال: نعم، نور يوازيه. قال: فحدثت بهذا أبا سليمان الداراني، فقال: قاتله الله، إنهم يَصِفُون.

قلت: الطريقة المثلى هي المحمدية، وهي الأخذ من الطيبات، وتناول الشهوات المباحة من غير إسراف، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ

ﱡﭐ ﭐﭐﭐ ﭐﭐ ﱠ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون: ٥١] وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (لكني أصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وآتي النساء، وآكل اللحم. فمن رغِبَ عن سنتي فليس منِّي) فلم يَشرع لنا الرَّهْبَانِيَّة، ولا التمزق ولا الوصال، بل ولا صوم الدهر، ودين الإسلام يسر وحنيفية سمحة، فليأكل المسلم من الطيب إذا أمكنه، كما قال -تعالى-: ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [الطلاق: ٧] وقد كان النساء أحب شيء إلى نبينا -صلى الله عليه وسلم-. وكذلك اللحم والحلواء والعسل والشراب الحلو البارد والمسك، وهو أفضل الخلق وأحبهم إلى الله تعالى. ثم العابد العَرِيُّ من العلم، متى زهد وتبتل وجاع، وخلا بنفسه، وترك اللحم والثمار، واقتصر على الدُّقَّةِ والكسرة، صفت حواسه ولطفت، ولازمته خطرات النفس، وسمع خطاباً يتولد من الجوع والسهر، لا وجود لذلك الخطاب - واللهِ - في الخارج، وولج الشيطان في باطنه وخرج، فيعتقد أنه قد وصل، وخُوطِبَ وارتقى، فيتمكن منه الشيطان، ويوسوس له، فينظر إلى المؤمنين بعين الازدراء، ويتذكر ذنوبهم، وينظر إلى نفسه بعين الكمال، وربما آل به الأمر إلى أن يعتقد أنه ولي، صاحب كرامات وتمكن، وربما حصل له شك، وتزلزل إيمانه. فالخلوة والجوع أبو جاد الترهب، وليس ذلك من شريعتنا في شيء.

بلى، السلوك الكامل هو الورع في القُوت، والورع في المنطق، وحفظ اللسان، وملازمة الذكر، وترك مخالطة العامة، والبكاء على الخطيئة، والتلاوة بالترتيل والتدبر، ومقت النفس وذمها في ذات الله، والإكثار من الصوم المشروع، ودوام التهجد، والتواضع للمسلمين، وصلة الرحم، والسماحة وكثرة البشر، والإنفاق مع الخصاصة، وقول الحق المُرِّ برفق

وتُؤَدَةٍ، والأمر بالعرف، والأخذ بالعفو، والإعراض عن الجاهلين، والرباط بالثغر، وجهاد العدو، وحج البيت، وتناول الطيبات في الأحايين، وكثرة الاستغفار في السحر. فهذه شمائل الأولياء، وصفات المحمديين. أماتنا الله على محبتهم. ١٢ / ٨٨ - ٩١

(٥٣٦) الحرص على الإمارة

عن عاصم بن عمر قال: قال عمر -رضي الله عنه-: من يحرص على الإمارة لم يعدل فيها. ١٢ / ٩٤

(٥٣٧) علو مرتبة الأنبياء

عن مسلم بن أبي مريم، عن عبد الله بن سرجس: (أن النبي -صلى الله عليه وسلم- صلى يوماً وعليه نَمِرَة، فقال لرجل: هاتِ نَمِرَتَكَ، وخُذْ نَمِرَتِي. قال: يا رسول الله، هي خيرٌ من نَمِرَتِي، قال: أجل، ولكن عليها خيط أحمر، فخشيتُ أن تفتِنَنِي في صلاتي).

قلت: أي: تشغَلُنِي عن كمال المراقبة، والأنبياء مطالبون بما يُسْمَحُ فيه لغيرهم، فلذلك قايض بنَمِرَتِه. ١٢ / ٩٩ — ١٠٠

(٥٣٨) الورع فيما يُبذل من العلم

قال أبو عبد الله الحاكم: سمعت أبا سهل بن زياد يقول: كان إسماعيل القاضي يُجلس موسى بن هارون - أي: موسى ابن هارون الحمال - معه على سريره، ينظر في كل ما يقرأ عليه، يعني ليتقنه له. هذا مع ثقة

إسماعيل وجلالته في العلم والحديث، لكنه شاخ، وناطح التسعين، فخاف أن تزل قدم بعد ثبوتها. ١٢ / ١١٧

(٥٣٩) حب الدنيا يعمي ويصم!!

قال محمد بن القاسم: ودخلت على ابن أسلم - أي: محمد الكندي - قبل موته بأربعة أيام بنيسابور، فقال: يا أبا عبد الله، تعال أبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير، قد نزل بي الموت، وقد منَّ الله عليَّ أنه ما لي درهم يحاسبني الله عليه. ثم قال: أغلق الباب ولا تأذن لأحد حتى أموت، وتدفنون كتبي. واعلمْ أنِّي أخرج من الدنيا وليس أدع ميراثًا غير كسائي ولِبْدي وإنائي الذي أتوضأ فيه وكتبي هذه، فلا تكلفوا الناس مُؤْنَة، وكان معه صرة فيها نحو ثلاثين درهما، فقال: هذا لابني أهداه قريب له، ولا أعلم شيئاً أحل لي منه، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (أنت ومالُكَ لأبيك) وقال: (أَطْيَبُ ما أكَلَ الرجلُ من كَسْبِهِ، وإنَّ ولَدَهُ من كَسْبِهِ) فكفنوني منها. فإن أصبتم لي بعشرة ما يستر عورتي، فلا تشتروا بخمسة عشر، وابسطوا على جنازتي لبدي، وغطوا عليها كسائي، وأعطوا إنائي مسكينا. يا أبا عبد الله إن هؤلاء قد كتبوا رأي فلان، وكتبت أنا الأثر، فأنا عندهم على غير الطريق، وهم عندي على غير الطريق، أَصْلُ الفرائض في حرفين: ما قال الله ورسوله: افْعَلْ، فهو فريضةٌ ينبغي أن يُفعل، وما قال الله ورسوله: لا تفعل، فينبغي أن يُنْتَهَى عنه، وتركُهُ فريضةٌ. وهذا في القرآن، وفي فريضة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهم يقرءونه، ولكن لا يتفكرون فيه، قد غلب عليهم حبُّ الدنيا. ١٢ / ١٩٩ — ٢٠٠

(٥٤٠) خوف الصالحين من الرياء

صحبت محمد بن أسلم ((الظاهر أن القائل هنا هو: محمد بن القاسم)) أكثر من عشرين سنة لم أره يصلي حيث أراه ركعتين من التطوع إلا يوم الجمعة. وسمعته كذا وكذا مرة يحلف، : لو قدرت أن أتطوع حيث لا يراني ملكاي لفعلت خوفاً من الرياء. وكان يدخل بيتاً له، ويغلق بابه. ولم أدر ما يصنع حتى سمعت ابناً له صغيراً يحكي بكاءه، فنهته أمه، فقلت لها: ما هذا؟ قالت: إن أبا الحسن يدخل هذا البيت، فيقرأ ويبكي، فيسمعه الصبي، فيحكيه، وكان إذا أراد أن يخرج، غسل وجهه، واكتحل، فلا يُرى عليه أثر البكاء. وكان يصل قوماً، ويكسوهم، ويقول للرسول: انظر أن لا يعلموا من بعثه. ١٢ / ٢٠٠ - ٢٠١

(٥٤١) "وقال الذين اتَّبَعوا لو أن لنا كَرَّة"!

روي عن الرباطي - أي: أحمد بن سعيد -، قال: جئت إلى أحمد بن حنبل، فجعل لا يرفع رأسه إلي، فقلت: يا أبا عبد الله، إنه يكتب عني الحديث بخراسان، فإن عاملتني بهذا، رموا بحديثي. فقال: يا أحمد، هل بُدٌّ أن يقال يوم القيامة: أين عبد الله بن طاهر وأتباعه، فانظر أين تكون منه؟! قلت: إنما ولاني أمر الرباط. فجعل يردد قوله علي. ١٢ / ٢٠٨

(٥٤٢) علامة صدق الصوفي

قال الحافظ أبو سعيد النقاش في كتاب "طبقات الصوفية" : محمد بن منصور الطوسي أستاذ أبي سعيد الخراز، وأبي العباس بن مسروق، كتب الحديث الكثير، ورواه.

قلت: متى رأيت الصوفي مُكباً على الحديث فثق به، ومتى رأيته نائيا عن الحديث، فلا تفرح به، لا سيما إذا انضاف إلى جهله بالحديث عكوفٌ على تُرهات الصوفية، ورموز الباطنية، نسأل الله السلامة. كما قال ابن المبارك:

وهل أفْسَدَ الدِّينَ إلا المُلُوكُ   وأحْبَارُ سَوْءٍ ورُهْبَانُهَا

٢١٣/١٢

(٥٤٣) من خصال الجهلاء

وعنه - أي: عن محمد بن منصور الطوسي - قال: يُعرف الجاهل بالغضب في غير شيء، وإفشاءِ السر، والثقةِ بكل أحد، والعظةِ في غير موضعها. ١٢ / ٢١٣ - ٢١٤

(٥٤٤) تحريم الاختلاف في القرآن

عن أبي عمران الجوني، قال: كتب إلي عبد الله بن رباح، سمعت عبد الله بن عمرو يقول: (هجَّرت إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فسمع

أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج إلينا، نعرف في وجهه الغضب، فقال: ألا إنما هلكَ من كان قبلكم باختِلافهم في الكتاب). هذا حديث صحيح، وهو دال على تحريم الجدال والاختلاف في الكتاب، مع أنه -عليه الصلاة والسلام- كان يمكنه أن يوضح الحق لهما في تلك الآية، ويبين أن أحدهما مصيب، ومع هذا فلم يفعل، بل سدَّ الباب، ولو كان تَبْيينُ ذلك مما تَمَسُّ إليه الحاجة، لأوضحه، فعُلِمَ بهذا أن كل نص ألقاه إلى أمته، ولم يزدهم فيه تفسيراً، ولا هم سألوه، بل ولا فسروه لمن بعدهم، فإن قراءته تفسيره، فلا يزاد عليه، ولا يبحث فيه، ولا سيما إذا كان في أسماء الله، وصفاته المقدسة. ١٢/ ٢٢٠ - ٢٢١

(٥٤٥) عاقبة الابتداع

قال جعفر بن أحمد بن سنان: سمعت أبي يقول: ليس في الدنيا مبتدعٌ إلا يبغض أصحاب الحديث، وإذا ابتدع الرجل بدعة نُزعت حلاوة الحديث من قلبه. ١٢/ ٢٤٥

(٥٤٦) تعظيم كتاب الله عزوجل

وقيل: كان المازني - أي: أبو عثمان إمام العربية - ذا ورعٍ ودين، بلغنا أن يهودياً حَصَّل النحو، فجاء ليقرأ على المازني "كتاب" سيبويه، فبذل له مئة دينار، فامتنع، وقال: هذا الكتاب يشتمل على ثلاث مئة آية ونَيِّف، فلا أُمَكِّن منها ذِمِّيًّا. ١٢/ ٢٧١

(٥٤٧) وصيـــة عالـــم

وقال الحسين بن محمد الفقيه: سمعت محمد بن يحيى - أي: الذهلي - يقول: تقدم رجل إلى عالم، فقال: علِّمني وأَوْجِزْ، قال: لأُوجِزَنَّ لك، أما لآخِرَتِكَ: فإن الله أوحى إلى نبي من أنبيائه: قل لقومك: لو كانت المعصية في بيت من بيوت الجنة لأوصلت إليه الخراب. وأما لدُنْيَاك: فإن الشاعر يقول:

ما النَّاسُ إلا مع الدنيا وصاحبِها ... وكيف ما انقلبتْ يومًا به انقلبُوا

يُعَظِّمُونَ أخَا الدُّنيا فإنْ وَثَبَتْ ... يومًا عليه بما لا يَشْتَهِي وَثَبُوا

١٢ / ٢٨١ - ٢٨٢

(٥٤٨) قصص عجيبة!

بكر بن منير بن خالد، سمعت محمد بن الهيثم البجلي يقول: كان ببغداد قائد من قواد المتوكل، وكانت امرأته تلد البنات، فحملت مرة، فحلف القائد إن ولدتِ هذه المرة بنتا قتلتك بالسيف. فلما جلست للولادة هي والقابلة، ألقت مثل الجُرَيِّب وهو يضطرب فشقوه، فخرج منه أربعون ابناً. وعاشوا كلهم، وأنا رأيتهم ببغداد ركباناً خلف أبيهم، وكان اشترى لكل واحد منهم ظئرا.

قال بكر: فحضرت مجلس محمد بن إسماعيل البخاري، فحدثه أبي بما حكى لنا ابن الهيثم، فقال: إنه صدوق مستور.

قلت: وبكر ثقة. فسبحان القادر على كل شيء. ١٢ / ٣٣٠

وقال يحيى العنبري: سمعت الطهماني - أي: أبو العباس الكاتب - يحكي شأن التي لا تأكل ولا تشرب، وأنها عاشت كذلك نيفاً وعشرين سنة، وأنه عاين ذلك.

قلت: سقت قصتها في "تاريخ الإسلام"، وهي: رحمة بنت إبراهيم، قتل زوجها، وترك ولدين، وكانت مسكينة، فنامت فرأت زوجها مع الشهداء، يأكل على موائد، وكانت صائمة، قالت: فاستأذنهم، وناولني كسرة، أكلتها، فوجدتها أطيب من كل شيء، فاستيقظَتْ شبعانة. واستمرت.

وهذه حكاية صحيحة، فسبحان القادر على كل شيء.

وحكى الشيخ عز الدين الفاروثي: أن رجلا بعد الست مئة كان بالعراق، دام سنين لا يأكل.

وحكى لي ثقات ممن لحق عائشة الصائمة بالأندلس، وكانت حية سنة سبع مئة، دامت أعواماً لا تأكل. ١٣ / ٥٧٢

(٥٤٩) أبلغ الواعظين

قال جعفر: سمعت جدي الحسن بن عبدالعزيز - أي: الجروي - يقول: من لم يردعه القرآن والموت، ثم تناطحت الجبال بين يديه، لم يرتدع. ١٢ / ٣٣٤

(٥٥٠) في الكتاب والسنة غنية عن غيرهما

وسمعته - أي: البخاري - يقول: لا أعلم شيئاً يُحتاج إليه إلا وهو في الكتاب والسنة. فقلت له: يمكن معرفة ذلك كله؟ قال: نعم. ١٢ / ٤١٢

وله- أي: لمحمد بن أبي نصر الحُمَيدي -:

كتاب الله عز وجل قولي ... وما صحت به الآثار ديني

وما اتفق الجميع عليه بدءا ... وعودا فهو عن حق مبين

فدع ما صد عن هذي وخذها ... تكن منها على عين اليقين

١٩ / ١٢٧

(٥٥١) من فتاوى الإمام البخاري

وقال محمد بن أبي حاتم: قال أبو عبدالله - أي: البخاري -: سئل إسحاق بن إبراهيم عمَّن طلَّق ناسياً. فسكت ساعة طويلة متفكراً، والتبس عليه الأمر. فقلت أنا: قال النبي ﷺ: " إن الله عز وجل تجاوز عن أمتي ما حدَّثت به أنفسها مالم تعمل به أو تكلم ". وإنما يُراد مباشرة هذه الثلاث: العمل والقلب، أو الكلام والقلب، وهذا لم يعتقد بقلبه. فقال إسحاق: قَوَّيتني، وأفتى به. ١٢ / ٤١٤

(٥٥٢) موت العلماء

وقال أبو جعفر: سمعت يحيى بن جعفر يقول: لو قدرت أن أزيد في عمر محمد بن إسماعيل - أي: البخاري - من عمري لفعلت، فإن موتي يكون موت رجل واحد، وموته ذهاب العلم. ١٢ / ٤١٨

(٥٥٣) الورع في الكلام

وقال بكر بن منير: سمعت أبا عبدالله البخاري يقول: أرجو أن ألقى الله ولا يحاسبني أني اغتبت أحداً.

قلت: صدق رحمه الله، ومن نظر في كلامه في الجرح والتعديل علم ورعه في الكلام في الناس، وإنصافه فيمن يضَعِّفه، فإنه أكثر ما يقول: منكر الحديث، سكتوا عنه، فيه نظر، ونحو هذا. وقَلَّ أن يقول: فلان كذاب، أو كان يضع الحديث. حتى إنه قال: إذا قلت فلان في حديثه نظر، فهو متهم واه. وهذا معنى قوله: لا يحاسبني الله أني اغتبت أحداً. وهذا هو والله غاية الورع.

قال محمد بن أبي حاتم الوراق: سمعته - يعني البخاري - يقول: لا يكون لي خصم في الآخرة، فقلت: إن بعض الناس ينقمون عليك في كتاب " التاريخ " ويقولون: فيه اغتياب الناس. فقال: إنما روينا ذلك رواية، لم نقله من عند أنفسنا، قال النبي ﷺ: " بئس مولى العشيرة " - يعني حديث عائشة -. وسمعته يقول: ما اغتبت أحداً قط منذ علمت أن الغيبة تضر أهلها. **١٢ / ٤٣٩-٤٤٠**

(٥٥٤) مراعاة حال الشباب

قال ـ أي محمد بن أبي حاتم الوراق ـ: وكان أبو عبدالله - أي: البخاري - يصلي في وقت السحر ثلاث عشرة ركعة، وكان لا يوقظني في كل ما يقوم. فقلت: أراك تحمل على نفسك، ولم توقظني. قال: أنت شاب، ولا أحب أن أفسد عليك نومك. **١٢ / ٤٤١**

(٥٥٥) الموقف من قدح الناس في عرض الإنسان

وكان كثير من أصحابه - أي: البخاري - يقولون له: إن بعض الناس يقع فيك، فيقول: (إن كيد الشيطان كان ضعيفاً)، ويتلوا أيضاً: (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله). فقال له عبدالمجيد بن إبراهيم: كيف لا تدعوا الله على هؤلاء الذين يظلمونك ويتناولونك ويبهتونك؟ فقال: قال النبي ﷺ: " اصبروا حتى تلقوني على الحوض " وقال ﷺ: " من دعا على ظالمه فقد انتصر ". ١٢ / ٤٦١

(٥٥٦) المهور عند السلف!

وامتلأت البلاد بـ " مختصره " - أي: مختصر المزني الشافعي - في الفقه، وشَرَحَهُ عدة من الكبار، بحيث يقال: كانت البِكْرُ يكون في جهازها نسخة بـ " مختصر " المزني. ١٢ / ٤٩٣

(٥٥٧) المناقشات والردود سبيل لظهور الحق

له - أي: لمحمد بن عبدالله بن عبدالحكم - تصانيف كثيرة، منها: كتاب في " الرد على الشافعي "، وكتاب " أحكام القرآن "، وكتاب " الرد على فقهاء العراق "، وغير ذلك. وما زال العلماء قديماً وحديثاً يرد بعضهم على بعض في البحث وفي التواليف، وبمثل ذلك يتفقه العالِم، وتتبرهن له المشكلات. ولكن في زماننا قد يُعاقب الفقيه إذا اعتنى بذلك

لسوء نيته، ولطلبه للظهور والتكثر، فيقوم عليه قضاة وأضداد. نسأل الله حسن الخاتمة، وإخلاص العمل. **١٢ / ٥٠٠ — ٥٠١**

(٥٥٨) الجَلَدُ في طلب العلم

قال أحمد بن سلمة: وعُقِدَ لمسلم - أي: الإمام صاحب الصحيح - مجلس الذاكرة (كذا، ولعل الصحيح: مجلس المذاكرة)، فَذُكِرَ له حديث لم يعرفه، فانصرف إلى منزله، وأوقد السراج، وقال لمن في الدار: لا يدخل أحد منكم. فقيل له: أُهدِيَت لنا سلة تمر. فقال: قدِّموها، فقدموها إليه، فكان يَطَّلِبُ الحديث، ويأخذ تمرة تمرة، فأصبح وقد فني التمر، ووجد الحديث. **١٢ / ٥٦٤**

قال يحيى بن البناء: كان الحُمَيدي - أي: محمد بن أبي نصر - من اجتهاده ينسخ بالليل في الحر، فكان يجلس في إجَّانة في ماء يتبرد به.

< جاء في الحاشية (١): الإجانة: إناء يغسل فيه الثياب >. **١٩ / ١٢٢**

وقال يوسف بن أحمد الشيرازي في "أربعين البلدان" له: لما رحلت إلى شيخنا - أي: أبو الوقت عبدالأول بن عيسى السِّجزي الهروي - رحلة الدنيا ومسند العصر أبي الوقت، قدر الله لي الوصول إليه في آخر بلاد كرمان، فسلمت عليه، وقبَّلته، وجلست بين يديه، فقال لي: ما أقدمك هذه البلاد؟ قلت: كان قصدي إليك، ومعولي بعد الله عليك، وقد كتبت ما وقع إلي من حديثك بقلمي، وسعيت إليك بقدمي، لأدرك بركة أنفاسك، وأحظى بعلو إسنادك. فقال: وفقك الله وإيانا لمرضاته، وجعل سعينا له، وقصدنا إليه، لو كنت عرفتني حق معرفتي، لما سلّمت علي، ولا جلست بين يدي،

ثم بكى بكاء طويلا، وأبكى من حضره، ثم قال: اللهم استرنا بسترك الجميل، واجعل تحت الستر ما ترضى به عنا. يا ولدي، تعلم أني رحلت أيضا لسماع "الصحيح" ماشياً مع والدي من هراة إلى الداودي ببوشنج ولي دون عشر سنين. فكان والدي يضع على يدي حجرين، ويقول: احملهما. فكنت من خوفه أحفظهما بيدي، وأمشي وهو يتأملني، فإذا رآني قد عييت أمرني أن ألقي حجراً واحداً، فألقي، ويخف عني، فأمشي إلى أن يتبين له تعبي، فيقول لي: هل عييت؟ فأخافه، وأقول: لا. فيقول: لم تقصر في المشي؟ فأسرع بين يديه ساعة، ثم أعجز، فيأخذ الآخر، فيلقيه، فأمشي حتى أعطب، فحينئذ كان يأخذني ويحملني. وكنا نلتقي جماعة الفلاحين وغيرهم، فيقولون: يا شيخ عيسى، ادفع إلينا هذا الطفل نركبه وإياك إلى بوشنج. فيقول: معاذ الله أن نركب في طلب أحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، بل نمشي، وإذا عجز أركبته على رأسي إجلالا لحديث رسول الله ورجاء ثوابه. فكان ثمرة ذلك من حسن نيته أني انتفعت بسماع هذا الكتاب وغيره، ولم يبق من أقراني أحد سواي، حتى صارت الوفود ترحل إلي من الأمصار. ثم أشار إلى صاحبنا عبد الباقي بن عبد الجبار الهروي أن يقدم لي حلواء، فقلت: يا سيدي، قراءتي لجزء أبي الجهم أحب إلي من أكل الحلواء. فتبسم، وقال: إذا دخل الطعام خرج الكلام. وقدم لنا صحناً فيه حلواء الفانيذ، فأكلنا، وأخرجت الجزء، وسألته إحضار الأصل، فأحضره، وقال: لا تخف ولا تحرص، فإني قد قبرت ممن سمع عليَّ خلقا كثيرا، فسل الله السلامة. فقرأتُ الجزء، وسررت به، ويسر الله سماع "الصحيح" وغيره مراراً، ولم أزل في صحبته وخدمته إلى أن توفي ببغداد في ليلة الثلاثاء من ذي الحجة. قلت: وبيَّض لليوم وهو سادس الشهر- قال:

ودفناه بالشونيزية. قال لي: تدفنني تحت أقدام مشايخنا بالشونيزية. ولما احتضر سندتُه إلى صدري، وكان مستهتراً بالذكر، فدخل عليه محمد بن القاسم الصوفي، وأكب عليه، وقال: يا سيدي، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: (مَنْ كانَ آخِرُ كلامِهِ لا إله إلا الله دخَلَ الجنَّة) فرفع طرفه إليه، وتلا: ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ فدهش إليه هو ومن حضر من الأصحاب، ولم يزل يقرأ حتى ختم السورة، وقال: الله الله الله، وتوفي وهو جالس على السجادة.

<< مستهتراً - أي: مولعاً >>. ٢٠ / ٣٠٧ - ٣٠٩

(٥٥٩) الستر على المسلمين

قال أحمد بن مهدي - أي: الأصبهاني -: جاءتني امرأة ببغداد ليلة، فَذَكَرَتْ أنها من بنات الناس، وأنها امتُحِنَتْ بمِحْنَةٍ، وأسألك بالله أن تسترني، فقد أُكْرِهْتُ على نفسي، وأنا حُبْلَى، وقلتُ: إنك زوجي فلا تفضحني. فنكّبْتُ عنها، ومضيت. فلم أشعر حتى جاء إمام المَحلّة والجيران يهنئوني بالولد الميمون، فأظهرت التهليل، ووزنتُ في اليوم الثاني للإمام دينارين، وقلت: أعطها نفقةً، فقد فارقتُها، وكنت أعطيها في كل شهر دينارين، حتى أتى على ذلك سنتان، فمات الطفل، وجاءني الناس يعزونني، فكنت أظهر لهم التسليم والرِّضى، فجاءتني بعد أيام بالدنانير فردَّتها ودعت لي، فقلت: هذا الذهب كان صلة للولد، وقد ورِثتيه، وهو لك. ١٢ / ٥٩٨

(٥٦٠) القراءة بالألحان

قال الأثرم:... وسألته - أي سأل الإمام أحمد بن حنبل - عن القراءة بالألحان، فقال: كل شيء مُحْدَث، فإنه لا يعجبني، إلا أن يكون صوت الرجل لا يتكلفه. ١٢ / ٦٢٤

(٥٦١) من موانع الإجابة

وعنه - أي: عن يحيى بن معاذ الرازي - قال:... لا تستبطئ الإجابة وقد سددت طريقها بالذنوب. ١٣ / ١٥

(٥٦٢) " لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها "

وعنه - أي: عن يحيى بن معاذ الرازي - قال:... الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة، وهو يسألك عن جناح بعوضة. ١٣ / ١٥

(٥٦٣) عاقبة الكبر

وقال عثمان بن خرزاذ: سمعت الشاذكوني يقول: جاءني محمد بن مسلم - أي: الرازي: المعروف بابن وارة -، فقعد يتقعر في كلامه، فقلت له: من أي بلد أنت؟ قال: من أهل الري، ألم يأتك خبري؟ ألم تسمع بنبئي؟ أنا ذو الرحلتين. قلت: مَن روى عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: (إن من الشِّعر حكمة) ؟ فقال: حدثني بعض أصحابنا. قلت: من؟ قال: أبو نعيم وقبيصة.

قلت: يا غلام! ائتني بالدرة، فأتاني بها، فأمرته، فضربه بها خمسين، وقلت: أنت تخرج من عندي، ما آمن أن تقول: حدثني بعض غلماننا!

قال زكريا الساجي: جاء ابن وارة إلى أبي كُريب، وكان في ابن وارة بأوٌ، فقال لأبي كريب: ألم يبلغك خبري؟ ألم يأتك نبئي؟ أنا ذو الرحلتين، أنا محمد بن مسلم بن وارة. فقال: وارة؟ وما وارة؟ وما أدراك ما وارة؟ قم، فوالله لا حدثتك، ولا حدثت قوماً أنت فيهم.

< جاء في الحاشية (٤): البأو: الكِبر والتيه >. ١٣ / ٣٠

(٥٦٤) خصال قائد الجيش

وعن أحمد بن إسحاق - أي: السرماري -، قال: ينبغي لقائد الغزاة أن يكون فيه عشر خصال: أن يكون في قلب الأسد: لا يجبن، وفي كبر النمر: لا يتواضع، وفي شجاعة الدب: يقتل بجوارحه كلها، وفي حملة الخنزير: لا يولي دبره، وفي غارة الذئب: إذا أيس من وجه أغار من وجه، وفي حمل السلاح كالنملة: تحمل أكثر من وزنها، وفي الثبات كالصخر، وفي الصبر كالحمار، وفي الوقاحة كالكلب: لو دخل صيده النار لدخل خلفه، وفي التماس الفرصة كالديك. ١٣ / ٣٧ - ٣٨

(٥٦٥) من صور الشجاعة

إبراهيم بن شماس: كنت أكاتب أحمد بن إسحاق السرماري، فكتب إلي: إذا أردت الخروج إلى بلاد الغُزَيَّة في شراء الأسرى، فاكتب

إلي. فكتبت إليه، فقدم سمرقند، فخرجنا، فلما علم جعبويه، استقبلنا في عدة من جيوشه، فأقمنا عنده، فعرض يوماً جيشه، فمر رجل، فعظمه، وخلع عليه، فسألني عنه السرماري، فقلت: هذا رجل مبارز، يعد بألف فارس. قال: أنا أبارزه. فسكت، فقال جعبويه: ما يقول هذا؟ قلت: يقول كذا وكذا. قال: لعله سكران لا يشعر، ولكن غدًا نركب. فلما كان الغد ركبوا، فركب السرماري معه عمود في كمه، فقام بإزاء المبارز، فقصده، فهرب أحمد حتى باعده من الجيش، ثم كر، وضربه بالعمود قتله، وتبع إبراهيم بن شماس، لأنه كان سبقه، فلحقه، وعلم جعبويه، فجهز في طلبه خمسين فارساً نقاوة، فأدركوه. فثبت تحت تل مختفياً، حتى مروا كلهم، واحداً بعد واحد، وجعل يضرب بعموده من ورائهم، إلى أن قتل تسعة وأربعين، وأمسك واحداً، قطع أنفه وأذنيه، وأطلقه ليخبر، ثم بعد عامين توفي أحمد، وذهب ابن شماس في الفِداء، فقال له جعبويه: من ذاك الذي قتل فرساننا؟ قال: ذاك أحمد السرماري. قال: فلم لم تحمله معك؟ قلت: توفي، فصك في وجهي، وقال: لو أعلمتني أنه هو لكنت أعطيه خمس مئة برذون، وعشرة آلاف شاة.

< جاء في الحاشية (١): البرذون: ضرب من الدواب، يخالف الخيل العراب، عظيم الخلقة، غليظ الأعضاء >. **١٣ / ٣٨ – ٣٩**

وعن خفيف السمرقندي، قال: خرجت مع المعتضد – أي الخليفة العباسي – للصيد، وانقطع عنه العسكر فخرج علينا الأسد، فقال: يا خفيف! أمسك فرسي. ونزل، فتحزم، وسل سيفه، وقصد الأسد، فقصده الأسد، فتلقاه المعتضد – أي: الخليفة العباسي –، فقطع يده، فتشاغل بها

الأسد، فضربه فلق هامته، ومسح سيفه في صوفه، وركب، وصحبته إلى أن مات، فما سمعته يذكر الأسد، لقلة احتفاله به. **١٣ / ٤٦٦-٤٦٧**

ذكره - أي: ذكر محمد بن سعد بن مردنيش الجذامي الأندلسي - اليسع - أي: ابن حزم - في "تاريخه"، وقال: نازلت الروم المريّةَ عند علمهم بموت ابن عياض، ولكون ابن مردنيش شاباً، ولكن عنده من الإقدام ما لا يوجد في أحد حتى أَضَرَّ به في مواضع شاهدناها معه، والرأي قبل الشجاعة، وإلا فهو في القوة والشجاعة في محلٍ لا يتمكن منه أحدٌ في عصره، ما استتم خمسة عشر عاماً حتى ظهرت شجاعته، فإن العدو نازل إفراغة، فَقَرُبَ فارسٌ منهم إلى السور، فخرج محمد، وأبوه سعد لا يعرف، فالتقيا على حافة النهر، فضربه محمد ألقاه مع حصانه في الماء، فلما كان الغد طلب فارس من الروم مبارزته، وقال: أين قاتل فارسنا بالأمس؟ فامتنع والده من إخراجه له، فلما كان وقت القائلة وقد نام أبوه، ركب حصانه، وخرج حتى وصل إلى خيام العدو، فقيل للملك: هذا ابن سعد. فأحضره مجلسه، وأكرمه، وقال: ما تريد؟ قال: منعني أبي من المبارزة، فأين الذي يبارز؟ فقال: لا تعصِ أباك. فقال له: لا بد. فحضر المبارز، فالتقيا، فضرب العلج محمداً في طارقته، وضرب هو العلجَ ألقاه، ثم أومأ إليه بالرمح ليقتله، فحالت الروم بينهما، وأعطاه الملك جائزة.

ومن شجاعته يوم نِوَلَه: كان في مئة فارس، والروم في ألف، فحمل بنفسه، فاجتمعت فيه أكثر من عشرين رمحاً، فما قلبوه، ولولا حَصَانَةُ عُدّته لهلك، فكشف عنه أصحابه، وانهزم الروم، فاتبعهم من الظهر إلى الليل، ثم هادن الروم عشر سنين.

< جاء في الحاشية (١) ص ك (٢٤١) في بيان معنى كلمة " نِوَلَه ": حصن من أعمال مرسية بالأندلس >. ٢٠ / ٢٤٠ - ٢٤١

(٥٦٦) مسائل الطلاق من أعظم المسائل

وقال ابن أبي حاتم: قال أبو زرعة: عجبت ممن يفتي في مسائل الطلاق، يحفظ أقل من مئة ألف حديث. ١٣ / ٦٩

(٥٦٧) من أقوال أبي زرعة الرازي في الأئمة والرجال

قال ابن أبي حاتم: سمعت أبا زرعة يقول: اختيار أحمد وإسحاق أحب إلي من قول الشافعي، وما أعرف في أصحابنا أسود الرأس أفقه من أحمد.

وسمعت أبا زرعة -وسئل عن مرسلات الثوري، ومرسلات شعبة- فقال: الثوري تساهل في الرجال، وشعبة لا يدلس ولا يرسل.

قيل له: فمالك مرسلاته أثبت أم الأوزاعي؟ قال: مالك لا يكاد يرسل إلا عن قوم ثقات، مالك متثبت في أهل بلده جداً، فإن تساهل، فإنما يتساهل في قوم غرباء لا يعرفهم. ١٣ / ٧٩

(قال أحمد بن محمد بن سليمان) سمعت أبا زرعة يقول: إذا انفرد ابن إسحاق بالحديث، لا يكون حجة. ثم روى له حديث القراءة خلف الإمام.

وسمعته يقول: كان الحوضي، وعلي بن الجعد، وقبيصة، يقدرون على الحفظ، يجيئون بالحديث بتمام. وذكر عن قبيصة كأنه يقرأ من كتاب.

قلت: يعجبني كثيراً كلام أبي زرعة في الجرح والتعديل، يبين عليه الورع والمخبرة، بخلاف رفيقه أبي حاتم، فإنه جَرَّاح. ١٣ / ٨٠ - ٨١

(٥٦٧) لا يُرد اجتهاد بمثله

وقال إمام الحرمين أبو المعالي: الذي ذهب إليه أهل التحقيق: أن منكري القياس لا يعدون من علماء الأمة، ولا من حملة الشريعة، لأنهم معاندون، مباهتون فيما ثبت استفاضة وتواترا، لأن معظم الشريعة صادر عن الاجتهاد، ولا تفي النصوص بعشر معشارها، وهؤلاء ملتحقون بالعوام.

قلت: هذا القول من أبي المعالي أداه إليه اجتهاده، وهم فأداهم اجتهادهم إلى نفي القول بالقياس، فكيف يرد الاجتهاد بمثله؟، وندري بالضرورة أن داود - أي: ابن علي الظاهري - كان يُقرئ مذهبه، ويناظر عليه، ويفتي به في مثل بغداد، وكثرة الأئمة بها وبغيرها، فلم نرهم قاموا عليه، ولا أنكروا فتاويه ولا تدريسه، ولا سعوا في منعه من بثه، وبالحضرة مثل إسماعيل القاضي، شيخ المالكية، وعثمان بن بشار الأنماطي، شيخ الشافعية، والمروذي، شيخ الحنبلية، وابني الإمام أحمد، وأبي العباس أحمد بن محمد البرتي، شيخ الحنفية، وأحمد بن أبي عمران القاضي، ومثل عالم بغداد إبراهيم الحربي. بل سكتوا له، حتى لقد قال قاسم بن أصبغ: ذاكرت الطبري -يعني ابن جرير- وابن سريج، فقلت لهما: كتاب ابن قتيبة في الفقه أين هو عندكما؟ قالا: ليس بشيء، ولا كتاب أبي عبيد، فإذا أردت الفقه فكتب الشافعي، وداود، ونظرائهما. ثم كان بعده ابنه أبو بكر، وابن المغلس، وعدة من تلامذة داود، وعلى أكتافهم مثل: ابن

سريج، شيخ الشافعية، وأبي بكر الخلال، شيخ الحنبلية، وأبي الحسن الكرخي شيخ الحنفية، وكان أبو جعفر الطحاوي بمصر. بل كانوا يتجالسون ويتناظرون، ويبرز كل منهم بحججه، ولا يسعون بالداودية إلى السلطان. بل أبلغ من ذلك، ينصبون معهم الخلاف، في تصانيفهم قديماً وحديثا. وبكل حال، فلهم أشياء أحسنوا فيها، ولهم مسائل مستهجنة، يشغب عليهم بها، وإلى ذلك يشير الإمام أبو عمرو بن الصلاح، حيث يقول: الذي اختاره الأستاذ أبو منصور، وذكر أنه الصحيح من المذهب، أنه يعتبر خلاف داود. ثم قال ابن الصلاح: وهذا الذي استقر عليه الأمر آخراً، كما هو الأغلب الأعرف من صفو الأئمة المتأخرين، الذين أوردوا مذهب داود في مصنفاتهم المشهورة، كالشيخ أبي حامد الإسفراييني، والماوردي، والقاضي أبي الطيب، فلولا اعتدادهم به لما ذكروا مذهبه في مصنفاتهم المشهورة. قال: وأرى أن يعتبر قوله إلا فيما خالف فيه القياس الجلي، وما أجمع عليه القياسيون من أنواعه، أو بناه على أصوله التي قام الدليل القاطع على بطلانها، فاتفاق من سواه إجماع منعقد، كقوله في التغوط في الماء الراكد، وتلك المسائل الشنيعة، وقوله: لا ربا إلا في السنة المنصوص عليها، فخلافه في هذا أو نحوه غير معتد به، لأنه مبني على ما يقطع ببطلانه.

قلت: لا ريب أن كل مسألة انفرد بها، وقطع ببطلان قوله فيها، فإنها هدر، وإنما نحكيها للتعجب، وكل مسألة له عضدها نص، وسبقه إليها صاحب أو تابع، فهي من مسائل الخلاف، فلا تهدر. وفي الجملة، فداود بن علي بصير بالفقه، عالم بالقرآن، حافظ للأثر، رأس في معرفة الخلاف، من أوعية العلم، له ذكاء خارق، وفيه دين متين.

وكـذلك في فقهـاء الظاهريـة جماعـة لهـم علـم بـاهر، وذكـاء قـوي، فالكمال عزيز، والله الموفق. ١٣/ ١٠٥- ١٠٨

(٥٦٨) الأئمة الاثنا عشر

قال المصنف رحمه الله:

محمد بن الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين بن علي بن الحسين الشهيد بن الإمام علي بن أبي طالب، العلوي الحسيني.

خاتمة الاثني عشر سيدا، الذين تدعي الإمامية عصمتهم -ولا عصمة إلا لنبي-. ومحمد هذا هو الذي يزعمون أنه الخَلَف الحجة، وأنه صاحب الزمان، وأنه صاحب السرداب بسامراء، وأنه حي لا يموت، حتى يخرج، فيملأ الأرض عدلاً وقسطا، كما ملئت ظلماً وجورا. فوددنا ذلك -والله- وهم في انتظاره من أربع مئة وسبعين سنة، ومَن أحالك على غائب لم ينصفك، فكيف بمن أحال على مستحيل؟! والإنصاف عزيز. فنعوذ بالله من الجهل والهوى.

فمولانا الإمام علي: من الخلفاء الراشدين، المشهود لهم بالجنة -رضي الله عنه-، نحبه أشد الحب، ولا ندعي عصمته، ولا عصمة أبي بكر الصديق.

وابناه الحسن والحسين: فسبطا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسيدا شباب أهل الجنة، لو استُخلفا لكانا أهلا لذلك.

وزين العابدين: كبير القدر، من سادة العلماء العاملين، يصلح للإمامة، وله نظراء، وغيره أكثر فتوى منه، وأكثر رواية.

وكذلك ابنه أبو جعفر الباقر: سيد، إمام، فقيه، يصلح للخلافة.

وكذا ولده جعفر الصادق: كبير الشأن، من أئمة العلم، كان أولى بالأمر من أبي جعفر المنصور.

وكان ولده موسى: كبير القدر، جيد العلم، أولى بالخلافة من هارون، وله نظراء في الشرف والفضل.

وابنه علي بن موسى الرضا: كبير الشأن، له علم وبيان، ووقع في النفوس، صيَّره المأمون ولي عهده لجلالته، فتوفي سنة ثلاث ومئتين.

وابنه محمد الجواد: من سادة قومه، لم يبلغ رتبة آبائه في العلم والفقه.

وكذلك ولده الملقب بالهادي: شريف جليل.

وكذلك ابنه الحسن بن علي العسكري. رحمهم الله -تعالى.

فأما محمد بن الحسن هذا: فنقل أبو محمد بن حزم: أن الحسن مات عن غير عقب. قال: وثبت جمهور الرافضة على أن للحسن ابناً أخفاه. وقيل: بل ولد له بعد موته، من أمَةٍ اسمها: نرجس، أو سوسن، والأظهر عندهم أنها: صقيل، وادعت الحمل بعد سيدها، فأوقف ميراثه لذلك سبع سنين، ونازعها في ذلك أخوه جعفر بن علي، فتعصب لها جماعة، وله آخرون، ثم انفشَّ ذلك الحمل، وبطل، فأخذ ميراث الحسن أخوه جعفر، وأخ له. وكان موت الحسن سنة ستين ومائتين... إلى أن قال: وزادت فتنة الرافضة بصقيل وبدعواها، إلى أن حبسها المعتضد بعد نيف وعشرين سنة من موت سيدها، وجعلت في قصره إلى أن ماتت في دولة المقتدر.

قلت: ويزعمون أن محمداً دخل سرداباً في بيت أبيه، وأمه تنظر إليه، فلم يخرج إلى الساعة منه، وكان ابن تسع سنين. وقيل دون ذلك. قال ابن خلكان: وقيل: بل دخل، وله سبع عشرة سنة، في سنة خمس وسبعين ومئتين، وقيل: بل في سنة خمس وستين، وأنه حي.

نعوذ بالله من زوال العقل. فلو فرضنا وقوع ذلك في سالف الدهر، فمن الذي رآه؟ ومن الذي نعتمد عليه في إخباره بحياته؟ ومن الذي نص لنا على عصمته، وأنه يعلم كل شيء؟ هذا هوسٌ بيِّن. إنْ سَلَّطناه على العقول ضلت وتحيرت، بل جوزت كل باطل. أعاذنا الله وإياكم من الاحتجاج بالمحال والكذب، أو رد الحق الصحيح كما هو ديدن الإمامية.

وممن قال: إن الحسن العسكري لم يعقب: محمد بن جرير الطبري، ويحيى بن صاعد، وناهيك بهما معرفة وثقة. **١٣ / ١١٩ – ١٢٢**

(٥٦٩) من عجائب المخلوقات

عبد الرحمن بن هارون: كنا في البحر سائرين إلى إفريقية، قال: فركدت علينا الريح، فأرسينا إلى موضع يقال له: البرطون، ومعنا صبي صَقْلَبي يقال له: أيمن، معه شِصٌ يصطاد به السمك، فاصطاد سمكة نحواً من شبر، أو أقل، فكان على صنيفته اليمنى مكتوب: لا إله إلا الله. وعلى قذالها وصنيفة أذنها اليسرى مكتوب: محمد رسول الله. وكان أبين من نقش على حجر، وكانت السمكة بيضاء، والكتابة سوداء، كأنه كتب بحبر، قال: فقذفناها في البحر، ومنع الناس أن يصيدوا من ذلك الموضع حتى أوغلنا.

< جاء في الحاشية (١): في الأصل " شيص " ومعناه: ردئ التمر. وهذا لا يستقيم مع سياق الكلام. والشِّصُّ، بكسر الشين وفتحها وتشديد الصاد: حديدة عقفاء يصاد بها السمك >.

< جاء في الحاشية (٢): القذال: جماع مؤخر الرأس >. **١٣ / ١٤٤ — ١٤٥**

قال أبو داود في "سننه": شَبَرتُ قِثَّاءَةً بمصر ثلاثة عشر شبرا، ورأيت أُترجةً على بعير، وقد قطعت قطعتين، وعُمِلَتْ مِثْلَ عدلين. **١٣ / ٢٢٠**

(٥٧٠) لا يذهب العُرف..

قال الخلال: خرج أبو بكر - أي: أي: المَرُّوذِي - إلى الغزو فشيعوه إلى سامراء، فجعل يردهم فلا يرجعون. قال: فحزروا فإذا هم بسامراء، سوى من رجع، نحو خمسين ألفا، فقيل له: يا أبا بكر: احمد الله! فهذا علم قد نشر لك، فبكى وقال: ليس هذا العلم لي، إنما هو لأبي عبد الله أحمد - أي: ابن حنبل -. **١٣ / ١٧٤**

ومن كلامه - أي: كلام الحكيم الترمذي -: ليس في الدنيا حِملٌ أثقل من البر، فمن بَرَّكَ فقد أوثقك، ومن جفاك فقد أطلقك. **١٣ / ٤٤٠**

(٥٧١) ملازمة العلماء

وكان - أي: إبراهيم بن ديزيل - يلقب بدابة عفان، لملازمته له، ويلقب بسِيْفَنَّة، وسِيْفَنَّة: طائر ببلاد مصر، لا يكاد يحط عل شجرة إلا أكل ورقها، حتى يعريها. فكذلك كان إبراهيم، إذا ورد على شيخ لم يفارقه حتى يستوعب ما عنده. **١٣ / ١٨٥**

(٥٧٢) "سنن أبي داود" في الميزان الحديثي

قال ابن داسه: سمعت أبا داود - أي صاحب السنن - يقول: ذكرت في "السنن" الصحيح وما يقاربه، فإن كان فيه وهن شديد بينته.

قلت: فقد وَفَّى -رحمه الله- بذلك بحسب اجتهاده، وبين ما ضعفه شديد، ووهنه غير محتمل، وكاسر عن ما ضعفه خفيف محتمل، فلا يلزم من سكوته -والحالة هذه- عن الحديث أن يكون حسناً عنده، ولا سيما إذا حكمنا على حد الحسن باصطلاحنا المولد الحادث، الذي هو في عرف السلف يعود إلى قسم من أقسام الصحيح، الذي يجب العمل به عند جمهور العلماء، أو الذي يرغب عنه أبو عبد الله البخاري، ويُمَشِيه مسلم، وبالعكس، فهو داخل في أداني مراتب الصحة، فإنه لو انحط عن ذلك لخرج عن الاحتجاج، ولبقي متجاذبا بين الضعف والحسن، فكتاب أبي داود أعلى ما فيه من الثابت ما أخرجه الشيخان، وذلك نحو من شطر الكتاب، ثم يليه ما أخرجه أحد الشيخين، ورغب عنه الآخر، ثم يليه ما رغبا عنه، وكان إسناده جيدا، سالما من علة وشذوذ، ثم يليه ما كان إسناده صالحا، وقبله العلماء لمجيئه من وجهين لَيِّنَيْنِ فصاعداً، يعضد كل إسناد منهما الآخر، ثم يليه ما ضُعِّفَ إسناده لنقص حفظ راويه، فمثل هذا يمشيه أبو داود، ويسكت عنه غالبا، ثم يليه ما كان بَيِّنَ الضعفِ من جهة راويه، فهذا لا يسكت عنه، بل يُوهنه غالباً، وقد يسكت عنه بحسب شهرته ونكارته، والله أعلم.

< جاء في الحاشية رقم (١) ص: (٢١٤) في بيان معنى قوله: (كاسر عن ما ضعفه خفيف...): كسر من طرفه: غض >. ١٣ / ٢١٣ - ٢١٥

(٥٧٣) خير الكلام

قال أبو بكر بن أبي داود - أي: صاحب السنن -: سمعت أبي يقول: خير الكلام ما دخل الأذن بغير إذن. ١٣ / ٢١٧

(٥٧٤) حائية ابن أبي داود

أبو حفص بن شاهين، أنشدنا أبو بكر بن أبي داود لنفسه:

تمسك بحبل الله واتبع الهدى   ولا تك بدعياً لعلك تفلح

ودِنْ بكتاب الله والسنن التي   أتت عن رسول الله تنجو وتربح

وقل: غير مخلوق كلام مليكنا   بذلك دان الأتقياء وأفصحوا

ولا تك في القرآن بالوقف قائلاً   كما قال أتباع لِجَهْمٍ وأسجحوا

ولا تقل: القرآن خَلق قَرَأتُهُ   فإن كلام الله باللفظ يوضح

وقل: يتجلى الله للخلق جهرة   كما البدر لا يخفى وربك أوضح

وليس بمولود وليس بوالد   وليس له شبه، تعالى المسبَّح

وقد ينكر الجهمي هذا وعندنا   بمصداق ما قلنا حديث مصرح

رواه جرير عن مقال محمد   فقل مثل ما قد قال في ذاك تنجح

وقد ينكر الجهمي أيضا يمينه   وكلتا يديه بالفواضل تنفح

وقل: ينزل الجبار في كل ليلة   بلا كيف، جل الواحد المتمدح

إلى طبق الدنيا يمنّ بفضله   فتفرج أبواب السماء وتفتح

يقول: ألا مستغفر يلق غافراً ... ومستمنح خيرا ورزقا فيمنح

روى ذاك قوم لا يرد حديثهم ... ألا خاب قوم كذبوهم وقُبِّحوا

وقل:إن خير الناس بعد محمد ... وزيراه قدماً، ثم عثمان الارجح

ورابعهم خير البرية بعدهم ... علي حليف الخير بالخير منجح

وإنهم للرهط لا ريب فيهم ... على نجب الفردوس بالنور تسرح

سعيد وسعد وابن عوف وطلحة ... وعامر فهر والزبير الممدح

وقل خير قول في الصحابة كلهم ... ولا تك طعانا تعيب وتجرح

فقد نطق الوحي المبين بفضلهم ... وفي الفتح آي للصحابة تمدح

وبالقدر المقدور أيقن فإنه ... دعامة عقد الدين والدين أفيح

ولا تنكرنْ -جهلاً- نكيراً ومنكراً ... ولا الحوض والميزان، إنك تُنصح

وقل: يُخرج اللهُ العظيمُ بفضله ... من النار أجساداً من الفحم تطرح

على النهر في الفردوس تحيا بمائه ... كحبِ حَمِيلِ السيل إذ جاء يطفح

وإن رسول الله للخلق شافع ... وقل في عذاب القبر: حقٌ موضحُ

ولا تُكفِرَنْ أهل الصلاة وإن عصوا ... فكلهم يعصي، وذو العرش يصفح

ولا تعتقد رأي الخوارج إنه ... مقال لمن يهواه يردي ويفضح

ولا تك مرجياً لعوباً بدينه ... ألا إنما المرجي بالدين يمزح

وقل: إنما الإيمان قولٌ ونية ... وفعلٌ على قول النبي مُصرَح

وينقص طوراً بالمعاصي وتارة ... بطاعته يَنْمى وفي الوزن يرجح

ودع عنك آراء الرجال وقولهم ... فقول رسول الله أولى وأشرح

ولا تــك مــن قــوم تلــهو بدينــهم فتطعن في أهل الحديث وتقدح
إذا ما اعتقدت الدهر، يا صاح، هذه فأنت على خير تبيت وتصبح

١٣ / ٢٣٣

(٥٧٥) شرف علم الحديث

وقال ابن أبي حاتم في أول كتاب "الجرح والتعديل" له: سمعت أبي يقول: جاءني رجل من جِلَّةِ أصحاب الرأي، من أهل الفهم منهم، ومعه دفتر، فعرضه علي، فقلت في بعضه: هذا حديث خطأ، قد دخل لصاحبه حديث في حديث، وهذا باطل، وهذا منكر، وسائر ذلك صحاح، فقال: من أين علمت أن ذاك خطأ، وذاك باطل، وذاك كذب؟ أأخبرك راوي هذا الكتاب بأني غلطت، أو بأني كذبت في حديث كذا؟ قلت: لا، ما أدري هذا الجزء من راويه، غير أني أعلم أن هذا الحديث خطأ، وأن هذا باطل، فقال: تدعي الغيب؟ قلت: ما هذا ادعاء غيب. قال: فما الدليل على ما قلت؟ قلت: سل عما قلت، من يحسن مثل ما أحسن، فإن اتفقنا علمت أنا لم نجازف ولم نقله إلا بفهم. قال: ويقول أبو زرعة كقولك؟ قلت: نعم، قال: هذا عجب. قال: فكتب في كاغد ألفاظي في تلك الأحاديث، ثم رجع إلي، وقد كتب ألفاظ ما تكلم به أبو زرعة في تلك الأحاديث، فقال: ما قلت إنه كذب، قال أبو زرعة: هو باطل. قلت: الكذب والباطل واحد، قال: وما قلت: إنه منكر، قال: هو منكر، كما قلت، وما قلت: إنه صحيح، قال: هو صحيح. ثم قال: ما أعجب هذا! تتفقان من غير مواطأة فيما بينكما. قلت: فعند ذلك علمت أنا لم نجازف، وأنا قلنا بعلم ومعرفة قد أوتيناه، والدليل على صحة ما نقوله

أن دينارًا بهرجًا يحمل إلى الناقد، فيقول: هذا بهرج. فإن قيل له: من أين قلت: إن هذا بهرج؟ هل كنت حاضرا حين بهرج هذا الدينار؟ قال: لا. وإن قيل: أخبرك الذي بهرجه؟ قال: لا. قيل: فمن أين قلت؟ قال: علماً رزقته. وكذلك نحن رزقنا معرفة ذلك، وكذلك إذا حمل إلى جوهري فص ياقوت وفص زجاج، يعرف ذا من ذا، ويقول كذلك. وكذلك نحن رزقنا علما، لا يتهيأ له أن نخبرك كيف علمنا بأن هذا كذب، أو هذا منكر، فنعلم صحة الحديث بعدالة ناقليه، وأن يكون كلاما يصلح أن يكون كلام النبوة، ونعرف سقمه وإنكاره بتفرد من لم تصح عدالته.

< جاء في الحاشية رقم (٣): الكاغد: القرطاس >. **١٣ / ٢٥٣ – ٢٥٤**

قال محمد بن مخلد العطار: سمعت إبراهيم الحربي يقول: لا أعلم عصابة خيراً من أصحاب الحديث، إنما يغدو أحدهم، ومعه محبرة، فيقول: كيف فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- وكيف صلى. إياكم أن تجلسوا إلى أهل البدع، فإن الرجل إذا أقبل ببدعة ليس يفلح.

وقال عثمان بن حمدويه البزاز: سمعت إبراهيم الحربي يقول: خرج أبو يوسف القاضي يوماً -وأصحاب الحديث على الباب- فقال: ما على الأرض خير منكم، قد جئتم أو بكرتم تسمعون حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم. **١٣ / ٣٥٨**

سمعت – القائل هو: أبو الحسن المطهر بن علي العلوي – أبا سعد السمان إمام المعتزلة يقول: من لم يكتب الحديث لم يتغرغر بحلاوة الإسلام. **١٨ / ٥٧**

قال السلفي: أنشدنا السَّرَّاج – أي: أبو محمد جعفر بن أحمد البغدادي – لنفسه:

لله در عصابة يسعون في طلب الفوائد
يُدعون أصحابَ الحديث بهم تجمَّلت المشاهد
طوراً تراهم بالصعيد وتارة في ثغر آمد
يَتَّبعُونَ من العلوم بكل أرض كل شارد
وهم النجوم المقتدى بهمُ إلى سبل المقاصد

١٩ / ٢٣٠ – ٢٣١

< جاء في الحاشية (٣) ص: (٣٧٧) ج: (١٩): لأبي عبدالله محمد بن علي الصوري قوله:

قل لمن أنكر الحديث وأضحى عائباً أهله ومن يدَّعيه
أبعلم تقول هذا أَبِنْ لي أم بجهلٍ، فالجهل خلق السفيه
أيُعاب الذين هم حفظوا الدين من الترهات والتمويه
وإلى قولهم وما قد رووه راجعٌ كل عالم وفقيه >

أحمد بن سنان، سمعت شيبان بن يحيى يقول: ما أعلم طريقا إلى الجنة أقصد ممن يسلك طريق الحديث. **٢٠ / ٣٣٠ - ٣٣١**

(٥٧٦) صبر العلماء في سبيل التحصيل

سمعت أبي - السامع هو: عبدالرحمن ابن أبي حاتم الرازي - يقول: بقيت في سنة أربع عشرة ثمانية أشهر بالبصرة، وكان في نفسي أن أقيم سنة، فانقطعت نفقتي، فجعلت أبيع ثيابي حتى نفدت، وبقيت بلا نفقة،

ومضيت أطواف مع صديق لي إلى المشيخة، وأسمع إلى المساء، فانصرف رفيقي، ورجعت إلى بيتي، فجعلت أشرب الماء من الجوع، ثم أصبحت، فغدا علي رفيقي، فجعلت أطوف معه في سماع الحديث على جوع شديد، وانصرفت جائعا، فلما كان من الغد، غدا علي، فقال: مر بنا إلى المشايخ. قلت: أنا ضعيف لا يمكنني. قال: ما ضعفك؟ قلت: لا أكتمك أمري، قد مضى يومان ما طعمت فيهما شيئا، فقال: قد بقي معي دينار، فنصفه لك، ونجعل النصف الآخر في الكراء، فخرجنا من البصرة، وأخذت منه النصف دينار. وسمعت أبي يقول: خرجنا من المدينة، من عند داود الجعفري، وصرنا إلى الجار وركبنا البحر، فكانت الريح في وجوهنا، فبقينا في البحر ثلاثة أشهر، وضاقت صدورنا، وفني ما كان معنا، وخرجنا إلى البر نمشي أياما، حتى فني ما تبقى معنا من الزاد والماء، فمشينا يوما لم نأكل ولم نشرب، ويوم الثاني كمثل، ويوم الثالث، فلما كان يكون المساء صلينا، وكنا نلقي بأنفسنا حيث كنا، فلما أصبحنا في اليوم الثالث، جعلنا نمشي على قدر طاقتنا، وكنا ثلاثة أنفس: شيخ نيسابوري، وأبو زهير المروروذي، فسقط الشيخ مغشياً عليه، فجئنا نحركه وهو لا يعقل، فتركناه، ومشينا قدر فرسخ، فضعفت، وسقطت مغشياً علي، ومضى صاحبي يمشي، فبصر من بعد قوما، قربوا سفينتهم من البر، ونزلوا على بئر موسى، فلما عاينهم، لوح بثوبه إليهم، فجاءوه معهم ماء في إداوة. فسقوه وأخذوا بيده، فقال لهم: الحقوا رفيقين لي، فما شعرت إلا برجل يصب الماء على وجهي، ففتحت عيني، فقلت: اسقني، فصب من الماء في مشربة قليلا، فشربت، ورجعت إلي نفسي، ثم سقاني قليلا، وأخذ بيدي، فقلت: ورائي شيخ ملقي، فذهب

جماعة إليه، وأخذ بيدي، وأنا أمشي وأجر رجلي، حتى إذا بلغت إلى عند سفينتهم، وأتوا بالشيخ، وأحسنوا إلينا، فبقينا أياماً حتى رجعت إلينا أنفسنا، ثم كتبوا لنا كتابا إلى مدينة يقال لها: راية، إلى واليهم، وزودونا من الكعك والسويق والماء. فلم نزل نمشي حتى نفد ما كان معنا من الماء والقوت، فجعلنا نمشي جياعاً على شط البحر، حتى دفعنا إلى سلحفاة مثل الترس، فعمدنا إلى حجر كبير، فضربنا على ظهرها، فانفلق، فإذا فيها مثل صفرة البيض، فتحسيناه حتى سكن عنا الجوع، ثم وصلنا إلى مدينة الراية، وأوصلنا الكتاب إلى عاملها، فأنزلنا في داره، فكان يقدم لنا كل يوم القرع، ويقول لخادمه: هاتي لهم اليقطين المبارك. فيقدمه مع الخبز أياماً، فقال واحد منا: ألا تدعو باللحم المشئوم؟! فسمع صاحب الدار، فقال: أنا أحسن بالفارسية، فإن جدتي كانت هروية، وأتانا بعد ذلك باللحم، ثم زودنا إلى مصر. **١٣ / ٢٥٦ – ٢٥٨**

وقال الرازي: وسمعت علي بن أحمد الخوارزمي يقول: سمعت عبدالرحمن بن أبي حاتم يقول: كنا بمصر سبعة أشهر، لم نأكل فيها مرقة، كل نهارنا مقسَّم لمجالس الشيوخ، وبالليل: النسخ والمقابلة. قال: فأتينا يوماً أنا ورفيق لي شيخاً، فقالوا: هو عليل، فرأينا في طريقنا سمكة أعجبتنا، فاشتريناه، فلما صرنا إلى البيت، حضر وقت مجلس، فلم يمكنا إصلاحه، ومضينا إلى المجلس، فلم نزل حتى أتى عليه ثلاثة أيام، وكاد أن يتغير، فأكلناه نيئاً، لم يكن لنا فراغ أن نعطيه من يشويه. ثم قال: لا يستطاع العلم براحة الجسد. **١٣ / ٢٦٦**

أبو الحسن الصفار الفقيه قال: كنا عند الحسن بن سفيان - أي: الخراساني -، وقد اجتمع إليه طائفة من أهل الفضل، ارتحلوا إليه، فخرج يوما فقال: اسمعوا ما أقول لكم قبل الإملاء: قد علمنا أنكم من أبناء النعم، هجرتم الوطن، فلا يخطرن ببالكم أنكم رضيتم بهذا التجشم للعلم حقا، فإني أحدثكم ببعض ما تحملته في طلب العلم:

ارتحلت من وطني، فاتفق حصولي بمصر في تسعة من أصحابي طلبة العلم، وكنا نختلف إلى شيخٍ أرفعِ أهلِ عصره في العلم منزلة، فكان يملي علينا كل يوم قليلاً، حتى خفَّت النفقة، وبعنا أثاثنا، فطوينا ثلاثاً، وأصبحنا لا حراك بنا، فأحوجت الضرورة إلى كشف قناع الحشمة وبذل الوجه، فلم تسمح أنفسنا، فوقع الاختيار على قرعة، فوقعت علي، فتحيرت وعدلت، فصليت ركعتين، ودعوت، فلم أفرغ حتى دخل المسجد شاب معه خادم، فقال: من منكم الحسن بن سفيان؟ قلت: أنا، قال: إن الأمير طولون يقرئكم السلام ويعتذر من الغفلة عن تفقد أحوالكم، وقد بعث بهذا، وهو زائركم غداً. ووضع بين يدي كل واحد مئة دينار، فتعجبنا وقلنا: ما القصة؟.. قال: دخلت عليه بُكرة فقال: أحب أن أخلو اليوم. فانصرفنا، فبعد ساعة طلبني، فأتيه، فإذا به يده على خاصرته لوجع مُمِضٍّ اعتراه، فقال لي: تعرف الحسن بن سفيان وأصحابه؟ قلت: لا. قال: اقصد المسجد الفلاني، واحمل هذه الصرر إليهم؛ فإنهم منذ ثلاثة أيام جياع، ومَهِّد عذري لديهم. فسألته، فقال: انفردت فنمت، فرأيت فارساً في الهواء، في يده رمح، فنزل إلى باب هذا البيت، ووضع سافلة رمحه على خاصرتي وقال: قم فأدرك الحسن بن سفيان وأصحابه، قم فأدركهم، فإنهم منذ ثلاث جياع في المسجد الفلاني. فقلت له:

من أنت؟ قال: أنا رضوان صاحب الجنة. فمنذ أصاب رمحه خاصرتي أصابني وجع شديد، فعجل إيصال هذا المال إليهم ليزول هذا الوجع عني. قال الحسن: فعجبنا وشكرنا الله، وخرجنا تلك الليلة من مصر لئلا نشتهر، وأصبح كل واحد منا واحد عصره، وقريع دهره في العلم والفضل. قال: فلما أصبح الأمير طولون فأحسّ بخروجنا، أمر بابتياع تلك المحلة، ووقفها على المسجد، وعلى من ينزل به من الغرباء وأهل الفضل، نفقة لهم، لئلا تختل أمورهم، وذلك كله من قوة الدين وصفاء العقيدة.

رواها الحافظ عبد الغني في الرابع من الحكايات، عن أبي زرعة إذناً، عن الحسن بن أحمد السمرقندي، عن بشرويه، فالله أعلم بصحتها. ولم يَلِ طولون مصر، وأما ابنه أحمد بن طولون فيصغر عن الحكاية، ولا أعرف ناقلها، وذلك ممكن. **١٤ / ١٦١-١٦٢**

قال أبو مسعود عبد الرحيم الحاجي: سمعت ابن طاهر -أي: محمد القيسراني- يقول: بُلْتُ الدم في طلب الحديث مرتين، مرة ببغداد، وأخرى بمكة، كنت أمشي حافيا في الحر، فلحقني ذلك، وما ركبت دابة قط في طلب الحديث، وكنت أحمل كتبي على ظهري، وما سألت في حال الطلب أحداً، كنت أعيش على ما يأتي. **١٩ / ٣٦٣**

وأقمت - القائل هو: محمد بن طاهر القيسراني - بتِنِّيس مدة على أبي محمد بن الحداد ونظرائه، فضاق بي، فلم يبق معي غير درهم، وكنت أحتاج إلى حبر وكاغد، فترددت في صرفه في الحبر أو الكاغد أو الخبز، ومضى على هذا ثلاثة أيام لم أطعم فيها، فلما كان بكرة اليوم الرابع، قلت في نفسي: لو كان لي اليوم كاغد، لم يمكني أن أكتب من الجوع،

فجعلت الدرهم في فمي، وخرجت لأشتري خبزاً، فبلعته، ووقع علي الضحك، فلقيني صديق وأنا أضحك، فقال: ما أضحكك؟ قلت: خير، فألح علي، وأبيت أن أخبره، فحلف بالطلاق لتصدقني، فأخبرته، فأدخلني منزله، وتكلف أطعمة، فلما خرجنا لصلاة الظهر، اجتمع به بعض وكلاء عامل تنيس بن قادوس، فسأله عني، فقال: هو هذا، قال: إن صاحبي منذ شهر أمر بي أن أوصل إليه كل يوم عشرة دراهم قيمتها ربع دينار، وسهوت عنه، فأخذ منه ثلاث مئة، وجاء بها. **١٩ / ٣٦٧**

قال أبو الحسن المدائني في كتاب الحكمة: قيل للشعبي: من أين لك كل هذا العلم؟ قال: بنفي الاغتمام، والسير في البلاد، وصبر كصبر الحمام، وبكور كبكور الغراب. **٤/ ٣٠٠**

عبدالله بن يحيى بن أبي كثير: سمعت أبي يقول: لا يستطاع العلم براحة الجسد. **٦ / ٢٩**

(٥٧٧) الثبات عزيز

قال الرازي: سمعت علي بن محمد المصري - ونحن في جنازة ابن أبي حاتم - يقول: قلنسوة عبدالرحمن من السماء، وما هو بعجب، رجل منذ ثمانين سنة على وتيرة واحدة، لم ينحرف عن الطريق. **١٣ / ٢٦٥**

(٥٧٨) ألفاظ الجرح والتعديل

ومن كلامه - أي: كلام عبدالرحمن ابن أبي حاتم - قال: وجدت ألفاظ التعديل والجرح مراتب: فإذا قيل: ثقة، أو: متقن: احتُج به. وإن قيل:

صدوق، أو: محله الصدق، أو: لا بأس به: فهو ممن يكتب حديثه، وينظر فيه (وهي المنزلة الثانية). وإذا قيل: شيخ: فيكتب حديثه، وهو دون ما قبله. وإذا قيل: صالح الحديث، فيكتب حديثه، وهو دون ذلك، يكتب للاعتبار. وإذا قيل: لَيِّن: فدون ذلك. وإذا قالوا: ضعيف الحديث: فلا يُطْرَحُ حديثه، بل يعتبر به. فإذا قالوا: متروك الحديث، أو: ذاهب الحديث، أو: كذاب: فلا يكتب حديثه. ١٣ / ٢٦٧

(٥٧٩) ليس في الدين محاباة

وقال أبو بكر البيهقي: كان - أي: ابن قتيبة الدينوري - يرى رأي الكرَّاميَّة.

ونقل صاحب " مرآة الزمان "، بلا إسناد عن الدارقطني، أنه قال: كان ابن قتيبة يميل إلى التشبيه. قلت: هذا لم يصح، وإن صح عنه، فسحقاً له، فما في الدين محاباة. ١٣ / ٢٩٨

(٥٨٠) العالم وفضول الخروج

وروى الحسن الصائغ: حدثنا الكديمي - أي: أبو العباس: محمد بن يونس -، قال: خرجت أنا وعلي بن المدينى وسليمان الشاذكوني نتنزه، ولم يبق لنا موضع غير بستان الأمير، وكان الأمير قد منع من الخروج إلى الصحراء فكما قعدنا، وافى الأمير فقال: خذوهم، فأخذونا، وكنت أصغرهم، فبطحوني، وقعدوا على أكتافي، فقلت: أيها الأمير! اسمع:

حدثنا الحميدي، أخبرنا سفيان، عن عمرو، عن أبي قابوس، عن ابن عباس، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء) قال: أعده. فأعدته، فقال: قوموا عنه، وقال: أنت تحفظ مثل هذا وتخرج تتنزه.

كذا فيه ابن عباس، وصوابه: عبد الله بن عمرو.

< جاء في الحاشية رقم (٤) في تفسير قوله " فكما قعدنا ": " كما " هنا بمعنى: حين >. **١٣ / ٣٠٣ – ٣٠٤**

(٥٨١) عزة النفس

قال له – أي: لأبي العيناء البصري – الوزير أبو الصقر: ما أخرك عنا؟ قال: سرق حماري. قال: وكيف سرق؟ قال: لم أك مع اللص فأخبرك. قال: فهلا جئت على غيره؟ قال: أخرني عن السُّرى قلة يساري، وكرهت ذلة العواري، ونزق المُكاري. **١٣ / ٣٠٩**

(٥٨٢) تزود من التقوى..

وله – أي: لهلال بن العلاء – شعر رائق، لائق بكل ذائق، فمنه:

سيَبلى لسانٌ كان يُعرِبُ لَفظَـهُ فيا ليته من وقفة العَرْض يسلم

وما تنفع الآداب إن لم يكن تقى وما ضر ذا تقوى لسانٌ مُعَجَّمُ

١٣ / ٣١٠

وله – أي: للقاسم بن الفتح ابن الريولي –:

أيـــام عمـــرك تذهـــــب وجميـــع سعـــيك يكتـــب
ثـــم الـــشهيد عليـــك منـــ ـــك فـــأين أيـــن المهـــرب؟

١٨ / ١١٦

ومن شعره - أي: أبو القاسم علي بن الحسين الربعي -:

إن كنت نلت من الحياة وطيبها مع حسن وجهك عفة وشباباً
فاحذر لنفسك أن تُرى متمنـياً يوم القيامة أن تكون تراباً

١٩ / ١٩٥

(٥٨٣) الإعذار من شيم الكرام

وله- أي: لهلال بن العلاء - مما رواه عنه خيثمة بن سليمان:
اقبل معـاذير من يأتيك معتذراً إن برَّ عندك فيما قال أو فجـرا
فقد أطاعك من أرضاك ظاهره وقد أجلَّك مـن يعصيك مستترا

١٣ / ٣١٠

(٥٨٤) ماذا لو رأى حالنا؟!!

قال عثمان بن سعيد - أي: الدارمي -: من لم يجمع حديث شعبة وسفيان ومالك، وحماد بن زيد، وسفيان ابن عيينة، فهو مفلس في الحديث - يريد أنه ما بلغ درجة الحفاظ -.

وبلا ريب، أن من جمع علم هؤلاء الخمسة، وأحاط بسائر حديثهم، وكتبه عالياً ونازلاً، وفهم علله، فقد أحاط بشطر السنة النبوية، بل بأكثر من ذلك، وقد عُدِم في زماننا من ينهض بهذا، وببعضه، فنسأل الله المغفرة. وأيضا فلو أراد أحد أن يتتبع حديث الثوري وحده، ويكتبه بأسانيد نفسِه على طولها، ويبين صحيحه من سقيمه، لكان يجيء "مسنده" في عشر مجلدات، وإنما شأن المحدث اليوم الاعتناء بالدواوين الستة، و "مسند" أحمد بن حنبل، و "سنن" البيهقي، وضبط متونها وأسانيدها، ثم لا ينتفع بذلك حتى يتقي ربه، ويدين بالحديث. فعلى علم الحديث وعلمائه ليبك من كان باكيا، فقد عاد الإسلام المحض غريباً كما بدأ، فلْيسعَ امرؤ في فكاك رقبته من النار، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم العلم ليس هو بكثرة الرواية، ولكنه نور يقذفه الله في القلب، وشرطه الاتباع، والفرار من الهوى والابتداع. وفقنا الله وإياكم لطاعته. **١٣/ ٣٢٣**

(٥٨٥) حب الأوطان

قال المصنف رحمه الله:

... وقال عليه السلام: (حُبِّبَ إليَّ النساء والطيب). وقال: (كأنك علمت حبنا للحم). وكان يحب عائشة، ويحب أباها، ويحب أسامة، ويحب سبطيه ويحب الحلواء والعسل، ويحب جبل أحد، ويحب وطنه، ويحب الأنصار، إلى أشياء لا تحصى مما لا يغني المؤمن عنها قط. **١٥/ ٣٩٤**

قال أسلم بن عبدالعزيز: سمعت ابن عبدالحكم يقول: لم يقدم علينا من الأندلس أحدٌ أعلمَ من قاسم بن محمد - أي: البيَّاني -، ولقد عاتبته حين رجوعه إلى الأندلس، قلت: أقِم عندنا، فإنك تَعتقد هنا رئاسة، ويحتاج الناس إليك. فقال: لا بد من الوطن. ١٣ / ٣٢٩

قال أبو الوليد حسان بن محمد: سمعت أبا العباس السرَّاج يقول: وأسفي على بغداد! فقيل له: ما حملك على فراقها؟ قال: أقام بها أخي إسماعيل خمسين سنة، فلما توفي ورُفِعَت جنازته، سمعت رجلاً على باب الدرب يقول لآخر: من هذا الميت؟ قال: غريب كان هاهنا. فقلت: إنا لله، بعد طول مقام أخي بها، واشتهاره بالعلم والتجارة، يقال له: غريب كان هنا!. فحملتني هذه الكلمة على الانصراف إلى الوطن. ١٤ / ٣٩٦

(٥٨٦) لا معين إلا الله

ومن كلام سهل - أي: ابن عبدالله التُستَّري -: لا معين إلا الله، ولا دليل إلا رسول الله، ولا زاد إلا التقوى، ولا عمل إلا الصبر عليه. ١٣ / ٣٣١

(٥٨٧) الزنديق

وقال - أي: سهل بن عبدالله التُستَّري -: إنما سمي الزنديق زنديقا، لأنه وزن دِقَّ الكلام بمخبول عقله وقياس هوى طبعه، وترك الأثر والاقتداء بالسنة، وتأول القرآن بالهوى، فسبحان من لا تكيفه الأوهام. في كلام نحو هذا. ١٣ / ٣٣٢

(٥٨٨) الأصول الستة

أبو بكر الجوربي، سمعت سهل بن عبد الله - أي: التُستَّري - يقول: أصولنا ستة: التمسك بالقرآن، والاقتداء بالسنة، وأكل الحلال، وكف الأذى واجتناب الآثام، والتوبة، وأداء الحقوق. ١٣ / ٣٣٢

(٥٨٩) ليس كل غَيبة جفوة

أبو الحسن بن قريش يقول: حضرت إبراهيم الحربي -وجاءه يوسف القاضي، ومعه ابنه أبو عمر- فقال له: يا أبا إسحاق، لو جئناك على مقدار واجب حقك، لكانت أوقاتنا كلها عندك. فقال: ليس كل غَيبة جفوة، ولا كل لقاء مودة، وإنما هو تقارب القلوب. ١٣ / ٣٥٨

(٥٩٠) عاقبة الصدق في بذل العلم

الحاكم: سمعت محمد بن عبد الله الصفار، سمعت إبراهيم الحربي -وحدث عن حميد بن زنجويه، عن عبد الله بن صالح العجلي بحديث- فقال: اللهم لك الحمد، ورفع يديه فحمد الله، ثم قال: عندي عن عبد الله بن صالح قمطر، وليس عندي عن حميد غير هذا الطبق، وأنا أحمد الله على الصدق. زادني فيه بعض أصحابنا: عن الصفار، فقال رجل: يا أبا إسحاق، لو قلت فيما لم تسمع: سمعت، لما أقبل الله بهذه الوجوه عليك. ١٣ / ٣٥٨ - ٣٥٩

(٥٩١) غربة الصالحين

أبو الحسين العَتَكي، قال: سمعت إبراهيم الحربي يقول لجماعة عنده: من تعدون الغريب في زمانكم؟ فقال رجل: الغريب: من نأى عن وطنه. وقال آخر: الغريب: من فارق أحبابه. فقال إبراهيم: الغريب في زماننا: رجل صالح، عاش بين قوم صالحين، إن أمر بمعروف آزروه، وإن نهى عن منكر أعانوه، وإن احتاج إلى سبب من الدنيا أمدوه، ثم ماتوا وتركوه. ١٣/ ٣٦٢

(٥٩٢) عُدَّةُ صاحب الحديث

قال محمد بن بركة الحلبي: سمعت عثمان بن خرزاذ يقول: يحتاج صاحب الحديث إلى خمس، فإن عُدمت واحدة، فهي نقص، يحتاج إلى: عقل جيد، ودين، وضبط، وحذاقة بالصناعة، مع أمانة تعرف منه.

قلت: الأمانة جزء من الدين، والضبط داخل في الحذق، فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقياً ذكياً، نحوياً لغوياً، زكياً حيياً، سلفياً، يكفيه أن يكتب بيده مئتي مجلد، ويحصل من الدواوين المعتبرة خمس مئة مجلد، وأن لا يفتر من طلب العلم إلى الممات، بنية خالصة وتواضع، وإلا فلا يتعن. ١٣/ ٣٨٠

(٥٩٣) قضاة السلف!

قال الخطيب: كان - أي: أبو العباس البِرْتي - ثقة ثبتا حجة، يذكر بالصلاح والعبادة... إلى أن قال: أخبرنا القاضي الصيمري، أخبرنا القاضي

أبو عبد الله الضبي، أخبرنا القاضي محمد بن صالح الهاشمي، أخبرنا أبو عمر محمد بن يوسف القاضي، قال: ركبت يوما مع إسماعيل القاضي إلى أحمد بن محمد البرتي، وهو ملازم لبيته، فرأيت شيخاً مُصْفاراً، أثر العبادة عليه، ورأيت إسماعيل أعظمه إعظاماً شديداً، وسأله عن نفسه وأهله وعجائزه، وجلسنا عنده ساعة، وانصرفنا، فقال لي إسماعيل: يا بني! تدري مَن هذا الشيخ؟ قلت: لا. قال: هذا القاضي البرتي، لزم بيته، واشتغل بالعبادة، هكذا تكون القضاة، لا كما نحن. ١٣ / ٤٠٨ – ٤٠٨

(٥٩٤) صلاح خمسةٍ في خمسة

وقال - أي: الحكيم الترمذي -: صلاح خمسةٍ في خمسة: صلاح الصبي في المكتب، وصلاح الفتى في العلم، وصلاح الكهل في المسجد، وصلاح المرأة في البيت، وصلاح المؤذي في السجن. ١٣ / ٤٤١

(٥٩٥) خاتمة سيئة

قال المصنف رحمه الله:

السرخسي: الفيلسوف، البارع، ذو التصانيف أبو العباس؛ أحمد بن الطيب، وقيل: أحمد بن محمد السرخسي، من بحور العلم الذي لا ينفع. وكان مؤدب المعتضد، ثم صار نديمه وصاحب سره ومشورته، وله رئاسة وجلالة كبيرة. وهو تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف... ثم إن المعتضد انتخى لله، وقتل السرخسي لفلسفته وخبث معتقده. فقيل: إنه

تتصل إليه، وقال: قد بعْت كتب الفلسفة والنجوم والكلام، وما عندي سوى كتب الفقه والحديث. فلما خرج قال المعتضد: والله إني لأعلم أنه زنديق، فعل ما زعم رياء. ويقال: إنه قال له: لك سالف خِدَم، فكيف تختار أن نقتلك؟ فاختار أن يطعم كباب اللحم، وأن يُسقى خمراً كثيراً حتى يَسْكُر، ويُفْصَد في يديه، ففعل به ذلك، فصفي من الدم، وبقيت فيه حياة، وغلبت عليه الصفراء، وجُنَّ، وصاح، وبقي ينطح الحائط لفرط الآلام، ويعدو كثيرا حتى مات، وذلك في أول سنة ست وثمانين ومئتين. ١٣/ ٤٤٨-٤٤٩

(٥٩٦) تأييد الله لأهل الحسبة

قيل: كان لتاجر على أميرٍ مال، فمطله، ثم جحده، فقال له صاحب له: قم معي، فأتى بي خياطاً في مسجد. فقام معنا إلى الأمير، فلما رآه، هابه، ووفاني المال، فقلت للخياط: خذ مني ما تريد، فغضب، فقلت له: فحدثني عن سبب خوفه منك، قال: خرجت ليلة، فإذا بتركي قد صاد امرأة مليحة، وهي تتمنع منه وتستغيث، فأنكرتُ عليه، فضربني. فلما صليت العشاء جمعت أصحابي، وجئت بابه، فخرج في غلمانه، وعرفني، فضربني وشجني، وحُملت إلى بيتي، فلما تنصف الليل، قمت فأذَّنت في المنارة، لكي يظن أن الفجر طلع، فيخلي المرأة، لأنها قالت: زوجي حالف علي بالطلاق أنني لا أبيت عن بيتي، فما نزلت حتى أحاط بي بدرٌ وأعوانه، فأُدخلت على المعتضد - أي: الخليفة العباسي -، فقال: ما هذا الأذان؟ فحدثته بالقصة، فطلب التركي، وجهز المرأة إلى بيتها، وضرب التركي في جوالق حتى مات، ثم قال

لي: أنكر المنكر، وما جرى عليك فأذّن كما أذنت، فدعوت له، وشاع الخبر، فما خاطبت أحداً في خصمه إلا أطاعني وخاف. **١٣/ ٤٧١-٤٧٢**

(٥٩٧) من خصال الأدب

وقدمتْ قطر الندي بنت صاحب مصر مع عمها، وقيل: مع عمتها العباسة، فدخل بها المعتضد - أي: الخليفة العباسي -، فكان جهازها بأزيد من ألف ألف دينار، وكان صداقها خمسين ألف دينار، وقيل: كان في جهازها أربعة آلاف تكة مجوهرة، وكانت بديعة الحسن، جيدة العقل. قيل: خلا بها المعتضد يوماً، فنام على فخذها. قال: فوضعت رأسه على مخدة، وخرجت، فاستيقظ، فناداها وغضب، وقال: ألم أُحِلَّك إكراماً لك، فتفعلين هذا؟ قالت: ما جهلت إكرامك لي، ولكن فيما أدبني أبي أن قال: لا تنامي بين جلوس، ولا تجلسي مع النائم. **١٣/ ٤٧٣**

(٥٩٨) ورطة عاشق!

وقيل: جاءه - أي: جاء إبراهيم بن الأغلب صاحب المغرب - رجل، فقال: قد عشقت جارية، وثمنها خمسون ديناراً، وما معي إلا ثلاثون. فوهبه مئة دينار، فسمع به آخر، فجاء، وقال: إني عاشق. قال: فما تجد؟ قال: لهيبا. قال: اغمسوه في الماء، فغمسوه مرات، وهو يصيح: ذهب العشق، فضحك، وأمر له بثلاثين دينارا. **١٣/ ٤٨٨**

(٥٩٩) السلاطين والعلماء

محمد بن المؤمل بن الحسن الماسَرْجِسي، سمعت أبا عمرو الخفاف يقول: كان عمرو بن الليث الصفار - يعني السلطان - يقول لي: يا عم، متى ما علمت شيئاً لا يوافقك فاضرب رقبتي، إلى أن أرجع إلى هواك.

قلت: كذا فليكن السلطان مع الشيخ. ١٣ / ٥٦٢

(٦٠٠) حب الله سبحانه للطاعات

ومن كلام محمد بن نصر - أي: المروزي - قال: لما كانت المعاصي بعضها كفراً، وبعضها ليس بكفر، فرَّق -تعالى- بينها، فجعلها ثلاثة أنواع: فنوع منها كفر، ونوع منها فسوق، ونوع منها عصيان، ليس بكفر ولا فسوق. وأخبر أنه كرَّهَهَا كلها إلى المؤمنين، ولما كانت الطاعات كلها داخلة في الإيمان، وليس فيها شيء خارج عنه، لم يفرق بينها، فما قال: حبَّب إليكم الإيمان والفرائض وسائر الطاعات، بل أجمل ذلك فقال: (حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ) فدخل فيه جميع الطاعات؛ لأنه قد حبب إليهم الصلاة والزكاة، وسائر الطاعات حب تدين، ويكرهون المعاصي كراهية تدين، ومنه قوله عليه السلام: (من سرته حسنته، وساءته سيئته، فهو مؤمن). ١٤ / ٣٥

(٦٠١) العِرقُ دسَّاس!

قال ابن النجار: أبو الحسين ابن الراوندي المتكلم، من أهل مرو الرُّوذ، سكن بغداد، وكان معتزلياً، ثم تزندق. وقيل: كان أبوه يهودياً،

فأسلم هو، فكان بعض اليهود يقول للمسلمين: لا يفسد هذا عليكم كتابكم، كما أفسد أبوه علينا التوراة. **١٤/ ٦٠ – ٦١**

(٦٠٢) خطر اتباع الهوى

قال أبو عمرو بن حمدان: سمعته - أي: أبو عثمان الحِيري - يقول: مَنْ أَمَرَّ السُّنَّة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالحكمة، ومن أمر الهوى على نفسه، نطق بالبدعة، قال تعالى: (وإن تطيعوه تهتدوا).

قلت: وقال تعالى: (ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله). **١٤/ ٦٣ – ٦٤**

وقال - أي: أبو عثمان المغربي -: من أعطى الأماني نفسه، قطعتها بالتسويف وبالتواني. **١٦ / ٣٢١**

ومن نظم الوزير - أي: الحسين ابن المغربي -:

وكل امرئ يدري مواقعَ رشده ولكنه أعمى أسيرُ هواهُ
هوى نفسِهِ يعميه عن قبح عيبه وينظرُ عن حِذقٍ عيوب سواهُ

١٧ / ٣٩٥ - ٣٩٦

قال غيث بن علي: أنشدنا الخطيب - أي: البغدادي - لنفسه:

إن كنت تبغي الرشاد محضاً لأمر دنياك والمعاد
فخالف النفس في هواها إن الهوى جامع الفساد

١٨ / ٢٩٥ – ٢٩٦

جاء في الحاشية (٥) ص: (٥٣٥ - ٥٣٦) ج: (١٩): وأنشد له ياقوت - أي: أي لأبي عبدالله الحسين بن محمد ابن الدباس، الملقب بالبارع -، في " معجم الأدباء ": ١٠ / ١٥٣:

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت ولم ينهها تاقت إلى كل باطل

وساقت إليه الإثم والعار بالذي دعته إليه من حلاوة عاجل >

(٦٠٣) منقبة لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

محمد بن موسى المأموني -صاحب النسائي- قال: سمعت قوما يُنكرون على أبي عبد الرحمن النسائي كتاب: " الخصائص " لعلي -رضي الله عنه-، وتركه تصنيف فضائل الشيخين، فذكرت له ذلك، فقال: دخلت دمشق والمنحرف بها عن علي كثير، فصنفت كتاب: " الخصائص "، رجوت أن يهديهم الله تعالى. ثم إنه صنف بعد ذلك فضائل الصحابة، فقيل له - وأنا أسمع -: ألا تخرج فضائل معاوية -رضي الله عنه؟ فقال: أي شيء أخرج؟ حديث: (اللهم لا تشبع بطنه)؟. فسكت السائل.

قلت: لعل أن يقال: هذه منقبة لمعاوية لقوله -صلى الله عليه وسلم-: (اللهم من لعنته أو سببته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة). ١٤ / ١٢٩—١٣٠

(٦٠٤) " المجتنى من سنن النسائي "

قال ابن الأثير: وسأل أميرٌ أبا عبدالرحمن - أي: النسائي - عن سننه: أصحيحٌ كله؟ قال: لا. قال: فاكتب لنا منه الصحيح. فجرد " المجتنى ".

قلت: هذا لم يصح، بل " المجتنى " اختيار ابن السني. ١٤/ ١٣١

(٦٠٥) النهي عن التشويش بالقراءة على المصلين

قرأت على أبي الفضل أحمد بن هبة الله: أخبرنا زين الأمناء حسن بن محمد، أخبرنا المبارك بن علي، أخبرنا أبو الحسن بن العلاف، أخبرنا أبو القاسم بن بشران، أخبرنا أبو بكر الآجري، أخبرنا عبد الله بن محمد بن ناجية: حدثنا وهب بن بقية، أخبرنا خالد الواسطي، عن مطرف بن طريف، عن أبي إسحاق، عن الحارث، عن علي -رضي الله عنه-: (أن النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى أن يرفع الرجل صوته بالقرآن قبل العشاء وبعدها، يُغَلِّط أصحابه في الصلاة، والقوم يصلون).

هذا حديث صالح الإسناد، فيه النهي عن قراءة الأسباع التي في المساجد وقت صلوات الناس فيها ؛ ففي ذلك تشويش بيِّنٌ على المصلين، هذا إذا قرءوا قراءة جائزة مرتلة، فإن كانت قراءتهم دمجاً وهذرمة وبلعاً للكلمات، فهذا حرام مكرر، فقد -والله- عم الفساد، وظهرت البدع، وخفيت السنن، وقل القوَّال بالحق، بل لو نطق العالم بصدق وإخلاص لعارضه عدة من علماء الوقت، ولمقتوه وجَهَّلُوه، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

< جاء في الحاشية (٣): في " اللسان ": " الهذرمة: السرعة في القراءة، قال ابن عباس: لأن أقرأ القرآن في ثلاث، أحب إلي من أن أقرأه في ليلة هذرمة ". ١٤/ ١٦٥- ١٦٦

(٦٠٦) حجة دامغة!

قيل: سأل الأشعريُ أبا علي - أي: الجبائي المعتزلي -: ثلاثة إخوة: أحدهم تقي، والثاني كافر، والثالث مات صبيا؟ فقال: أما الأول ففي الجنة، والثاني ففي النار، والصبي فمن أهل السلامة. قال: فإن أراد أن يصعد إلى أخيه؟ قال: لا، لأنه يقال له: إن أخاك إنما وصل إلى هناك بعمله. قال: فإن قال الصغير: ما التقصير مني، فإنك ما أبقيتني، ولا أقدرتني على الطاعة، قال: يقول الله له: كنت أعلم أنك لو بقيت لعصيت، ولاستحقيت العذاب، فراعيت مصلحتك. قال: فلو قال الأخ الأكبر: يارب كما علمت حاله فقد علمت حالي، فلم راعيت مصلحته دوني؟ فانقطع الجبائي. ١٤/ ١٨٢

(٦٠٧) أُمِيَّةُ النبي ﷺ

أخبرنا إسحاق بن أبي بكر: أخبرنا ابن خليل، أخبرنا أبو المكارم التيمي، أخبرنا أبو علي الحداد، أخبرنا أبو نعيم الحافظ، حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن يحيى بن منده، حدثنا أبو بكر بن أبي النضر، حدثنا أبو النضر، حدثنا أبو عقيل الثقفي، حدثنا مجالد، حدثنا عون بن عبد الله بن عتبة، عن أبيه قال: (ما مات النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى قرأ وكتب).

قلت: لم يرد أنه -صلى الله عليه وسلم- كتب شيئاً، إلا ما في "صحيح البخاري" من أنه يوم صلح الحديبية كتب اسمه "محمد بن عبدالله".

واحتج بذلك القاضي أبو الوليد الباجي، وقام عليه طائفة من فقهاء الأندلس بالإنكار، وبَدَّعوهُ حتى كفره بعضهم. والخطب يسير، فما خرج عن كونه أميًا بكتابة اسمه الكريم، فجماعة من الملوك ما علموا من الكتابة سوى مجرد العلامة، وما عدَّهم الناس بذلك كاتبين، بل هم أميون، فلا عبرة بالنادر؛ وإنما الحكم للغالب، والله -تعالى- فمِنْ حكمته لم يُلهِم نبيه تعلم الكتابة، ولا قراءة الكتب حسماً لمادة المبطلين، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. ومع هذا فقد افتروا وقالوا: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [الفرقان: ٥] فانظر إلى قِحَةِ المعاند، فمن الذي كان بمكة وقت المبعث يدري أخبار الرسل والأمم الخالية؟ ما كان بمكة أحد بهذه الصفة أصلاً. ثم ما المانع من تعلم النبي -صلى الله عليه وسلم- كتابة اسمه واسم أبيه مع فرط ذكائه، وقوة فهمه، ودوام مجالسته لمن يكتب بين يديه الوحي والكتب إلى ملوك الطوائف، ثم هذا خاتمه في يده، ونقشه: محمد رسول الله.

فلا يظن عاقل، أنه -عليه السلام- ما تعقّل لك، فهذا كله يقتضي أنه عرف كتابه اسمه واسم أبيه، وقد أخبر الله بأنه -صلوات الله عليه- ما كان يدري ما الكتاب؟ ثم علَّمه الله -تعالى- ما لم يكن يعلم. ثم الكتابة صفة مدح. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ٤، ٥] فلما بلَّغ الرسالة، ودخل الناس في دين الله أفواجا، شاء الله لنبيه أن يتعلم الكتابة النادرة التي لا يخرج بمثلها عنى أن يكون أمياً، ثم هو القائل: (إنا

أمة أمية لا نكتب ولا نحسب) فصدق إخباره بذلك ؛ إذ الحكم للغالب، فنفى عنه وعن أمته الكتابة والحساب لندور ذلك فيهم وقلته، وإلا فقد كان فيهم كتاب الوحي وغير ذلك، وكان فيهم من يحسب، وقال تعالى: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢] ومِن علْمهم: الفرائض، وهي تحتاج إلى حساب وعَوْل، وهو -عليه السلام- فنفى عن الأمة الحساب، فعلمنا أن المنفي كمال علم ذلك ودقائقه التي يقوم بها القبط والأوائل، فإن ذلك ما لم يحتج إليه دين الإسلام ولله الحمد، فإن القبط عَمَّقُوا في الحساب والجَبْر، وأشياء تضيع الزمان. وأرباب الهيئة تكلموا في سير النجوم والشمس والقمر، والكسوف والقِران بأمور طويلة لم يأتِ الشرع بها، فلما ذكر -صلى الله عليه وسلم- الشهور ومعرفتها، بيَّن أن معرفتها ليست بالطرق التي يفعلها المنجم وأصحاب التقويم، وأن ذلك لا نعبأ به في ديننا، ولا نحسب الشهر بذلك أبدا. ثم بين أن الشهر بالرؤية فقط، فيكون تسعا وعشرين، أو بتكملة ثلاثين، فلا نحتاج مع الثلاثين إلى تكلف رؤية.

وأما الشعر: فنزهه الله -تعالى- عن الشعر، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ﴾ [يس: ٦٩] فما قال الشعر مع كثرته وجودته في قريش، وجريان قرائحهم به، وقد يقع شيء نادر في كلامه -عليه السلام- موزونا، فما صار بذلك شاعراً قط، كقوله:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وقوله:

هل أنتِ إلا إصبع دَميتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ

ومثل هذا قد يقع في كتب الفقه والطب وغير ذلك مما يقع اتفاقا، ولا يقصده المؤلف ولا يشعر به، أفيقول مسلم قط: إن قوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾ [سبأ: ١٣] هو بيت؟! معاذ الله! وإنما صادف وزنا في الجملة، والله أعلم.

< جاء في الحاشية (١) ص: (١٩٠) في تخريج الحديث الوارد في بداية الكلام: إسناده ضعيف لضعف مجالد - وهو: ابن سعيد الهمداني الكوفي -، وأورده الحافظ في " الفتح " ٧ / ٣٨٦ – ٣٨٧، وقد تحرف فيه " مجالد " إلى " مجاهد "، ونسبه لابن أبي شيبة، وضعفه >.

< جاء في الحاشية (١) ص: (١٩٢) في تفسير كلمة " القِران ": يعني قِران الكوكب >. **١٤ / ١٨٩ – ١٩٣**

وقال المصنف في موضع آخر:

قال - أي: القاضي عياض -: ولما تكلم أبو الوليد في حديث الكتابة يوم الحديبية الذي في "صحيح" البخاري. قال بظاهر لفظه، فأنكر عليه الفقيه أبو بكر بن الصائغ، وكفّره بإجازته الكَتْبَ على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- النبي الأمي، وأنه تكذيب للقرآن، فتكلم في ذلك من لم يفهم الكلام، حتى أطلقوا عليه الفتنة، وقبحوا عند العامة ما أتى به، وتكلم به خطباؤهم في الجمع، وقال شاعرهم:

برئت ممن شرى دنيا بآخرة ... وقال: إن رسول الله قد كتبا

فصنف القاضي أبو الوليد رسالة بين فيها أن ذلك غير قادح في المعجزة، فرجع بها جماعة.

قلت: يجوز على النبي -صلى الله عليه وسلم- أن يكتب اسمه ليس إلا، ولا يخرج بذلك عن كونه أميا، وما من كتب اسمه من الأمراء والولاة إدمانا للعلامة يعد كاتبا، فالحكم للغالب لا لما ندر، (وقد قال عليه السلام: إنا أمة أمّيّة لا نكتب ولا نحسب) أي لأن أكثرهم كذلك، وقد كان فيهم الكتبة قليلا. وقال -تعالى-: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة: ٢] فقوله -عليه السلام-:) لا نحسب (حق، ومع هذا فكان يعرف السنين والحساب، وقسم الفيء، وقسمة المواريث بالحساب العربي الفطري لا بحساب القبط ولا الجبر والمقابلة، بأبي هو ونفسي -صلى الله عليه وسلم-، وقد كان سيد الأذكياء، ويبعد في العادة أن الذكي يملي الوحي وكتب الملوك وغير ذلك على كتابه، ويرى اسمه الشريف في خاتمه، ولا يعرف هيئة ذلك مع الطول، ولا يخرج بذلك عن أميته، وبعض العلماء عدّ ما كتبه يوم الحديبية من معجزاته، لكونه لا يعرف الكتابة وكتب، فإن قيل: لا يجوز عليه أن يكتب، فلو كتب؛ لارتاب مبطل، ولقال: كان يحسن الخط، ونظر في كتب الأولين. قلنا: ما كتب خطاً كثيراً حتى يرتاب به المبطلون، بل قد يقال: لو قال مع طول مدة كتابة الكتاب بين يديه: لا أعرف أن أكتب اسمي الذي في خاتمي، لارتاب المبطلون أيضاً، ولقالوا: هو غاية في الذكاء، فكيف لا يعرف ذلك؟ بل عرفه، وقال: لا أعرف. فكان يكون ارتيابهم أكثر وأبلغ في إنكاره -والله أعلم. ١٨ / ٥٤٠

٥٤١ —

(٦٠٨) ذم التقليد

وكان - أي: سعيد بن محمد بن الحداد المالكي - يذم التقليد ويقول: هو من نقص العقول، أو دناءة الهمم.

وقيل: إن ابن الحداد تحول شافعيا من غير تقليد، ولا يعتقد مسألة إلا بحجة. ١٤ / ٢٠٦ - ٢٠٧

قال الشيخ محيي الدين النواوي: له - أي: لابن المنذر - من التحقيق في كتبه ما لا يقاربه فيه أحد، وهو في نهاية من التمكن من معرفة الحديث، وله اختيار فلا يتقيد في الاختيار بمذهب بعينه، بل يدور مع ظهور الدليل.

قلت: ما يتقيد بمذهب واحد إلا من هو قاصر في التمكن من العلم، كأكثر علماء زماننا، أو من هو متعصب، وهذا الإمام فهو من حملة الحجة، جارٍ في مضمار ابن جرير، وابن سريج، وتلك الحلبة رحمهم الله. ١٤ / ٤٩١

(٦٠٩) الراحة حيث دار الراحة

ويقول - أي: سعيد بن محمد بن الحداد المالكي -: ما للعالم وملاءمة المضاجع. ١٤ / ٢٠٦

(٦١٠) الإقلال خير من الإكثار

وكان- أي: سعيد بن محمد بن الحداد المالكي - يقول: دليل الضبط الإقلال، ودليل التقصير الإكثار. ١٤/ ٢٠٦

(٦١١) موقفٌ شجاعٌ في الذب عن الإسلام

قال ابن حارث: له- أي: لسعيد بن محمد بن الحداد المالكي - مقامات كريمة، ومواقف محمودة في الدفع عن الإسلام، والذَّبِّ عن السنة، ناظر فيها أبا العباس المعجوقي أخا أبي عبد الله الشيعي الداعي إلى دولة عبيد الله، فتكلم ابن الحداد ولم يَخَفْ سطوة سلطانهم، حتى قال له ولده أبو محمد: يا أبة، اتقِ الله في نفسك ولا تبالغ. قال: حسبي من له غضبت، وعن دينه ذببت.

وقال موسى بن عبد الرحمن القطان: لو سمعتم سعيد بن الحداد في تلك المحافل -يعني مناظرته للشيعي- وقد اجتمع له جهارة الصوت، وفخامة المنطق، وفصاحة اللسان، وصواب المعاني، لتمنيتم أن لا يسكت. ١٤/ ٢٠٦-٢٠٧

(٦١٢) مناظرة بين عالم سني ورافضي

وقيل: إنه- أي: سعيد بن محمد بن الحداد المالكي - سار لتلقي أبي عبد الله الشيعي، فقال له: يا شيخ، بم كنت تقضي؟ فقال إبراهيم بن يونس: بالكتاب والسنة. قال: فما السنة؟ قال: السنة السنة. قال ابن الحداد:

فقلت للشيعي: المجلس مشترك أم خاص؟ قال: مشترك. فقلت: أصل السنة في كلام العرب المثال، قال الشاعر:

تُرِيك سنة وجه غير مقرفة ملساء ليس بها خال ولا ندب

أي صورة وجه ومثاله. والسنة محصورة في ثلاث: الائتمار بما أمر به النبي -صلى الله عليه وسلم-، والانتهاء عما نهى عنه، والائتساء بما فعل.

فقال الشيعي: فإن اختلف عليك النقل، وجاءت السنة من طرق؟ قلت: أنظر إلى أصح الخبرين، كشهود عدول اختلفوا في شهادة، قال: فلو استووا في الثبات؟ قلت: يكون أحدهما ناسخاً للآخر. قال: فمن أين قلتم بالقياس؟ قلت: من كتاب الله (يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ). فالصيد معلومة عينه، فالجزاء أُمِرنا أن نمثِّله بشيء من النَّعم، ومثله في تثبيت القياس: (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ) والاستنباط غير منصوص.

ثم عطف على موسى القطان فقال: أين وجدتم حد الخمر في كتاب الله، تقول: اضربوه بالأردية وبالأيدي ثم بالجريد؟. فقلت أنا: إنما حُدَّ قياساً على حد القاذف؛ لأنه إذا شرب سكر، وإذا سكر هذَى، وإذا هذَى افترى. فأوجب عليه ما يؤول إليه أمره. قال: أوَلمْ يقل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (وأقضاكم عليّ...) فساق له موسى تمامه وهو: (وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ، وأرأفكم أبو بكر، وأشدكم في دين الله عمر). قال: كيف يكون أشدهم وقد هرب بالراية يوم خيبر؟ قال موسى: ما سمعنا بهذا. فقلت: إنما تحيز إلى فئة فليس بفارّ.

وقال - أي: الشيعي - في: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] إنما نهاه النبي -صلى الله عليه وسلم- عن حزنه ؛ لأنه كان مسخوطا. قلت: لم يكن قوله إلا تبشيراً بأنه آمنٌ على رسول الله وعلى نفسه، فقال أين نظير ما قلت؟ قلت: قوله لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦] فلم يكن خوفهما من فرعون خوفاً بسخط الله.

ثم قال: يا أهل البلدة: إنكم تبغضون عليا؟ قلت: على مبغضه لعنة الله. فقال: صلى الله عليه. قلت: نعم، ورفعت صوتي: صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الصلاة في خطاب العرب الرحمة والدعاء. قال: ألم يقل رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى) ؟ قلت: نعم، إلا أنه قال: (إلا أنه لا نبي بعدي) وهارون كان حجة في حياة موسى، وعلي لم يكن حجة في حياة النبي، وهارون فكان شريكاً، أفكان علي شريكا للنبي -صلى الله عليه وسلم- في النبوة؟! وإنما أراد التقريب والوزارة والولاية. قال: أوليس هو أفضل؟ قلت: أليس الحق متفقا عليه؟ قال: نعم. قلت: قد ملكتَ مدائنَ قبلَ مدينتنا، وهي أعظمُ مدينة، واستفاض عنك أنك لم تُكْرِه أحداً على مذهبك، فاسلك بنا مسلك غيرنا ونهضنا.

قال ابن الحداد: ودخلت يوما على أبي العباس، فأجلسني معه في مكانه وهو يقول لرجل: أليس المتعلم محتاجا إلى المعلم أبداً؟ فعرفت أنه يريد الطعن على الصِّدِّيق في سؤاله عن فرض الجدة، فبدرت وقلت: المتعلم قد يكون أعلم من المعلم وأفقه وأفضل لقوله -عليه السلام-: (رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه..) ثم معلم الصغار القرآن يكبر أحدهم ثم يصير

أعلم من المعلم. قال: فاذكر من عام القرآن وخاصه شيئا؟ قلت: قال تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٢١] فاحتمل المراد بها العام، فقال تعالى: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة: ٥] فعلمنا أن مراده بالآية الأولى خاص، أراد: ولا تنكحوا المشركات غير الكتابيات من قبلكم حتى يؤمن، قال: ومن هن المحصنات؟ قلت: العفائف، قال: بل المتزوجات. قلت: الإحصان في اللغة: الإحراز، فمن أحرز شيئاً فقد أحصنه، والعتق يحصن المملوك؛ لأنه يحرزه عن أن يجري عليه ما على المماليك، والتزويج يحصن الفرج؛ لأنه أحرزه عن أن يكون مباحا، والعفاف إحصان للفرج. قال: ما عندي الإحصان إلا التزويج. قلت له: مُنَزِّلُ القرآن يأبى ذلك، قال: ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ [التحريم: ١٢] أي أعفته. وقال: ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ﴾ [النساء: ٢٥] عفائف. قال: فقد قال في الإماء: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ﴾ [النساء: ٢٥] أُحْصِنَّ وهن عندك قد يكن عفائف. قلت: سماهن بمتقدم إحصانهن قبل زناهن، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ﴾ [النساء: ١٢] وقد انقطعت العصمة بالموت، يريد اللاتي كن أزواجكم. قال: يا شيخ، أنت تلوذ. قلت: لست ألوذ؛ أنا المجيب لك، وأنت الذي تلوذ بمسألة أخرى، وصِحتُ: ألا أحد يكتب ما أقول وتقول. قال: فوقى الله شره. وقال: كأنك تقول: أنا أعلم الناس. قلت: أما بديني فنعم. قال: فما تحتاج إلى زيادة فيه؟ قلت: لا، قال: فأنت إذا أعلم من موسى إذ يقول: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾ [الكهف: ٦٦] قال – كذا ولعل

الأصح "قلت"-: هذا طعن على نبوة موسى، موسى ما كان محتاجاً إليه في دينه، كلا ؛ إنما كان العلم الذي عند الخضر دنياوياً ؛ سفينةَ خرقها، وغلاماً قتله، وجداراً أقامه، وذلك كله لا يزيد في دين موسى، قال: فأنا أسألك. قلت: أورد وعليّ الإصدار بالحق بلا مثنوية، قال: ما تفسير الله؟ قلت: ذو الإلهية، قال: وما هي؟ قلت: الربوبية، قال: وما الربوبية؟ قلت: المالك الأشياء كلها. قال: فقريش في جاهليتها كانت تعرف الله؟ قلت: لا، قال: فقد أخبر الله تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٣] قلت: لما أشركوا معه غيره قالوا، وإنما يعرف الله من قال: إنه لا شريك له. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ١، ٢] فلو كانوا يعبدونه ما قال: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إلى أن قال: فقلت: المشركون عبدة الأصنام الذين بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- إليهم علياً ليقرأ عليهم سورة براءة. قال: وما الأصنام؟ قلت: الحجارة. قال: والحجارة أتعبد؟ قلت: نعم، والعزى كانت تُعبد وهي شجرة، والشِّعرى كانت تُعبد وهي نجم. قال: فالله يقول: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ [يونس: ٣٥] فكيف تقول: إنها الحجارة؟ والحجارة لا تهتدي إذا هديت ؛ لأنها ليست من ذوات العقول. قلت: أخبرنا الله أن الجلود تنطق وليست بذوات عقول، قال: نسب إليها النطق مجازاً. قلت: مُنَزِّلُ القرآن يأبى ذلك فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ﴾ [يس: ٦٥] إلى أن قال: ﴿قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [فصلت: ٢١] وما الفرق بين جسمنا والحجارة؟ ولو لم يُعَقِّلْنَا لم نعقل، وكذا الحجارة إذا شاء أن تعقل عقلت.

< جاء في الحاشية (١) ص: (٢١٢) معنى كلمة "بلا مثنوية " أي: بلا استثناء >. ١٤ / ٢٠٨ - ٢١٤

(٦١٣) من أرضى الناس بسخط الله

وقال - أي: سعيد بن محمد بن الحداد المالكي -: من تحبب إلى العباد بالمعاصي بَغَّضه الله إليهم. ١٤ / ٢١٤

(٦١٤) الثبات حتى الممات

وقيل لابن البَرْدون - أي: إبراهيم بن محمد - لما جُرِّد للقتل: أترجع عن مذهبك؟ قال: أَعَنِ الإسلام أرجع؟!. (وقد قتله متولي القيروان بأمر من أبي عبيدالله الشيعي)

وقال محمد بن خراسان: لما وصل عبيد الله - أي: المهدي الشيعي - إلى رَقَّادة، طلب من القيروان ابن البردون وابن هذيل - أي: أبو بكر -، فأتياه وهو على السرير، وعن يمينه أبو عبد الله الشيعي، وأخوه أبو العباس عن يساره، فقال: أتشهدان أن هذا رسول الله؟ فقالا بلفظ واحد: والله لو جاءنا هذا والشمس عن يمينه والقمر عن يساره يقولان: إنه رسول الله، ما قلنا ذلك. فأمر بذبحهما. ١٤ / ٢١٦ – ٢١٧

قال بعضهم: كنت جالساً عند ابن أبي خنزير، فدخل شيخ ذو هيئة وخشوع (هو: أبو جعفر محمد بن خيرون المعافري القرطبي)، فبكى ابن أبي خنزير وقال: السلطان -يعني عبيد الله- وجه إلي يأمرني بدوس هذا حتى

يموت. ثم بطحه، وقفز عليه السودان حتى مات، لجهاده وبغضه لعبيد الله وجنده.

وكان سعى به المروذي اللعين، ولما رأى ابن أبي خنزير كثرة أذاه للعلماء، تحيَّل وسعى به، حتى قتله عبيد الله سنة ثلاث مئة أو بعدها. فيا ما لقي الإسلام وأهله من عبيد الله المهدي الزنديق! ١٤ / ٢١٧

(٦١٥) حال بعض المحدثين والفقهاء

من نظر في تواليف هذا الإمام - أي: أبو جعفر الطحاوي - عَلِمَ محله من العلم، وسعة معارفه. وقد كان ناب في القضاء عن أبي عبيد الله محمد بن عبدة، قاضي مصر سنة بضع وسبعين ومئتين. وترقى حاله، فحكى أنه حضر رجل معتبر عند القاضي ابن عبدة، فقال: أيش روى أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أمه، عن أبيه؟ فقلت أنا - القائل هو: الطحاوي -: حدثنا بكار بن قتيبة، حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا سفيان، عن عبد الأعلى الثعلبي، عن أبي عبيدة، عن أمه، عن أبيه، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إن الله ليغار للمؤمن فَلْيَغر). وحدثنا به إبراهيم بن أبي داود، حدثنا سفيان بن وكيع، عن أبيه، عن سفيان موقوفاً، فقال لي الرجل: تدري ما تقول وما تتكلم به؟ قلت: ما الخبر؟ قال: رأيتك العشية مع الفقهاء في ميدانهم، ورأيتك الآن في ميدان أهل الحديث، وقل مَنْ يجمع ذلك، فقلت: هذا من فضل الله وإنعامه. ١٥ / ٣٠

فهذا - أي: أبو الحسن القمي النيسابوري -، وأبو سعيد المذكور كانا عالمي خراسان في مذهب أبي حنيفة، تخرج بهما جماعة من الكبار،

وكان معهما في البلد من أئمة الأثر مثل ابن خزيمة، وأبي العباس السراج، وعدة، فكان المحدثون إذ ذاك أئمة عالمين بالفقه أيضاً، وكان أهل الرأي بُصَرَاء بالحديث، قد رحلوا في طلبه، وتقدموا في معرفته. وأما اليوم فالمحدث قد قنع بالسِّكَّة والخطبة، فلا يفقه ولا يحفظ، كما أن الفقيه قد تشبث بفقه لا يجيد معرفته، ولا يدري ما هو الحديث؛ بل الموضوع والثابت عنده سواء، بل قد يعارض ما في الصحيح بأحاديث ساقطة، ويُكابر بأنها أصح وأقوى. نسأل الله العافية. **١٤ / ٢٣٦**

(٦١٦) تعظيم يوم الجمعة

(قال عبدالوهاب الأنماطي):... وكان - أي: أبو طاهر الكرجي - يقول لنا: أنا بحكمكم إلا يوم الجمعة، فإنه للتبكير والتلاوة. **١٩ / ١٤٤**

وقيل: إن المكتفي أراد أن يُحَبِّسَ وقفاً تجتمع عليه أقاويل العلماء، فأحضر له ابن جرير، فأملى عليهم كتاباً لذلك، فأُخرجت له جائزة، فامتنع من قبولها، فقيل له: لابد من قضاء حاجة. قال: أسأل أمير المؤمنين أن يمنع السؤال يوم الجمعة. ففعل ذلك. **١٤ / ٢٧٠**

(٦١٧) همم العلماء

أبو عمر عبيد الله بن أحمد السمسار، وأبو القاسم بن عقيل الوراق: أن أبا جعفر الطبري - أي: ابن جرير - قال لأصحابه: هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا؟ قالوا: كم قدره؟ فذكر نحو ثلاثين ألف ورقة،

فقالوا: هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه! فقال: إنا لله! ماتت الهمم. فاختصر ذلك في نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولما أن أراد أن يملي التفسير قال لهم نحواً من ذلك، ثم أملاه على نحو من قدر التاريخ. **١٤ / ٢٧٤ — ٢٧٥**

(٦١٨) كرامة النفس

وقال مخلد الباقرحي: أنشدنا محمد بن جرير - أي: الطبري - لنفسه:

إذا أَعْسَرْتُ لم يعلم رفيقي ... وأستغني فيستغني صديقي

حيائي حافظ لي ماء وجهي ... ورفقي في مطالبتي رفيقي

ولو أني سمحت بماء وجهي ... لكنت إلى العُلا سهل الطريق

١٤ / ٢٧٥ - ٢٧٦

(٦١٩) مخرج شرعي!

عن عثمان بن محمد السلمي قال: حدثني ابن منجو القائد، قال: حدثني غلام لابن المزوِّق، قال: اشترى مولاي جارية، فزوجنيها، فأحببتها وأبغضتني حتى ضجرتُ، فقلت لها: أنت طالق ثلاثاً، لا تخاطبيني بشيء إلا قلت لك مثله، فكم أحتملك؟ فقالت في الحال: أنت طالق ثلاثا. فأبلستُ، فدُللت على محمد بن جرير - أي: الطبري -، فقال لي: أقم معها بعد أن تقول لها: أنت طالق ثلاثاً إن طلقتك. فاستحسن هذا الجواب. وذكره شيخ الحنابلة ابن عقيل، وقال: وله جواب آخر: أن يقول كقولها سواء: أنت طالق

ثلاثاً - بفتح التاء- فلا يحنث. وقال أبو الفرج ابن الجوزي: وما كان يلزمه أن يقول لها ذاك على الفور، فله التمادي إلى قبل الموت.

قلت: ولو قال: أنت طالق ثلاثا، وقصد الاستفهام أو عنى أنها طالق من وثاق، أو عنى الطلق لم يقع طلاق في باطن الأمر.

وله جواب آخر على قاعدة مراعاة سبب اليمين ونية الحالف، فما كان عليه أن يقول لها ما قالته، إذ من المعلوم بقرينة الحال استثناء ذلك قطعاً ؛ لأنه ما قصد إلا أنها إذا قالت له ما يؤذيه أن يؤذيها بمثله، ولو جاوبها بالطلاق لسُرَّت هي، ولتأذى هو، كما استثني من عموم قوله تعالى: ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل: ٢٣] بقرينة الحال أنها لم تؤتَ لحية ولا إحليلاً.

ومن المعلوم استثناؤه بالضرورة التي لم يقصدها الحالف قط لو حلف: لا تقولي لي شيئا إلا قلت لك مثله، أنها لو كفرت وسبت الأنبياء فلم يجاوبها بمثل ذلك لأحسن. **١٤ / ٢٧٨**

(٦٢٠) جامع مذهب الإمام أحمد

ورحل - أي: أبو بكر الخلال - إلى فارس، وإلى الشام، والجزيرة يتطلب فقه الإمام أحمد وفتاويه وأجوبته، وكتب عن الكبار والصغار، حتى كتب عن تلامذته، وجمع فأوعى، ثم إنه صنف كتاب: " الجامع في الفقه " من كلام الإمام، بأخبرنا وحدثنا، يكون عشرين مجلداً، وصنف كتاب: " العلل " عن أحمد في ثلاث مجلدات، وألف كتاب: " السنة، وألفاظ أحمد، والدليل على ذلك من الأحاديث في ثلاث مجلدات تدل على

إمامته وسعة علمه، ولم يكن قبله للإمام مذهب مستقل، حتى تتبع هو نصوص أحمد، ودونها، وبرهنها بعد الثلاث مئة، فرحمه الله تعالى.

قال أبو بكر بن شهريار: كلنا تبع لأبي بكر الخلال، لم يسبقه إلى جمع علم الإمام أحمد أحد. ١٤ / ٢٩٧ – ٢٩٨

(٦٢١) من شروط " لا إله إلا الله "

عبد الله بن حمران، حدثنا شعبة، حدثنا بيان بن بشر: سمعت حمران يحدِّث عن عثمان، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من علم أن لا إله إلا الله دخل الجنة) غريب تفرد به ابن حمران.

ولا يعلم العبد أنه لا إله إلا الله حتى يبرأ من كل دين غير الإسلام، وحتى يتلفظ بلا إله إلا الله موقنا بها، فلو علم وأبى أن يتلفظ مع القدرة يُعَدُّ كافرا. ١٤ / ٣٠٥ – ٣٠٦

(٦٢٢) من مخاريق الزنادقة

وقال أبو القاسم التنوخي: سمعت أحمد بن يوسف الأزرق: حدثني غير واحد من الثقات أن الحلاَّج - أي: الحسين بن منصور الفارسي الصوفي - كان قد أنفذ أحد أصحابه إلى بلاد الجبل، ووافقه على حيلة يعملها، فسافر، وأقام عندهم سنين يظهر النسك والعبادة، وإقراء القرآن والصوم، حتى إذا علم أنه قد تمكن أظهر أنه قد عمي، فكان يُقاد إلى المسجد، ويتعامى شهوراً، ثم أظهر أنه قد زَمِن، فكان يُحمل إلى المسجد، حتى

مضت سنة على ذلك، وتقرر في النفوس زمانته وعماه، فقال لهم بعد ذلك: رأيت في النوم كأن النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول لي: إنه يطرق هذا البلد عبد مجاب الدعوة، تُعافى على يده، فاطلبوا لي كل من يجتاز من الفقراء، فلعل الله أن أُعافى. فتعلقت النفوس بذلك العبد، ومضى الأجل الذي بينه وبين الحلاج، فقدم البلد، ولبس الصوف، وعكف في الجامع، فتنبهوا له، وأخبروا الأعمى، فقال: احملوني إليه. فلما حصل عنده وعلم أنه الحلاج قال: يا عبد الله، إني رأيت مناما. وقصَّه عليه، فقال: من أنا وما محلي؟ ثم أخذ يدعو له، ومسح يده عليه، فقام المتزامن صحيحاً بصيراً، فانقلب البلد، وازدحموا على الحلاج، فتركهم وسافر، وأقام المعافى شهوراً، ثم قال لهم: إن من حق الله عندي، ورده جوارحي علي أن أنفرد بالعبادة، وأن أقيم في الثغر، وأنا أستودعكم الله. فأعطاه هذا ألف درهم وقال: اغز بها عني. وأعطاه هذا مئة دينار وقال: اخرج بها في غزوة. وأعطاه هذا مالا، وهذا مالا حتى اجتمع له ألوف دنانير ودراهم، فلحق بالحلاج، وقاسمه عليها.

قال التنوخي: أخبرنا أبي، قال: من مخاريق الحلاج: أنه كان إذا أراد سفراً ومعه من يتنمَّس عليه ويَهُوسه، قَدَّم قبل ذلك من أصحابه الذين يكشف لهم الأمر، ثم يمضي إلى الصحراء، فيدفن فيها كعكاً، وسكراً، وسويقاً، وفاكهةً يابسة، ويُعلِّم على مواضعها بحجر، فإذا خرج القوم وتعبوا قال أصحابه: نريد الساعة كذا وكذا. فينفرد ويُري أنه يدعو، ثم يجيء إلى الموضع فيخرج الدفين المطلوب منه. أخبرني بذلك الجم الغفير.

وأخبروني قالوا: ربما خرج إلى بساتين البلد، فيقدم من يدفن الفالوذج الحار في الرقاق، والسمك السخن في الرقاق، فإذا خرج طلب منه الرجل - في الحال- الذي دفنه، فيخرجه هو. ١٤ / ٣١٩ — ٣٢٠

(٦٢٣) من ترهات الزنادقة

قال التنوخي الأزرق: فأخبرني بعض من استدعاه من الحلاجية إلى أبي عمارة هذا (أبو عمارة: رجل يُدعى محمد بن عبد الله، ادعى أنه قد حلت فيه روح النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- وهو يخاطَب في الحلاجية بسيدنا) إلى مجلس، فتكلم فيه على مذهب الحلاج ويدعو إليه. قال: فدخلت وظنوا أني مسترشد، فتكلم بحضرتي والرجل أحول، فكان يقلب عينيه إليّ فيجيش خاطره بالهوس، فلما خرجنا قال لي الرجل: آمنت؟ فقلت: أشد ما كنت تكذيباً لقولكم الآن، هذا عندكم بمنزلة النبي -صلى الله عليه وسلم!؟ لم لا يجعل نفسه غير أحول؟ فقال: يا أبله! وكأنه أحول ؛ إنما يقلب عينيه في الملكوت! ١٤ / ٣٣٢ — ٣٣٣

(٦٢٤) تصنيف الناس بين الظن واليقين

قال السلمي: وحُكي عنه أنه - أي: الحسين بن منصور الحلاج - رُئي واقفا في الموقف، والناس في الدعاء، وهو يقول: أنزهك عما قَرَفَكَ به عبادك، وأبرأ إليك مما وحدك به الموحدون.

قلت: هذا عين الزندقة ؛ فإنه تبرأ مما وحَّد الله به الموحدون الذين هم الصحابة والتابعون وسائر الأمة، فهل وحدوه - تعالى - إلا بكلمة الإخلاص التي قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من قالها من قلبه، فقد حَرُم ماله ودمه). وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. فإذا برئ الصوفي منها، فهو ملعون زنديق، وهو صوفي الزِّي والظاهر، متستر بالنسب إلى العارفين، وفي الباطن فهو من صوفية الفلاسفة أعداء الرسل، كما كان جماعة في أيام النبي -صلى الله عليه وسلم- منتسبون إلى صحبته وإلى ملته، وهم في الباطن من مردة المنافقين، قد لا يعرفهم نبي الله -صلى الله عليه وسلم-، ولا يعلم بهم. قال الله تعالى: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ﴾ [التوبة: ١٠١] فإذا جاز على سيد البشر أن لا يعلم ببعض المنافقين وهم معه في المدينة سنوات، فبالأولى أن يخفى حال جماعة من المنافقين الفارغين عن دين الإسلام بعده عليه السلام على العلماء من أمته. فما ينبغي لك يا فقيه أن تبادر إلى تكفير المسلم إلا ببرهان قطعي، كما لا يسوغ لك أن تعتقد العرفان والولاية فيمن قد تبرهن زَغَلُه، وانهتك باطنه وزندقته، فلا هذا ولا هذا ؛ بل العدل أن من رآه المسلمون صالحاً محسناً فهو كذلك ؛ لأنهم شهداء الله في أرضه، إذ الأمة لا تجتمع على ضلالة، وأن من رآه المسلمون فاجراً أو منافقاً أو مبطلاً، فهو كذلك. وأن من كان طائفة من الأمة تضلله، وطائفة من الأمة تثني عليه وتبجله، وطائفة ثالثة تقف فيه وتتورع من الحط عليه، فهو ممن ينبغي أن يُعرَض عنه، وأن يفوَض أمره إلى الله، وأن

يُستغفر له في الجملة ؛ لأن إسلامه أصلي بيقين، وضلاله مشكوك فيه، فبهذا تَستريح ويصفو قلبك من الغل للمؤمنين.

ثم اعلم أن أهل القبلة كلهم، مؤمنهم وفاسقهم، وسنيهم ومبتدعهم - سوى الصحابة- لم يجمعوا على مسلم بأنه سعيدٌ ناج، ولم يجمعوا على مسلم بأنه شقيٌ هالك، فهذا الصِّدِّيق فرد الأمة، قد علمت تفرقهم فيه، وكذلك عمر، وكذلك عثمان، وكذلك علي، وكذلك ابن الزبير، وكذلك الحجاج، وكذلك المأمون، وكذلك بشر المريسي، وكذلك أحمد بن حنبل، والشافعي، والبخاري، والنسائي، وهلم جرًا من الأعيان في الخير والشر إلى يومك هذا، فما من إمام كامل في الخير إلا وثم أناس من جهلة المسلمين ومبتدعيهم يذمونه ويحطون عليه، وما من رأس في البدعة والتجهم والرفض إلا وله أناس ينتصرون له، ويذبون عنه، ويدينون بقوله بهوى وجهل ؛ وإنما العبرة بقول جمهور الأمة الخالين من الهوى والجهل، المتصفين بالورع والعلم.

فتدبر -يا عبد الله- نِحلة الحلاج، الذي هو من رؤوس القرامطة، ودعاة الزندقة، وأنصف وتورع واتق ذلك، وحاسب نفسك، فإن تبرهن لك أن شمائل هذا المرء شمائل عدو للإسلام، محب للرئاسة، حريص على الظهور بباطل وبحق، فتبرأ من نحلته، وإن تبرهن لك -والعياذ بالله-أنه كان - والحالة هذه- محقاً هادياً مهديا، فجدِّدْ إسلامك واستغثْ بربك أن يوفقك للحق، وأن يثبت قلبك على دينه ؛ فإنما الهدى نور يقذفه الله في قلب عبده المسلم، ولا قوة إلا بالله، وإن شككت ولم تعرف حقيقته، وتبرأت مما رمي به، أرحت نفسك، ولم يسألك الله عنه أصلا. **١٤ / ٣٤٢ - ٣٤٥**

(٦٢٥) الطمع ذل

وقيل: إنه – أي: الحسين بن منصور الحلاج – لما أُخرج للقتل أنشد:

طلبت المستقر بكل أرض ... فلم أرَ لي بأرض مستقرا
أطعت مطامعي فاستعبدتني ... ولو أني قنعت لكنت حرا

١٤ / ٣٤٦

(٦٢٦) الإنسان الصدق!

قال خالد بن سعد: لو كان الصدق إنساناً، لكان ابن حَيُّون – أي: أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الأندلسي الحِجاري –. ١٤ / ٤١٣

(٦٢٧) بكاء الأسحار

محمد بن المسيب، سمعت الحسن بن عرفة يقول: رأيت يزيد بن هارون بواسط وهو من أحسن الناس عينين، ثم رأيته بعين واحدة، ثم رأيته وقد عمي، فقلت له: يا أبا خالد، ما فعلت العينان الجميلتان؟ قال: ذهب بهما بكاء الأسحار. ١٤ / ٤٢٣–٤٢٤

(٦٢٨) خير الناس أنفعهم للناس

ذكر ابن مقلة أنه حضر مجلس ابن الفرات – أي: أبو الحسن علي بن أبي جعفر العاقولي الكاتب – في أول وزارته، فأُدخل إليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر في مِحَفَّة، فدفع الوزير إليه عشرة آلاف درهم سرًا، فأنشد:

أيـاديك عنـدي مُعْظَمَـات جلائـل طـوال المَدَى شكري لهن قصير

فإن كنت عن شكري غنيًا فإنني إلـى شـكر مـا أوليتـي لفقـير

قيل: كان ابن الفرات يلتَذُّ بقضاء حوائج الرعية، وما رد أحدًا قط عن حاجة ردَّ آيس؛ بل يقول: تعاودني. أو يقول: أعوضك من هذا.

قال الصولي: لما قُبِض علي ابن الفرات، نظرنا فإذا هو يجري على خمسة آلاف نفس، أقلُّ جاري أحدهم في الشهر خمسة دراهم ونصف قفيز دقيق، وأعلاهم مئة دينار وعشرة أقفزة.

الصولي: حدثني أحمد بن العباس النوفلي: أنهم كانوا يجالسون ابن الفرات قبل الوزارة، وجلس معهم ليلة لما وزر، فلم يجيء الفراشون بالتُّكأ، فغضب عليهم وقال: إنما رفعني الله لأضع من جلسائي؟! والله! لا جالسوني إلا بتُكاءين. فكنا كذلك ليالي حتى استعفينا، فقال: والله ما أريد الدنيا إلا لخيرٍ أقدمه أو صديقٍ أنفعه، ولولا أن النزول عن الصدر سخف لا يصلح لمثل حالي لساوَيْتُكم في المجلس.

قال الصولي: ومرض - أي: ابن الفرات - مرة فقال: ما غَمِّي بعلتي بأشد من غمي بتأخر حوائج الناس وفيهم المضطر. **١٤ / ٤٧٦ - ٤٧٧**

(٦٢٩) من صور التواضع

قال الصولي: لم أسمعه - أي: ابن الفرات - قط دعا أحدًا من كُتَّابه بغير كنيته... وكان يمنع الناس من المشي بين يديه. **١٤ / ٤٧٧**

< جاء في الحاشية (٣) ص: (٣٩٤) ج: (١٩): قال ابن خلكان: ٤ / ٢٢٠: وحكى لي بعض المشايخ من علماء المذهب أنه - أي: أبو بكر الشاشي - يوم ذكر الدرس، وضع منديله على عينيه، وبكى كثيراً وهو جالسٌ على السُّدة التي جرت عادة المدرسين بالجلوس عليها، وكان ينشد:

خَلَت الديارُ فسدتُ غيرَ مُسوَّدِ ومن البلاءِ تفردي بالسؤددِ

وجعل يردد هذا البيت ويبكي >.

(٦٣٠) تقلد الوزارة ينبغي ألا يزيد على ثلاث مرات!!

وقال القاضي أحمد بن إسحاق بن البهلول بعد أن عُزِل ابن الفرات من وزارته الثالثة:

قُلْ لهذا الوزير قول مُحِق بَثَّه النصح أيما إبثاث

قد تقلدتها ثلاثًا ثلاثاً وطلاق البتات عند الثلاث

١٤ / ٤٧٩

(٦٣١) كلام من ذهب

قال الزبير بن عبدالواحد: سمعت بُناناً - أي: الحمال - يقول: الحُرَّ عبدٌ ما طَمِع، والعبد حرٌ ما قَنِع.

ومن كلام بنان: متى يفلح من يسره ما يضره؟! **١٤ / ٤٨٩**

(٦٣٢) رثاء هر!!

وكان له - أي: لأبي بكر العلاف النهرواني - قِطٌّ يحبه ويأنس به، فدخل برج حمام غير مرة، وأكل الفراخ، فاصطادوه وذبحوه، فرثاه بقصيدة طنانة. ويقال: بل رثى بها ابن المعتز، وَوَرَّى بالهر، وكان ودودًا له.

وعن ابنه أبي الحسن بن العلاف قال: إنما كنى أبي بالهر عن ابن الفرات المحسّن -ولد الوزير-.

وعن آخر قال: هَوِيَتْ جاريةٌ للوزير علي بن عيسى غلامًا لابن العلاف الضرير، فعلم بهما الوزير، فقتلهما، وسلخهما وحشاهما تبنًا، فرثاه أستاذه ابن العلاف وكنى عنه بالهر- فالله أعلم- فقال:

يا هِرّ فارقتنا ولم تَعُد وكنت عندي بمنزل الولد
وكيف ننفك عن هواك وقد كنت لنا عُدةً من العدد
وتُخرِجِ الفأرَ من مكامنها ما بين مفتوحها إلى السُّدد
يلقاك في البيت منهُمُ مدد وأنت تلقاهم بلا مدد
حتى اعتقدت الأذى لجيرتنا ولم تكن للأذى بمعتقد
وحُمْتَ حول الردى بظُلمهمُ ومن يحم حول حوضه يرد
وكان قلبي عليك مرتعدًا وأنت تنساب غير مرتعد
تدخل برج الحمام متئدًا وتبلع الفرخ غير متئد
وتطرح الريش في الطريق لهم وتبلع اللحم بلع مزدرد
أطعمك الغي لحمها فرأى قتلكَ أصحابُها من الرَّشَد

كادوك دهرًا فما وقعت وكم أُفْلِتَّ من كيدهم ولم تكد
فحين أخفرت وانهمكت وَكَا شَفْتَ وأشرفت غير مقتصد
صادوك غيظًا عليك وانتقموا منك وزادوا ومن يَصِدِ يُصَدِ
ثم شفوا بالحديد أنفسهم منك ولم يرعووا على أحد
ولم تزل للحَمام مرتصدًا حتى سُقيت الحِمام بالرصد
لم يرحموا صوتك الضعيف كما لم ترثِ يومًا لصوتها الغَرِد
أذاقك الموتَ ربُّهُنّ كما أذقت أفراخه يدًا بيد
كأن حَبلاً حوى بجودته جِيدك للخنق كان من مَسَد
كأن عيني تراك مضطربًا فيه وفي فيكَ رغوةُ الزبد
وقد طلبت الخلاص منه فلم تقدر على حيلة ولم تجد
فجُدت بالنفس والبخيلَ بها كنتَ ومن لم يَجُدْ بها يَجِدْ
فما سمعنا بمثل موتك إذ مت ولا مثل حالك النكد
عشت حريصًا يقوده طمع ومت ذا قاتِلٍ بلا قود
يا من لذيذ الفراخ أوقعه ويحك! هلا قنعت بالغُدَد؟!
ألم تخف وثبة الزمان وقد وثبت في البرج وثبة الأسد
عاقبة البغي لا تنام وإن تأخَرَت مدةً من المدد
أردت أن تأكل الفراخ ولا يأكلُك الدهرُ أكل مضطهِد
هذا بعيد من القياس وما أعزه في الدنو والبُعُد
لا بارك الله في الطعام إذا كان هلاك النفوس في المعِدِ

كم دخلت لقمةٌ حشا شَرِهِ فأَخرجت روحه من الجسد
ما كان أغناك عن تسلقك الـ برج ولو كان جنة الخلد
قد كنت في نعمة وفي دعة من العزيز المهيمن الصمد
تأكل من فأر دارنا رغدا أكل جزافٍ نامٍ بلا عَدَد
وكنت بددت شملهم زمنًا فاجتمعوا بعد ذلك البدد
ولم يُبَقُّوا لنا على سَبَد في جوف أبياتنا ولا لَبَد
وفَرَّغوا قعرها وما تركوا ما عَلَّقَتْه يَدٌ على وَتَد
وفَتَّتُوا الخبز في السلال فكم تفتتت للعيال من كَبِد
ومزقوا من ثيابنا جُدُدًا فكلنا في مصائب جُدُد

وهي خمسة وستون بيتًا. ١٤/ ٥١٥- ٥١٨

(٦٣٣) عاقبة الغدر

وكانت لضَيزن - أي: محمد بن جابر البتّاني - بنتٌ فائقة الجمال، فلمحت من الحصن أزدشير، فأعجبها وهويته، فأرسلت إليه يتزوجها، وتفتح له الحصن، فقيل: كان عليه - أي: على الحصن - طلسم، فلا يفتح حتى تؤخذ حمامة تخضب رجلاها بحيض بكر زرقاء، ثم تسيب الحمامة فتحط على الدور، فيقع الطلسم، ففعل ذلك، وأخذ الحصن، ثم لما رآها أزدشير قد أسلمت أباها (يعني: خذلت والدها) مع فرط كرامتها عليه، قال: أنتِ أسرعُ إليَّ بالغدر. فربط ضفائرها بذنب فرس، وركضه، فهلكت. ١٤/ ٥١٨- ٥١٩

(٦٣٤) ذهاب الإسلام من أربعة

قال أبو نعيم الحافظ:... وسمعت محمد بن عبد الله الرازي يِنَسَا أنه سمعه - أي: سمع محمد بن الفضل البلخي - يقول: ذهاب الإسلام من أربعة: لا يعملون بما يعلمون، ويعملون بما لا يعلمون، ولا يتعلمون ما لا يعلمون، ويمنعون الناس من العلم.

قلت: هذه نعوت رءوس العرب والترك، وخلقٌ من جهلة العامة، فلو عملوا بيسيرِ ما عرفوا، لأفلحوا، ولو وقفوا عن العمل بالبدع لوُفِّقوا، ولو فتشوا عن دينهم وسألوا أهل الذكر -لا أهل الحيل والمكر- لسَعِدوا، بل يعرضون عن التعلم تيهًا وكسلا، فواحدة من هذه الخلال مردية، فكيف بها إذا اجتمعت؟! فما ظنك إذا انضم إليها كِبْرٌ، وفجورٌ، وإجرام، وتجهرم على الله؟! نسأل الله العافية. **١٤ / ٥٢٥**

(٦٣٥) ضيفٌ ثقيل!

محمد بن حامد البزاز: دخلنا على أبي حامد الأعمشي، وهو عليل، فقلت: كيف تجدك؟ قال: أنا بخير، لولا هذا الجار -يعني أبا حامد الخلودي، راوية أحمد بن حفص- ثم قال: يدَّعي أنه عالم ولا يحفظ إلا ثلاثة كتب: كتاب: "عمى القلب"، وكتاب: "النسيان"، وكتاب: "الجهل". دخل عليَّ أمس وقد اشتدت بي العلة، فقال: يا أبا حامد، علمتَ أن زنجويه مات؟ فقلت: رحمه الله، فقال: دخلت اليوم على المؤمَّل بن الحسن وهو في النزع، ثم قال: يا أبا حامد، كم لك؟ قلت: أنا في السادس والثمانين فقال: إذاً أنت

أكبر من أبيك يوم مات. فقلت: أنا- بحمد الله- في عافية، جامعت البارحة مرتين، واليوم فعلت كذا، فخجل وقام. ١٤ / ٥٥٤

(٦٣٦) هجاءٌ مقذع!

وكان محمد بن زيد الواسطي المتكلم يؤذيه - أي: يؤذي نِفطَويه النحوي -، وهجاه فقال:

من سرَّه أن لا يرى فاسقاً فليجتنب من أن يرى نِفطَوَيه

أحرقه الله بنصف اسمه وصيَّر الباقي صراخاً عليه!

١٥ / ٧٦

قال أبو منصور الثعالبي في " اليتيمة ": سمعت الشيخ أبا الطيب يحكي أن الأموي صاحب الأندلس كتب إليه نزار صاحب مصر - أي: الملقب بـ: العزيز بالله العبيدي - كتاباً سبَّه فيه وهجاه، فكتب إليه الأموي: " أما بعد: فإنك عرفتنا فهجوتنا، ولو عرفناك لأجبناك ". فاشتد هذا على العزيز، وأفحمه عن الجواب. يشير أنك دعيٌّ لا نعرف قبيلتك. ١٥ / ١٦٨

(٦٣٧) لا يُكَفَّرُ مصَلٍ

رأيت للأشعري كلمة أعجبتني وهي ثابتة رواها البيهقي، سمعت أبا حازم العبدوي، سمعت زاهر بن أحمد السرخسي يقول: لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داري ببغداد، دعاني فأتيته، فقال: اشهد علي أني

لا أكفِّر أحدا من أهل القبلة ؛ لأن الكل يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف العبارات.

قلت: وبنحو هذا أدين، وكذا كان شيخنا ابن تيمية في أواخر أيامه يقول: أنا لا أكفر أحداً من الأمة، ويقول: قال النبي -صلى الله عليه وسلم: (لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن) فمن لازم الصلوات بوضوء فهو مسلم. **١٥ / ٨٨**

(٦٣٨) ابتهالات..

وكان القائم - أي: القائم بأمر الله العباسي - فيه خيرٌ واهتمامٌ بالرعية، وقضاءٌ للحوائج، قيل: إنه لما بقي معتقلاً عند العرب كتب قِصَّة، وبعث بها إلى بيت الله مستعديا ممن ظلمه، وهي:

إلى الله العظيم من المسكين عبده: اللهم إنك العالم بالسرائر، المطلع على الضمائر، اللهم إنك غني بعلمك واطلاعك عليَّ عن إعلامي، هذا عبدك قد كفر نعمك وما شكرها، أطغاه حلمك حتى تعدى علينا بَغْيا، اللهم قلَّ الناصر، واعتزَّ الظالم، وأنت المطلع الحاكم، بك نعتز عليه، وإليك نهرب من يديه، فقد حاكمناه إليك، وتوكلنا في إنصافنا منه عليك، ورفعنا ظُلامتنا إلى حَرَمك، ووثقنا في كشفها بكرمك، فاحكم بيننا بالحق، وأنت خير الحاكمين. **١٥ / ١٤٠**

وقال المصنف في موضع آخر:

ولما أن فر القائم إلى البرية، رفع قصة إلى رب العالمين مستعديا على من ظلمه، ونفذ بها إلى البيت الحرام، فنفعت، وأخذ الله بيده، ورده إلى مقر عزه.

فكذلك ينبغي لكل من قُهِرَ وبُغي عليه أن يستغيث بالله -تعالى-، وإن صبر وغفر، فإن في الله كفاية ووقاية. **١٨ / ٣٠٧**

وأوصى جدُّه - الجد هو: أبو الفرج ابن الجوزي - أن يُكتب على قبره:

يا كثير العفو عمن ... كثر الذنب لديه

جاءك المذنب يرجو الـ ... ـصفح عن جرمٍ يديه

أنا ضيف وجزاء الـ ... ـضيف إحسان إليه

٢١ / ٣٨٠

وقال ابن عبدالبر: أنشدنا ابن الفرضي - أي: أبو الوليد عبدالله بن محمد القرطبي - لنفسه:

أسير الخطايا عند بابك واقف ... على وجلٍ مما به أنت عارف

يخاف ذنوباً لم يغب عنك غيبها ... ويرجوك فيها، فهو راجٍ وخائف!

ومن ذا الذي يرجو سواك ويتقي ... وما لَكَ في فصل القضاء مخالف

فيا سيدي لا تخزني في صحيفتي ... إذا نُشرت يوم الحساب الصحائف

١٧ / ١٨٠

(٦٣٩) كذب العبيديين فيما يدعونه من نسب

وفي هذا الوقت انبثت دعاة الحاكم - أي: الخليفة العبيدي - في الأطراف، فأمر القادر - أي: الخليفة العباسي - بعمل محضرٍ يتضمن القدح في نسب العبيدية، وأنهم منسوبون إلى دَيصان بن سعيد الخُرَّمي، فشهدوا جميعاً أن النَّاجم بمصر منصور بن نزار الحاكم حكم الله عليه بالبوار،

وأن جدَّهم لما صار إلى الغرب تسمى بالمهدي عبيد الله، وهو وسلفه أرجاس أنجاس خوارج أدعياء، وأنتم تعلمون أن أحداً من الطالبيين لم يتوقف عن إطلاق القول بأنهم أدعياء، وأن هذا الناجم وسلفه كفار زنادقة، ولمذهب الثنوية والمجوسية معتقدون، عطَّلوا الحدود، وأباحوا الفروج، وسفكوا الدماء، وسبُّوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية، وكتب في المحضر الشريف الرضي، والشريف المرتضى، ومحمد بن محمد بن عمر، وابن الأزرق العلويون، والقاضي أبو محمد بن الأكفاني، والقاسم أبو القاسم الجزري، والشيخ أبو حامد الإسفراييني، وأبو محمد الكَشفُلي، وأبو الحسين القُدوري وأبو علي بن حَمَكان.

< جاء في الحاشية (٥) ص: (١٣٢) تفسير كلمة " الثنوية " بأنهم: أصحاب الإثنين الأزليين.. النور والظلمة. يزعمون بأنهما أزليان قديمان >. **١٥/ ١٣٢-١٣٣**

قال ابن خلكان وغيره: أكثر أهل العلم لا يصححون نسب المهدي عبيد الله جَدّ خلفاء مصر، حتى إن العزيز في أول ولايته صعد المنبر يوم جمعة، فوجد هناك رقعة فيها:

إذا سمعنا نسباً منكرا ... نبكي على المنبر والجامع

إن كنت فيما تدعي صادقا ... فاذكر أباً بعد الأب الرابع

وإن تُرد تحقيق ما قلتَه ... فانسب لنا نفسك كالطائع

أو لا دع الأنساب مستورة ... وادخل بنا في النسب الواسع

فإن أنساب بني هاشم ... يقصر عنها طمع الطامع

١٥/ ١٦٨-١٦٩

ثم قال - أي: أبو شامة -:... وقيل: الدولة العلوية، والدولة الفاطمية، وإنما هي الدولة اليهودية أو المجوسية الملحدة الباطنية. ثم قال: ذكر ذلك جماعة من العلماء الأكابر، وأن نسبهم غير صحيح ؛ بل المعروف أنهم بنو عبيد، وكان والد عبيد من نسل القداح المجوسي الملحد. قال: وقيل: والده يهودي من أهل سَلَمِيَّة، وعُبيد كان اسمه سعيداً، فغيره بعبيد الله لما دخل إلى المغرب، وادعى نسباً ذكر بطلانه جماعة من علماء الأنساب، ثم ترقى وتملك، وبنى المهدية، قال: وكان زنديقاً خبيثا، ونشأت ذريته على ذلك، وبقي هذا البلاء على الإسلام من أول دولتهم إلى آخرها.

قلت: وكانت دولتهم مئتي سنة وثمانياً وستين سنة، وقد صنف القاضي أبو بكر بن الباقلاني كتاب " كشف أسرار الباطنية "، فافتتحه ببطلان انتسابهم إلى الإمام علي، وكذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي. **١٥ / ٢١٣**

(٦٤٠) كَذَبَ المنجمون

قيل: إن المنجمين أخبروا المُعِز - أي: الخليفة العبيدي - أن عليك قَطعا، فأشاروا أن يتخذ سَرَبَاً يتوارى فيه سنة، ففعل. فلما طالت الغيبة ظن جند المغاربة أنه رُفِعَ، فكان الفارس منهم إذا رأى غمامة ترجَّل، ويقول: السلام عليك يا أمير المؤمنين. ثم إنه خرج بعد سنة، فخرج فما عاش بعدها إلا يسيراً. **١٥ / ١٦٣**

وقال ابن الجوزي: ذكر لنا أبو بكر القاضي - أي: محمد بن عبدالباقي الخزرجي النصري البزاز - أن منجمَين حضرا عند ولادتي، فأجمعا على أن العمر اثنتان وخمسون سنة، فها أنا قد جاوزت التسعين! **٢٠ / ٢٦**

(٦٤١) من صور الظلم

وفي سنة ٣٦٦ حجت جميلة بنت ناصر الدولة صاحب الموصل، فمما كان معها أربع مئة محمل، فكانت لا يُدرَى في أي محمل هي، وأعتقت خمس مئة نفس، ونثرت على الكعبة عشرة آلاف مثقال، وسقت جميع الوفد سويق السكر والثلج، كذا قال الثعالبي. وخلعت وكست خمسين ألفا.

ولقد خطبها السلطان عضد الدولة، فأبتْ، فحنق لذلك، ثم تمكن منها، فأفقرها وعذبها، ثم ألزمها أن تقعد في الحانة لتحصل من الفاحشة ما تؤدي، فمرت مع الأعوان، فقذفت نفسها في دجلة فغرقت، عفا الله عنها. **١٥ / ١٧٠**

قال المصنف رحمه الله:

الحبُلي: الإمام الشهيد قاضي مدينة برقة محمد بن الحبلي.

أتاه أمير برقة، فقال: غداً العيد. قال: حتى نرى الهلال، ولا أُفَطِّر الناس، وأتقلد إثمهم. فقال: بهذا جاء كتاب المنصور (أي: الخليفة العبيدي) -وكان هذا من رأي العبيدية يفطِّرون بالحساب، ولا يعتبرون رؤية- فلم يُرَ هلال، فأصبح الأمير بالطبول والبنود وأهبة العيد.

فقال القاضي: لا أخرج ولا أصلي. فأمر الأمير رجلاً خطب، وكتب بما جرى إلى المنصور، فطلب القاضي إليه، فأُحضر، فقال له: تنصل، وأعفو عنك. فامتنع، فأمر، فعُلِّق في الشمس إلى أن مات، وكان يستغيث العطش، فلم يُسْقَ. ثم صلبوه على خشبة. فلعنة الله على الظالمين. **١٥ / ٣٧٤**

ومن جبروته وعتوه - أي: المعتضد بن الظافر بالله اللخمي - أنه أخذ مالاً لأعمى ؛ فهجَّ وجاور بمكة، فبلغ المعتضد أنه يدعو عليه، فندب رجلاً أعطاه جملة دنانير مطلية بسم، فسار إلى مكة، وأوصله الذهب، فقال: يظلمني بإشبيلية، ويصلني هنا؟! ثم وضع منها ديناراً في فمه كعادة الأضراء، فمات من الغد.

وهرب منه مؤذن إلى طليطلة، فبقي يدعو عليه في السحر، فنفَّذ من جاءه برأسه. **١٩ / ٥٩**

(٦٤٢) من حماقات " الحاكم " العبيدي

وكان - أي: " الحاكم " الخليفة العبيدي - شيطاناً مريداً جباراً عنيدا، كثير التلون، سفاكا للدماء، خبيث النحلة، عظيم المكر جواداً ممدحاً، له شأن عجيب، ونبأ غريب، كان فرعون زمانه، يخترع كل وقت أحكاماً يُلزم الرعية بها، أمر بسب الصحابة -رضي الله عنهم-، وبكتابة ذلك على أبواب المساجد والشوارع. وأمر عماله بالسب، وبقتل الكلاب في سنة خمس وتسعين وثلاث مئة، وأبطل الفُقَّاع والملوخيا، وحرَّم السمك الذي لا فلوس عليه، ووقَع ببائعٍ لشيء من ذلك فقتلهم.

< جاء في الحاشية (٢) ص: (١٧٤) تفسير كلمة " الفقاع " بأنه: شراب يتخذ من الشعير >.

< جاء في الحاشية(٣) ص:(١٧٤) تفسير كلمة " الفَلْس " بأنها: القشرة على ظهر السمكة >.

وفي سنة اثنتين وأربع مئة حرَّم بيع الرطب، وجمع منه شيئاً عظيماً فأحرقه، ومنع من بيع العنب، وأباد الكروم. وأمر النصارى بتعليق صليب في رقابهم زنته رطل وربع بالدمشقي، وألزم اليهود أن يعلقوا في أعناقهم قُرمية في زنة الصليب إشارة إلى رأس العجل الذي عبدوه، وأن تكون عمائمهم سودا، وأن يدخلوا الحمام بالصليب وبالقرمية، ثم أفرد لهم حمامات، وأمر في العام بهدم كنيسة قُمامة، وبهدم كنائس مصر. فأسلم عدة، ثم إنه نهى عن تقبيل الأرض، وعن الدعاء له في الخطب وفي الكتب، وجعل بدله السلام عليه.

وقيل: إن ابن باديس أمير المغرب بعث ينقم عليه أموراً، فأراد أن يستميله، فأظهر التفقه، وحمل في كمه الدفاتر، وطلب إلى عنده فقيهين، وأمرهما بتدريس فقه مالك في الجامع، ثم تغير، فقتلهما صبراً.

وأذن للنصارى الذين أكرههم في العَوْد إلى الكفر.

ومنع النساء من الخروج من البيوت، فأحسن وأبطل عمل الخفاف لهن جملة، وما زلن ممنوعات من الخروج سبع سنين وسبعة أشهر. ثم بعد مدة أمر بإنشاء ما هدم من الكنائس، وبتنصر من أسلم. **١٥ / ١٧٤ – ١٧٥**

وأنشأ داراً كبيرة ملأها قيوداً وأغلالا، وجعل لها سبعة أبواب، وسماها جهنم، فكان من سخط عليه أسكنه فيها.

ولما أمر بحريق مصر واستباحها بعث خادمه ليشاهد الحال، فلما رجع قال: كيف رأيت؟ قال: لو استباحها طاغية الروم ما زاد على ما رأيت. فضرب عنقه. **١٥ / ١٧٧**

وفي شوال سنة إحدى عشرة وأربع مئة عُدِم الحاكم، وكان الخلق في ضَنَكٍ من العيش معه، صالحُهم وطالحُهم، وكانوا يدسون إليه الرقاع المختومة بسبه والدعاء عليه ؛ لأنه كان يدور في القاهرة على دابة، ويتزهد. وعملوا هيئة امرأة من كاغد بخف وإزار في يدها قصة، فأخذها فرأى فيها العظائم، فهمَّ بالمرأة فإذا هي تمثال، فطلب العرفاء والأمراء، فأمر بالمُضي إلى مصر ونهبها وإحراقها، فذهبوا لذلك، فقاتل أهلها، ودافعوا واستمرت النار والحرب بين الرعية والعبيد ثلاثا، وهو يركب حماره، ويشاهد الحريق والضجة فيتوجع للناس، ويقول: لعن الله من أمر بهذا. فلما كان ثالث يوم اجتمع الكبراء والمشايخ إليه، ورفعوا المصاحف وبكوا، فرحمهم جنده الأتراك، وانضموا إليهم، وقاتلوا معهم. وقال هو: ما أذنت لهم، وقد أذنت لكم في الإيقاع بهم. وبعث في السر إلى العبيد: استمروا. وقوَّاهم بالأسلحة، وفهم ذلك الناس، فبعثوا إليه يقولون: نحن نقصد أيضاً القاهرة، فأمر العبيد بالكف بعد أن أحرق من مصر ثلثها، ونهب وأسر النصف، ثم اشترى الناس حُرَمَهم من العبيد بعد أن فجروا بهن. ١٥ / ١٨٠ — ١٨١

(٦٤٣) عطر الرجال

قال الحسن بن علي بن مقلة: كان أبو علي الوزير - أي: محمد بن علي بن حسن بن مقلة - يأكل يوماً، فلما غسل يده وجد نقطة صفراء من حُلْوٍ على ثوبه، ففتح الدواة، فاستمد منها وطمسها بالقلم، وقال: ذاك عيب، وهذا أثر صناعة.

إنما الزعفران عطر العذارى ومداد الدواة عطر الرجال

١٥ / ٢٢٦

(٦٤٤) حسن الأدب

الحسين بن الحسن الواثقي: كنت أرى دائماً جعفر بن ورقاء يعرض على ابن مقلة - أي: محمد بن علي بن حسن بن مقلة - في وزارته الرقاع الكثيرة في حوائج الناس في مجالس حفله، وفي خلوته، فربما عرض في اليوم أزيد من مئة رقعة، فعرض عليه في مجلسٍ خالٍ شيئاً كثيراً، فضجر وقال: إلى كم يا أبا محمد؟ فقال: على بابك الأرملة والضعيف وابن السبيل، والفقير، ومن لا يصل إليك. وقال: أيد الله الوزير إن كان فيها شيء لي فَخَرِّقْهُ ؛ إنما أنت الدنيا، ونحن طُرُقٌ إليك، فإذا سألونا سألناك، فإن صعب هذا أمرتنا أن لا نعرض شيئا، ونُعَرف الناس بضعف جاهنا عندك ليعذرونا. فقال أبو علي: لم أذهب حيث ذهبت ؛ وإنما أومأت إلى أن تكون هذه الرقاع الكثيرة في مجلسين، ولو كانت كلها تخصك لقضيتها، فقبَّل جعفر يده. ١٥ / ٢٢٧

(٦٤٥) علامة الصدق

وعنه - أي: عن أبي يعقوب النهرجوري - قال: الصدق موافقة الحق في السر والعلانية، وحقيقة الصدق القول بالحق في مواطن الهَلَكَة. ١٥ / ٢٣٣

(٦٤٦) مغبة التقصير في الضيافة!

عن إبراهيم بن أبي بكر، عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾ [النساء: ١٤٨] قال: ذلك في الضيافة، إذا أتيت رجلاً، فلم يُضفْك، فقد رخص لك أن تقول. ١٥ / ٢٩٠

(٦٤٧) "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً"

وقال أبو عمر محمد بن يوسف الكندي: أخبرني علي بن محمد المصري، أنه رأى ابن زَبْر - أي: أبو محمد عبدالله بن أحمد الربعي - مرَّ بدمشق على الأساكفة، فَشَغَبوا، ودقُّوا على تخوتهم قائلين كلاماً قبيحاً، وهو يسلِّم عليهم، ويتطارش ويُظهر أنهم يدعون له. ١٥ / ٣١٦

(٦٤٨) الخوارج والباطنية

فلما قام أبو يزيد مخلد بن كِنْداد الأعرج رأس الخوارج على بني عبيد، خرج هذا المَمْسِي - أي: العباس بن عيسى المالكي - معه في عدد من علماء القيروان لفرط ما عمهم من البلاء؛ فإن العبيدي كشف أمره، وأظهر ما يُبطنه، حتى نصبوا حسن الضرير السبَّاب في الطرق بأسجاع لقنوه، يقول: العنوا الغار وما حوى، والكساء وما وعى، وغير ذلك، فمن أنكر ضُرِبت عنقه. وذلك في أول دولة الثالث إسماعيل، فخرج مَخْلَد الزناتي المذكور صاحب الحمارة، وكان زاهداً، فتحرك لقيامه كل أحد، ففتح

البلاد، وأخذ مدينة القيروان، لكن عملت الخوارج كل قبيح، حتى أتى العلماء أبا يزيد يعيبون عليه، فقال: نهبكم حلالٌ لنا، فلاطفوه حتى أمرهم بالكف، وتحصن العبيدي بالمهدية.

وقيل: إن أبا يزيد - أي: المَسْيِي - لما أيقن بالظهور غلبت عليه نفسه الخارجية، وقال لأمرائه: إذا لقيتم العبيدية، فانهزموا عن القيروانيين، حتى ينال منهم عدوهم. ففعلوا ذلك، فاستشهد خلق. وذلك سنة نيف وثلاثين وثلاث مئة. فالخوارج أعداء المسلمين، وأما العبيدية الباطنية، فأعداء الله ورسوله. ١٥ / ٣٧٣

(٦٤٩) من مصطلحات الصوفية

وقال - أي: إبراهيم القرميسيني -: علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية، وصحة العبودية، وما كان غير هذا فهو من المغالطة والزندقة.

قلت: صدقت والله ؛ فإن الفناء والبقاء من ترهات الصوفية، أطلقه بعضهم، فدخل من بابه كل إلحادي وكل زنديق، وقالوا: ما سوى الله باطل فانٍ، والله -تعالى- هو الباقي، وهو هذه الكائنات، وما ثَمَّ شيء غيره.

ويقول شاعرهم:

وما أنت غير الكون ... بل أنت عينه

ويقول الآخر:

وما ثَمَّ إلا الله ليس سواه

فانظر إلى هذا المروق والضلال ؛ بل كل ما سوى الله محدث موجود. قال الله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان: ٥٩]. وإنما أراد قدماء الصوفية بالفناء نسيان المخلوقات وتركها، وفناء النفس عن التشاغل بما سوى الله، ولا يُسَلم إليهم هذا أيضا، بل أمرنا الله ورسوله بالتشاغل بالمخلوقات ورؤيتها والإقبال عليها، وتعظيم خالقها، وقال تعالى: ﴿يَنظُرُواْ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] وقال عليه السلام: (حُبِّبَ إليَّ النساء والطيب). وقال: (كأنك علمت حبنا للحم). وكان يحب عائشة، ويحب أباها، ويحب أسامة، ويحب سبطيه ويحب الحلواء والعسل، ويحب جبل أحد، ويحب وطنه، ويحب الأنصار، إلى أشياء لا تحصى مما لا يغني المؤمن عنها قط. **١٥ / ٣٩٣ – ٣٩٤**

قال أيضاً – أي: ابن الأعرابي البصري الصوفي –: إنما كانوا يقولون " جمع "، وصورة الجمع عند كل أحد بخلافها عند الآخر، وكذلك صورة الفناء، وكانوا يتفقون في الأسماء، ويختلفون في معناها ؛ لأن ما تحت الاسم غير محصور، لأنها من المعارف. قال: وكذلك علم المعرفة غير محصور لا نهاية له ولا لوجوده، ولا لذوقه. إلى أن قال –ولقد أحسن في المقال–: فإذا سمعت الرجل يسأل عن الجمع أو الفناء، أو يجيب فيهما، فاعلم أنه فارغ، ليس من أهل ذلك، إذ أهلهما لا يسألون عنه لعلمهم أنه لا يدرك بالوصف.

قلت: إي والله، دققوا وعمقوا، وخاضوا في أسرارَ عظيمة، ما معهم على دعواهم فيها سوى ظن وخيال، ولا وجود لتلك الأحوال من الفناء والمحو والصحو والسُّكْر إلا مجرد خطرات ووساوس، ما تفوه بعباراتهم صدِّيق، ولا صاحب، ولا إمام من التابعين، فإن طالبتهم بدعاويهم مقتوك، وقالوا: محجوب، وإن سلَّمتَ لهم قيادك تخبط ما معك من الإيمان، وهبط بك الحال على الحمرة والمحال، ورمقت العباد بعين المقت، وأهل القرآن والحديث بعين البعد، وقلت: مساكين محجوبون. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

فإنما التصوف والتألُّه والسلوك والسير والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- من الرضا عن الله، ولزوم تقوى الله، والجهاد في سبيل الله، والتأدب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر، والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت، وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، والتواضع للمؤمنين، والتعزز على الكافرين، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. والعالم إذا عَرِي من التصوف والتأله، فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة، زَلَّ عن سواء السبيل. وقد كان ابن الأعرابي من علماء الصوفية، فتراه لا يقبل شيئا من اصطلاحات القوم إلا بحجة. ١٥ / ٤٠٩ - ٤١٠

(٦٥٠) من حقوق الصحبة

أبو بكر الوراق: دققت باب ابن صاعد، فقال: من ذا؟ فقلت: أبو بكر بن أبي علي، أهاهنا يحيى بن صاعد؟ فسمعته يقول للجارية: هاتي النعل حتى أخرج إلى هذا الجاهل الذي يكتني ويسميني، فأصفعه!. ١٦ / ٣٨٩

وقال الرجل - أي: أبو ميسرة القيرواني -: يا أخي فائدة الاجتماع: الدعاء، فادع لي إذا ذكرتني، وأدعو لك إذا ذكرتك، فنكون كأنا التقينا، وإن لم نلتق. ١٥ / ٣٩٦

عباس بن عمر، سمعت أبا عمر الزاهد - أي: محمد بن عبدالواحد، المعروف بغلام ثعلب - يقول: تركُ قضاء حقوق الإخوان مذلة، وفي قضاء حقوقهم رفعة. ١٥ / ٥١٠

(٦٥١) طرفة غريبة!

ويقال: إنه - أي: ابن النحاس النحوي - جلس على درج المقياس، يُقَطِّعُ عروض شِعْر، فسمعه جاهل، فقال: هذا يسحر النيل حتى ينقص، فرفسه، ألقاه في النيل، فغَرِق في ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة.

< جاء في الحاشية (٢): قال ياقوت في " معجم البلدان ": ٥ / ١٧٨ " المقياس: هو عمود من رخام، قائم في وسط بركة على شاطئ النيل بمصر... ". > ١٥ / ٤٠٢

(٦٥٢) المُحِبُّ لا يُعذِّب حبيبَه

وقيل: إن ابن مجاهد قال له - أي: لأبي بكر الشبلي -: أين في العلم إفساد ما ينفع. قال: قوله: ﴿ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾ [ص: ٣٣] ولكن يا مقرئ أين معك أن المحب لا يعذب حبيبه؟ فسكت ابن مجاهد، قال: قوله: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاؤُا اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم ﴾ [المائدة: ١٨]؟

< جاء في الحاشية (١): ذلك لأنه كان من شأن الشبلي إذا لبس شيئاً خرَّق فيه موضعاً. وفي الاستشهاد بالآية نظر، فإن ابن عباس فسَّرها بقوله: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها: حباً لها. وهو الذي اختاره ابن جرير، قال: لأنه لم يكن ليعذب حيواناً بالعرقبة، ويهلك مالاً من ماله بلا سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها >. **١٥ / ٣٦٨**

(٦٥٣) موقف الناس من العالم إذا عجِز عن تعليمهم!

قال الحاكم: سمعت الأصم - أي: محمد بن يعقوب السناني المعقلي - ، وقد خرج ونحن في مسجده، وقد امتدت السكة من الناس في ربيع الأول سنة أربع وأربعين وثلاث مئة. وكان يملي عشية كل يوم اثنين من أصوله، فلما نظر إلى كثرة الناس والغرباء وقد قاموا يطرقون له، ويحملونه على عواتقهم من باب داره إلى مسجده، فجلس على جدار المسجد، وبكى طويلا، ثم نظر إلى المستملي، فقال: أكتب: سمعت محمد بن إسحاق الصغاني يقول: سمعت الأشج، سمعت عبد الله بن إدريس يقول: أتيت يوماً باب الأعمش بعد موته فدققت الباب، فأجابتني جارية عرفتني: هاي هاي ؛ تبكي: يا عبد الله، ما فعل جماهير العرب التي كانت تأتي هذا الباب؟ ثم بكى الكثير. ثم قال: كأني بهذه السِّكَّة لا يدخلها أحد منكم ؛ فإني لا أسمع وقد ضعف البصر، وحان الرحيل، وانقضى الأجل.

فما كان إلا بعد شهر أو أقل منه حتى كف بصره، وانقطعت الرحلة، وانصرف الغرباء، فرجع أمره إلى أنه كان يُناول قلماً، فيعلم أنهم

يطلبون الرواية، فيقول: حدثنا الربيع، وكان يحفظ أربعة عشر حديثا، وسبع حكايات، فيرويها. وصار بأسوأ حال حتى توفي. ١٥ / ٤٥٨ – ٤٥٩

(٦٥٤) السكوت عن التوسع في العبارات أسلم للإنسان

قال الحاكم: سمعت الأستاذ أبا الوليد – أي: حسان بن محمد النيسابوري – يقول: قال لي أبي: أي شيء تجمع؟ قلت: أُخَرِّجُ على كتاب البخاري، فقال: عليك بكتاب مسلم ؛ فإنه أكثر بركة، فإن البخاري كان ينسب إلى اللفظ.

قال محمد بن الذهلي: ومسلم أيضاً نسب إلى اللفظ، ألا تراه كيف قام من مجلس الذهلي على رأس الملأ لما قال: ألا من كان يقول بقول محمد بن إسماعيل، فلا يقربَنَّا؟ فهذه مسألة مشكلة، وقد كان أحمد بن حنبل وغيره لا يرون الخوض في هذه المسألة، مع أن البخاري –رحمه الله– ما صرح بذلك، ولا قال: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة ؛ بل قال: أفعالنا مخلوقة، والمقروء الملفوظ هو كلام الله تعالى، وليس بمخلوق، فالسكوت عن توسع العبارات أسلم للإنسان. ١٥ / ٤٩٤

قد بلوت على أبي المظفر – أي: سبط أبي الفرج ابن الجوزي – المجازفة وقلة الورع فيما يؤرخه والله الموعد، وكان يَتَرفَّضُ، رأيت له مصنَّفاً في ذلك فيه دواهٍ، ولو أجمعت الفقهاء على تكفيره – أي: لو أجمع الفقهاء على تكفير الحافظ عبدالغني المقدسي – كما زعم – أي: أبو المظفر – لما وسعهم إبقاؤه حيا، فقد كان على مقالته بدمشق أخوه الشيخ العماد، والشيخ موفق الدين، وأخوه القدوة الشيخ أبو عمر، والعلامة شمس الدين

البخاري، وسائر الحنابلة، وعدة من أهل الأثر. وكان بالبلد أيضاً خلق من العلماء لا يكفرونه، نعم، ولا يصرحون بما أطلقه من العبارة لما ضايقوه، ولو كف عن تلك العبارات، وقال بما وردت به النصوص لأجاد ولسلم، فهو الأولى، فما في توسيع العبارات الموهمة خير، وأسوأ شيء قاله أنه ضلل العلماء الحاضرين، وأنه على الحق، فقال كلمة فيها شر وفساد وإثارة للبلاء، رحم الله الجميع وغفر لهم، فما قصدهم إلا تعظيم الباري -عز وجل- من الطرفين، ولكن الأكمل في التعظيم والتنزيه الوقوف مع ألفاظ الكتاب والسنة، وهذا هو مذهب السلف -رضي الله عنهم. **٢١ / ٤٦٤**

(٦٥٥) طاعة ولي الأمر

وقال فقير: قلت ليلة لأبي وهب - أي: زاهد الأندلس -: قم بنا لزيارة فلان. قال: وأين العلم؟ ولي الأمر له طاعة، وقد منع من المشي ليلاً. **١٥ / ٥٠٧**

(٦٥٦) الجنة التي أُخرج منها آدم

ومما نقل عن ابن مسرة - أي: وهب الحجاري - أنه كان يقول: ليست الجنة التي أُخرج منها أبونا آدم بجنة الخلد، بل جنة في الأرض.

فهذا تنطع وتعمق مرذول. **١٥ / ٥٥٧**

(٦٥٧) جهل الصوفية

وحدثني أبو إسحاق الصريفيني، قال: قلت للحريري - أي: علي بن أبي الحسن -: ما الحجة في الرقص؟ قال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ وكان

يُطعم ويُنفق ويتبعه كل مريب. شهد عليه خلق كثير بما يوجب القتل، ولم يقدم السلطان على قتله، بل سجنه مرتين.

وعندي مجموع، من كلام الشيخ الحريري، فيه: إذا دخل مريدي بلاد الروم، وتنصر، وأكل الخنزير، وشرب الخمر كان في شغلي.

وسأله رجل: أي الطرق أقرب إلى الله؟ قال: اترك السير وقد وصلت.

وقال لأصحابه: بايعوني على أن نموت يهود ونحشر إلى النار حتى لا يصحبني أحدٌ لعلة.

وقال: لو قدم علي من قتل ولدي وهو بذلك طيب وجدني أطيب منه.

ومن ذلك قوله: أمرد يُقَدِّم مداسي أخير من رضوانكم، وربع قَحْبَة عندي أحسن من الولدان. أود أشتهي قبل موتي أعشق ولو صورة حجر. أنا متكل مُحَيّر والعشق بي مشغول.

قال ابن إسرائيل: قال لي الشيخ: ما معنى قوله تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ [المائدة: ٦٤] قلت: يقول سيدي، قال: ويحك من الموقِد ومن المطفِئ، لا يسمع لله كلاماً إلا منك فيك، فامْحُ إِنِّيَتَكَ. **٢٣ / ٢٢٥ - ٢٢٦**

قال إبراهيم بن أحمد الطبري: سمعت الخلدي - أي: جعفر بن محمد - يقول: مضيت إلى عباس الدوري، وأنا حدث، فكتبت عنه مجلسا، وخرجت، فلقيني صوفي، فقال: أيش هذا؟ فأريته، فقال: ويحك، تدع علم الخِرَق، وتأخذ علم الورق! ثم خرَّق الأوراق، فدخل كلامه في قلبي، فلم أعد إلى عباس، ووقفت بعرفة ستا وخمسين وقفة.

قلت: ما ذا إلا صوفي جاهل يمزق الأحاديث النبوية، ويحض على أمر مجهول، فما أحوجه إلى العلم. **١٥ / ٥٥٩**

قال ابن باكويه: نظر أبو عبد الله بن خفيف - أي: الشيرازي - يوماً إلى ابن مكتوم وجماعة يكتبون شيئا، فقال: ما هذا؟ قالوا: نكتب كذا وكذا، قال: اشتغلوا بتعلم شيء، ولا يغرنكم كلام الصوفية، فإني كنت أخبئ محبرتي في جيب مرقعي، والورق في حجزة سراويلي، وأذهب في الخفية إلى أهل العلم، فإذا علموا بي خاصموني، وقالوا: لا يفلح، ثم احتاجوا إلي. ١٦ / ٣٤٦

قال أبو نصر الفاشاني: كنت إذا أتيت هبة الله - أي: ابن عبدالوارث الشيرازي - بالرباط، أخرجني إلى الصحراء، وقال: اقرأ هنا، فالصوفية يتبرمون بمن يشتغل بالعلم والحديث، يقولون: يشوشون علينا أوقاتنا! ١٩ / ١٩

قيل: سئل أبو علي - أي: الروذباري - عمَّن يسمع الملاهي ويقول: هي حلال لي لأني قد وصلت إلى رتبةٍ لا يؤثر فيه اختلاف الأحوال؟ فقال: نعم قد وصل، ولكن إلى سقر! ١٤ / ٥٣٦

(٦٥٨) إذا خشع جبار الأرض

وكان - أي: الناصر لدين الله الأندلسي - لا يملُّ من الغزو، فيه سؤدد وحزم وإقدام، وسجايا حميدة، أصابهم قحط، فجاء رسول قاضيه منذر البلوطي يحركه للخروج، فلبس ثوباً خشنا، وبكى واستغفر، وتذلل لربه، وقال: ناصيتي بيدك، لا تعذب الرعية بي، لن يفوتك مني شيء. فبلغ القاضي، فتهلل وجهه، وقال: إذا خشع جبار الأرض، يرحم جبار السماء، فاستسقوا ورُحِمُوا. ١٥ / ٥٦٣

وقال المصنف في موضع آخر: قال - أي: الحسن بن محمد -: وسمعت من يذكر أن رسول الناصر جاءه للاستسقاء، فقال للرسول: ها أنا سائر، فليت شعري ما الذي يصنعه الخليفة في يومنا هذا؟ فقال: ما رأيته قط أخشع منه في يومه هذا، إنه منفرد بنفسه، لابس أخشن الثياب، مفترش التراب، قد علا نحيبه واعترافه بذنوبه، يقول: رب هذه ناصيتي بيدك، أتراك تعذب الرعية وأنت أحكم الحاكمين وأعدلهم، أن يفوتك مني شيء. فتهلل منذر بن سعيد، وقال: يا غلام احمل المطرة معك، إذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء. ١٦/ ١٧٦ - ١٧٧

(٦٥٩) التهيب من الأيمان

وقيل: إنه - أي: أبو أحمد الأصبهاني، المعروف بالعسال - كان لا يغلق بابه عن أحد، وكان إذا توجه على الخصم يمين لا يُحلِّفه ما أمكنه، بل يغرم عنه ما لم يبلغ مئة دينار، فإذا بلغ المئة أو جاوزها، كان يتثبت ويدافع ويمهل إلى المجلس الثاني، ويُحذر المدعى عليه وبال اليمين، ويخوفه يوم الدين، ويذكره الوقوف بين يدي رب العالمين، ثم يُحلِّفه على كُره. ١٦/ ٩

(٦٦٠) جودة شِعره لا تعني التغاضي عن زلاته!

ونظمه - أي: ابن هاني الأندلسي - بديع في الذروة، وكان حافظاً لأشعار العرب وأيامها، لكنه فاسق خمِّير، يُتهم بدين الفلاسفة... وديوانه كبير، وفيه مدائح، تُفضي به إلى الكفر. ١٦/ ١٣٢

قال المصنف رحمه الله:

الصابئ، الأديب البليغ، صاحب الترسل البديع، أبو إسحاق، إبراهيم بن هلال الصابئ الحراني المشرك. حرصوا عليه أن يسلم فأبى، وكان يصوم رمضان، ويحفظ القرآن، ويُحتاج إليه في الإنشاء. كتب لعز الدولة بختيار. وله نظم رائق... ومات، فرثاه الشريف الرضي، فلِيم في ذلك، فقال: إنما رثيت فضله!، وهذا عذر بارد. **١٦ / ٥٢٣ - ٥٢٤**

(٦٦١) فضل العلم

سمعته - أي: قال أبو عبدالرحمن السلمي: سمعت ابن نجيد النيسابوري - يقول: كل حالٍ لا يكون عن نتيجة علم وإن جلَّ، فإن ضرره على صاحبه أكبر من نفعه. **١٦ / ١٤٧**

قال الخطيب: أنشدني أبو يعلى بن الفراء، أنشدنا عيسى بن علي - أي: ابن الجراح - لنفسه:

رُبَّ ميت قد صار بالعلم حياً ومُبقّى قد حاز جهلاً وغياً

فاقتنوا العلم كي تنالوا خلوداً لا تعُدُّوا الحياة في الجهل شيَّاً

١٦ / ٥٥٠

(٦٦٢) حال بعض المعلمين!

وأخذ عنه - أي: عن ابن حيُّويه النيسابوري - الدارقطني، وقال: كان لا يترك أحداً يتحدث في مجلسه. وقال: جئت إلى شيخ عنده " الموطأ "،

فكان يُقرأ عليه وهو يتحدث. فلما فرغ، قلت: أيها الشيخ: يُقرأ عليك وأنت تتحدث؟! فقال: قد كنت أسمع، قال - أي: الدارقطني -: فلم أعد إليه.

قلت: كذا شيوخ الحديث اليوم، إن لم ينعسوا تحدثوا، وإن عوتبوا، قالوا: قد كنا نسمع، وهذه مكابرة. ١٦/ ١٦٠- ١٦١

(٦٦٣) فساد أهل الزمان

وقد سألته - أي: وسأل أبو عبدالله الحاكم ابنَ رُميح النسوي - المقام بنيسابور، فقال: على من أقيم؟ فوالله لو قدرت لم أفارق سدتك، ما الناس اليوم بخراسان إلا كما قيل:

كفى حزنا أن المروءة عطلت　　وأن ذوي الألباب في الناس ضُيع

وأن ملوكاً ليس يحظى لديهم　　من الناس إلا من يغني ويصفع

١٦/ ١٧٠

(٦٦٤) استسقاء الصالحين

قال الحسن بن محمد: قحط الناس في بعض السنين آخر مدة الناصر - أي: الخليفة الأندلسي -، فأمر القاضي منذر بن سعيد - أي: البلوطي - بالبروز إلى الاستسقاء بالناس، فصام أياماً وتأهب، واجتمع الخلق في مصلى الرَّبَض، وصعد الناصر في أعلى قصره ليشاهد الجمع، فأبطأ منذر، ثم خرج راجلاً متخشعا، وقام ليخطب، فلما رأى الحال بكى ونشج وافتتح خطبته بأن قال: سلام عليكم، ثم سكت شبه الحسير، ولم يكن من

عادته، فنظر الناس بعضهم إلى بعض لا يدرون ما عراه، ثم اندفع، فقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ﴾ الآية [الأنعام: ٥٤] استغفروا ربكم وتوبوا إليه، وتقربوا بالأعمال الصالحة لديه، فضج الناس بالبكاء، وجاروا بالدعاء والتضرع، وخطب فأبلغ، فلم ينفضَّ القوم حتى نزل غيث عظيم.

واستسقى مرة، فقال يهتف بالخلق: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥] لآيتين فهيج الخلق على البكاء.

قال: وسمعت من يذكر أن رسول الناصر جاءه للاستسقاء، فقال للرسول: ها أنا سائر، فليت شعري ما الذي يصنعه الخليفة في يومنا هذا؟ فقال: ما رأيته قط أخشع منه في يومه هذا، إنه منفرد بنفسه، لابس أخشن الثياب، مفترش التراب، قد علا نحيبه واعترافه بذنوبه، يقول: رب هذه ناصيتي بيدك، أتراك تعذب الرعية وأنت أحكم الحاكمين وأعدلهم، أن يفوتك مني شيء. فتهلل منذر بن سعيد، وقال: يا غلام احمل الممطرة معك، إذا خشع جبار الأرض رحم جبار السماء. ١٦ / ١٧٦ – ١٧٧

(٦٦٥) النصح للأئمة

قال ابن عفيف: من أخباره - أي: أخبار منذر بن سعيد البلوطي - المحفوظة: أن أمير المؤمنين - أي: الناصر الأندلسي - عمل في بعض سطوح الزهراء قبة بالذهب والفضة، وجلس فيها، ودخل الأعيان، فجاء منذر بن سعيد، فقال له الخليفة كما قال لمن قبله: هل رأيت أو سمعت أن أحداً من الخلفاء قبلي فعل مثل هذا؟ فأقبلت دموع القاضي تتحدر، ثم قال: والله ما

ظننت يا أمير المؤمنين أن الشيطان يبلغ منك هذا المبلغ، أن أنزلك منازل الكفار، قال: لم؟ فقال: قال الله عز وجل: ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ ﴾ [الزخرف: ٣٣] إلى قوله: ﴿ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الزخرف: ٣٥] فنكّس الناصر رأسه طويلا، ثم قال: جزاك الله عنا خيراً وعن المسلمين، الذي قلت هو الحق، وأمر بنقض سقف القبة. ١٦ / ١٧٧

(٦٦٦) الصلاة على النبي ﷺ

قال أبو عبدالله بن مندة: سمعت حمزة بن محمد الحافظ يقول: كنت أكتب الحديث، فلا أكتب (وسلم) بعد (صلى الله عليه). فرأيت النبي ﷺ في المنام، فقال لي: أما تختم الصلاة عليَّ في كتابك؟! ١٦ / ١٨٠

وقال الحسين بن أحمد الشيرازي: لما مات أحمد بن منصور الحافظ، جاء إلى أبي رجل، فقال: رأيته في النوم وهو في المحراب واقفٌ بجامع شيراز، وعليه حُلَّة، وعلى رأسه تاج مُكلَّلٌ بالجوهر، فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وأكرمني. قلت: بماذا؟ قال: بكثرة صلاتي على رسول الله ﷺ. ١٦ / ٤٧٣

(٦٦٧) التورع عن الفتوى

وكان - أي: محمد بن أحمد بن حمدان الحيري النيسابوري - حافظاً للقرآن، عارفاً بالحديث، والتاريخ، والرجال، والفقه، كافاً عن الفتوى.

حضره رجل فقال: حلفت إن تزوجت فلانة فهي طالق ثلاثا، فقال: قول مالك وأبي حنيفة: تطلق. وقال الشافعي: لا تطلق. فقال السائل: فما تقول أنت؟ فقال: هذا إلى أبي بكر الفراتي، ولم يفته. ١٦/ ١٩٥

وكان - أي: محمد بن عتَّاب الأندلسي - يهاب الفتوى، ويقول: ودِدتُ أني أنجو منها كفافاً. وله اختيارات من أقاويل العلماء، يأخذ بها في خاصة نفسه. ١٨/ ٣٢٩

وعنه - أي: عن سحنون المالكي -: سرعة الجواب بالصواب أشد فتنة من فتنة المال. ١٢/ ٦٩

(٦٦٨) فليُسعد النطق إن لم يُسعِد الحال!

قال عبد الغني: وسمعت الوزير أبا الفرج يعقوب بن يوسف يقول: قال لي الأستاذ كافور: اجتمع بالقاضي أبي الطاهر - أي: محمد بن أحمد الذهلي -، فسلم عليه، وقل له: إنه بلغني أنك تتبسط مع جلسائك، وهذا الانبساط يُقلُّ هيبة الحكم، فأعلمته بذلك، فقال: قل للأستاذ: لستُ ذا مالٍ أُفيضُ به على جلسائي، فلا أقل من خُلُقِي، فأخبرت الأستاذ، فقال: لا تعاوده فقد وضع القصعة. ١٦/ ٢٠٦ - ٢٠٧

(٦٦٩) التصوف الصحيح

فإنما التصوف والتألُّه والسلوك والسير والمحبة ما جاء عن أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم- من الرضا عن الله، ولزوم تقوى الله،

والجهاد في سبيل الله، والتأدب بآداب الشريعة من التلاوة بترتيل وتدبر، والقيام بخشية وخشوع، وصوم وقت، وإفطار وقت، وبذل المعروف، وكثرة الإيثار، وتعليم العوام، والتواضع للمؤمنين، والتعزز على الكافرين، ومع هذا فالله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. والعالم إذا عَرِي من التصوف والتأله، فهو فارغ، كما أن الصوفي إذا عري من علم السنة، زَلَّ عن سواء السبيل. وقد كان ابن الأعرابي من علماء الصوفية، فتراه لا يقبل شيئا من اصطلاحات القوم إلا بحجة. **١٥ / ٤١٠**

وقال - أي: أبو القاسم النصراباذي -: أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، ورؤية أعذار الخلق، والمداومة على الأوراد، وترك الرخص. **١٦ / ٢٦٥ - ٢٦٦**

وقال - أي: محمد بن الحسين السُّلَمي -: أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، والدوام على الأوراد. **١٧ / ٢٤٩**

(٦٧٠) شرح حديث: "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة"

عن حمران، عن عثمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة).

قلت: يدخل الجنة على ما كان منه من خير وشر، وعلى ما يتم عليه من تعذيب أو عفو. **١٦ / ٢٨٧**

(٦٧١) من بليغ الكلام

وكان - أي: هفتكين، ويقال: أفتكين التركي - قد كتب إلى عضد الدولة أن الشام قد صفا، وصار في يدي، وزال عنه حكم العزيز، فإن قويتني بالمال والرجال حاربت القوم في دارهم، فأجابه عضد الدولة بهذه الألفاظ السائرة: غَرَّكَ عِزُّكَ، فصار قُصَار ذَلِكَ ذُلُّكَ، فاخْشَ فاحِشَ فعلك، فَعَلَّكَ بهذا تُهْدَ، والسلام. ١٦/ ٣٠٨

وكان كاتبه - أي: كاتب المظفر بن الأفطس الشمالي الأندلسي - الوزير أبو محمد عبد الله بن النحوي أحدَ البلغاء، فكتب أذفونش -لعنه الله- يُرعد ويُبرق، فأجاب: وصل إلى الملك المظفر من عظيم الروم كتاب مُدّع في المقادير، يرعد ويبرق، ويجمع تارة ويُفَرق، ويهدد بالجنود الوافرة، ولم يدر أن لله جنوداً أعز بهم الإسلام، وأظهر بهم دين نبينا -عليه الصلاة والسلام-، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، فأما تعييرك للمسلمين فيما وهن من أحوالهم، فبالذنوب المركوبة، والفرق المنكوبة، ولو اتفقت كلمتنا علمت أيَّ صائب أذقناك، كما كانت آباؤك مع آبائنا، وبالأمس كانت قطيعة المنصور - أي: الأندلسي - على سلفك، أهدى ابنته إليه مع الذخائر التي كانت تفِد في كل عام عليه، ونحن فإن قلَّت أعدادنا، وعُدِم من المخلوقين استمدادنا، فما بيننا وبينك بحر تخوضه، ولا صعب تروضه، إلا سيوفٌ يشهد بحدها رقابُ قومك، وجِلادٌ تُبصره في يومك، وبالله وملائكته نتقوى عليك، ليس لنا سواه مطلب، ولا إلى غيره مهرب، وهل تريصون بنا إلا إحدى الحسنيين، شهادة، أو نصر عزيز. ١٨/ ٥٩٥-٥٩٦

(٦٧٢) جواب لطيف وسريع!

كتب له - أي: لابن قريعة البغدادي الظريف - رئيس: ما يقول القاضي في يهودي زنى بنصرانية، فولدت ابنا جسمه للبشر ووجهه للبقر؟ فأجاب: هذا من أعدل الشهود على الخبثاء اليهود، أُشربوا العجل في صدورهم حتى خرج من أيورهم، فليُنَط برأس اليهودي رأس العجل، ويُصلب على عنق النصرانية الرأس والرجل، ويسحبا على الأرض، وينادى عليهما: ظلمات بعضها فوق بعض! ١٦ / ٣٢٦

(٦٧٣) الحرص على الصلاة

وروي عن ابن خفيف - أي: محمد بن خفيف الضبي الشيرازي -، أنه كان به وجع الخاصرة، فكان إذا أصابه أقعده عن الحركة، فكان إذا نودي بالصلاة يحمل على ظهر رجل، فقيل له: لو خففت على نفسك؟! قال: إذا سمعتم حي على الصلاة ولم تروني في الصف فاطلبوني في المقبرة. ١٦ / ٣٤٦

(٦٧٤) من شروط الاجتهاد

قال ابن خلكان: كان - أي: أبو القاسم الداركيْ - يُتهم بالاعتزال، وكان ربما يختار في الفتوى، فيقال له في ذلك، فيقول: ويحكم! حدث فلان عن فلان، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا، والأخذ بالحديث أولى من الأخذ بقول الشافعي وأبي حنيفة.

قلت: هذا جيد، لكن بشرط أن يكون قد قال بذلك الحديث إمام من نظراء هذين الإمامين مثل مالك، أو سفيان، أو الأوزاعي، وبأن يكون الحديث ثابتا سالما من علة، وبأن لا يكون حجة أبي حنيفة والشافعي حديثا صحيحا معارضا للآخر. أما من أخذ بحديث صحيح وقد تنكبه سائر أئمة الاجتهاد، فلا، كخبر: " فإن شرب في الرابعة فاقتلوه "، وكحديث: (لعن الله السارق، يسرق البيضة، فتقطع يده). **١٦ / ٤٠٥ - ٤٠٦**

(٦٧٥) دعوة مستجابة

أبو الحسن بن حميد، سمعت أبا ذر الهروي، يقول: كنت عند أبي الفتح بن القواس، فأخرج جزءاً فيه قرض فأر، فدعا الله على الفأرة التي قرضته، فسقطت فأرة لم تزل تضطرب حتى ماتت. **١٦ / ٤٧٦**

(٦٧٦) إسناد فيه أربعة من الصحابة

وحُدِّثت - القائل هو: الخطيب البغدادي - عن الدارقطني، قال: سمعت السَّبيعي - أي: أبو محمد الحسن بن أحمد - يقول: قدم علينا الوزير ابن حنزابة، فتلقوه فكنت فيمن تلقاه فعرف أني محدث، فقال لي: تعرف إسناداً فيه أربعة من الصحابة كل واحد منهم عن صاحبه؟ فذكرت له حديث العمالة الذي عن عمر، فعرف لي ذلك، وصارت لي به عنده منزلة. ورواها الحافظ عبد الغني عن الدارقطني.

< جاء في الحاشية (٢) ص: (٢٩٨) من هذا الجزء (١٦): يرويه الصحابي السائب بن يزيد، عن حويطب بن عبدالعزى، عن عبدالله بن السعدي، عن عمر بن الخطاب، وهو عند أحمد ١ / ١٧، والبخاري ١٣ / ١٣٥-٣٢، والنسائي ٥ / ١٠٤ - ١٠٥. وقد تقدم في الجزء الثاني... >.
< وجاء في الحاشية (٢) ص: (٥٤٠) من الجزء (٢): أخرجه البخاري في صحيحه ١٣ / ١٣٣ في الأحكام: باب رزق الحاكم والعاملين عليها... >. **١٦ / ٢٩٨**

(٦٧٧) قد يتفوق الشباب على الشيوخ!

عبد الرحمن بن القاسم، سمعت مالكاً، يقول: " ما أحد ممن تعلمت منه العلم إلا صار إلي حتى سألني عن أمر دينه". **١٦ / ١٠٤**

وفيه - أي: قيل في مدح أبي علي المحسّن بن علي التنوخي البصري - لابن الحجاج:

إذا ذكر القضاة وهم شيوخ   تخيرت الشباب على الشيوخ
ومن لم يرض لم أصفعه إلا   بمجلس سيدي القاضي التنوخي

١٦ / ٥٢٥ - ٥٢٦

وينزل - أي: الخطيب البغدادي في روايته - إلى أن يكتب عن عبد الصمد بن المأمون، وأبي الحسين بن النقور، بل نزل إلى أن روى عن تلامذته كنصر المقدسي، وابن ماكولا، والحميدي -وهذا شأن كل حافظ يروي عن الكبار والصغار -. **١٨ / ٢٧٢**

(٦٧٨) الغربة الحقيقية

وهو - أي: أبو سليمان حمْد بن محمد الخطابي البُستي - القائل:

وما غربة الإنسان في شُقَّة النوى ولكنها والله في عدم الشكل

وإني غريب بين بُست وأهلها وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

١٧ / ٢٨

(٦٧٩) زهد الناس في العلم النافع

قال الحافظ يحيى بن عبد الوهاب: كنت مع عمي عبيد الله في طريق نيسابور، فلما بلغنا بِئْرَ مَجَنَّة، قال عمي: كنت هاهنا مرة، فعرض لي شيخٌ جمَّال، فقال: كنت قافلاً من خراسان مع أبي، فلما وصلنا إلى هاهنا إذا نحن بأربعين وِقْرًا من الأحمال، فظننا أنها منسوج الثياب، وإذا خيمة صغيرة فيها شيخ، فإذا هو والدك - أي: والد عبيدالله المذكور، وهو: أبو عبدالله محمد بن أبي يعقوب بن مندة العبدي الأصبهاني -، فسأله بعضنا عن تلك الأحمال، فقال: هذا مَتاع قلَّ مَن يرغب فيه في هذا الزمان، هذا حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم. ١٧ / ٣٧

(٦٨٠) قد حضرنا وليس يقضى التلاقي!

وكان - أي: أبو محمد الباقي - أحد الفصحاء، وله:

قد حضرنا وليس يقضى تلاقي نسأل الله خير هذا الفراق

إن تغب لم أغب وإن لم تغب غبت كأن افتراقنا باتفاق!

١٧/ ٦٩

(٦٨١) المبادرة إلى الطلب

وله - أي: لأحمد بن فارس الرازي اللغوي المعروف -:

إذا كنت تُؤذى بِحَرٍّ المصيف ويُبس الخريف وبرد الشتا

ويُلهيك حسن زمان الربيع فأخذك للعلم قل لي متى؟!

١٧/ ١٠٦

(٦٨٢) الجاه يطلب بالرماح

ومن قصة شنشول الذي تمرد -ويقال: شنجول وهو أصح- ((أي: ابن محمد بن أبي عامر " المنصور " حاجب المؤيد بالله الأندلسي)) أن أباه المنصور غزا غزوة البررت، وهو مكان مضيق بين جبلين لا يمشيه إلا فارس بعد فارس، فالتقى الروم هناك، ثم نزل، وأمر برفع الخيام وبناء الدُّور والسُّور، واختطَّ قصرًا لنفسه، وكتب إلى ابنه ومولاه واضح بالنيابة على البلاد، يقول في كتابه: ولما أبصرت بلاد أرغون، استقصرت رأي الخلفاء في ترك هذه المملكة العظيمة. فلما علِمَتْ الرومُ بعزمه، رغبوا إليه في أداء القطيعة، فأبى عليهم إلا أن يهبوه ابنة ملكهم الذي من ذرية هرقل، فقالوا: إن هذا لعار. فالتقوه في أمم لا تحصى في وسط بلادهم، وهو في عشرين ألف

فارس، فكان للمسلمين جولة، فثبت المنصور وولداه، وكاتبه ابن برد، والقاضي ابن ذكوان في جماعة، فأمر أن تضرب خيمة له، فرآها المسلمون، فتراجعوا، فهزم الله الكافرين، ونزل النصر، ثم حاصر مدينةً لهم، فلما هم بالظفر، بذلوا له ابنة الملك، وكانت في غاية الجمال والعقل، فلما شيعها أكابر دولتها، سألوها البر والعناية بهم، فقالت: الجَاهُ لا يُطْلَبُ بأَفْخَاذِ النِّساءِ بل برماحِ الرِّجالِ. فولدت للمنصور شنجول هذا، وهو لقبٌ لجده لأمِّه، لُقِّبَ هو به. ١٧ / ١٢٥

(٦٨٣) نخوة المنصور

ومن مفاخر المنصور - أي: محمد بن أبي عامر حاجب المؤيد بالله الأندلسي -: أنه قدم من غزوة، فتعرضت له امرأة عند القصر، فقالت: يا منصور! يفرح الناس وأبكي؟! إن ابني أسير في بلاد الروم.

فثنى عنانه وأمر الناس بغزو الجهة التي فيها ابنها. ١٧ / ١٢٥ - ١٢٦

(٦٨٤) مساكين أهل العشق!

قال - أي: ابن طلاب -: أنشدني أبو بكر أحمد بن محمد الصنوبري بحلب:

تزايد ما ألقى فقد جاوز الحدا ... وكان الهوى مزحاً فصار الهوى جداً!

وقد كنت جلداً ثم أوهنني الهوى ... وهذا الهوى ما زال يستوهن الجلدا

فلا تعجبي من غلب ضعفك قوتي ... فكم من ظباءٍ في الهوى غلبت أُسْداً

غلبتم على قلبي فصرتم أحقَّ بي وأملك بي مني فصرت لكم عبداً
جرى حبكم مجرى حياتي ففقدكم كفقد حياتي لا رأيت لكم فقداً

١٧ / ١٥٥ — ١٥٦

أبو عبد الله الونِّي الفرضي: سمعت القائم بأمر الله ينشد لنفسه:

القلب من خمر التصابي منتشي هل لي غدير من شراب معطش
والنفس من برح الهوى مقتولة ولكم قتيل في الهوى لم ينعش
جُمِعت عليَّ من الغرام عجائب خلَّفن قلبي في إسار موحش
خِلٌّ يَصد وعاذل متنصِّح ومنازع يغري ونمَّام يشي

١٨ / ٩٩ - ١٠٠

(٦٨٥) حب علي بن أبي طالب رضي الله عنه

أبو نعيم الحداد: سمعت الحسن بن أحمد السمرقندي الحافظ، سمعت أبا عبد الرحمن الشاذياخي الحاكم يقول: كنا في مجلس السيد أبي الحسن، فسئل أبو عبد الله الحاكم عن حديث الطير، فقال: لا يصح، ولو صح لما كان أحد أفضل من علي بعد النبي -صلى الله عليه وسلم.

فهذه حكاية قوية، فما باله أخرج حديث الطير في "المُستَدْرَك"؟ فكأنه اختلف اجتهاده، وقد جمعت طُرُقَ حديث الطير في جزء، وطرق حديث: " من كنت مولاه " وهو أصح، وأصح منهما ما أخرجه مسلم عن عليٍّ قال: (إنه لعَهْدُ النبيِّ الأُمِّيِّ -صلى الله عليه وسلم- إليَّ: إنَّه لا يُحِبُّكَ إلاّ

مُؤْمِنٌ، ولا يَبْغَضُكَ إلاّ مُنَافِقٌ) وهذا أشْكَلُ الثلاثة، فقد أحبه قوم لا خَلاقَ لهم، وأبغضه بجهلٍ قوم من النواصب، فالله أعلم.

< جاء في الحاشية (٢): وُجِد على هامش الأصل تعليق على استشكال الذهبي، ونصه: قلت: لا إشكال، فالمراد: لا يحبك الحب الشرعي المعتد به عند الله تعالى، أما الحب المتضمن لتلك البلايا والمصائب، فلا عبرة به، بل هو وبال على صاحبه، كما أحبت النصارى المسيح >. **١٧ / ١٦٨ – ١٦٩**

(٦٨٦) درس في ذم العجب!

سعد بن علي الزَّنْجَانِيّ، سمع أبا نصر الوائلي يقول: لما ورد أبو الفضل الهمذاني نيسابور، تعصبوا له، ولقبوه: بديع الزمان، فأُعجب بنفسه إذ كان يحفظُ المئةَ بيتٍ إذا أُنْشِدَتْ مرَّةً، وينشدها من آخرها إلى أولها مقلوبة، فأنكر على الناس قولهم: " فلان الحافظ في الحديث "، ثم قال: وحِفْظُ الحديثِ مماً يُذْكَر؟! فسمع به الحاكم ابن البَيِّع – أي: الحافظ أبو عبدالله صاحب التصانيف –، فوجه إليه بجُزْءٍ، وأجَّل له جمعة في حِفْظِه، فردّ إليه الجزء بعد الجمعة، وقال: من يحفظ هذا؟ محمد بن فلان، وجعفر بن فلان، عن فلان؟ أسامي مختلفة، وألفاظ متباينة؟ فقال له الحاكم: فاعرفْ نفسَك، واعلم أن هذا الحفظَ أصعبُ مما أنت فيه. **١٧ / ١٧٣**

(٦٨٧) لا تستخفن بثلاثة

فَضَالة النَّسَوِيّ، سمعت ابن المبارك يقول: حقٌّ على العاقلِ أن لا يَسْتَخِفَّ بثلاثة: العلماء والسلاطين والإخوان، فإنه من استخف بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالسلطان ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته. ١٧ / ٢٥١

(٦٨٨) قبح السعاية

رُفِعت إليه - أي: إلى فخر الملك أبو غالب الصيرفي - سِعايةٌ برجل، فوقَّع فيها: السِّعاية قبيحةٌ، ولو كانت صحيحة، ومعاذ الله أن نقبل من مهتوك في مستور، ولولا أنك في خُفَارَة شَيْبك، لعاملناك بما يُشبه مقالَك، ويردَعُ أمثالَك، فاكتم هذا العيب، واتَّقِ مَن يعلم الغيب.

فأخذها فقهاء المَكاتب، وعلَّمُوها الصِّغار. ١٧ / ٢٨٣

وكان - أي: المقتدي بأمر الله العباسي - غزير الفضل، كامل العقل، بليغ النثر، فمنه:

... حقُّ الرعية لازمٌ للرعاة، ويَقبُحُ بالولاة الإقبال على السعاة. ١٨ / ٣٢٣ - ٣٢٤

(٦٨٩) نوابغ في تاريخ الإسلام

الكتابة مُسَلَّمةٌ لابن البواب - أي: علي بن هلال -، كما أن أقرأَ الأمة أُبي بن كعب، وأقضاهم علي، وأفرضهَم زيد، وأعلَمَهم بالتأويل ابن عباس، وأمينَهم أبو عبيدة، وعابرَهم محمد بن سيرين، وأصدقَهم لهجة أبو

ذر، وفقيهَ الأمة مالك، ومحدثهم أحمد بن حنبل، ولُغويَّهم أبو عُبيد، وشاعرَهم أبو تمام، وعابدَهم الفضيل، وحافظَهم سفيان الثوري، وأخباريَّهم الواقدي، وزاهدَهم معروفٌ الكرخي، ونحويَّهم سيبويه، وعَروضيَّهم الخليل، وخطيبَهم ابن نباتة، ومنشئُهم القاضي الفاضل، وفارسَهم خالد بن الوليد. رحمهم الله. **١٧ / ٣١٩ – ٣٢٠**

(٦٩٠) من معين الحكمة

وكان – أي: المقتدي بأمر الله العباسي – غزير الفضل، كامل العقل، بليغ النثر، فمنه:

وعْدُ الكرماء أَلْزَمُ من ديون الغرماء. الألسن الفصيحة أنفع من الوجوه الصبيحة، والضمائر الصحيحة أبلغ من الألسن الفصيحة... **١٨ / ٣٢٣**

قال أبو طالب بن عبد السميع: كان من ألفاظ المستظهر – أي العباسي –:

خير ذخائر المرء لدنياه ذكر جميل، ولآخرته ثواب جزيل.

شح المرء بفلسه من دناءة نفسه.

الصبر على الشدائد ينتج الفوائد.

أدب السائل أنفع من الوسائل.

بضاعة العاقل لا تخسر، وربحها يظهر في المحشر. **١٩ / ٣٩٨**

وقال – أي: أبو الفرج ابن الجوزي –: من قنع، طاب عيشه، ومن طمع، طال طيشه.

وقال: يفتخر فرعون مصر بنهر ما أجراه، ما أجرأه!. ٢١ / ٣٧٢

ومن كلامه- أي: أبو الفرج ابن الجوزي -: ما اجتمع لامرئ أمله إلا وسعى في تفريطه أجلُه.

وقال عن واعظ: احذروا جاهل الأطباء، فربما سمَّى سمّا، ولم يعرف المسمى. ٢١ / ٣٧٥

((أورد المصنف قصيدة لصريع الدلاء: محمد بن عبدالواحد البصري، ومنها:))

من صفع الناس ولم يدعهمُ أن يصفعوه مثله قد اعتدى

وليس للبغل إذا لم ينبعث من الطريق باعث مثل العصا

من طبخ الديك ولا يذبحه طار من القدر إلى حيث اشتهى

١٧ / ٣٢٥

(٦٩١) لا يُفرح بكتب الضالين

وقيل: بلغت تواليفه - أي: عالم الرافضة محمد بن محمد بن النعمان، المعروف بابن المعلم - مئتين، لم أقف على شئ منها ولله الحمد. ١٧ / ٣٤٥

(٦٩٢) الناس والدنيا!

وعن قتادة، قال: لقيني عمران بن حطان - وهو من أعيان العلماء إلا أنه من رؤوس الخوارج كما قال المصنف -، فقال: يا أعمى، احفظ عني هذه الأبيات:

حتى متى تُسْقَى النفوس بكأسها رَيْبَ المنونِ وأنت لاهٍ تَرْتَعُ
أفقد رضيتَ بأن تُعلَّل بالمنى وإلى المنية كل يوم تُدْفَعُ
أحلامُ نوم أو كظل زائل إن اللبيب بمثلها لا يُخْدَعُ
فتزوَّدَنَّ ليومِ فقرك دائبا واجمع لنفسك لا لغيرك تجْمَعُ

وبلغنا أن الثوري كان كثيرا ما يتمثل بأبيات عمران هذه:

أرى أشقياءَ الناس لا يسأمونها على أنهم فيها عُراةٌ وجُوَّعُ
أراها وإن كانت تُحَبُّ فإنها سحابةُ صيف عن قليل تَقَشَّعُ
كركب قضوا حاجاتهم وترَحَّلوا طريقُهُم بادي العلامة مَهْيَعُ

٤ / ٢١٦

وهو - أي: الحسين بن الوزير، المعروف بابن المغربي - القائل:

أرى الناس في الدنيا كراعٍ مراعيه حتى ليس فيهن مرتع
فماءٌ بلا مرعى، ومرعى بغير ما وحيث يُرى ماءٌ ومرعىً فمسبع!

١٧ / ٣٩٦

أبو الحسن علي بن محمد، أنشدنا أبو طالب بن مُسَلَّم اللخمي الأصولي لنفسه:

أوما عجيب جيفة مسمومة وكلابها قد غالهم داء الكلَب
يتذابحون على اعتراق عظامها فالسيد المرهوب فيهم من غلب
هذي هي الدنيا ومع علمي بها لم أستطع تركاً لها يا للعجب

٢١ / ٩٦

وله - أي: لأسامة بن منقذ الكناني -:

مع الثمانين عاث الضعف في جسدي وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي

إذا كتبت فخطي خط مضطرب كخط مرتعش الكفين مرتعد

فاعجب لضعف يدي عن حملها قلماً من بعد حطم القنا في لبَّة الأسد

فقل لمن يتمنى طول مدته: هذي عواقب طول العمر والمُدد

٢١ / ١٦٧

ومن شعره - أي: ابن حزم -:

هل الدهر إلا ما عرفنا وأدركنا فجائعه تبقى ولذاته تفنى

إذا أمكنت فيه مسرة ساعة تولت كمر الطرف واستخلفت حزناً

إلى تبعات في المعاد وموقف نودُّ لديه أننا لم نكن كنا

حنينٌ لما ولى وشغلٌ بما أتى وهمٌّ لما نخشى، فعيشك لا يهنا

حصلنا على همٍ وإثمٍ وحسرةٍ وفات الذي كنا نَلَذُّ به عنا

كأن الذي كنا نُسرُّ بكونه إذا حققته النفس لفٌّ بلا معنى

١٨ / ٢٠٦ - ٢٠٧

وله - أي: لتاج الدين زيد بن الحسن الكِندي البغدادي -:

أرى المرء يهوى أن تطول حياته وفي طولها إرهاق ذلٍ وإزهاق

تمنيت في عصر الشبيبة أنني أُعَمَّرُ والأعمار لاشك أرزاق

فلما أتى ما قد تمنيت ساءني من العمر ما قد كنت أهوى وأشتاق

يُخيَّلُ في فكري إذا كنت ركوبي على الأعناقِ والسيرُ إعناقُ
ويُذْكِرُني مَرَّ النسيمِ ورَوحه حفائر تعلوها من الترب أطباق
وها أنا في إحدى وتسعين حجة لها فيَّ إرعادٌ مَخُوفٌ وإبراق
يقولون ترياق لمثلك نافعٌ ومالي إلا رحمة الله ترياق

٢٢ / ٤٠

واتفق أن الملك الظاهر أقطعه - أي: أقطع: ابن شداد الشافعي - إقطاعاً يحصل له منه جملة كثيرة، فتصمَّد له مال كثير، فعمَّر منه مدرسة سنة إحدى وست مئة، ودار حديث، وتُربة. قصده الطلبة، واشتغلوا عليه للعلم وللدنيا، وصار المشار إليه في تدبير الدولة بحلب، إلى أن استولت عليه البرودات والضعف، فكان يتمثل:

من يتمنَّ العمر فليدَّرع صبراً على فقد أحبابه
ومن يُعمَّر يلق في نفسه ما قد تمنَّاه لأعدائه

٢٢ / ٣٨٥ – ٣٨٦

وله - أي: لأبي نواس -:
ألا كل حي هالك وابن هالك وذو نسب في الهالكين عريق
إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشفت له عن عدو في ثياب صديق **٩ / ٢٨٠**

(٦٩٣) ليس لطلب العلم عمر محدد

حَذَقَ - أي: أبو بكر القفال المروزي الشافعي - في صنعة الأقفال، حتى عمل قُفلاً بآلاته ومفتاحه، زنة أربع حبات، فلما صار ابن ثلاثين سنة، آنس

من نفسه ذكاء مفرطاً، وأحب الفقه، فأقبل على قراءته حتى برع فيه، وصار يضرب به المثل، وهو صاحب طريقة الخراسانيين في الفقه. ١٧ / ٤٠٦

وقال أبو بكر محمد بن طرخان التركي: قال لي الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد -يعني والد أبي بكر بن العربي-: أخبرني أبو محمد بن حزم أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة، فدخل المسجد، فجلس، ولم يركع، فقال له رجل: قم فصل تحية المسجد. وكان قد بلغ ستا وعشرين سنة. قال: فقمت وركعت، فلما رجعنا من الصلاة على الجنازة، دخلت المسجد، فبادرت بالركوع، فقيل لي: اجلس اجلس، ليس ذا وقت صلاة -وكان بعد العصر- قال: فانصرفت وقد حزنت، وقلت للأستاذ الذي رباني: دلني على دار الفقيه أبي عبد الله بن دحون. قال: فقصدته، وأعلمته بما جرى، فدلني على "موطأ" مالك، فبدأت به عليه، وتتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحواً من ثلاثة أعوام، وبدأت بالمناظرة. ثم قال ابن العربي: صحبت ابن حزم سبعة أعوام، وسمعت منه جميع مصنفاته سوى المجلد الأخير من كتاب "الفِصل"، وهو ست مجلدات، وقرأنا عليه من كتاب "الإيصال" أربع مجلدات في سنة ست وخمسين وأربع مئة، وهو أربعة وعشرون مجلدا، ولي منه إجازة غير مرة. ١٨ / ١٩٩

(٦٩٤) من غزل الفقهاء

وله - أي: للقاضي عبدالوهاب بن علي التغلبي المالكي - أشعار رائقة فمن ذلك:

ونَائمــــةٍ قَبَّلْتُهَــــــا فَتَنَبَّهَـــــــتْ وقـالت تَعَالَوا فَاطْلُبُوا اللِّصَّ بالحَــدِّ
فقُلْــتُ لهَــا إنِّــي فَـدَيْتُكِ غَـاصِـبٌ وما حَـكَمُوا في غَـاصِبٍ بِسِوَى الـرَّدِّ
خُذِيهَا وكُـفِّي عـن أَثِيـمٍ ظُلامـَـةً وإنْ أنـتِ لمْ تَـرْضَيْ فألْفًـا على العَـدِّ
فقَـالَتْ قِصَـاصٌ يَشْهَدُ العَقْلُ أنَّــهُ على كَبِدِ الجَـاني أَلَـذُّ مِنَ الشَّـهْدِ
وبانَتْ يَمِينـي وهـي هِمْيَانُ خَصْرِهـا وبَـانَتْ يَسَـارِي وهِـي وَاسِطَةُ العِقْـدِ
فقـالتْ ألَـمْ أُخْـبَرْ بـأنَّكَ زَاهِـــدٌ؟! فَقُلْتُ بلَـى، مَا زِلْتُ أَزْهَدُ في الزُّهْـدِ!

١٧ / ٤٣١

ومـدح - أي: مهـذب الـدين أبـو الفـرج الموصـلي الـشافعي - الـسلطان صلاح الدين بقصيدة طنانة منها:

قــل للبخيلــة بالــسلام تورعــــا كيف استبحت دمي ولم تتورعي
وزعمــت أن تـصلي لعــامٍ قـابــل هيهــات أن أبقـى إلى أن ترجعــي
أبـديعــة الحـسن الـتي في وجهها دون الوجــوه عنــايـــة للمبـــدع
ما كـان ضرك لو غمزت بحاجب يـوم التفـرق أو أشـرت بأصـــبع
فتيقنـــي أنـــي بحـبك مغــــرم ثم اصنعي ما شئت بي أن تصنعي

٢١ / ١٧٦ - ١٧٧

وهو - أي: القاضي أبو القاسم ابن سناء المُلك - القائل:

ولـو أبصـر النظَّـام جوهر ثغرها لما شـك فيه أنه الجوهـر الفـرد
ومـن قـال إن الخيزرانـة قدُّهـــا فقـولوا لـه: إياك أن يسمع القد

وله:

وملية بالحسن يسخر وجهها بالبدر، يهزأ ريقها بالقَرقَف

لا شيء أحسن من تلهب خدها بالماء إلا حسنها وتعففي

والقلب يحلف أن سيسلو ثم لا يسلو ويحلف أنه لم يحلف!

٢١ / ٤٨١

(٦٩٥) ماء المحيا..

ومن شعر النعيمي - أي: أبو الحسن علي بن أحمد - المشهور له:

إذا أظمأتك أكف اللئام كفتك القناعة شِبعاً وريا

فكن رجلاً رجله في الثرى وهامة همته في الثريا

أبيًّا لنائل ذي ثروة تراه بما في يديه أبيًّا

فإن إراقة ماء الحياة دون إراقة ماء المحيا

١٧ / ٤٤٧

ومن نظمه - أي: أبو نصر بن ماكولا -:

قَوِّض خيامك عن دارٍ أُهنتَ بها وجانبِ الذُّلَّ إن الذُّلَّ مُجتَنَبُ

وارحل إذا كانت الأوطان مَضيَعَةً فالمَنْدَلُ الرطب في أوطانه حطب

< جاء في الحاشية (٦): المندل، كمقعد: العود الرطب يُتبخَّر به، أو أجوده >. **١٨ / ٥٧٧**

(٦٩٦) قد يصيب الجهلُ بعضَ طلبة العلم!

أبو العلاء محمد بن عبد الجبار الفرساني: حضرت مجلس أبي بكر بن أبي علي الذكواني المعدِّل في صغري مع أبي، فلما فرغ من إملائه، قال إنسان: مَن أراد أن يحضر مجلس أبي نعيم - أي: الأصبهاني صاحب الحلية -، فليَقُم. وكان أبو نعيم في ذلك الوقت مهجوراً بسبب المذهب، وكان بين الأشعرية والحنابلة تعصب زائد يؤدي إلى فتنة، وقيل وقال، وصداع طويل، فقام إليه أصحاب الحديث بسكاكين الأقلام، وكاد الرجل يقتل. قلت: ما هؤلاء بأصحاب الحديث، بل فجرة جهلة، أبعد الله شرهم. **١٧ / ٤٥٩-٤٦٠**

(٦٩٧) السعادة الكاملة

أحمد بن محمد بن يحيى القصار، حدثنا صالح بن أحمد بن حنبل، سمعت أبي، سمعت سفيان، سمعت الزهري، سمعت ابن المُسيَّب يقول: طُوبَى لمن كان عَيْشُهُ كَفَافًا، وقَوْلُهُ سَدَادًا. **١٧ / ٤٦٣**

(٦٩٨) الناس على دين ملوكهم

وقال أبو الوليد الباجي: فيه - أي: في علي بن موسى ابن السمسار الدمشقي - تشيُّع يفضي به إلى الرفض، وهو قليل المعرفة، في أصوله سُقم. مات ابن السِّمْسَار في صفر سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة، وقد كمل التسعين، وتفرد بالرواية عن ابن أبي العقب وطائفة، ولعل تشيعه كان تقية لا سجية، فإنه من بيت الحديث، ولكن غلت الشام في زمانه بالرفض، بل

ومصر والمغرب بالدولة العُبَيْدِيَّة، بل والعراق وبعض العجم بالدولة البويهية، واشتد البلاء دهراً، وشَمَخَتِ الغُلاةُ بأنفِها، وتواخى الرفض والاعتزال حينئذ، والناس على دين المَلك، نسأل الله السلامة في الدين. **١٧ / ٥٠٧**

(٦٩٩) نذير الأجل

ومن شعره - أي: ابن فاذشاه الأصبهاني التاني -:

سهام الشيب نافذة مصيبة   وسابقة الملمَّة والمصيبة

ومن نزل المشيب بعارضيه   قد استوفى من الدنيا نصيبه

١٧ / ٥١٦

قال الخلال: وأنشدني - أي: عبدالرحمن بن أحمد بن بندار - لنفسه:

يا موت ما أجفاك من زائر   تنزل بالمرء على رغمه

وتأخذ العذراء من خدرها   وتأخذ الواحد من أمه

١٨ / ١٣٧

قال الأصمعي: شهدت صالحاً المري عَزَّى رجلا، فقال: لئن كانت مصيبتك بابنك لم تحدث لك موعظة في نفسك، فهي هينة في جنب مصيبتك بنفسك فإياها فابك. **٨ / ٤٧ - ٤٨**

ما أحلى قوله - أي: أبو محمد عبدالحق الإشبيلي، المعروف بابن الخراط - و أوعظه إذ قال:

إن في الموت والمعاد لشغلاً   وادِّكاراً لذي النهى وبلاغاَ

فاغتنم خطتين قبل المنايا صحة الجسم يا أخي، والفراغا

٢١ / ٢٠١

(٧٠٠) معرفة الله عز وجل

وحكى القاضي عياض قال: حدث في القيروان مسألةً في الكفار؛ هل يعرفون الله -تعالى- أم لا؟ فوقع فيها اختلاف العلماء، ووقعت في ألسنة العامة، وكثر المراء، واقتتلوا في الأسواق إلى أن ذهبوا إلى أبي عمران الفاسي، فقال: إن أنصتم، علمتكم. قالوا: نعم. قال: لا يكلمني إلا رجل، ويسمع الباقون. فنصَّبُوا واحدا، فقال له: أرأيت لو لقيت رجلا، فقلتَ له: أتعرف أبا عمران الفاسي؟ قال: نعم. فقلت له: صفه لي. قال: هو بقَّالٌ في سوق كذا، ويسكن سبتة، أكان يعرفني؟ فقال: لا. فقال: لو لقيت آخر فسألته كما سألت الأول، فقال: أعرفه، يدرس العلم، ويفتي، ويسكن بغرب الشماط، أكان يعرفني؟ قال: نعم. قال: فكذلك الكافر قال: لربِّه صاحبة وولد، وأنه جسم، فلم يعرف الله ولا وَصَفَهُ بصفته بخلاف المؤمن. فقالوا: شفيتنا. ودعوا له، ولم يخوضوا. بعد في المسألة.

قلت: المشركون والكتابيون وغيرهم عرفوا الله تعالى بمعنى أنهم لم يجحدوه، وعرفوا أنه خالقهم، قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾[الزخرف: ٨٧] وقال: ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [إبراهيم: ١٠] فهولاء لم ينكروا البارئ، ولا جحدوا الصانع، بل عرفوه، وإنما جهلوا نعوته المقدسة، وقالوا عليه ما لا يعلمون، والمؤمن فعرف

ربَّه بصفات الكمال، ونفى عنه سمات النقص في الجملة، وآمن بربه، وكفَّ عما لا يعلم، فبهذا يتبين لك أن الكافر عرف الله من وجه، وجهله من وجوه، والنبيون عرفوا الله تعالى، وبعضهم أكمل معرفة لله، والأولياء فعرفوه معرفة جيدة، ولكنها دون معرفة الأنبياء، ثم المؤمنون العالمون بعدهم، ثم الصالحون دونهم. فالناس في معرفة ربهم متفاوتون، كما أن إيمانهم يزيد وينقص، بل وكذلك الأمة في الإيمان بنبيهم والمعرفة له على مراتب، فأرفعهم في ذلك أبو بكر الصديق مثلا، ثم عدد من السابقين، ثم سائر الصحابة، ثم علماء التابعين، إلى أن تنتهي المعرفة به والإيمان به إلى أعرابي جاهل وامرأة من نساء القرى، ودون ذلك. وكذلك القول في معرفة الناس لدين الإسلام. ١٧ / ٥٤٦ – ٥٤٨

(٧٠١) بركة دعاء الأم

وقال سهل بن بشر: حدثنا سليم - أي: ابن أيوب الرازي الشافعي - أنه كان في صغره بالري، وله نحو من عشر سنين، فحضر بعض الشيوخ وهو يلقن قال: فقال لي: تقدم فاقرأ. فجهدت أن أقرأ الفاتحة، فلم أقدر على ذلك لانغلاق لساني، فقال: لك والدة؟ قلت: نعم: قال: قل لها تدعو لك أن يرزقك الله قراءة القرآن والعلم. قلت: نعم. فرجعت، فسألتها الدعاء، فدعت لي، ثم إني كبرت، ودخلت بغداد، قرأتُ بها العربية والفقه، ثم عدت إلى الري، فبينا أنا في الجامع أقابل "مختصر" المزني، وإذا الشيخ قد حضر وسلم علينا وهو لا يعرفني، فسمع مقابلتنا، وهو لا يعلم ماذا نقول، ثم قال:

متى يُتَعَلَّم مثل هذا؟ فأردت أن أقول: إن كانت لك والدة، فقل لها تدعو لك. فاستَحْيَيْتُ. ١٧ / ٦٤٥ - ٦٤٦

(٧٠٢) طرفة!

قيل: إن أبا الطيب - أي طاهر بن عبدالله الطبري الشافعي - دفع خُفّاً له إلى من يصلحه، فمطله، وبقي كلما جاء، نقعه في الماء، وقال: الآن أصلحه. فلما طال ذلك عليه، قال: إنما دفعته إليك لتصلحه لا لتعلمه السباحة. ١٧ / ٦٦٩

(٧٠٣) عاقبة البعد عن المعاصي

قال القاضي ابن بكران الشامي: قلت للقاضي أبي الطيب شيخنا- أي: الطبري - وقد عُمِّر: لقد متعت بجوارحك أيها الشيخ! قال: ولم؟ وما عصيت الله بواحدة منها قط. أو كما قال. ١٧ / ٦٧٠

(٧٠٤) أصناف الكُتَّاب

وهو - أي: أبو طالب محمد بن الوزير المراتبي، المعروف بعميد الرؤساء - القائل:

الكُتَّاب سبعة: الكامل الذي ينشئ ويملي ويكتب، والأعزل: وهو المنشئ ولا خط له، والثالث: المُبْهِم: وهو صاحب الخط ولا إنشاء له، الرابع: الرُّقاعي: وهو من يجيد رُقعة ولا حظ له في طول نَفَس، الخامس: المُخبَّل:

وهو ذو الحفظ والرواية، ولا عبارة له، فيجيء منه نديم، السادس: المخلِّط ؛ وهو الآتي بِدُرِّهِ مع بَعْرِه، السابع: السُّكَّيت ؛ وهو الذي يجهد نفسه حتى يأتي بما يستحسن. **١٨ / ٤٤ – ٤٥**

(٧٠٥) عاقبة الصدق

قال ابن الطيوري: لما قدم عسكر طغرلبك لقي بعضُهم ابنَ العُشاري - أي: محمد بن علي -، فقال: يا شيخ! أيش معك؟ قال: ما معي شئ. ثم ذكر أن في جيبه نفقة، فناداه، وأخرج ما معه، وقال: هذا معي. فهابه الرجل، وعظّمه، ولم يأخذ النفقة. **١٨ / ٤٩**

(٧٠٦) الحاجة تلجئ الإنسان إلى صنع ما لا يحب

وقد اشترى منه - أي: من أبي الحسن علي بن أحمد الفالي - الشريف المرتضى كتاب "الجمهرة" بستين دينارا، فإذا عليها للفالي:

أنست بها عشرين حولاً وبعتها ... لقد طال وجدي بعدها وحنيني

وما كان ظني أنني سأبيعها ... ولو خلدتني في السجون ديوني

ولكن لضعف وافتقار وصبية ... صغارٍ عليهم تستهل شئوني

وقد تُخرج الحاجات يا أم مالك ... كرائمَ من ربٍ بهن ضنين

< جاء في الحاشية (٣): تستهل: تبكي. وشؤوني: جمع شأن، وهو: مجرى الدمع إلى العين. وفي " المنتظم ": جفوني بدل: شؤوني. وقد أورد ابن

الجوزي وياقوت بعد هذا البيت بيتاً آخر هو: فقلت ولم أملك سوابق عَبرتي مقالة مكوي الفؤاد حزين >. ١٨ / ٥٥

(٧٠٧) إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى..

قال - أي: أبو محمد عمر بن محمد الكلبي -: وكان يقال في مدحه - أي: في مدح أبي سعد إسماعيل بن علي السمان -: إنه ما شاهد مثل نفسه، كان تاريخ الزمان وشيخ الإسلام.

قلت: وذكر أشياء في وصفه، وأنّى يُوصف من قد اعتزل وابتدع، وبالكتاب والسنة فقلَّ ما انتفع؟

فهذا عبرة، والتوفيق فمن الله وحده.

هتف الذكاء وقال: لست بنافع إلا بتوفيق من الوهاب

١٨ / ٥٨

(٧٠٨) هل سيخلد الكفار في النار؟

وكان - أي ابن بَرهان العكبري - يميل إلى مذهب مرجئة المعتزلة، ويعتقد أن الكفار لا يخلدون في النار...

قلت: حجته في خروج الكفار هو مفهوم العدد من قوله: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣] ولا ينفعه ذلك لعموم قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾

[البقرة: ١٦٧] ولقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ١٢٢] إلى غير ذلك، وفي المسألة بحث عندي أفردتها في جزء. ١٨/ ١٢٥-١٢٦

(٧٠٩) من أمراض القلوب

فكم من رجل نطق بالحق، وأمر بالمعروف، فيسلط الله عليه من يؤذيه لسوء قصده، وحبه للرئاسة الدينية، فهذا داءٌ خفي سار في نفوس الفقهاء، كما أنه داء سار في نفوس المُنْفقين من الأغنياء وأرباب الوقوف والترب المزخرفة، وهو داء خفي يسري في نفوس الجند والأمراء والمجاهدين، فتراهم يلتقون العدو، ويصطدم الجمعان وفي نفوس المجاهدين مخبّآت وكمائن من الاختيال وإظهار الشجاعة ليقال، والعُجبِ - أي: ولقصد العُجب -، ولُبس القراقل المذهبة، والخوذ المزخرفة، والعدد المحلاة على نفوس متكبرة، وفرسان متجبرة، وينضاف إلى ذلك إخلال بالصلاة، وظلم للرعية، وشرب للمسكر، فأنى ينصرون؟ وكيف لا يخذلون؟ اللهم: فانصر دينك، ووفق عبادك. فمن طلب العلم للعمل، كسره العلم، وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء، تحامق، واختال، وازدرى بالناس، وأهلكه العُجْب، ومقتته الأنفس ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩] أي: دسَّسها بالفجور والمعصية. قُلِبَت فيه السين ألفا. ١٨/ ١٩٢-١٩٣

(٧١٠) كتب يُنصح بها

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام -وكان أحد المجتهدين-: ما رأيت في كتب الإسلام في العلم مثل "المحلى" لابن حزم، وكتاب "المغني" للشيخ موفق الدين.

قلت: لقد صدق الشيخ عز الدين. وثالثهما: "السنن الكبير" للبيهقي. ورابعها: "التمهيد" لابن عبد البر. فمن حَصَّل هذه الدواوين، وكان من أذكياء المفتين، وأدمن المطالعة فيها، فهو العالم حقا. **١٨ / ١٩٣**

(٧١١) من مضار أكل اللبان!

قال أبو الخطاب ابن دحية: كان ابن حزم قد برص من أكل اللبان، وأصابه زمانة، وعاش ثنتين وسبعين سنة غير شهر.

قلت: وكذلك كان الشافعي -رحمه الله- يستعمل اللبان لقوة الحفظ، فولّد له رمْي الدم. **١٨ / ١٩٨ - ١٩٩**

(٧١٢) فائدة الحفظ

(وقال ابن حزم فيما أَحرق له المعتضدُ بن عباد من الكتب):

فإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل إن أنزل ويدفن في قبري

دعونيَ من إحراق رقٍ وكاغد ... وقولوا بعلمٍ كي يَرى الناسُ من يدري

وإلا فعودوا في المكاتب بدأةً ... فكم دون ما تبغون لله من ستر

كذاك النصارى يُحرقون إذا علت ... أكفُّهم القرآنَ في مدن الثغر

١٨ / ٢٠٥

(٧١٣) الهمة العالية

ولابن حزم:

مناي من الدنيا علومٌ أبثها ... وأنشرها في كل باد وحاضر

دعاءٌ إلى القرآن والسنن التي ... تناسى رجال ذكرها في المحاضر

وألزم أطراف الثغور مجاهدا ... إذا هيعة ثارت فأول نافر

لألقى حمامي مقبلاً غير مدبر ... بسمر العوالي والرقاق البواتر

كفاحاً مع الكفار في حومة ... وأكرمُ موتٍ للفتى قتل كافر

فيا رب لا تجعل حمامي بغيرها ... ولا تجعلّني من قطين المقابر

١٨ / ٢٠٦

(٧١٤) حقيقة النفس

وقال - أي: ابن حزم الأندلسي - في أول "الإحكام": أما بعد... فإن الله ركب في النفس الإنسانية قوى مختلفة، فمنها عَدل يُزَيِّنُ لها الإنصاف، ويُحَبِّبُ إليها موافقة الحق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل: ٩٠] وقال: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [النساء: ١٣٥] ومنها غضب وشهوة يُزَيِّنَانِ لها

الجور ؛ ويُعميانها عن طريق الرشد قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾ [البقرة: ٢٠٦] وقال: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٣] فالفاضل يُسرّ بمعرفته، والجاهل يُسرُّ بما لا يدري حقيقة وجهه وبما فيه وباله، ومنها فَهْمٌ يُليح لها الحق من قريب، ويُنير لها في ظلمات المشكلات، فترى به الصواب ظاهراً جليا، ومنها جَهْل يَطمِس عليها الطريق، ويساوي عندها بين السُبُل، فتبقى النفس في حيرةٍ تتردد، وفي ريب تتلدد، ويَهجم بها على أحد الطرق المجانبة للحق تهوراً وإقداما، قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩] ومنها قوة التمييز التي سماها الأوائل المنطق، فجعل لها خالقها بهذه القوة سبيلاً إلى فهم خطابه، وإلى معرفة الأشياء على ما هي عليه، وإلى إمكان التفهم، فبها تكون معرفة الحق من الباطل، ومنها قوة العقل التي تعين النفس المميزة على نصرة العدل، فمن اتبع ما أنارهُ له العقل الصحيح، نجا وفاز، ومن عاج عنه هلك، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧] فأراد بذلك العقل، أما مضغة القلب، فهي لكل أحد، فغير العاقل هو كمن لا قلب له. ١٨ / ٢٠٩ – ٢١٠

(٧١٥) الخلوة خير من الاجتماع أحياناً

أبو السمح الحافظ بتستر، أنشدنا الداوودي - أي: أبو الحسن عبدالرحمن بن محمد - ببوشنج لنفسه:

كان اجتماع الناس فيما مضى يورث البهجة والسلوه

فانقلب الأمر إلى ضده ... فصارت السلوة في الخلوه

وقال عبد الله بن عطاء الإبراهيمي: أنشدنا الداوودي لنفسه:

كان في الاجتماع من قبل نور ... فمضى النور وادْلهمَّ الظلام

فسدَ الناس والزمان جميعا ... فعلى الناس والزمان السلام

١٨ / ٢٢٦

وله - أي: لمحمد بن أبي نصر الحُمَيدي -:

لقاء الناس ليس يفيد شيئا ... سوى الهذيان من قيل وقال

فأقلل من لقاء الناس إلا ... لأخذ العلم أو إصلاح حال

١٩ / ١٢٧

(٧١٦) المساهمة في أبواب الخير

وقيل: إن امرأة أتته - أي: أتت أبا علي حسان بن سعيد المنيعي - بثوبٍ لينفق ثمنه في بناء الجامع، يساوي نصف دينار، فاشتراه منها بألف دينار، وسلَّمت - أي: المرأة - المال إلى الخازن لإنفاقه، وخبَّأ - أي: المنيعي - الثوبَ كفناً له. **١٨ / ٢٦٦ - ٢٦٧**

(٧١٧) العلم يؤخذ من كل أحد

وينزل - أي: الخطيب البغدادي في روايته - إلى أن يكتب عن عبد الصمد بن المأمون، وأبي الحسين بن النقور، بل نزل إلى أن روى عن تلامذته

كنصر المقدسي، وابن ماكولا، والحميدي -وهذا شأن كل حافظ يروي عن الكبار والصغار -. ١٨ / ٢٧٢

(٧١٨) "التصنيف" عرضٌ للعقول

وقال المؤتمن: كان الخطيب - أي: البغدادي - يقول: من صنف فقد جعل عقله على طبقٍ يعرضه على الناس. ١٨ / ٢٨١

(٧١٩) حقد الرافضة

مكي بن عبد السلام الرُّميلي: كان سبب خروج الخطيب - أي: البغدادي - من دمشق إلى صور، أنه كان يختلف إليه صبيٌّ مليح، فتكلم الناس في ذلك، وكان أمير البلد رافضياً متعصبا، فبلغته القصة، فجعل ذلك سبباً إلى الفتك به، فأمر صاحب شرطته أن يأخذ الخطيب بالليل، فيقتله، وكان صاحب الشرطة سُنِّيا، فقصده تلك الليلة في جماعة، ولم يمكنه أن يخالف الأمير، فأخذه، وقال: قد أُمرت فيك بكذا وكذا، ولا أجد لك حيلة إلا أني أعبر بك عند دار الشريف ابن أبي الجن، فإذا حاذيت الدار، اقفز وادخل، فإني لا أطلبك، وأرجع إلى الأمير، فأخبره بالقصة. ففعل ذلك، ودخل دار الشريف، فأرسل الأمير إلى الشريف أن يبعث به، فقال: أيها الأمير! أنت تعرف اعتقادي فيه وفي أمثاله، وليس في قتله مصلحة، هذا مشهور بالعراق، إن قتلته، قتل به جماعة من الشيعة، وخُرِّبت المشاهد. قال: فما ترى؟ قال: أرى أن ينزح من بلدك. فأمر بإخراجه، فراح إلى صور، وبقي بها مدة. ١٨ / ٢٨١ - ٢٨٢

(٧٢٠) ملحمة بين المسلمين والنصارى

وفي سنة ٦٣ - أي: بعد الأربع مئة - كانت الملحمة العظمى بين الإسلام والنصارى.

قال ابن الأثير: خرج أرمانوس في مئتي ألف، وقصد الإسلام، ووصل إلى بلاد خِلاط. وكان السلطان ألب آرسلان بخُوَيّ، فبلغه كثرة العدو، وهو في خمسة عشر ألف فارس، فقال: أنا ألتقيهم، فإن سلمت فبنعمة الله، وإن قتلت فملكشاه ولي عهدي. فوقعت طلائعه على طلائعهم، فانكسر العدو، وأُسر مُقَدَّمُهم، فلما التقى الجمعان ؛ بعث السلطان يطلب الهدنة، فقال أرمانوس: لا هدنة إلا ببذل الري. فانزعج السلطان، فقال له إمامه أبو نصر: إنك تقاتل عن دينٍ وَعَدَ الله بنصره وإظهاره على الأديان، فأرجو أن يكون الله قد كتب باسمك هذا الفتح، والقهم يوم الجمعة والساعةَ يكون الخطباء على المنابر يدعون للمجاهدين، فصلى به، وبكى السلطان، وبكى الناس، ودعا، وأمّنوا، وقال: من أراد أن ينصرف فلينصرف، فما ثم سلطان يأمر ولا ينهى، ورمى القوس، وسل السيف، وعقد بيده ذنب فرسه، وفعل الجند كذلك، ولبس البياض، وتحنَّط، وقال: إن قتلت فهذا كفني. ثم حمل، فلما لاطخ العدو، ترجَّل، وعفَّر وجهه في التراب، وأكثر التضرع، ثم ركب، وحصل المسلمون في الوسط، فقتلوا في الروم كيف شاءوا، ونزل النصر، وتطايرت الرؤوس، وأُسر ملك الروم، وأُحضر بين يدي السلطان، فضربه بالمقرعة، وقال: ألم أسألك الهدنة؟ قال: لا توبِّخ، وافعل ما تريد. قال: ما كنت تفعل لو أسرتني؟ قال: أفعل القبيح. قال: فما تظن بي؟ قال: تقتلني أو تشهرني في بلادك، والثالثة بعيدة، أن تعفو، وتأخذ الأموال. قال:

ما عزمت على غيرها. ففك نفسه بألف ألف دينار وخمس مئة ألف دينار وبكل أسير في مملكته، فنزّله في خيمة، وخلع عليه، وبعث له عشرة آلاف دينار يتجهز بها، وأطلق له عدة بطارقة، وهادنه خمسين سنة، وشيّعه. وأما جيشه، فملّكوا ميخائيل. ومضى أرمانوس، فبلغه ذهاب ملكه، فترهب، ولبس الصوف، وجمع ما قدر عليه من الذهب، فكان نحو ثلاث مئة ألف دينار، فبعثها، واعتذر. **١٨ / ٣١٥ – ٣١٦**

(٧٢١) مداعبة ممقوتة!

وسمعت – القائل هو: يحيى بن عبدالرحمن بن محمد بن منده – أبي يقول: أفطرنا في رمضان ليلة شديدة الحر، فكنا نأكل ونشرب، وكان أخي عبد الرحمن يأكل ولا يشرب. فخرجت وقلت: إن من عادة أخي أنه يأكل ليلة ولا يشرب، ويشرب ليلة أخرى ولا يأكل. قال: فما شرِب تلك الليلة، وفي الليلة الآتية كان يشرب ولا يأكل ألبتة، فلما كان في الليلة الثالثة قال: ياأخي: لا تلعب بعد هذا، فإني ما اشتهيت أن أكذبك. **١٨ / ٣٥٢**

(٧٢٢) من نماذج الخشوع في الصلاة

قال السِّلفي: كان – أي: أبو بكر عبدالقاهر الجرجاني – وَرِعاً قانعاً، دخل عليه لص، فأخذ ما وجد، وهو ينظر، وهو في الصلاة فما قطعها. **١٨ / ٤٣٣**

(٧٢٣) نموذج لحسن الظن

وقيل: إن أبا إسحاق - أي: الشيرازي - نزع عمامته -وكانت بعشرين دينارا- وتوضأ في دجلة، فجاء لص، فأخذها، وترك عمامة رديئة بدلها، فطلع الشيخ، فلبسها، وما شعر حتى سألوه وهو يدرس، فقال: لعل الذي أخذها محتاج. ١٨ / ٤٥٩

(٧٢٤) الحب من أخلاق الكرام!

ومن شعره - أي: أبي إسحاق الشيرازي -:

أحب الكأس من غير المدام ... وألهو بالحساب بلا حرام

وما حبي لفاحشةٍ ولكن ... رأيت الحب أخلاقَ الكرام

١٨ / ٤٦٢

(٧٢٥) ندرة الأخلاء الأوفياء

وقال- أي: أبو إسحاق الشيرازي -:

سألت الناس عن خل وفيٍّ ... فقالوا: ما إلى هذا سبيل

تمسك - إن ظفرت-بود حر ... فإن الحر في الدنيا قليل

١٨ / ٤٦٢

< جاء في الحاشية (٢) ج: (١٩) ص: (٨٠) التابعة لترجمة أبي نصر الفارقي: قال ياقوت... وذكر له أبيات كثيرة منها:

أيا كم أعاني الوجد في كل صاحب ولست أراه لي كوجديَ واجدا

إذا كنتُ ذا عُدمٍ فحربٌ مجانب وتلقاه لي سلماً إذا كنت واجدا

أُحاول في دهري خليلاً مصافياً وهيهات خلاً صافياً لست واجدا >

(٧٢٦) نحول البدن لا ينقص من قدر صاحبه

ولعاصم بن الحسن فيه - أي: في أبي إسحاق الشيرازي -:

تراه من الذكاء نحيفَ جسم عليه من توقده دليل

إذا كان الفتى ضخم المعاني فليس يضيره الجسم النحيل

< جاء في الحاشية (٦): ومن شعره أيضاً كما في " المستفاد ": ٤٤:

لبست ثوب الرجا والناس قد رقدوا وقمت أشكو إلى مولاي ما أجد

وقلت يا عدتي في كل نائبة ومن عليه لكشف الضر أعتمد

أشكو إليك أموراً أنت تعلمها ما لي على حملها صبر ولا جَلَد

وقد مددت يدي بالضر مبتهلاً إليك يا خير من مُدَّت إليه يد

فلا تردنها يا رب خائبة فبحر جودك يُروي كل من يرد >

١٨ / ٤٦٢ - ٤٦٣

(٧٢٧) هل الإنسان مخيَّرٌ أم مسير؟

وفي "فنون" ابن عقيل: قال عميد الملك: قدم أبو المعالي - أي: عبدالملك بن عبدالله النيسابوري، الملقب بإمام الحرمين -، فكلم أبا القاسم بن بَرهان في

العباد، هل لهم أفعال؟ فقال أبو المعالي: إن وجدت آية تقتضي ذا فالحجة لك، فتلا: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣] ومد بها صوته، وكرر ﴿هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣] وقوله: ﴿لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة: ٤٢] أي كانوا مستطيعين. فأخذ أبو المعالي يستروح إلى التأويل، فقال - أي: ابن بَرهان -: والله إنك بارد؛ تتأول صريح كلام الله لتصحح بتأويلك كلام الأشعري. وأكله ابن برهان بالحجة، فبهت. **١٨ / ٤٦٩**

(٧٢٨) توقير السنة

وقال عبد الله بن حمود الزاهد فيما علقه عنه السلفي: إنه حضر مجلس الحبَّال - أي: إبراهيم بن سعيد النعماني - والحديث يقرأ عليه، فلم تزل دموعه تجري حتى فرغ القارئ. **١٨ / ٤٩٨ - ٤٩٩**

(٧٢٩) جاهلٌ صالح!

قال الحافظ محمد بن طاهر: سمعت أبا إسحاق الحبال - أي: إبراهيم بن سعيد النعماني - يقول: كان عندنا بمصر رجل يسمع معنا الحديث، وكان متشدداً، وكان يكتب السماع على الأصول، فلا يكتب اسمَ أحد حتى يستحلفه أنه سمع الجزء، ولم يذهب عليه منه شيء. وسمعته يقول: كنا يوما نقرأ على شيخ، فقرأنا قوله -عليه السلام-: (لا يدخل الجنة قتات) وكان في الجماعة رجل يبيع القَتَّ -وهو علف الدواب- فقام وبكى، وقال: أتوب إلى الله. فقيل له: ليس هو ذاك، لكنه

النمام الذي ينقل الحديث من قوم إلى قوم يؤذيهم. قال: فسكن، وطابت نفسه. **١٨ / ٤٩٩**

(٧٣٠) تحضير الدروس عند السلف!

قال محمد بن طاهر: سمعت أبا إسماعيل الأنصاري - أي: عبدالله بن محمد- يقول: إذا ذكرت التفسير، فإنما أذكره من مئة وسبعة تفاسير. **١٨ / ٥٠٦**

(٧٣١) حكم الجهلاء!

وقَفت له - أي: لباديس بن حَبوس الصنهاجي البربري - امرأةٌ عند باب إلبيرة، فقالت: يا مولانا! ابني يعقني. فطلبه، ودعا بالسيف، فقالت المرأة: إنما أردت تهديده. فقال: ما أنا بمعلم كتاب. وأمر به، فضربتْ عنقه! **١٨ / ٥٩١**

وحكى - أي: اليسع بن حزم - أيضاً أن بعض أهل البادية كانت له بنت عم بديعة الحسن، فافتقر، ونزح بها، فصادفه في الطريق أمير صنهاجي، فأركبها شفقة عليها، ثم أسرع بها، فلما وصل البدوي، أتى دار الأمير، فطردوه، فقصد الملك، فقال لذاك الأمير: ادفع إليه زوجته. فأنكر، فقال: يا بدوي! هل لك من شهيد ولو كلباً يعرفها؟ قال: نعم. فدخل بكلب له إلى الدار، وأُخرجت الحرم، فلما رآها الكلب، عرفها وبصبص، فأمر الملك بدفعها إلى البدوي، وضرب عنق الأمير، فقال البدوي:

هي طالق لكونها سكتت، ورضيَت. فقال الملك: صدقت، ولو لم تطلقها لألحقتك به. ثم أمر بالمرأة، فقتلت! ١٨ / ٥٩٢

(٧٣٢) ترفق بدمعك!

نازلَته - أي: المعتصمَ بن صُمادِح التجيبي الأندلسي - عساكرُ ابن تاشفين مدة، فتمرَّض، فسمع مرة هيعة، فقال: لا إله إلا الله، نُغِّص علينا كل شئ حتى الموت! قالت جاريته: فدمعت عيناي، فقال بصوت ضعيف:

ترفّق بدمعك لا تفنه　　　فبين يديك بكاء طويل

١٨ / ٥٩٣ - ٥٩٤

(٧٣٣) لو تعاقدنا واتفقت كلمتنا

ومن نثره- أي: المظفر بن الأفطس الشمالي الأندلسي الذي غنم بلاد شلمنكة وهي مجاورته، فكتب إلى المعتمد بالله يفخر، وينكت عليه بمسالمته للروم، وقيل: إنه حصل من هذه الغزوة ألف جارية حسناء من بنات الأصفر-: من يصِد صيداً فليصِد كما صيدي، صيدي الغزالةُ من مرابض الأسد. أيها الملك إن الروم إذا لم تُغز غَزت، ولو تعاقدنا تعاقد الأولياء المخلصين فللْنا حَدَّهم، وأذللنا جَدَّهم، ورأي السيدِ المعتمدِ على الله سراج تضيء به ظلمات المنى.

... وكان كاتبه الوزير أبو محمد عبد الله بن النحوي أحدَ البلغاء، فكتب أذفونش -لعنه الله-يُرعد ويُبرق، فأجاب: وصل إلى الملك المظفر من

عظيم الروم كتاب مُدّع في المقادير، يرعد ويبرق، ويجمع تارة ويفرق، ويهدد بالجنود الوافرة، ولم يدر أن لله جنوداً أعز بهم الإسلام، وأظهر بهم دين نبينا -عليه الصلاة والسلام-، يجاهدون في سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم، فأما تعييرك للمسلمين فيما وهن من أحوالهم، فبالذنوب المركوبة، والفرق المنكوبة، ولو اتفقت كلمتنا علمت أيَّ صائب أذقناك، كما كانت آباؤك مع آبائنا، وبالأمس كانت قطيعة المنصور - أي: الأندلسي - على سلفك، أهدى ابنته إليه مع الذخائر التي كانت تفِد في كل عام عليه، ونحن فإن قلت أعدادنا، وعُدِم من المخلوقين استمدادنا، فما بيننا وبينك بحر تخوضه، ولا صعب تروضه، إلا سيوفٌ يشهد بحدها رقابُ قومك، وجِلادٌ تُبصره في يومك، وبالله وملائكته نتقوى عليك، ليس لنا سواه مطلب، ولا إلى غيره مهرب، وهل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين، شهادة، أو نصر عزيز. **١٨ / ٥٩٥ — ٥٩٦**

(٧٣٤) تزود من التقوى..

وقال هبة الله بن طاوس: أنشدنا رزق الله - أي: ابن أبي الفرج - لنفسه:

وما شنآن الشيب من أجل لونه ... ولكنه حادٍ إلى البَيِن مسرع

إذا ما بدت منه الطليعة آذنت ... بأن المنايا خلفها تتطلع

فإن قصها المقراض صاحت بأختها ... فتظهر تتلوها ثلاث وأربع

وإن خُضِبَت حالَ الخضابُ لأنه ... يغالب صبغ الله والله أصبغ

إذا ما بَلَغْتَ الأربعين فقل لمن ... يَوَدُّكَ فيما تشتهيه ويسرع

هلموا لنبكي قبل فرقة بيننا ... فما بعدها عيش لذيذ ومجمع

وخَلِّ التصابي والخلاعة والهوى ... وأُمَّ طريقَ الخير فالخير أنفع

وخذ جُنَّةً تُنجي وزاداً من التقى ... وصُحبةَ مأمونٍ فقصدُك مُفزِع

١٨ / ٦١٥

(٧٣٥) الصبر على سوء خلق بعض العلماء

قال السلفي: دخلت بغداد في الرابع والعشرين من شوال، فبادرت إلى ابن البَطِر - أي: أبو الخطاب البغدادي -، فدخلت عليه، وكان عَسراً، فقلت: قد وصلت من أصبهان لأجلك، فقال: اقرأ، ونطق بالراء غينا، فقرأت متكئا من دماميلَ بي، فقال: أبصر ذا الكلب! فاعتذرت بالدماميل، وبكيت من كلامه، وقرأت سبعة وعشرين حديثا، وقمت، ثم ترددت إليه، فقرأت عليه خمسة وعشرين جزءاً، ولم يكن بذاك. **١٩ / ٤٨**

قال السمعاني: كان - أي: أبو جعفر الهمذاني - خطه رديئاً، وما كان له كبير معرفة بالحديث على ما سمعت، وسمعت محمد بن أبي طاهر بأصبهان، سمعت أبا جعفر بن أبي علي يقول: تعسَّر عليَّ شيخٌ بجرجان، فحلفت أن لا أخرج منها حتى أكتب جميع ما عنده، فأقمت مدة، وكان يخرج إلي الأجزاء، والرقاع، حتى كتبت جميع ما وجدت. **٢٠ / ١٠٢**

(٧٣٦) الصحبة في الجوى!

الحسين بن أحمد الهروي الصفار: كنت عند الشبلي، فسأله بعض المتصوفة: الرجل يسمع قولاً لايفهمه، فيتواجد عليه، فأنشأ يقول:

رب ورقاء هتوف في الضحى ذات شجو صدحت في فنن

فبكائي ربما أرقها وبكاها ربما أرقني

ولقد أشكو فما أفهمها ولقد تشكو فما تفهمني

غير أني بالجوى أعرفها وهي أيضاً بالجوى تعرفني

١٩ / ١١٣

(٧٣٧) موعظة العلماء

يوسف بن الحسين، سمعت ذا النون يقول: كان العلماء يتواعظون بثلاث، ويكتب بعضهم إلى بعض: من أحسن سريرته، أحسن الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته، أصلح الله أمر دنياه. ١٩ / ١٤١

(٧٣٨) العلم النافع

تدري ما العلم النافع؟ هو ما نزل به القرآن، وفسره الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً وفعلا، ولم يأت نهي عنه، قال عليه السلام: (من رغب عن سنتي، فليس مني) فعليك يا أخي بتدبر كتاب الله، وبإدمان النظر في "

الصحيحين "، وسنن النسائي، ورياض النواوي وأذكاره، تفلح وتنجح، وإياك وآراءَ عباد الفلاسفة، ووظائفَ أهل الرياضات، وجوعَ الرهبان، وخطابَ طيشِ رءوسِ أصحابِ الخلوات، فكل الخير في متابعة الحنيفية السمحة، فواغوثاه بالله، اللهم اهدنا إلى صراطك المستقيم. ١٩ / ٣٤٠

(٧٣٩) قد يخالف الابنُ خُلُقَ لأبيه

وقال السِّلَفي: قال لي أبو الخطاب ابن الجراح: صليت بالمستظهر - أي: العباسي - في رمضان، فقرأت: ﴿إِنَّ ٱبۡنَكَ سَرَقَ﴾ [يوسف: ٨١] إِنَّ ابْنَكَ سُرِّقَ رواية رويناها عن الكسائي، فلما سلَّمت، قال: هذه قراءة حسنة، فيه تنزيه أولاد الأنبياء عن الكذب.

قلت: كيف بقولهم: ﴿أَن يَأۡكُلَهُ ٱلذِّئۡبُ﴾ [يوسف: ١٣] ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٖ كَذِبٖ﴾ [يوسف: ١٨] ؟! ١٩ / ٣٩٧

(٧٤٠) بشر القاتل بالقتل!

قال المصنف رحمه الله:

الوزير الكبير أبو طالب علي بن أحمد بن علي السميرمي، وزير السلطان محمود السلجوقي، صدر معظَّم، كبير الشأن، شديد الوطأة، ذو عسْف وظلم، وسوء سيرة، وقف مدرسة بأصبهان، وعمل بها خزانة كتب نفيسة، وكان يقول: قد استحييت من كثرة الظلم والتعدي، ولما عزم على السفر، أخذ الطالع، وركب في موكب عظيم، وبين يديه عدة بالسيوف

والحراب والدبابيس، قال ابن النجار: فمر بمضيق، وتقدمه الكل، وبقي منفردا، فوثب عليه باطنيٌّ من دكة، فضربه بسكين، فوقعت في البغلة، وهرب، فتبعه كل الأعوان، فوثب عليه آخر، فيضربه في خاصرته، وجذبه رماه عن البغلة إلى الأرض وجرحه في أماكن، فرد الأعوان، فوثب اثنان فحملاهما والقاتل عليهم، فانهزم الجمع، وبقي الوزير، فكر قاتله، وجرَّه، والوزير يستعطفه ويتضرع له، فما أقلع حتى ذبحه، وهو يكبر ويصيح: أنا مسلم موحد فقتل هو والثلاثة، وحُمل الوزير إلى دار أخيه النصير، ثم دفن وذلك في سلْخ صفر سنة ست عشرة وخمس مئة.

وقيل: إن الذي قتله عبدٌ كان للمؤيد الطغرائي وزير السلطان مسعود، فإن السميرمي قتل أستاذه ظلماً، ونبزه بأنه فاسد الاعتقاد، وكل قاتل مقتول. **١٩ / ٤٣٢ – ٤٣٣**

(٧٤١) من ترك شيئاً لله..

وقال أبو المظفر سبط ابن الجوزي: حكى ابن عقيل - أي: أبو الوفاء الحنبلي - عن نفسه، قال: حججت، فالتقطت عقد لؤلؤ في خيط أحمر، فإذا شيخ أعمى ينشده، ويبذل لملتقطه مئة دينار، فرددته عليه، فقال: خذ الدنانير، فامتنعت، وخرجت إلى الشام، وزرت القدس، وقصدت بغداد، فأويت بحلب إلى مسجد وأنا بردان جائع، فقدموني، فصليت بهم، فأطعموني، وكان أول رمضان، فقالوا: إمامنا توفي فصل بنا هذا الشهر، ففعلت، فقالوا: لإمامنا بنت، فزُوِّجت بها، فأقمت معها سنة، وأولدتها ولداً ذكرا، فمرضت في نفاسها، فتأملتها يوماً فإذا في عنقها العقد بعينه

بخيطه الأحمر، فقلت لها: لهذا قصة، وحكيت لها، فبكت، وقالت: أنت هو والله، لقد كان أبي يبكي، ويقول: اللهم ارزق بنتي مثل الذي رد العقد علي، وقد استجاب الله منه، ثم ماتت، فأخذت العقد والميراث، وعدت إلى بغداد. **١٩ / ٤٤٩ – ٤٥٠**

قال ابن بشكوال: كان - أي: أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي - إماماً عالما، زاهداً ورعا، ديناً متواضعا، متقشفاً متقللاً من الدنيا، راضياً باليسير، أخبرنا عنه القاضي أبو بكر بن العربي، ووصفه بالعلم، والفضل، والزهد، والإقبال على ما يعنيه، قال لي: إذا عرض لك أمر دنيا وأمر آخرة، فبادر بأمر الآخرة، يحصل لك أمر الدنيا والأخرى. **١٩ / ٤٩١**

(٧٤٢) الشعر علمٌ لا يُكتسب!

وقال أبو عبد الله أحمد الطليطلي: كان ابن الخياط - أي: أبو عبدالله أحمد بن محمد التغلبي - أول ما دخل طرابلس وهو شاب يغشاني في حلقتي، وينشدني ما أستكثره له، فأتَّهمُه، لأنني كنت إذا سألته عن شيء من الأدب، لا يقوم به، فوبَّخته يوماً على قطعة عَمِلها، وقلت: أنت لا تقوم بنحو ولا لغة، فمن أين لك هذا الشعر؟ فقام إلى زاوية، ففكر، ثم قال: اسمع:

وفاضلٍ قال إذ أنشدته نُخَباً ... من بعض شعري وشعري كله نُخَبُ

لا شيء عندك مما يستعين به ... من شأنه معجزات النظم والخُطَب

فلا عَروض ولا نحو ولا لغة ... قل لي فمن أين هذا الفضل والأدب

فقلت قول امرئ صحت قريحته إن القريحة علـمٌ ليس يكتسب
ذوقي عَروضي ولفظي جُلُّهُ لغتي والنحو طبعي فهل يعتاقني سبب

فقلت: حسبك، والله لا استعظمت لك بعدها عظيما، ولزمني بعد ذلك، فأفاد من الأدب ما استَقَلَّ به. **١٩ / ٤٨٠ - ٤٨١**

(٧٤٣) خصام اللغويين!

< جاء في الحاشية (٢) ص: (٤٨٩) ج: (١٩): قال الصفدي:... يقال: إنه لما وقف عليه - أي: على أبي الفضل الميداني - أبو القاسم الزمخشري، حسده على جودة تصنيفه، وأخذ القلم، وزاد في لفظة " الميداني " نوناً، فصار: " النميداني "، ومعناه بالفارسية: الذي لا يعرف شيئاً، فلما وقف الميداني على ذلك، عمد إلى تصنيف الزمخشري، فصيَّر الميم نوناً، فصار " الزنخشري "، وهو بالفارسية: بائع زوجته! >.

(٧٤٤) العالم حيٌّ بذكره وإن مات بجسده

< جاء في الحاشية (٢) ص: (٥٣٣) ج: (١٩): ومما قاله - أي: أبو محمد البطليوسي -:

أخو العلم حيٌّ خالدٌ بعد موته وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل مَيْتٌ وهو ماشٍ على الثرى يُظنّ من الأحياء وهو عديم >

(٧٤٥) أسيرٌ يُسلِّي نفسه!

وقيل: إنه - أي: المسترشد بالله العباسي - قال لما أُسِرَ مستشهداً:

ولا عجبا للأُسد إن ظفرت بها كلاب الأعادي من فصيح وأَعْجَم

فحربة وحشيٍ سقت حمزةَ الردى وموت عليٍ من حُسامِ ابنِ مُلجِم

١٩/ ٥٦٣

(٧٤٦) فضيحة وضَّاع!

وقال ابن طاهر: حدثت الآباري - أي: أبو نصر إبراهيم بن الفضل البآّر، الملقب بدَعْلج - عن مشايخ مكيين ومصريين، فبعد أيام بلغني أنه حدث عنهم، فبلغت القصة إلى شيخ الإسلام الأنصاري، فسأله عن لقي هؤلاء بحضرتي، فقال: سمعت مع هذا، قلت: ما رأيتك قط إلا هاهنا، قال له الشيخ: أحججت؟. قال: نعم، قال: فما علامات عرفات؟ قال: دخلناها بالليل - يعني أنه لم يتبين علامات عرفات بسبب ظلمة الليل! -، قال: يجوز، فما علامة منى؟ قال: كنا بها بالليل، فقال: ثلاثة أيام وثلاث ليال لم يصبح لكم الصبح؟! لا بارك الله فيك، وأمر بإخراجه من البلد، وقال: هذا دجال، ثم انكشف أمره حتى صار آية في الكذب. ١٩/ ٦٣٠

(٧٤٧) من بديع الشعر..

له - أي: لابن خفاجة الأندلسي - ديوان مشهور، ولم يتعرض لمدح ملوك الأندلس، وهو القائل:

والشمس تجنح للغروب عليلة والرعد يَرقي والغمامة تنفث

< جاء في الحاشية (٢): البيت في ديوانه ص: (٦٢)، وفيه " مريضة " بدل " عليلة " وقبله هذان البيتان:

وعشيَّ أنسٍ أضجعتني نشوة فيه تمهِّد مضجعــي وتدمِّث

خلعت علي به الأراكة ظلها والغصن يُصغي والحمام يُحدِّث >. ٢٠ / ٥١

(٧٤٨) " آتيناه آياتنا فانسلخ منها "

قال ابن النجار: سمعت عبد الوهاب بن أحمد المقرئ يقول: كان ابن السقاء مقرئاً مجودا، حدثني من رآه بالقسطنطينية مريضا على دكة، فسألته: هل القرآن باق على حفظك؟ قال: ما أذكر منه إلا آية واحدة: ﴿ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ كَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴾ [الحجر: ٢] والباقي نسيته. ٢٠ / ٦٩

(٧٤٩) من تعلم مهنة قوم أَمِنَ مكرهم

قيل: إنه - أي: محمد بن علي المازري - مرض مرضة، فلم يجد من يعالجه إلا يهودي، فلما عوفي على يده، قال - أي: اليهودي -: لولا التزامي بحفظ صناعتي لأعدمتك المسلمين. فأثَّر هذا عند المازري، فأقبل على تعلم الطب حتى فاق فيه، وكان ممن يُفتي فيه، كما يفتي في الفقه. ٢٠ / ١٠٥ — ١٠٦

(٧٥٠) الوقوف بباب المحدث عز

وقال - أي: السمعاني - في " التحبير ":... قال - أي: أبو سعد أحمد بن محمد الأصبهاني - لي مرة: أوقفتك. واعتذر، فقلت: يا سيدي: الوقوف بباب المحدث عز. فقال: أَلَكَ بهذه الكلمة إسناد؟ قلت: لا. قال: أنت إسنادها. ٢٠ / ١٢١

(٧٥١) على طالب العلم ألا يشغب بذكر غريب المذاهب

فينبغي للمسلم أن يستعيذ من الفتن، ولا يشغب بذكر غريب المذاهب، لا في الأصول ولا في الفروع، فما رأيت الحركة في ذلك تُحصِّلُ خيرا، بل تثير شرًّا وعداوة، ومقْتًا للصلحاء والعباد من الفريقين، فتمسَّك بالسُّنة، والْزَم الصمت، ولاتخُضْ فيما لا يعنِيك، وما أُشْكِلَ عليْكَ فرُدَّه إلى الله ورسوله، وقِفْ، وقُل: الله ورسوله أعلم. ٢٠ / ١٤٢

(٧٥٢) أخذ الأجرة على تعليم العلوم غير الشرعية

قال ابن النجار: سمعت ابن سكينة يقول: قلت لابن ناصر - أي: أبي الفضل محمد بن ناصر السَّلّامي -: أريد أن أقرأ عليك "ديوان" المتنبي، و "شرحه" لأبي زكريا التبريزي. فقال: إنك دائما تقرأ عليَّ الحديث مجانا، وهذا شعر، ونحن نحتاج إلى نفقة. قال: فأعطاني أبي خمسة دنانير، فدفعتها إليه، وقرأت الكتاب. ٢٠ / ٢٦٩

(٧٥٣) الرد على الجبرية

وقيل: كان- أي: محمد بن يحيى الزبيدي - يذهب إلى مذهب السالمية، ويقول: إن الأموات يأكلون ويشربون وينكحون في قبورهم، وإن الشارب والزاني لا يلام، لأنه يفعل بقضاء الله وقدره.

قلت: يحتج بقصة آدم وموسى عليهما السلام، وبقول آدم: أتلومني؟ وأنه حجَّ موسى، ولو سلمنا أن الزاني لا يلام، فعلينا أن نحده ونغربه، ونذم فعله، ونرد شهادته، ونكرهه، فإن تاب واتقى أحببناه واحترمناه، فالنزاع لفظي. **٢٠ / ٣١٨**

(٧٥٤) تعظيم السنة

سليمان بن حرب: سمعت حماد بن زيد يقول في قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢] قال: أرى رفع الصوت عليه بعد موته، كرفع الصوت عليه في حياته، إذا قرئ حديثه، وجب عليك أن تنصت له كما تنصت للقرآن... **٧ / ٤٦٠**

علي بن عبد الله الداهري يقول: سألت ابن أبي داود عن حديث الطير، فقال: إن صح حديث الطير فنبوة النبي -صلى الله عليه وسلم- باطل، لأنه حكى عن حاجب النبي -صلى الله عليه وسلم- خيانة -يعني أنساً- وحاجب النبي لا يكون خائنا.

قلت: هذه عبارة رديئة، وكلامٌ نحس، بل نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- حق قطعي، إن صح خبر الطير، وإن لم يصح، وما وجه الارتباط؟ هذا أنسٌ قد خدم النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يحتلم، وقبل جريان القلم، فيجوز أن تكون قصة الطائر في تلك المدة. فرضنا أنه كان محتلما، ما هو بمعصوم من الخيانة، بل فعل هذه الجناية الخفيفة متأولاً، ثم إنه حَبَس علياً عن الدخول كما قيل، فكان ماذا؟ والدعوة النبوية قد نَفَذَت واستُجيبت، فلو حبسه، أو رده مرات، ما بقي يتصور أن يدخل ويأكل مع المصطفى سواه إلا، اللهم إلا أن يكون النبي -صلى الله عليه وسلم- قصد بقوله: (إيتني بأحب خلقك إليك، يأكل معي) عدداً من الخِيَار، يصدق على مجموعهم أنهم أحب الناس إلى الله، كما يصح قولنا: أحب الخلق إلى الله الصالحون. فيقال: فمن أحبهم إلى الله؟ فنقول: الصديقون والأنبياء. فيقال: فمن أحب الأنبياء كلهم إلى الله؟ فنقول: محمد وإبراهيم وموسى، والخطب في ذلك يسير. وأبو لبابة -مع جلالته- بدت منه خيانة، حيث أشار لبني قريظة إلى حلقه، وتاب الله عليه. وحاطب بدت منه خيانة، فكاتب قريشاً بأمر تَخَفَّى به نبي الله -صلى الله عليه وسلم- من غزوهم، وغفر الله لحاطب مع عِظَمِ فعله -رضي الله عنه-. وحديث الطير -على ضعفه- فله طرق جمة، وقد أفردتها في جزء، ولم يثبت، ولا أنا بالمعتقد بطلانه، وقد أخطأ ابن أبي داود في عبارته وقوله، وله على خطئه أجر واحد، وليس من شرط الثقة أن لا يخطئ ولا يغلط ولا يسهو. والرجل فمن كبار علماء الإسلام، ومن أوثق الحفاظ -رحمه الله تعالى.

< ورد في الحاشية (١) نص الحديث وهو: كان عند النبي ﷺ طير فقال: " اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير " فجاء علي فأكل معه. أخرجه الترمذي (٣٧٢١)... وقال: غريب لا نعرفه من حديث السدي إلا من هذا الوجه. وأخرجه الحاكم... عن أنس قال: كنت أخدم رسول الله ﷺ، فقُدِّم له فرخ مشوي، فقال: " اللهم ائتني بأحب خلقك إليك يأكل معي هذا الطير " فقلت: اجعله رجلاً من أهلي من الأنصار، فجاء علي، فقلت: إن رسول الله على حاجة. ثم جاء، فقلت ذلك. فقال: اللهم ائتني كذلك، فقلت ذلك، فقال لي رسول الله ﷺ: افتح، فدخل، فقال: ما حبسك ياعلي؟ فقال: إنه هذه آخر ثلاث كرات يردني أنس، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قلت: أحببت أن يكون رجلاً من قومي. فقال: إن الرجل مُحِبُ قومه "... >. **١٣ / ٢٣١ - ٢٣٣**

قال السِّلفي:... وكنت عنده -أي: عند أبي العباس أحمد بن عبدالله اللخمي، المعروف بابن الحطيئة - يوما في مسجده بشرف مصر، وقد حضره بعض وزراء المصريين أظنه ابن عباس، فاستسقى في مجلسه، فأتاه بعض غلمانه بإناء فضة، فلما رآه ابن الحطيئة وضع يده على فؤاده، وصرخ صرخة ملأت المسجد، وقال: واحَرَّها على كبدي، أتشرب في مجلس يقرأ فيه حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في آنية الفضة؟! لا والله لا تفعل، وطرد الغلام، فخرج، وطلب الشيخ كوزاً، فجيء بكوز قد تثلم، فشرب - أي: الوزير -، واستحيى من الشيخ، فرأيته والله كما قال الله: ﴿ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ ﴾ [إبراهيم: ١٧] **٢٠ / ٣٤٦**

قال عبد القادر الحافظ: وكان أبو طاهر - أي: أحمد بن محمد السِّلفي - لا تبدو منه جفوة لأحد، ويجلس للحديث فلا يشرب ماء، ولا يبزق، ولا يتورك، ولا تبدو له قدم، وقد جاز المئة. بلغني أن سلطان مصر حضر عنده للسماع، فجعل يتحدث مع أخيه، فزبرهما، وقال: أيش هذا، نحن نقرأ الحديث وأنتما تتحدثان؟! **٢١ / ٢٤**

قال: وحضر عنده - أي: عند أبي طاهر أحمد بن محمد السِّلفي - السلطان صلاح الدين وأخوه الملك العادل لسماع الحديث، فتحدثا، فأظهر لهما الكراهة وقال: أنتما تتحدثان، وحديث النبي -صلى الله عليه وسلم- يُقرأ؟! فأصغيا عند ذلك.

قلت: وقد حدث السلطان عنه. **٢١ / ٢٨**

(٧٥٥) لا يُفرح بالدنيا

قال السِّلفي:... وكتب- أي: أبو العباس أحمد بن عبدالله اللخمي، المعروف بابن الحطيئة - "صحيح" مسلم كله بقلم واحد، وسمعته وقيل له: فلان رُزق نعمة ومَعِدة، فقال: حسدوه على التردُّد إلى الخلاء!. **٢٠ / ٣٤٧**

وكان - أي: قوام الدين ابن زَبادة الواسطي - دينا صيِّنا، حميد السيرة، وهو القائل:

لا تغبطن وزيراً للملوك وإن ... أناله الدهرُ منهم فوق همته
واعلم بأن له يوماً تمورُ به الـ ... أرض الوقور كما مارت بهيبته
هارون وهو أخو موسى الشقيق له ... لولا الوزارة لم يأخذ بلحيته

٢١ / ٣٣٧

(٧٥٦) الفاروق رضي الله عنه

قال السِّلفي:... وسمعته- أي: أبو العباس أحمد بن عبدالله اللخمي، المعروف بابن الحطيئة - كثيراً إذا ذكر عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يقول: طُوِيَتْ سعادةُ المسلمين في أكْفَان عمر. ٢٠ / ٣٤٧

(٧٥٧) معدن الكتابة

حكى - أي: سديد الدولة محمد بن عبد الكريم الشيباني، ابن الأنباري - أن الحريري كتب إليه رقعة، قال: فأجبته:

أهلاً بمن أهدى إليَّ صحيفة صافحتها بالروح لا بالراح

وتبلَّجت فتأرجحت نفحاتها كالمسك شِيبَ نسيمُهُ بالراح. فكتب إلي جواب هذه: لقد صدقت رواة الأخبار: إن معدن الكتابة الأنبار. ٢٠ / ٣٥١

(٧٥٨) من خزعبلات الرافضة!

قال ابن النجار: حكى ابن صفية أن المقتفي - أي: الخليفة العباسي - رأى ابنه يوسف في الحر، فقال: أيش في فمك؟ قال: خاتم يزدَن عليه أسماء الاثني عشر، وذلك يسكن العطش. قال: ويلك!، يريد يزدن أن يصيرك رافضياً؟!!، سيد الاثني عشر - الحسين رضي الله عنه -، ومات عطشان. ٢٠ / ٤١٣

(٧٥٩) يمين الأبطال!

وفيها - أي في سنة: (٥٥٦ هـ) - كسرت الفرنج نور الدين تحت حصن الأكراد، ونجا هو - أي: نور الدين - بالجهد، ونزل على بحيرة حمص، وحلف لا يستظل بسقف حتى يأخذ بالثأر، ثم التقاهم في سنة ٥٩ فطحنهم، وأسر ملوكهم، وقتل منهم عشرة آلاف بِحَارِم، ثم جهز جيوشه مع أسد الدين منجد الشاور وانتصر، وقتل ضدَّه ضرغاماً، ثم استنجد بالفرنج، فأقبلوا، وضايقوا أسد الدين بِبَلْبِيس، وافتتح نور الدين حارم وبانياس، وضاع من يده خاتم بفص ياقوت يسمى الجبل، ثم وجدوه. ٢٠ / ٤١٥

(٧٦٠) مكانة الإمام

الإمام إذا كان له عقل جيد ودين متين، صلح به أمر الممالك، فإن ضعف عقله، وحسنت ديانته، حمله الدين على مشاورة أهل الحزم، فتسددت أموره ومشت الأحوال، وإن قل دينه، ونبل رأيه، تعبت به البلاد والعباد. وقد يحمله نبل رأيه على إصلاح ملكه ورعيته للدنيا لا للتقوى، فإن نقص رأيه، وقل دينه وعقله، كثر الفساد، وضاعت الرعية، وتعبوا به، إلا أن يكون فيه شجاعة، وله سطوة وهيبة في النفوس، فينجبر الحال. فإن كان جباناً، قليل الدين، عديم الرأي، كثير العسف، فقد تعرض لبلاء عاجل، وربما عُزِلَ وسُجِنَ إن لم يقتل، وذهبت عنه الدنيا، وأحاطت به خطاياه، وندم -والله- حيث لا يغني الندم... ٢٠ / ٤١٨

(٧٦١) " إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا "

وكان يُقرأ عنده - أي: عند ابن هبيرة الشيباني الحنبلي - الحديثُ كل يوم بعد العصر، فحضر فقيه مالكي، فذُكِرَتْ مسألة، فخالف فيها الجمعَ، وأصرَّ، فقال الوزير: أحِمَارٌ أنت! أما ترى الكل يخالفونك؟! فلما كان من الغد، قال للجماعة: إنه جرى مني بالأمس في حق هذا الرجل ما لا يليق، فليقل لي كما قلت له، فما أنا إلا كأحدكم، فضج المجلس بالبكاء، واعتذر الفقيه، قال: أنا أولى بالاعتذار، وجعل يقول: القِصاص القِصَاص، فلم يزل حتى قال يوسف الدمشقي: إذْ أبَى القصاص فالفداء، فقال الوزير: له حكمه. فقال الفقيه: نِعَمُك عليَّ كثيرة، فأي حكم بقي لي؟ قال: لا بُدَّ. قال: عليَّ دَيْنٌ مئة دينار. فأعطاه مئتي دينار، وقال: مئة لإبراء ذمته، ومئة لإبراء ذمتي. ٢٠ / ٤٢٨ - ٤٢٩

(٧٦٢) التحسر على رحيل أهل الخير

وكان - أي: أبو إسحاق إبراهيم الحمزي الوهراني، المعروف بابن قرقول - رفيقاً لأبي زيد السهيلي وصديقاً له، فلما فارقه وتحول إلى مدينة سَلا، نظم فيه أبو زيد أبياتا، وبعث بها إليه، وهي:

سَلا عنْ سَلا إنَّ المَعَارِفَ والنُّهَى بها ودَّعا أمَّ الرَّبَابِ ومأسَلا

بكيتُ أسىً أيامَ كانَ بِسَبْتَةٍ فكيف التَّأَسِّي حين منزِله سَلا

وقال أناسٌ إنَّ في البُعْدِ سَلْوَةً وقد طالَ هذا البعدُ والقلبُ ما سَلا

فليتَ أبا إسحاقَ إذْ شَطَّتِ النَّوى تَحِيَّتَهُ الحُسنَى مع الرِّيحِ أرْسَلا
فعادَتْ دَبُورُ الرِّيحِ عنديَ كالصَّبَا بذِي غُمَرٍ إذْ أمْرُ زَيْدٍ تَبَسَّلا
فقد كان يُهْدِينِي الحديثَ مُوَصَّلا فأصبحَ مَوْصُولُ الأحاديثِ مُرْسَلا
وقد كان يُحْيِي العِلْمَ والذِّكْرَ عندنا أوَانَ دَنَا فالآنَ بالنَّأْيِ كسَّلا
فللّهِ أُمٌّ بالمَرِيَّةِ أَنْجَبَتْ بِهِ، وأَبٌ مَاذا مِنَ الْخَيْرِ أنْسَلا

٢٠ / ٥٢١

(٧٦٣) "فالله خيرٌ حافظاً"

قال له - أي: لنور الدين زنكي - القطب النيسابوري: بالله لا تخاطر بنفسك، فإن أُصبت في معركة لا يبقى للمسلمين أحدٌ إلا أخذه السيف، فقال: ومن محمود حتى يقال هذا؟! حفظ الله البلاد قبلي لا إله إلا هو.

٢٠ / ٥٣٥

(٧٦٤) تحول العادات إلى عبادات

قال مجد الدين ابن الأثير في نقل سبط الجوزي عنه: لم يلبس نور الدين - أي: زنكي - حريراً ولا ذهبا، ومَنع من بيع الخمر في بلاده -قلت: قد لبس خلعة الخليفة والطوق الذهب-، قال: وكان كثير الصوم، وله أوراد في الليل والنهار، ويكثر اللعب بالكرة، فأنكر عليه فقير، فكتب إليه: والله ما أقصد اللعب، وإنما نحن في ثغر، فربما وقع الصوت، فتكون الخيل قد أدمنت على الانعطاف والكر والفر. ٢٠ / ٥٣٥

(٧٦٥) التجرد للحق

قال: وجاءه- أي: نور الدين زنكي - رجلٌ طلبه إلى الشرع، فجاء معه إلى مجلس كمال الدين الشهرزوري، وتقدمه الحاجب يقول للقاضي: قد قال لك: اسلك معه ما تسلك مع آحاد الناس. فلما حضر سوَّى بينه وبين خصمه، وتحاكما، فلم يثبت للرجل عليه حق، وكان مِلْكا، ثم قال السلطان: فاشهدوا أني قد وهبته له. ٢٠ / ٥٣٦

قال أبو شامة:... وحدثني ابنه - أي: ابن قاضي القضاة أبو القاسم عبدالصمد بن محمد ابن الحَرَستاني - قال: جاء إليه ابن عُنين، فقال: السلطان يُسلِّم عليك ويوصي بفلان، فإن له محاكمة. فغضب وقال: الشرع ما يكون فيه وصية. ٢٢ / ٨٣

(٧٦٦) أثر اعتزال العلماء للناس

وقال - أي: أبو المواهب بن صصرى -: لما دخلت هَمَذان أثنى عليه - أي: على أبي القاسم ابن عساكر - الحافظ أبو العلاء، وقال لي: أنا أعلم أنه لا يساجل الحافظ أبا القاسم في شأنه أحد، فلو خَالَقَ الناس ومازجهم كما أصنع، إذًا لاجتمع عليه الموافق والمخالف. ٢٠ / ٥٦٤

(٧٦٧) الفرح بامتلاك الكتب

قال أبو محمد القاسم - أي: ابن الحافظ ابن عساكر -: وكان أبي -رحمه الله- قد سمع أشياء لم يحصل منها نسخاً اعتماداً على نسخ رفيقه

الحافظ أبي علي بن الوزير، وكان ما حصله ابن الوزير لا يحصله أبي، وما حصله أبي لا يحصله ابن الوزير، فسمعت أبي ليلة يتحدث مع صاحب له في الجامع، فقال: رحلت وما كأني رحلت، كنت أحسب أن ابن الوزير يَقْدَم بالكتب مثل "الصحيحين" وكتب البيهقي والأجزاء، فاتفق سكناه بمرو، وكنت أؤمل وصول رفيقٍ آخرَ له يقال له: يوسف بن فارُّوا الجياني، ووصول رفيقنا أبي الحسن المرادي، وما أرى أحدا منهم جاء، فلا بد من الرحلة ثالثةً وتحصيل الكتب والمهمات. قال: فلم يمض إلا أيامٌ يسيرة حتى قدم أبو الحسن المرادي، فأنزله أبي في منزلنا، وقدم بأربعة أسفاطِ كتبٍ مسموعة ففرح أبي بذلك شديداً، وكفاه الله مؤنة السفر، وأقبل على تلك الكتب، فنسخ واستنسخ وقابل، وبقي من مسموعاته أجزاء نحو الثلاث مئة، فأعانه عليها أبو سعد السمعاني، فنقل إليه منها جملة حتى لم يبق عليه أكثر من عشرين جزءاً، وكان كلما حصل له جزء منها كأنه قد حصل على ملك الدنيا. ٢٠ / ٥٦٦

(٧٦٨) أسباب الفراغ

أنشدني أبو الحسن القطيعي، أنشدني أبو المعالي مسعود بن محمد الفقيه - المعروف بالقطب -:

يقولون: أسباب الفراغ ثلاثة ... ورابعها خَلْوةٌ وهو خيارها

وقد ذكروا أمناً ومالا وصحة ... ولم يعلموا أن الشباب مدارها

٢١ / ١٠٨

(٧٦٩) رؤيا وفاة الرسول ﷺ

قال الحسين بن يوحن الباوري: كنت في مدينة الخان، فسألني سائلٌ عن رؤيا، فقال: رأيت كأن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- توفي، فقال: إن صدقت رؤياك، يموت إمام لا نظير له في زمانه ؛ فإن مثل هذا المنام رئي حال وفاة الشافعي والثوري وأحمد بن حنبل. قال: فما أمسينا حتى جاءنا الخبر بوفاة الحافظ أبي موسى المديني - أي: محمد بن أبي بكر -. ٢١ / ١٥٦

(٧٧٠) كلام بليغ لأحد الخبثاء

وكتب سنان - أي: ابن سلمان البصري الباطني، كبير الإسماعيلية وطاغوتهم - إلى صلاح الدين:

يا للرجال لأمرٍ هالَ مقطعه	ما مرّ قط على سمعي توقعه
فإذا الذي بقراع السيف هدَّدنا	لا قام مصرع جنبي حين تصرعه
قام الحَمامُ إلى البازي يهدده	واستيقظت لأُسود البر أضبعه

وقفت على تفصيل كتابكم وجُملهِ، وعلمنا ما هدَّدنا به من قوله وعمله، فيا لله العجب من ذبابة تطن في أذن فيل، وبعوضة تُعدُّ في التماثيل، لقد قالها من قبلك قوم، فدمرنا عليهم، وما كان لهم من ناصرين. أَلِلْحق تدحضون، وللباطل تنصرون؟! ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧] لئن صدر قولك في قطع رأسي، وقلعك لقلاعي من الجبال

الرواسي، فتلك أمانيٌّ كاذبة، وخيالات غير صائبة، فإن الجواهر لا تزول بالأعراض، كما أن الأرواح لا تضمحل بالأمراض.

وإن عدنا إلى الظاهر، وعدلنا عن الباطن قلنا في رسول الله أسوة حسنة: (ما أوذي نبي ما أوذيت) وقد علمت ما جرى على عِترته وشيعته، فالحال ما حال، والأمر ما زال، وقد علمتم ظاهر حالنا، وكيفية رجالنا، وما يتمنونه من الفوت، ويتقربون به من حياض الموت، وفي المثل: أَوَ للبط تهدد بالشط؟، فهيئْ للبلايا أسبابا، وتدرع للرزايا جلبابا، فلأَظهرن عليك منك، وتكون كالباحث عن حتفه بظلفه، وما ذلك على الله بعزيز، فكن لأمرنا بالمرصاد، واقرأْ أول "النحل" وآخر "ص".

< جاء في الحاشيتين (٢) و (٣) ذكر الآيتين المشار إليهما من سورة "النحل و"ص"، وهما: "﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ ... ﴾ [النحل: ١]، ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ ﴾ [ص: ٨٨] >. **٢١ / ١٨٨ – ١٨٩**

(٧٧١) همة الأبطال

قيل: إن الأدفنش كتب إليه - أي: إلى السلطان: يعقوب بن يوسف المغربي، المنصور - يهدده، ويعنفه، ويطلب منه بعض البلاد، ويقول: وأنت تماطل نفسك، وتقدم رِجلا، وتؤخر أخرى، فما أدري الجبن بطأ بك، أو التكذيب بما وعدك نبيك؟ فلما قرأ الكتاب، تنمَّر، وغضب، ومزقه، وكتب على رقعة منه: ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾[النمل: ٣٧] الجواب ما ترى لا ما تسمع.

ولا كُتب إلا المشرفيةُ عندنا ولا رسل إلا للخميس العرمرم

ثم استنفر سائر الناس، وحشد، وجمع، حتى احتوى ديوان جيشه على مئة ألف، ومن المطوعة مثلهم، وعدى إلى الأندلس، فتمت الملحمة الكبرى، ونزل النصر والظفر، فقيل: غنموا ستين ألف زردية.

قال ابن الأثير: قتل من العدو مئة ألف وستة وأربعون ألفا، ومن المسلمين عشرون ألفا. **٢١ / ٣١٨ - ٣١٩**

(٧٧٢) علامة صدق العلماء

الشجاع بن أبي زكري الأمير: قال لي الملك الكامل يوماً: هاهنا فقيه قالوا إنه كافر، قلت: لا أعرفه، قال: بلى، هو مُحَدِّث، قلت: لعله الحافظ عبد الغني؟، قال: هذا هو، فقلت: أيها الملك، العلماء أحدهم يطلب الآخرة، وآخر يطلب الدنيا، وأنت هنا باب الدنيا، فهذا الرجل جاء إليك أو تَشَفَّعَ يطلب شيئا؟، قال: لا. فقلت: والله هؤلاء يحسدونه، فهل في هذه البلاد أرفع منك؟ قال: لا، فقلت: هذا الرجل أرفع العلماء، كما أنت أرفع الناس، فقال: جزاك الله خيراً كما عرفتني. ثم بعثت رقعة إليه أوصيه به، فطلبني فجئت، وإذا عنده شيخ الشيوخ ابن حمويه، وعز الدين الزنجاري، فقال لي السلطان: نحن في أمر الحافظ، فقال: أيها الملك: القوم يحسدونه، وهذا الشيخ بيننا -يعني شيخ الشيوخ- وحَلَّفْتُهُ هل سمعت من الحافظ كلاماً يخرج عن الإسلام؟ فقال: لا والله وما سمعت عنه إلا كل جميل، وما رأيته. وتكلم ابن الزنجاري فمدح الحافظ كثيراً وتلامذته، وقال: أنا أعرفهم، ما

رأيت مثلهم، فقلت: وأنا أقول شيئا آخر: لا يصل إليه مكروه حتى يُقْتَلَ من الأكراد ثلاثة آلاف، قال: فقال: لا يؤذى الحافظ، فقلت: اكتب خطك بذلك، فكتب. ٢١ / ٤٦٢–٤٦٣

(٧٧٣) كتاب: "مرآة الزمان" لأبي المظفر سبط ابن الجوزي

قد بلوت على أبي المظفر - أي: سبط أبي الفرج ابن الجوزي - المجازفة وقلة الورع فيما يؤرخه، والله الموعد، وكان يَتَرفَّضُ، رأيت له مصنفاً في ذلك فيه دواهٍ، ولو أجمعت الفقهاء على تكفيره - أي: لو أجمع الفقهاء على تكفير الحافظ عبدالغني المقدسي - كما زعم - أي: أبو المظفر - لما وسعهم إبقاؤه حياً، فقد كان على مقالته بدمشق أخوه الشيخ العماد والشيخ موفق الدين، وأخوه القدوة الشيخ أبو عمر، والعلامة شمس الدين البخاري، وسائر الحنابلة، وعدة من أهل الأثر. وكان بالبلد أيضاً خلقٌ من العلماء لا يكفرونه، نعم، ولا يصرحون بما أطلقه من العبارة لما ضايقوه، ولو كفَّ عن تلك العبارات، وقال بما وردت به النصوص لأجاد ولسلم، فهو الأولى، فما في توسيع العبارات الموهمة خير، وأسوأ شيء قاله أنه ضلل العلماء الحاضرين، وأنه على الحق، فقال كلمة فيها شر وفساد وإثارة للبلاء، رحم الله الجميع وغفر لهم، فما قصدهم إلا تعظيم الباري -عز وجل- من الطرفين، ولكن الأكمل في التعظيم والتنزيه الوقوف مع ألفاظ الكتاب والسنة، وهذا هو مذهب السلف -رضي الله عنهم.

وبكل حال فالحافظ عبد الغني من أهل الدين والعلم والتأله والصدع بالحق، ومحاسنه كثيرة، فنعوذ بالله من الهوى والمراء والعصبية والافتراء، ونبرأ من كل مجسم ومعطل. ٢١ / ٤٦٤ — ٤٦٥

(٧٧٤) القاعدة في سؤال الناسِ المالَ

القاضي أبا القاسم بن العديم: سمعت عبد العزيز بن هلالة يقول، وغالب ظني أنني سمعته من ابن هلالة بخراسان، قال: رأيت عمر بن طبرزذ - أي: البغدادي الدارَقَزِّي - في النوم بعد موته وعليه ثوب أزرق، فقلت له: سألتك بالله ما لقيت بعد موتك؟ فقال: أنا في بيت من نار، داخل بيت من نار، فقلت: ولم؟ قال: لأخذ الذهب على حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

قلت: الظاهر أنه أخذ الذهب وكَنَزَهُ ولم يزكه، فهذا أشد من مجرد الأخذ، فمن أخذ من الأمراء والكبار بلا سؤال وهو محتاج فهذا مغتفر له، فإن أخذ بسؤال رُخِّصَ له بقدر القوت، وما زاد فلا، ومن سأل وأخذ فوق الكفاية ذُمَّ، ومن سأل مع الغنى والكفاية حرم عليه الأخذ، فإن أخذ المال والحالة هذه وكَنَزَهُ ولم يؤد حق الله فهو من الظالمين الفاسقين، فاستفت قلبك، وكن خصماً لربك على نفسك. ٢١ / ٥١١

(٧٧٥) الأمن والإيمان

وقال القوصي: أنشدنا أبو نزار - أي: ربيعة بن الحسن الحضرمي الذماري - لنفسه:

ببيت لِهْيَا بساتين مزخرفة كأنها سرقت من دار رضوان

أجرت جداولُه ذوبَ اللجين على حصى من الدرِّ مخلوط بعِقيان

والطير تهتف في الأغصان صادحة كضارباتِ مزاميرٍ وعيدان

وبعد هذا لسان الحال قائلة: ما أطيب العيش في أمن وإيمان

٢٢ / ١٦

(٧٧٦) ابدأ بنفسك

روى عنه ابن النجار - أي: عن أبي المظفر محمد بن علي بن البَلّ الدوري -، وقال:... أنشدني لنفسه:

يتوب على يدي قوم عصاة أخافتهم من الباري ذنوب

وقلبي مظلم من طول ما قد جنى فأنا على يَدِ من أتوب؟

كأني شمعة ما بين قوم تضيء لهم ويحرقها اللهيب

كأني مخيط يكسو أناسا وجسمي من ملابسه سليب

٢٢ / ٧٦

(٧٧٧) لغز

وله - أي: لتاج الدين ابن الجراح المصري - لغز: ما شيء قلبه حجر، ووجهه قمر، إن نُبذ اعتزل البشر، وإن أجعته رضي بالنوى، وانطوى على الخوى، وإن أشبعته قَبَّل القدم وصحب الخدم، وإن غَلَّفته ضاع، وإن أدخلته

السوق أبى أن يُباع، وإن شدَّدت ثانيه وحذفت رابعه كدَّر الحياة، وخفَّف الصلاة، وأحدث وقت العصر الضجر، ووقت الفجر الخدر، وإن فصلته دعا لك وبقَّى، ما إن ركبته هالَك، وربما كثَّر مالك، وأحسن بعون المساكين مآلك.

قوله: قلبه حجر أي جلمد، والمساكين أهل السفينة في البحر.

< جاء في الحاشية (٢): وحل اللغز أنه: " الدملج " الذي تلبسه النساء، إذ إنك حينما تقلب " دملج " تصير " جلمد ". وانظر شرح ما ورد في هذا اللغز كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان >. **٢٢ / ١٠١**

(٧٧٨) دحر الوسواس

وقال ابن هلالة: جلستُ عندَه - أي: عند نجم الدين الكُبْرى - في الخلوة مراراً، وشاهدت أموراً عجيبة، وسمعت من يخاطبني بأشياء حسنة.

قلت: لا وجود لمن خاطبك في خلوتك مع جوعك المفرط، بل هو سماعُ كلامٍ في الدماغ الذي قد طاش وفاش، وبقي قَرعة كما يتم للمبرسم والمغمور بالحمى والمجنون، فاجزم بهذا واعبد الله بالسنن الثابتة تفلح!

< جاء في الحاشية (٢): البرسام: علةٌ يُهذى فيها >. **٢٢ / ١١٢**

(٧٧٩) طهارة ملك

قال سبط الجوزي: كان الأشرف - أي: السلطان مظفر الدين موسى شاه أرمن ابن العادل - يحضر مجالسي بحران، وبخلاط، ودمشق، وكان

ملكًا عفيفا، قال لي: ما مددت عيني إلى حريم أحد، ولا ذكر ولا أنثى، جاءتني عجوز من عند بنت صاحب خلاط شاه أرمن بأن الحاجب عَلِي أخذ لها ضيعة، فكتبت بإطلاقها فقالت العجوز: تريد أن تحضر بين يديك. فقلت: باسم الله. فجاءت بها فلم أر أحسن من قوامها ولا أحسن من شكلها، فَخَدَمت فقمت لها، وقلت: أنت في هذا البلد وأنا لا أدري؟ فسفرت عن وجه أضاءت منه الغرفة، فقلت: لا، استتري. فقالت: مات أبي واستولى على المدينة بكتمر، ثم أخذ الحاجب قريتي، وبقيت أعيش من عمل النقش وفي دار بالكراء. فبكيت لها، وأمرت لها بدار وقماش، فقالت العجوز: يا خوند ألا تحظى الليلة بك؟ فوقع في قلبي تغير الزمان، وأن خلاط يملكها غيري، وتحتاج بنتي أن تقعد هذه القعدة، فقلت: معاذ الله ما هذا من شيمتي. فقامت الشابة باكية تقول: صان الله عواقبك.

وحدثني أن غلاماً له مات فخلف ابناً كان مليح زمانه، وكنت أُتَّهَمُ به، وهو أعزُّ من ولد، وبلغ عشرين سنة، فاتفق أنه ضرب غلاماً له فمات؛ فاستغاث أولياؤه، فاجتمع عليهم مماليكي، حتى بذلوا لهم مئة ألف فأبوا إلا قتله، فقلت: سلموه إليهم، فسلموه فقتلوه. **٢٢ / ١٢٤ — ١٢٥**

(٧٨٠) احترام عادات الناس

قال القاضي ابن واصل: كان الناصر - أي: الخليفة العباسي - شهماً شجاعاً ذا فكرة صائبة، وعقل رصين، ومكر ودهاء، وكانت هيبته عظيمة جدا، وله أصحابُ أخبارٍ بالعراق وسائر الأطراف، يطالعونه بجزئيات الأمور؛ حتى ذكر أن رجلاً ببغداد عمل دعوة وغسل يده قبل

أضيافه فطالعه صاحب الخبر، فكتب في جواب ذلك: "سوء أدب من صاحب الدار، وفضول من كاتب المطالعة ". ٢٢ / ١٩٩ – ٢٠٠

(٧٨١) ضرورة النظر إلى عواقب الأمور

ورجع من بلاد بخارى خوارزم شاه إلى نيسابور، وقد بلغه أن التتار قاصدوه، وجاءه رسول جنكز خان يطلب الهدنة يقول: إن القان الأعظم يسلم عليك، ويقول: ما يخفى علي عِظم سلطانك، وأنت كأعز أولادي، وأنا بيدي ممالك الصين، فاعقد بيننا المودة، وتأذن للتجار، وتتعمر البلاد، فقال السلطان لمحمود الخوارزمي الرسول: أنت منا وإلينا، وأعطاه جواهر وطلب أن يكون مناصحاً له فأجابه، فقال: اصدقني، تملك جنكز خان طمغاج؟ قال: نعم، قال: فما المصلحة؟ قال: الصلح. فأجاب. فأَعجب ذلك جنكز خان ومشى الحال. ثم جاء من جهة التتار تجار فشرهت نفس خال السلطان متولي ما وراء النهر إلى أخذ أموالهم، وقبض عليهم وظنهم جواسيس للتتار، فجاء رسول جنكز خان يقول: إنك أمنت تجارنا والغدر قبيح، فإن قلت: فعله خالي فسلمه إلينا، وإلا سترى مني ما تعرفني به، فحارت نفس خوارزم شاه، وتجلّد، وأمر بقتل الرسل، فيا بئس ما صنع، وحصن سمرقند وشحنها بالمقاتلة فما نفع، وقضي الأمر. ٢٢ / ٢٣٢ – ٢٣٣

(٧٨٢) وصف التتار

وقد جود وصفهم - أي: وصف التتار - الموفق البغدادي، فقال: حديثهم حديث يأكل الأحاديث، وخبر ينسي التواريخ، ونازلة تطبق الأرض ؛ هذه أمة لغتها مشوبة بلغة الهند لمجاورتهم، عراض الوجوه، واسعو الصدور، خفاف الأعجاز، صغار الأطراف، سُمر، سريعو الحركة، تصل إليهم أخبار الأمم، ولا تصل أخبارها إليهم، وقلما يقدر جاسوس أن يتمكن منهم ؛ لأن الغريب لا يشبههم، وإذا أرادوا وجهة كتموا أمرهم، ونهضوا دفعة، فتنسد لهذا على الناس وجوه الحيل، وتضيق طرق الهرب، ويسبقون التأهب، نساؤهم يقاتلن، يقتلون النساء والولدان بغير استثناء، وربما أبقوا ذا صنعة أو ذا قوة، وغالب سلاحهم النشاب، ويطعنون بالسيوف أكثر مما يضربون بها، جواشنهم من جلود، وخيلهم تأكل الكلأ وما تجد من ورق وخشب، وسروجهم صغار ليس لها قيمة، وأكلهم أيُّ حيوان وُجد وتمسه النار، تحلة القسم، ليس في قتلهم استثناء، كان قصدهم إفناء النوع، ما سلم منهم إلا غزنة وأصبهان.

قلت: ثم استباحوا أصبهان سنة ٦٣٢. **٢٢ / ٢٢٦ - ٢٢٧**

قال ابن الأثير: لو قيل: إن العالم منذ خلق إلى الآن لم يبتلوا بمثل كائنة التتار لكان صادقا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ؛ قوم خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان، ثم إلى بخارى وسمرقند فتملكوها، ثم تعبر طائفة منهم إلى خراسان فيفرغون منها تخريباً وقتلاً إلى الري وهمذان، ثم يقصدون أذربيجان ونواحيها ويستبيحونها في أقل من

سنة، أمرٌ لم نسمع بمثله، ثم ساروا إلى دربند شروين، فملكوا مدنه، وعبروا إلى بلاد اللان واللكز قتلاً وأسراً، ثم قصدوا بلاد قفجاق فقتلوا من وقف، وهرب من بقي إلى الشعراء والجبال، واستولت التتار على بلادهم، ومضت فرقة أخرى إلى غزنة وسجستان وكرمان، ففعلوا كذلك، وأشد. هذا ما لم يطرق الأسماع مثله، فإن الإسكندر ما ملك الدنيا بهذه السرعة، بل في نحو عشر سنين ولم يقتل أحدا.

وقال: وخيلهم لا تعرف الشعير، إنما تحفر بحوافرها وتأكل عروق النبات، وهم يسجدون للشمس، ولا يُحَرِمون شيئاً، ويأكلون الحيوانات وبني آدم، ولا يعرفون زواجاً. وهم صنف من الترك مساكنهم جبال طمغاج.

< جاء في الحاشية (٤) تعليقاً على كلمة " إلى الشعراء ": في " الكامل: " إلى الغياض " وأخذ الذهبي المعنى >. **٢٢ / ٢٣٦ – ٢٣٧**

(٧٨٣) من وصايا عالم

ومن وصاياه – أي: وصايا موفق الدين عبداللطيف بن يوسف الموصلي، ابن اللباد – قال:

ينبغي أن تكون سيرتك سيرة الصدر الأول، فاقرأ السيرة النبوية، وتتبع أفعاله، واقتف آثاره، وتشبه به ما أمكنك. من لم يحتمل ألم التعلم لم يذق لذة العلم، ومن لم يكدح لم يفلح. إذا خلوت من التعلم والتفكر فحرك لسانك بالذكر، وخاصة عند النوم. وإذا حدث لك فرح بالدنيا فاذكر الموت وسرعة الزوال، وكثرة المنغصات. إذا حزبك أمر فاسترجع، وإذا اعترتك غفلة فاستغفر. واعلم أن للدين عبقة وعرقاً ينادي على صاحبه،

ونوراً وضَيئاً يشرف عليه ويدل عليه، يا محيي القلوب الميتة بالإيمان خذ بأيدينا من مهواة الهلكة، وطهرنا من درن الدنيا بالإخلاص لك. ٢٢ / ٣٢٢

(٧٨٤) بين لحم الضأن ولحم الدجاج!

وكان الوزير ابن شكر يلزم أكل الدجاج حتى شحب لونه، فقال له الرضي - أي: يوسف بن حيدرة الرَّحْبي -: الزم لحم الضأن، ففعل، فظهر دمه. ٢٢ / ٣٧٢

(٧٨٥) أنزلوا الناس منازلهم!

وقال ابن النجار:... سمعته - أي: نصر بن عبدالرزاق الجِيلي البغدادي الحنبلي - يقول: كنت في دار الوزير القمي، وهناك جماعة، إذ دخل رجل ذو هيئة، فقاموا له وخدموه، فقمت وظننته بعض الفقهاء، فقيل: هذا ابن كرم اليهودي عامل دار الضرب، فقلت له: تعال إلى هنا، فجاء، ووقف، فقلت: ويلك، توهمتك فقيهاً فقمت إكراماً لك، ولست - ويلك - عندي بهذه الصفة، ثم كررت ذلك عليه، وهو قائم يقول: الله يحفظك! الله يبقيك! ثم قلت له: اخسأ هناك بعيداً عنا، فذهب. ٢٢ / ٣٩٨

(٧٨٦) خيانة سلطان

قرأت بخط أبو الوليد بن الحاج، قال: لما قضى الله تعالى بهلاك الموحدين بالأندلس، وذلك أنهم ابتلوا بالصلاح في الظاهر، والأعمال

الفاسدة في الباطن، فأبغضهم الناس بغضاً شديدا، وتربصوا بهم الدوائر، إلى أن نجم ابن هود - أي: السلطان محمد بن يوسف بن هود - في سنة خمس وعشرين وست مئة بشرق الأندلس، فقام الناس كلهم بدعوته، وتعصبوا معه، وقاتلوا الموحدين في البلدان، وحصروهم في القلاع، وقهروهم، وقتلوا فيهم، ونُصر على الموحدين، وخلصت الأندلس كلها له، وفرح الناس به فرحاً عظيما، فلما تمهد أمره، أنشأ غزوة للفرنج على مدينة ماردة بغرب الأندلس، واستدعى الناس من الأقطار، فانتدب الخلق له بجد واجتهاد، وخلوص نية المرتزقة والمطوعة. واجتمع عليه أهل الأندلس كلهم، ولم يبق إلا من حبسه العذر، فدخل بهم إلى الإفرنج، فلما تراءى الجمعان وقعت الهزيمة على المسلمين أقبح هزيمة، فإنا لله وإنا إليه راجعون، وكانت تلك الأرض مَدْيَسَة بماء وعَزْق تسمرت فيها الخيل إلى آباطها، وهلك الخلق، وأتبعهم الفرنج بالقتل والأسر، ولم يبق إلا القليل، ورجع ابن هود في أسوأ حال إلى إشبيلية، فنعوذ به من سوء المنقلب، فلم تبق بقعة من الأندلس إلا وفيها البكاء والصياح العظيم والحزن الطويل، فكانت إحدى هلكات الأندلس، فمقت الناس ابن هود، وصاروا يسمونه " المحروم ". ولم يقدر أن يفعل مع الفرنج كبير فعل قط، إلا مرة أخذ لهم غنماً كثيرة جدا، ثم قام عليه شعيب بن هلالة بلَبْلَة، فصالح ابن هود الأدفوش على محاصرة لبلة ومعاونته على أن يعطيه قرطبة، واتفقا على ذلك، وقال له: لا يسوغ أن يدخلها الفرنج على البديهة، وإنما تهمل أمرها، وتخليها من حرس، ووجه أنت الفرنج يتعلقون بأسوارها بالليل ويغدرون بها، ففعلوا كذلك. ووجه ابن هود إلى واليه بقرطبة فأعلمه بذلك، وأمره بضياعها من حيز الشرقية فجاء

الفرنج، فوجدوه خاليا، فجعلوا السلالم واستووا على السور، فلا حول ولا قوة إلا بالله. وكانت قرطبة مدينتين: إحداهما الشرقية والأخرى المدينة العظمى، فقامت الصيحة والناس في صلاة الفجر، فركب الجند وقالوا للوالي: اخرج بنا للملتقى، فقال: اصبروا حتى يضحي النهار، فلما أضحى ركب وخرج معهم، فلما أشرف على الفرنج قال: ارجعوا حتى ألبس سلاحي! فرجع بهم وهم يصدقونه، وذا أمر قد دبر بليل، فدخل الفرنج على أثرهم، وانتشروا، وهرب الناس إلى البلد، وقتل خلق من الشيوخ والولدان والنسوان، ونهب للناس ما لا يحصى. وانحصرت المدينة العظمى بالخلق، فحاصرهم الفرنج شهوراً، وقاتلوهم أشد القتال، وعدم أهلها الأقوات، ومات خلق كثير جوعا، ثم اتفق رأيهم مع أدفونش - لعنه الله - على أن يسلموها ويخرجوا بأمتعتهم كلها، ففعل، ووفى لهم ووصَّلهم إلى مأمنهم، في سنة أربع وثلاثين وست مئة.

قلت: ولم يُمتع بعدها ابن هود بل أخذه الله في سنة خمس، فكانت دولته تسعة أعوام وتسعة أشهر وتسعة أيام، وهلك بالمرية، جُهِّز عليه من غمه وهو نائم، وحُمِل إلى مرسية فدفن هناك، ولم يمت حتى قوي أمر الموحدين وقام بعده محمد بن يوسف بن نصر ابن الأحمر، ودام الملك في ذريته. ٢٣ / ٢٠ - ٢٢

(٧٨٧) تفاوت الهِمم

وكان - أي: أبو العباس أحمد بن يعقوب البغدادي المارستاني - يمكنه السماعُ من أبي بكر ابن الزاغوني، وأبي الوقت السِّجْزي، ولكن السماع رِزْقٌ! ٢٣ / ٧٨

قيل: إنه - أي: فخر الدين يوسف ابن شيخ الشيوخ - لما قدم مع السلطان دمشق - الظاهر أنه: السلطان الصالح - نزل في دار سامة، فدخل عليه الشيخ العماد ابن النحاس، فقال له: يا فخر الدين، إلى كم ما بعد هذا شيء؟ فقال: يا عماد الدين والله لأسبقنك إلى الجنة، فصدَّق الله قوله إن شاء الله، واستشهد يوم وقعة المنصورة. ٢٣ / ١٠١

(٧٨٨) عاقبة موالاة الكافرين

وفي سنة اثنتين وأربعين - أي: وستمئة -: كان حصار الخوارزمية على دمشق في خدمة صاحب مصر، واشتد القحط بدمشق، ثم التقى الشاميون ومعهم عسكرٌ من الفرنج، والمصريون ومعهم الخوارزمية بين عسقلان وغزة، فانهزم الجمعان، ولكن حَصَدت الخوارزميةُ الفرنجَ في ساعة ثم أسروا منهم ثماني مئة، ويقال: زادت القتلى على ثلاثين ألفا. واندك صاحب حمص، ونُهبت خزائنه وبكى، وقال: قد علمت بأنا لا نفلحُ لما سرنا تحت الصلبان. ٢٣ / ١٧٦

(٧٨٩) خيانة الرافضة

وفي سنة خمس وخمسين - أي: وستمئة -:... جرت فتنة مهولةٌ ببغداد بين الناس وبين الرافضة، وقتل عدة من الفريقين، وعظم البلاء، ونُهب الكرخ، فحنق ابن العلقمي الوزير الرافضي، وكاتب هولاكو، وطمَّعه في العراق، فجاءت رسل هولاكو إلى بغداد، وفي الباطن معهم فرمانات لغير

واحد، والخليفة - أي: المستعصم بالله العباسي - لا يدري ما يتم، وأيامه قد ولت، وصاحب دمشق شاب غِرٌّ جبان، فبعث ولده الطفل مع الحافظي بتقادمٍ وتحفٍ إلى هولاكو فخضع له، ومصر في اضطراب بعد قتل المعز، وصاحب الروم قد هرب إلى بلاد الأشكري، فتمرد هولاكو وتجبر، واستولى على الممالك، وعاث جنده الكفرة يقتلون ويأسرون ويحرقون. ٢٣ / ١٨٠

ذكر جمال الدين سليمان بن رطلين الحنبلي، قال:... وحدثني أبي، قال: كان قد مشى حال الخليفة- أي: المستعصم بالله العباسي - بأن يكون للتتار نصف دخل العراق، وما بقي شيء أن يتم ذلك، فقال ابن العلقمي: بل المصلحة قتله، وإلا فما يتم لكم ملك العراق. ٢٣ / ١٨٣

(٧٩٠) الجزاء من جنس العمل

وكان في المعز - أي: أيبك التركماني الصالحي صاحب مصر - تؤدة ومداراة، بنى مدرسة كبيرة، ثم إنه خطب ابنة بدر الدين صاحب الموصل، فغارت أم خليل - أي: شجر الدر - فقتلته في حمام، وثب عليه سنجر الجوجري وخدام، فأمسكوا على بيضه فتلف، وقُطِعت هي - أي: شجر الدر - نصفين، وقيل: بل خنقت ولم توسط، ورميت مهتوكة...

وقيل: خُطِب لها ثلاثة أشهر، وكان المنصور وأمه يُحرضان على قتلها، فقتلت في حادي عشر ربيع الآخر بعد مقتل المعز بدون الشهر. ٢٣ / ١٩٨ - ١٩٩

(٧٩١) من حُمق الرَّعاع!

كان هذا - أي: المدعو بتاج العارفين حسن بن عدي بن أبي البركات - من رجال العالم دهاء وهمة وسمواً، له فضيلة وأدب وتواليف في التصوف الفاسد، وله أتباع لا ينحصرون، وجلالة عجيبة. بلغ من تعظيمهم له أن واعظاً أتاه فتكلم بين يديه، فبكى تاج العارفين وغشي عليه، فوثب كردي، وذبح الواعظ، فأفاق الشيخ فرأى الواعظ يختبط في دمه، فقال: أيشٍ هذا؟ فقالوا: أي شيء هذا من الكلاب حتى يُبكي سيدي الشيخ؟! **٢٣ / ٢٢٣ - ٢٢٤**

(٧٩٢) ليس كل تقيٍ يصلح للولاية

وولي هبةُ الله - أي: ابن أبي علي ابن الدَّوامي - واسط، ثم صُرِف للينِهِ وجودته، فكتب فيه الخليفة: " يُلحَق الثقة العاجز بالخائن الجَلَد "، فلزم داره في تعبُّد وخير وبر.

< جاء في الحاشية (٣) تعليقاً على كلمة " بالخائن ": في الأصل: " بالجائز "، ولا معنى لها، والصحيح ما أثبتناه، قال المؤلف في تاريخ الإسلام - بخطه -: " وانحدر إلى أعمال واسط، فلم يؤذ أحداً، وحُمِدت سيرتُه، فعُزِل للين جانبه وخيره، كما عُزِل الذي قبلَه لخيانته، وكتب الإمام: يُلحق الثقة العاجز بالخائن الجلَد... >. **٢٣ / ٢٣٠**

"الخــاتمة"

الحمــد لله رب العــالمين، والــصلاة والــسلام علــى أشــرف الأنبيــاء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. أما بعد:

فبعد هذا الإبحار بين صفحات " سير أعلام النبلاء "، أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم ما فيه الخير والمنفعة إلى كل قارئ.

كما أنني أرجو أن يكون في هذا الكتاب الدافع لنا جميعاً لنعيد النظر في طريقة قراءتنا لكتب علمائنا، الأمر الذي سيفتح لنا آفاقاً أوسع في طريق طلب العلم.

ثم إنني أتمنى في ختام هذا الكتاب ممن له أي ملاحظة أو تصويب لهذا الكتاب ألا يضن بها علي، وسيجد مني كل تقدير وامتنان.

وأختم كتابي هذا بما قاله الإمام ابن الجوزي، يقول - رحمه الله -: " ثم أي عالم إذا سبر أمور العلماء من القدماء لا يحتقر نفسه؟!!... وأي عابد يسمع بالعُبَّاد، ولا يجري في صورة التعبد؟!!... نسأل الله عزوجل معرفة تعرفنا أقدارنا، حتى لا يبقى للعجب بمحتقر ما عندنا أثر في قلوبنا، ونرغب إليه في معرفة لعظمته، تُخرس الألسن أن تنطق بالإدلال، ونرجو من فضله توفيقاً نلاحظ به آفات الأعمال التي بها نزهو، حتى تثمر الملاحظةُ لعيوبها الخجلَ من وجودها، إنه قريب مجيب " < صيد الخاطر: ٤١٢ – ٤١٣ >..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

الفهرس